

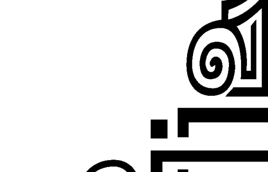
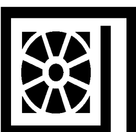
منهج الإمام
محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ
في كتاب
التوحيد

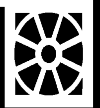
طبعة مزيدة بتخريج آثار كتاب التوحيد

تأليف

د/ حمد بن إبراهيم العثمان

قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت

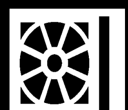




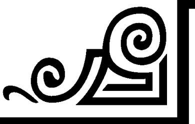
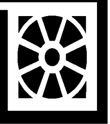



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م





مقدمة الطَّبعة الثَّانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ العناية بتدريس وتعليم التَّوحيد هو منهج الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والتَّوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥]، وتعليم المسلمين صحيح الاعتقاد هو من خلوص النَّصيحة لهم، ومن أعظم وأفضل متون العقيدة في ذلك كتاب «التَّوحيد» لشيخ الإسلام الإمام المجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والعناية بتدريس وشرح كتاب «التَّوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيان مميزاته وخصائصه وفضائله هو من التَّعاون على البرّ والتَّقوى، وفيه تجديد للدِّين وحفظ لعقائد المسلمين من الفساد والضَّلال والاختلال

والانحلال.

ومن حق الإمام الجهبذ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي أدركنا بركة دعوته في جزيرة العرب بل وفي العالم كله العناية بكتبه ومؤلَّفاته بشرحها وبيان فضائل موضوعاتها ومحتوياتها ليتسلسل له ولنا إن شاء الله ثواب ذلك.

وبيان منهج الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «التَّوحيد» هو جزء من أداء الشُّكر لهذا الإمام في تجديد الدِّين ونصح المسلمين، قال النَّبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس**».

وفي هذه الطَّبعة الثَّانية قمت بتخريج الآثار الواردة في كتاب «التَّوحيد»، وجعلته في مبحث «الصِّناعة الحديثيَّة في كتاب التَّوحيد».

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فإن كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهم متون العقيدة، لا يضاهيه متن آخر في توحيد الألوهية، مع ما تضمنته بعض أبوابه من مسائل توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، والقدر.

وهذا المتن أهميته تأتي من جهة صيانة عقائد المسلمين، وحفظ توحيدهم، وتخليصهم من أدران الشرك وشوائبه، ومعلوم أن التوحيد موجب دخول الجنة، والشرك موجب الخلود في نار جهنم.

كتاب التوحيد استوعبت أبوابه الستة والستون كلّ أو جلّ مسائل توحيد الألوهية، في بيان واضح غير متكلف، تم تأسيس العقيدة فيه علىٰ أدلة الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

هذا المتن خلاصة وزبدة ما في القرآن مما يحتاجه المسلمون في توحيدهم وإيمانهم، وقد أخلص لهم مؤلفه النصيحة، معذرة إلىٰ ربكم، ولعلهم يتقون.

هذا المتن حظي بعناية شديدة من العلماء وطلبة العلم في شرحه، وقد يسر لي ربي الكريم المنان الوهاب أن أبرز ما في هذا الكتاب من مميزات، وأتكلم في

منهج مؤلفه فيه، مع التعليق لما احتواه الكتاب من الهدىٰ والبيان لحقيقة التوحيد والإيمان. فالحمد لله أولًا وآخرًا علىٰ تيسير ذلك، وجزىٰ الله ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خيرًا علىٰ نصحه للمسلمين في دعوته ومصنفاته، خصوصًا كتاب التوحيد، وبارك الله في الدولة السعودية التي أقام بنيانها الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله.

وجزىٰ الله علماءنا خيرًا الذين شرحوا هذا المتن في مصنفات خاصة، وجلسوا لتدريس هذا المتن، فإن هذا من أجلِّ الطاعات، وهو من أسباب حفظ الدين.

والله أسأل أن يكتب لمصنفاتي عمومًا ومصنفي هذا خصوصًا القبول، والحمد لله رب العالمين، آمين.

* * *

نبذة مختصرة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته

كتاب «التوحيد» مؤلفه شيخ الإسلام المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف الوهيبي التميمي، ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١١٥هـ في «العيينة».

وقد جمع الله للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الصيانة والديانة منذ صغره، واعتنىٰ به والده في حفظه وتربيته وتهيئة أسباب نبوغه، فحفظ القرآن في سن مبكرة، وتهيأ لتحصيل أنواع العلوم مع ما حباه الله من الذكاء والنّهمة في طلب العلم، وفوق هذا كله همّة عالية مع سمو النفس وزكائها في توفير جهده وطاقته لنصرة دين الله وشرعه وحماية جناب التوحيد.

قال ابن غنام تلميذ الإمام رحمهما الله[1]: «وُلد - الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلدة العُيَيْنة من البلدان النجدية، فأنبته الله نباتًا حسنًا، وجلا به عن طُرَفِ الدهر وسَنًا، وبقي بعد سن الطفولية زمنًا يتعلم في تلك القرآن، معتزلًا في غالب الأوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتىٰ حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم سَرِيًّا، وَقَّاد الذهن

(١) روضة الأفكار (١/ ٢٠٨، ٢٠٩).

ذكيًّا، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي الفطنة، نبيهًا، اشتغل في العلم علىٰ أبيه، وجدَّ في الطلب، وأدرك بعض الأَرَب، وهو في بلد العُيَيْنَة في تلك الحال، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتطوافه له في كثير من البلاد، حتىٰ نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعاد، وحاز الرشد والإرشاد، وكان والده قد توّسم ذلك فيه، ويُحدِّث بذلك ويبديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدّث بِه سليمان أخوه، قال: كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكه، ومناهزته الاحتلام وإفراكه. ويقول أيضًا: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، أو قريبًا من هذا الكلام.

وقد كتب والده إلىٰ بعض إخوانه رسالة، نَوَّه فيها بشأنه، يثني فيها عليه، وأن له فهمًا جيدًا، ولو يلازم الدرس سنةً علىٰ الولاية؛ لظهر في الحفظ والإتقان آية، «وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام، قبل إكمال اثنتي عشرة سنة علىٰ الإتمام، ورأيته أهلًا للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزوَّجْتُهُ بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلىٰ بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضىٰ ركن الإسلام، وأدىٰ المناسك علىٰ التمام، ثم قصد مدينته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك فائزًا بأجر الزيارة والمناسك»».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ أولًا علىٰ والده الذي كان قاضيًا وعالمًا في المذهب الحنبلي، ثم رحل في طلب العلم، وأخذ عن علماء الحرمين، والبصرة، والأحساء.

قال العلامة ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أخذ في القراءة علىٰ والده في الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورُزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يُحيّر أصحابه، بحيث إنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراسًا من غير سآمة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار، وجدَّ في الطلب إلىٰ ما يليه من الأمصار، وما يحاذيه من الأقطار».

والملاحظ في سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تواضعه في تتلمذه علىٰ شيوخه، فهم من جنسيات وأقطار مختلفة، وأكسبه ذلك بلا ريب معرفة بثقافة أقطار المسلمين، ومعرفة أحوالهم، وفقه واقعهم، وطرق دعوتهم، والسعي في إصلاح أحوالهم، فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحل إلىٰ البصرة قاصدًا الشام، فمكث في البصرة وطلب العلم فيها علىٰ يد عدد من علمائها، وكان من أشهرهم الشيخ محمد المجموعي، درس علىٰ يديه بعض العلوم مثل: الفقه، والحديث، والنحو.

وتوجه الشيخ بعد ذلك من البصرة إلىٰ الأحساء، ولم يذهب إلىٰ الشام لقلة الزاد، وقيل لسرقة نفقته.

وفي الأحساء التقىٰ ببعض علمائها كالشيخ عبد الله بن فيروز، (ت: ١١٧٥هـ)، الذي تربطه بالشيخ محمد صلة قرابة لكونه ابن عمته، وسُر الشيخ محمد بالالتقاء بابن فيروز؛ لأنه وجد عنده عددًا كبيرًا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

---

(١) روضة الأفكار (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

ومن مشايخه في الأحساء أيضًا الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي، والشيخ محمد بن عفالق[١].

وفي رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الحرمين استفاد من علمائها، فأخذ عن علامة مكة الشيخ عبد الله بن سالم العيسىٰ البصري المكي الشافعي (ت: ١١٣٤هـ)، حافظ البلاد الحجازية، وكان مشهورًا بإقراء جميع الكتب الستة.

وفي المدينة أخذ عن العلامة عبد الله بن إبراهيم السيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (ت: ١١٤٠هـ)، تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن أشهر علماء المدينة الذين أخذ عنهم الإمام العلامة المحدّث محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني (ت: ١١٦٥هـ)[٢]، وهو عالم جليل في الحديث صاحب سنة واتباع[٣].

فلم يكن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منغلقًا علىٰ نفسه وبلده، بل كان يعيش همّ الأمة الإسلامية كلها وما تحتاجه من دعوة إصلاحية تجديدية، تحارب الشرك وتحرر العقول من الخرافات.

ولم يكن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ محصورًا في الفقه الحنبلي فقط، بل كان عارفًا بمذاهب أهل السنة كافة، وما ذاك إلا لأنهم جميعًا علىٰ

---

(١) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد وأعلامها، ص (٨٢، ٨٣).

(٢) وهو من تلاميذ العلامة الشاه ولي الله الدهلوي.

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (١/ ١٤٥- ١٦٠).

كلمة سواء في الاعتقاد، ومصادر تلقيهم في الأحكام واحدة، الكتاب والسنة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلىٰ الشيخ عبد الرحمن السويدي من دعاة ومشايخ العراق[1]: «أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي، كلٌّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم. فلما أبوا - المعاندون - ذلك نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه، ولم يزدهم إلا نفورًا».

ومن أسباب ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ظهورًا عظيمًا وانقياد الناس للدعوة - نصرة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمير الدرعية للدعوة وللإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبالكتاب الهادي الذي حمله ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ والسيف الناصر الذي حمله ابن سعود - ارتفعت راية التوحيد، واجتمعت عليها كلمة المسلمين، وأمنت السبل، وأقيم الشرع، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال العلامة عثمان البشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فلما وصل الشيخ - ابن عبد الوهاب - إلىٰ بلد الدرعية، نزل عند عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم وابن عمّه حمد بن سويلم، فلمّا دخل علىٰ ابن سويلم ضاقت عليه داره خوفًا علىٰ نفسه

---

(١) روضة الأفكار (١/ ٤١٤).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٨٨-٨٩).

من محمد بن سعود، فوعظه الشيخ وسكَّن جأشه، وقال: سيجعل الله لنا ولكم فرجًا ومخرجًا. فعلم به خصائص من أهل الدِّرعية فزاروه خِفْية، فقرَّر لهم التوحيد، واستقر في قلوبهم، فأرادوا أن يُخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلىٰ زوجته موضي وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين، ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهىٰ عنه، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد، وقذف الله في قلوبهم محبة الشيخ، فلما دخل محمد بن سعود علىٰ زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به. فقبل قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، فقذف الله سبحانه في قلب محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه، فأراد أن يُرسل إليه، فقالوا: سِرْ إليه برجلك، وأظهر تعظيمه وتوقيره؛ ليسلم من أذىٰ الناس، وَيعلموا أنه عندك مكرَّم، فسار إليه محمد بن سعود، ودخل عليه في بيت ابن سويلم فرحَّب به، وقال له: أبشر ببلادٍ خير من بلادك، وبالعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أُبشِّرك بالعزّ والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسَّك بها وعمل بها ونَصرها؛ مَلَكَ بها البلاد والعباد، وأنت ترىٰ نجد كلها وأقطارها أطبقت علىٰ الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم بعض، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك. وجعل يشرح له الإسلام وشرائعه، وما يحل ويحرم وما عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدعوة إلىٰ التوحيد، والقيام في نصره، والقتال عليه، فلمّا شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك، وتقرّر عنده، طلب من

الشيخ المبايعة علىٰ ذلك، فبايع الشيخ علىٰ ذلك».

ومن المسائل المهمة التي كان يُنبّه عليها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي من أسباب تصحيح عقائد المسلمين - طلب علم التوحيد، فالجهل والتقليد للآباء والأجداد هو الذي جعل الضالين يستروحون إلىٰ شركهم، وطلب علم التوحيد واجب علىٰ كل أحد، ليس هو من علم الخاصة، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة خاصة، بل البحث عنها وتعلُّمُها فرض لازم علىٰ العالم والجاهل، والمُحْرِم والمُحلِّ، والذكر والأنثىٰ».

كذلك نبّه إلىٰ أن طلب علم الشريعة ميسر، وأن الأئمة المضلين أرادوا حمل الناس علىٰ تقليدهم وركوب الضلال بدون بيّنة، وجعلوا بين اهتداء الناس بنور الوحي حجابًا مستورًا، وأوهموا العامة أن نصوص القرآن والسنة لا يفهمها إلا الأئمة المجتهدون، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتّباع الآراء والأهواء المتفرّقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافًا لعلّها لا توجد تامّة في أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فليُعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شكّ ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدىٰ منهما، فهو إما زنديق، وإمّا مجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كما بيّن الله

(١) روضة الأفكار (١/ ٤٠٤).

(٢) ستة أصول عظيمة، ص (٢٦).

سبحانه، شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا، في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتىٰ بلغت إلىٰ حد الضروريات العامّة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ٧-١١]».

ومن أوضح ملامح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأسيسه الدولة السعودية علىٰ الدعوة السلفية علىٰ منهاج النبوة، وكان زهد الإمام في الولاية واضح، فلإخلاصه وصدقه لم يكن له غرض ولا هوًىٰ في الحكم، لذلك لم يطلب الإمارة لنفسه، وكان غرضه قيام الدولة علىٰ أساس الملة والشرعة التي بُعث بها النبيون عليهم السلام، لذلك بايع أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود علىٰ أن يقوم بشرع الله، وبشّره بالنصرة الإلهية إن صدق، وظهر أمر الله، وبعد أن كان ابن سعود أميرًا علىٰ الدرعية فقط اجتمعت عليه نجد كلها وما جاورها، فأورثهم الله من بعد الفرقة جماعة، ومن بعد الشرك توحيدًا، ومن بعد الذلة عزًّا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاجِّ، فعاقهُ عنه عائق، فقدم المدينة وأقام بها، ثم إن العليم الحكيم ردَّه إلىٰ نجد رحمةً لمن أراد أن يرحمه بمن يأويه وينصره، وقدم علىٰ أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء، فبادأهم بالدعوة إلىٰ التوحيد،

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (٢/ ٤٠-٤١).

ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله، وبيَّن لهم الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فقبل منه من قبل وهم الأقلون، وأما الملأ والكبراء الظلمة الفسقة فكرهوا دعوته، فخافهم علىٰ نفسه، وأتىٰ العُيَيْنَةَ وأظهر الدعوة بها، وقبل منه كثير منهم حتىٰ رئيسهم عثمان بن حمد بن مُعمَّر.

ثم إن أهل الأحساء وهم خاصة العلماء أنكروا دعوته، وكتبوا شبهات تنبيء عن جهلهم وضلالهم، وأغْروا به شيخ بني خالد، فكتب لابن معمَّر أن يقتل هذا الشيخ أو يطرُده، فما تحمَّل مخالفته، فنفاه من بلده إلىٰ الدِّرعية، فتلقاه الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُٱللَّهُ بالقبول، وبايعه علىٰ أن يمنعه مما يمنع منه أهله وولده، وهذه أيضًا نعمة عظيمة، وكون الله أتاح له من ينصره ويؤويه، والذي أقوىٰ من ابن سعود لم يحصل منه ذلك.

وصبر محمد علىٰ عداوة الأدنىٰ والأقصىٰ من أهل نجد والملوك من كل جهة، وبادأهم دهام بن دوَّاس بالحرب، فهجم علىٰ الدِّرعية علىٰ حين غرّة من أهلها، وقتل أولاد محمد فيصلًا وسعودًا، فما زاد محمدًا إلا قوة وصلابة في دينه رَحِمَهُٱللَّهُ علىٰ ضعف منه وقلة في العدد والعُدَّة، وكثرة من عدوهم، وذلك من نعمة الله علينا وعليكم، فرحم الله هذا الشيخ الذي أقامه الله مقام رسله وأنبيائه في الدعوة إلىٰ دينه، ورحِم الله من آواه ونصره، فلله الحمد علىٰ ذلك، وفيما جرىٰ من ابن سعود شبهٌ بما جرىٰ من الأنصار في بيعة العقبة.

ثم إن بني خالد وأهلَ نجد وأهلَ العراق والأشراف والبوادي وغيرهم – تجرَّدوا لعداوة هذا الشيخ ومن آواه ونصره، وأقبلوا علىٰ حربهم بحدِّهم وحديدهم وكثرة جنودهم، فأبطل الله كَيْدَ كلِّ من عاداهم، وكلُّ من رام من

هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفيء هذا النور أطفأ الله ناره، وجعلها رمادًا، وجعل كثيرًا من أموالهم فيئًا للمسلمين، وهذه عبرة عظيمة، ونعمة جسيمة.

ثم إن الله بفضله وإحسانه أظهر هذا الدين في نجد، وأذلَّ من عاداه، فعمَّت النعمة أهل نجد ومن والاهم شرقًا وغربًا، وحفظ الله عليهم نعمة الإسلام التي رضيها سبحانه لعباده دينًا، فلم يقدر أحد أن يُغيرها بقوته وقدرته، فاشكروا ربكم، وأقبلوا علىٰ التوحيد تعلمًا وتعليمًا، والأمر بما يحبُّه من طاعته، والنهي عمّا نهىٰ الله عنه من المعاصي، فالواجب علينا وعليكم التَّواصي بهذه النعمة العظيمة، والتنافس في هذا الدين الذي مَنَّ الله به عليكم، وهو الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأنزل به كتبه، وأكمله ورضيه لعباده، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]».

ومن أوضح ملامح سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دعوته والتي ينبغي أن يستفيد منها عموم دعاة التوحيد والسنة صبره علىٰ الأذىٰ في الدعوة إلىٰ التوحيد، وهذا دال علىٰ إخلاصه فلا يصبر علىٰ نوع الأذىٰ الذي حصل للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا من اعتقد أنه دين يدين الله به، وكذلك معرفته بسنة الله في ابتلاء الأنبياء، فصبره علىٰ الدعوة وصدقه وإخلاصه في ذلك مع تحققه بالعلم - هو الذي أدرك به الإمامة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وهو الذي حصل به ظهور دعوته واهتداء الناس بها وقيام الدولة علىٰ أساسها، فهذا شأن ورثة النبيين ينصرهم الله ويظهر دعوتهم، كما نصر أولياءه المرسلين، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ

كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناله من الأذىٰ أقصاه، فقد قصد الفسقة الأشرار بحريملاء قتله، والمبتدعون الضالون في البصرة استطالوا عليه وآذوه وأخرجوه من البصرة حتىٰ كاد يهلك، والإمام ثابت علىٰ دعوته لا يزيده الأمر إلا صلابة[١].

قال العلامة عثمان البشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنه - الإمام محمد بن عبد الوهاب - خرج من الأحساء، وقصد بلد حُريملاء، وكان أبوه عبد الوهاب قد انتقل إليها من العيينة في سنة تسع وثلاثين ومائة ألف، بعدما مات عبد الله ابن معمّر في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة وأفناها، فتولَّىٰ في البلد بعده ابن ابنه محمد بن حمد الملقب خرفاش، فوقع بينه وبين عبد الوهاب منازعة، فعزله عن القضاء، وجعل مكانه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب ابن عبد الله، فانتقل عبد الوهاب بعدها إلىٰ حريملا.

فلمّا وصل الشيخ محمد إلىٰ بلد حُريملاء جلس عند أبيه يقرأ عليه، ويُنكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات، حتىٰ وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين أناس في البلد، فأقام علىٰ ذلك مدة سنين حتىٰ تُوفي أبوه عبد الوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ثم أعلن بالدعوة والإنكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهل البلد، ومالوا معه، واشتهر

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (٢/ ٤٠).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٨٥، ٨٦).

بذلك.

وكان رؤساء أهل بلد حُريملاء قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وهم رؤساؤها، وكل منهما يدَّعي القول له، وليس للأخرىٰ علىٰ الثانية قول، ولا للبلد رئيس يَزَع الجميع، وكان في البلد عبيد لإحدىٰ القبيلتين يقال لهم: الحميان، كثير تعدِّيهم وفسقهم، فأراد الشيخ أن يُمنَعوا عن الفساد، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهمَّ العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرًّا، فلما تسوَّروا عليه الجدار علم بهم أناس، فصاحوا عليهم فهربوا.

فانتقل الشيخ بعدها إلىٰ بلد العيينة، ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد ابن معمَّر، فتلقاه بالقبول وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبد الله بن معمَّر، فعرض علىٰ عثمان ما قام به ودعا إليه، وقرَّر له التوحيد».

علىٰ كل حال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان واثقًا وهو يعرض دعوته علىٰ الأمراء والعلماء؛ لأن ما تديّن به ودعا إليه هو دعوة المرسلين جميعًا، ولذلك لم يحد عن دعوته لشغب الجاهلين ومعاندة المبطلين؛ لأنه درس سيرة النبي ﷺ واختصرها في مصنف خاص، ومن كان عارفًا بسيرة الأنبياء في دعوتهم فإنه يعرف أن لهم مناوئين مبطلين، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فالإمام عاش سيرة الأنبياء في واقعه، جهر بالدعوة وصبر عليها وصدق الله في ذلك، فنصره الله وأظهر دعوته.

قال العلامة ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شأن معارضة أهل الباطل للإمام** وأذاهم **له**[١]: «دخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب، حين قام بدعوة رب الأرباب الشيخ الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب، وأتوا في مصادمته بحجج واهية النسج، بعيدة عن الحق والنهج، يقضي بفسادها، وبيان عنادها، وغلوها في مرادها - كل من لم يتورك سَنَام الاعتساف، ولم يقعد علىٰ منصة العصبية والإجناف، ولم يدَّرِعْ بقميص السرف والإسراف، وراقب في ذلك مولاه وخاف، وما داهن في ذلك ولا حاف، ولكنّ هذا القدوة كلما أعلن بهذه الدعوة لم يبال بما رُيِّش له من النبال، وما حُدد له من النِّصال، وما أوقع في عرضه من القيل والقال».

توطّدت دعوة التوحيد بفضل الله وتوفيقه لهذا الإمام في تبليغ شرع الله ثم نصرة ولاة الأمر له، وقيام طلبته بحمل لواء الدعوة معه، ومن بعده، وما زلنا في جزيرة العرب وكذلك إخواننا أهل السنة بأقطار الدنيا نتفيأ ظلال هذه الدعوة المباركة، وعلومها محفوظة، ودولتها قائمة، وحملة العلم قائمون ببيان علومها وإظهار أنوارها، ودلالة الخلق إليها؛ طاعة لله ومعذرة إليه ونصحًا للخلق.

ومن أعظم العلوم المحفوظة وهي حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كتاب «التوحيد»، الذي هو أعظم وأوعب متن في التوحيد خصوصًا فيما يتعلق بتوحيد الألوهية.

---

(١) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام (١/ ٣١٠).

وكتاب «التوحيد» حظي بعناية شديدة من العلماء وطلبة العلم، فقاموا بإقرائه وتدريسه وتعليمه، وندب العلماء أنفسهم لتصنيف شروحات تبين ما احتواه من عقيدة المرسلين، وكان من أعظم هذه الشروحات وأولها «تيسير العزيز الحميد» للعلامة سليمان بن عبد الله حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، وهذا الكتاب صار عمدة لمن بعده ينهل من معينه في شرح كتاب التوحيد.

وقام العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ باختصاره في كتابه «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»، وهو شرح متوسط لكتاب التوحيد، وللعلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب آخر شرح فيه كتاب التوحيد «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، وهو تعليق مختصر علىٰ كتاب التوحيد.

والتيسير، وفتح المجيد، وقرة عيون الموحدين - هي الأمهات الأولىٰ في بيان وشرح كتاب التوحيد، وجاء العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووضع حاشية متوسطة الحجم علىٰ كتاب التوحيد، وهي حاشية نفيسة، جمعت شتات تعليقات أئمة الدعوة علىٰ متن كتاب التوحيد.

وللعلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليق مختصر نفيس ماتع علىٰ كتاب التوحيد «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، قرّب فيه معاني أبواب كتاب التوحيد، وضمّنه تعليقات جميلة تنمّ عن تحقق بالتوحيد ووفور إيمان.

ومن المختصرات المفيدة «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد»، وهو مختصر مهم حيث حوىٰ تعليقات العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الناقصة من شرحه «تيسير العزيز الحميد»، ومن المختصرات كذلك مختصر العلامة عبد الله ابن عبد الرحمن أبا بطين، انتخب من «تيسير العزيز الحميد»، ما يوضح المتن، ويُبيّن الأحكام، ويرفع الإشكال.

وما زال العلماء يشرحون كتاب التوحيد في المساجد، وقام طلابهم بتدوين هذه الشروحات في كتب مطبوعة؛ لتكون في متناول الجميع، وليعم الانتفاع بها، وليجري الأجر والثواب للعلماء الذين بذلوا أوقاتهم في تدريس متن كتاب التوحيد.

فمن هذه الشروحات المطبوعة «شرح كتاب التوحيد» للعلامة المحدّث عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وهو شرح مختصر، وكذلك «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» لشيخنا العلامة المحقّق محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]، وهو شرح متوسط حوىٰ تقسيمات بديعة، وتحريرات مفيدة.

و«إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» لشيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله[3]، امتاز بسهولة عبارته، ومعالجته للأقوال والمذاهب التي استحدثتها بعض الأحزاب البدعية المعاصرة.

ولفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله كتاب «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»[4]، أبان عن مقاصد الكتاب، وأنواع الأحكام في المسألة

---

(١) مطبوع بمصر، دار ابن عباس بسمنود الخيرية.

(٢) مطبوع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين، دار ابن الجوزي.

(٣) الناشر: دار السنة – الرياض.

(٤) الناشر: دار التوحيد – الرياض.

الواحدة من كل باب، ودفع عن جده الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ما انتقد عليه من أحكام دقيقة في بعض الأبواب.

ولقد منَّ الله عليّ بشرح متن كتاب «التوحيد» في المسجد مرات عديدة، ورأيت أن أتكلم في منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه، وأُبرز ما في هذا المتن من جودة المحتوىٰ، وحسن التصنيف، وتحقق مقصود تأليف الكتاب ببيان حقيقة التوحيد والتحذير من كل ما يضاده من الشرك الأكبر والأصغر، فللّه الحمد علىٰ تيسيره.



الفصل الأول

قيمة كتاب التوحيد

ثناء العلماء على كتاب التوحيد

أولىٰ الناس بنقل أقوالهم وأحكامهم في كتاب التوحيد هم من قاموا بشرح الكتاب؛ لأنهم يتكلمون عن علم ومعرفة تامة بمحتوىٰ الكتاب وفضائله، وخصائصه.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن جده الإمام**(١): «صنَّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين، والرَّد علىٰ من خالفه من المشركين، ومن جملتها **كتاب التوحيد، وهو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق**».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد جمع هذا الكتاب علىٰ اختصاره ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبّر، وكذلك الرد علىٰ أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنىٰ به عن غيره في الرد علىٰ كل مبتدع، فتدبّره تجد ذلك بيّنًا».

وكان العلامة عبد الله القرعاوي بالهند، وحضر مجلسًا لعالم هندي يدرّس في المسجد، وكان من عادته إذا انتهىٰ من الدرس يدعو الله كثيرًا، وكان في

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٢٣).

(٢) قرة عيون الموحدين، ص (٦٣).

دعائه يدعو علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويلعنه.

فعمد العلامة القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ كتاب التوحيد، فنزع عنه الغلاف والورقة الأولىٰ التي تحمل اسم المؤلف، ثم تقدم إلىٰ المدرس الهندي فطلب منه أن يقرأ هذا الكتاب، ثم يخبره عن مضمونه، وعن رأيه فيه.

فأخذ الشيخ الهندي الكتاب فقرأه فأُعجب به، فسأله العلامة القرعاوي في غد عن الكتاب، فأخذ يثني علىٰ الكتاب ثناءً عظيمًا، ويصفه بأنه من أحسن الكتب في بابه، فقال العلامة القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن عبد الوهاب الذي تلعنه. وقدّم له الغلاف والورقة المنزوعة التي فيها اسم الشيخ، فاندهش العالم الهندي وندم علىٰ ما فرط منه وأخذ يدعو للقرعاوي ثم غيّر موقفه من الشيخ، وصار يدعو للشيخ آخر كل درس عوضًا عن سبه[١].

وقال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما الوهابية فهي بهذه النسبة دسيسة من قبل أعداء الإسلام؛ لأن دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت دعوة إسلامية».

وقال أيضًا: «فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه ألزموا أنفسهم بالعمل بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ».

وقال[٣]: «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الذي نفع الله بها

(١) مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة، باختصار وتصرف يسير، ص (٢٣٧).

(٢) إجابة السائل علىٰ أهم المسائل، ص (٥٤٢).

(٣) إجابة السائل علىٰ أهم المسائل، ص (٥٧٥).

كثيرًا من البلاد الإسلامية، ونفع الله بها نجد، كان منهم من يعبد زيد ابن الخطاب، وكان منهم من يذبح لبعض النخل يعتقد فيها، وكان منهم من يرتكب البدع والخرافات، ثم بحمد الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب - جزاه الله خيرًا - قام وحيدًا، ونُصر من قبل الأسرة السعودية».

وقال العلامة الوادعي أيضًا: «**ومن الكتب القيمة التي لا يستغني عنها مسلم كتاب «فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد، كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ».

وكل من قرأ كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان فيه إنصاف - أثنىٰ عليه وشهد له ولسائر كتبه بأنها عقيدة النبيين عليهم السلام، وشريعة رب العالمين، وملة أبينا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لو قلت لرجل اليوم من عامة المسلمين، وأكثر خاصتهم من الذين يزعمون أنهم علماء: أسأل الله أن يحفظك ووالديك وذريتك من عبادة الأصنام. لغضب غضبًا شديدًا، وظن أنك تسبه، فإذا حلم ولم يشتمك، ولم يضربك، يقول: هل أنت شاك في إسلامي وإسلام والدي وذريتي ونحن نقرأ القرآن، ونصلي، ونحج، ونؤدي الزكاة ونصوم رمضان، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؟! فاتق الله ولا تكفّر المسلمين، واترك عقيدة الوهابية.

فيقال له: هل كان إبراهيم وهابيًّا حين دعا بهذا الدعاء؟ وهل كان إبراهيم

---

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٥٨٠).

ويعقوب وهابيين إذ حكىٰ الله عنهما وصيتهما لأبنائهما؟ قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وهل كان يعقوب وهابيًّا حين سأل بنيه عند موته، وقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

فيا أيها الموحّد المتَّبع المهتدي المقتدي، اصبر إن وعد الله حق، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، اللهم احفظنا وذريتنا وإخواننا من عبادة الأصنام والأوثان، وكل ما سواك».

وقال علامة الجزائر محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن العامة لا تعرف من مدلول كلمة «وهابي»، إلا ما يعرفها هؤلاء الكاذبون، وما يعرف منها هؤلاء إلا الاسم، وأشهر خاصة لهذا الاسم وهي أنه يذيب البدع كما تذيب النار الحديد، وأن العاقل لا يدري ممَّ يعجب؟ أمن تنفيرهم باسم لا يعرف حقيقته المخاطب منهم، ولا المخاطب؟

أم من تعمدهم تكفير المسلم الذي لا يعرفونه نكاية في المسلم الذي يعرفونه، فقد وجّهت أسئلة من العامة إلىٰ هؤلاء المفترين من علماء (السنة)، عن معنىٰ الوهابي؟

فقالوا: هو الكافر بالله وبرسوله ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ كَبُرَتْ

(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ١٢٣، ١٢٤).

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

أما نحن فلا يعسر علينا فهم هذه العقدة من أصحابنا بعد أن فهمنا ميع عقدهم، وإذ قد عرفنا مبلغ فهمهم للأشياء وعلمهم بالأشياء، فإننا لا نرد ما يصدر منهم إلىٰ ما يعلمون منه، ولكننا نردّه إلىٰ ما يقصدون به، وما يقصدون بهذه الكلمات إلا تنفير الناس من دعاة الحق - ولا دافع لهم إلىٰ الحشد في هذا إلا أنهم موتورون لهذه الوهابية التي هدمت أنصابهم، ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله، وقد ضجّ مبتدعة الحجاز، فضجّ هؤلاء[1] بضجيجهم، والبدع رحم ماسّة، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة وهابي تقذف في وجه كل داع إلىٰ الحق - إلا نواحًا مرددًا علىٰ البدع التي ذهبت صرعىٰ أمام هذه الوهابية، وتحرّقًا علىٰ هذه الوهابية التي جرفت البدع، فما أبغض الوهابية إلىٰ نفوس أصحابنا! وما أثقل هذا الاسم علىٰ أسماعهم! ولكن ما أخفّه علىٰ ألسنتهم حين يتوسلون به إلىٰ التنفير من المصلحين! وما أقسىٰ هذه الوهابية التي فجعت المبتدعة في بدعهم، وهي أعز عزيز لديهم، ولم ترحم النفوس الولهانة بحبّها، ولم ترث للعبرات المراقة من أجلها!

وإذا لم يفهم أصحابنا من معنىٰ «الوهابية»، إلا أنه محو البدع - فقد استقام لهم هذا المنطق الغريب علىٰ هذا النحو الغريب، وهو أنه ما دامت الوهابية هي محو البدع، وما دامت وصفًا لا رجلًا، وما دام كل وصف ككل كسوة عسكرية كل من يلبسها فهو عسكري يُعرف بها، ولا تُعرف به، وما

(١) مبتدعة المغرب العربي.

دام المصلحون ينكرون البدع - فهم وهابيون، وإن لم يؤمّنوا للحجاج سبيلًا، ولم يأتوا بابن سعود وقومه قبيلًا».

وفي مقدمة تحقيق حاشية العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)] علىٰ كتاب التوحيد: «إن كتاب التوحيد الذي ألّفه شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - أجزل الله له الأجر والثواب - ليس له نظير في الوجود، قد وضّح فيه التوحيد الذي أوجبه الله علىٰ عباده وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، والبدع، وما يقرب من ذلك، أو يوصل إليه، فصار بديعًا في معناه لم يسبق إليه، علمًا للموحدين، وحجة علىٰ الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعكف عليه الطلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعمّ النفع به، وتصدىٰ لشرحه والتعليق عليه جماعة من الجهابذة النبلاء».

وقال الشيخ مسعود الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وصف كتاب التوحيد**[(٢)]: «ذكر الشيخ فيه حقيقة التوحيد وحدوده، والشرك ومفاسده، وفصّل القول في جميع تلك الطرق التي تؤدي إليه كالاستعاذة، والاستغاثة بغير الله، والتوسل، ودعاء غير الله، والنذر، والذبح لغيره، والسحر، والكهانة، والتطير، وغيرها.

ولم يأت بأفكاره إلا القليل، بل اكتفىٰ في كل باب بذكر براهين واضحة وصريحة من الكتاب والسنة.

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٧)، ولعل الكلام لأحد أبناء الشيخ عبد الرحمن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىٰ عليه، ص (١٣٥، ١٣٦).

ولقد حظي هذا الكتاب بالقبول العام، وسارعت إليه الأيدي، وطُبع مرات، كل منها عدة آلاف، وتُرجم بلغات عديدة».

* * *

بركة كتاب التوحيد
ودعوة الإمام

بركة كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لا يوازيها كتاب في بابه في زماننا هذا، فعناية العلماء وطلبة العلم كافة بهذا الكتاب ظاهرة جدًّا، فشروحات الكتاب الكثيرة شاهدة بذلك، وتناول المشايخ والعلماء لهذا المتن بالشرح وإقبال طلبة العلم علىٰ حضور هذه المجالس - أمر معلوم، والحضور لهذه المجالس يفوق أي متن آخر قصد المشايخ شرحه، وإن كان الشرح معادًا بالنسبة لكثير من طلبة العلم.

ومن عظيم بركة هذا الكتاب تديّن الناس بما فيه من حقائق التوحيد، فحفظ الله بسبب ذلك إيمان وعقيدة من تديّن به، وأورثهم علم ذلك صلاحًا وعلمًا نافعًا.

ولعل من أعظم الخيرات التي حصلت للمسلمين كافة بأقطار الدنيا - تأسس الدولة السعودية علىٰ هذه العقيدة السلفية المباركة، فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن عارضه الناس وظل صابرًا ثابتًا علىٰ عقيدته انقاد له الناس، وطلب من أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبايعه علىٰ الكتاب والسنة والحكم بهما، فتناصرا في إقامة الشرع والدين، ثم قامت هذه الدولة بنصرة هذه العقيدة وتدريسها، ودعوة الخلق

في أقطار العالم للتدين بها، فصلحت عقائد المسلمين، وقويت قلوبهم وأشرقت بنور التوحيد.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وقد كان في نجد والحجاز من الشرك العظيم والاعتقادات الباطلة، ودعوة غير الله - ما لا يعد ولا يحصىٰ، فلما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - أي: قبل ما يزيد عن مائتي سنة - دعا إلىٰ الله وأرشد الناس، فعاداه كثير من العلماء الجهلة وأهل الهوىٰ، لكن الله أيَّدَه بعلماء الحق، وبآل سعود - رحم الله الجميع -، فدعا إلىٰ الله، وأرشد الناس إلىٰ توحيد الله، وبيَّن لهم أن عبادة الجن والأحجار والأولياء والصالحين وغيرهم - شرك من عمل الجاهلية، وأنها أعمال أبي جهل وأمثاله من كفار قريش في عبادتهم اللَّات، والعزىٰ، ومناة، وعبادة القبور والأولياء بعد أن كانوا يعبدونها إلا من رحم الله، بل كان بعضهم يعبد أناسًا مجانين لا عقول لهم، ويسمونهم: أولياء، وهذا من عظيم جهلهم الذي كانوا واقعين فيه».

وقال علامة مصر الشيخ محمد بن خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يرحمه الله - وهو إمام كبير من أئمة الإصلاح الديني، ظهر في نجد، فدعا إلىٰ تجريد التوحيد، وإحياء مذهب السلف، وناصره آل سعود في دعوته حتىٰ قضىٰ علىٰ جميع البدع الشركية كدعاء المقبورين، والغلو في تعظيم المخلوقين، وأعاد ربوع نجد كلها إلىٰ حظيرة

---

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (٨/ ١٩، ٢٠).

(٢) النبراس من فتاوىٰ الإمام محمد بن خليل هراس، ص (٦٣).

التوحيد الخالص، رحمه الله وأجزل مثوبته».

وقال العلامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الأنواع الثلاثة من الشرك، من نفاها عن الله في توحيده إياه، فوحّده في ذاته، وفي عبادته، وفي صفاته، فهو الموحِّد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين.

ومن أخلّ بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

فاحفظ هذا؛ فإنه أهم شيء في العقيدة، فلا جرم أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ به، ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب، وكتب شيوخ الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، وغيرهم ممن حذا حذوهم، واتبع سبيلهم».

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[2]: «انظروا ماذا حقق الله من الخير بسبب دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن اهتدىٰ بسببه من الأجيال التي لا تزال إلىٰ الآن والحمد لله، ومن بركات دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ علىٰ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في أمور العقيدة، فقام بهذه الدعوة المباركة.

إذًا ماذا يحصل للداعية الأول من الأجر؟ كما قال ﷺ في الحديث الآخر:

---

(١) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق، ص (٩).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ١١٨، ١١٩).

«من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»، فكيف بالأجر الذي يحصل للرسول ﷺ سيّد الدعاة، وإمام الدعاة؟!

من يؤمن من الخلق إلىٰ يوم القيامة يحصل للرسول ﷺ مثل أجره، وكذلك الأئمة من بعده، الدعاة الذين جاءوا بعد الرسول ﷺ، يحصل لهم من الأجور مثل أجور من تبعهم، نسأل الله الكريم من فضله.

فهذا فيه فضل الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والدعوة إلىٰ الله أن تدعو الناس إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، والحكم بما أنزل الله، هذه هي الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ليست مجرد انتساب، أو مجرّد شكليات، أو مجرد شعارات، ولهذا كل دعوة ترتكز علىٰ المنهج الصحيح تنجح بإذن الله، ولو بعد حين».

وقال العلامة محمود شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٤٢ هـ) عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أبدىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التقارير المفيدة، والأبحاث الفريدة، علىٰ كلمة الإخلاص والتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ما دلّ عليه الكتاب المصدّق، والإجماع المستبين المحقق، من نفي استحقاق العبادة والإلهية عما سوىٰ الله، وإثبات ذلك لله سبحانه علىٰ وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته، وأن هذا هو معناها وصفًا ومطابقة، خلافًا لمن زعم غير ذلك من المتكلمين كمن يفسر ذلك بالقدرة علىٰ الاختراع، أو

(١) تاريخ نجد، ص (١٣٠).

بأنه تعالىٰ غني عما سواه، مفتقر إليه ما عداه، فإن هذا لازم المعنىٰ؛ إذ الإله الحق لا يكون إلا قادرًا غنيًّا عما سواه. وأما كون هذا هو المعنىٰ المقصود بالوضع فليس كذلك.

والمتكلمون خفي عليهم هذا، وظنوا أن تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة، والغناء فيه هو يحقق التوحيد، وليس الأمر كذلك، بل هذا لا يكفي في الإيمان وأصل الإسلام، إلا إذا أضيف إليه واقترن به توحيد الإلهية، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والإنابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، هذا أصل الإسلام وقاعدته».

وقال علامة المغرب محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كل أمة استولىٰ عليها الجهل بالله تعالىٰ، وفشت فيها عبادة الأوثان واتباع الهوىٰ، وعمّها ظلام الكفر - تبغض دعاة الحق في كل زمان، وتقابلهم بالتمرد والعناد والتعجب، فالمشركون في هذا الزمان كالمشركين في الأزمنة الأولىٰ، وجوابهم لدعاة الحق كجواب أولئك لرسلهم، والعلماء ورثة الأنبياء، والوارث يلاقي من أهل الشرك مثل ما لاقاه الموروث، ففي هذا الزمان إذا قلنا لعبّاد القبور: دعوا عبادة القبور واتخاذها أوثانًا، واعبدوا الله وحده. قالوا: يا عجبًا! منذ خلقنا الله لم نزل نرىٰ العلماء الكبار الذين لا تساوي تراب نعالهم، وهم كانوا يروننا نذبح للأولياء، وننذر لهم، ونتمسح بقبورهم، ونستغيث بهم، فما نهونا عن ذلك، ولا قالوا: إنه شرك ولا كفر. وآباؤنا وجدوا آباءهم كذلك وعلماء

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩٠، ٣٩١).

زمانهم كذلك، فمن أين أتيت بهذا الدين الجديد؟! فإذا تلوت عليهم كتاب الله، وذكرت لهم حديث رسول الله ﷺ - قالوا: إن أولئك العلماء يعرفون القرآن والحديث أحسن منك، وعلماء زماننا كذلك، فهل انحصر العلم فيك وحدك؟ فهل تريد أن تدخلنا في المذهب الوهابي، وتنقلنا من مذهب أهل السنة؟ لا نسمع ولا نطيع. فأنت ترىٰ أن المشركين تشابهت قلوبهم وتماثلت أجوبتهم للمصلحين، ورحم الله الشيخ عمران اللَّنجي[1]، إذ يقول:

إن كـــان تـــابع أحمـــد متوهِّبـــا ... **فأنـــا المقِـــرُّ بـــأنني وهَّـــابي**
أنفي الشريك عن الإلـه فليس لي ... **ربٌّ ســوىٰ المتفــرِّدِ الوهَّــاب**
لا قُبَّــة تُرْجــىٰ ولا وثــن ولا ... **قــبر لــه سببٌ مــن الأسباب**
أيضًــا ولســتُ معلِّقًــا لتميمــةٍ ... **أو حَلْقَـــةٍ أو وَدْعَـــةٍ أو نـــاب**
لرجــاء نفــع أو لــدفع مضرــة ... **الله ينفعنـــي ويـــدفعُ مـــا بي**
والابتــداع وكــلُّ أمــرٍ مُحْــدَثٍ ... **في الــدين يُنكــره ذوو الألبــاب**
أرجــو بــأنِّي لا أقاربــه ولا ... **أرضــاه دينًــا وهــو غــير صــواب**
كالشــافعي ومالــك وأبي حنيــ ... **ــفة ثــم أحمــد التقــي الأوابِ»**

* * *

(١) هو عمران بن علي بن رضوان بن مالك الحارثي الشافعي.

كتاب التوحيد أهم ما تحتاجه الأمة

كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أهم ما تحتاجه الأمة الإسلامية، فأساس الدين وقوامه بتوحيد رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فالتوحيد هو دعوة المرسلين، وهو الأساس الذي لا يقبل أي عمل صالح بدونه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]، ودعوة التوحيد هي أوجب الواجبات وأولها، قال النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما أرسله إلىٰ اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». متفق عليه.

والناس اليوم تسللت شعب الشرك والكفر لواذًا إلىٰ أعمالهم وعقائدهم ومقاصدهم، فأنت بلا ريب إذا نظرت في أعمال الناس اليومية، وشاهدت أحوال المسلمين؛ رأيت الضرورة الملحة في نصيحة الناس وهدايتهم فيما يقع منهم من جنايات تخدش توحيدهم، ووجدت وجوب نصيحة الموحدين في زيادة التثبيت علىٰ تجريد توحيدهم لرب العالمين والثبات علىٰ ذلك.

فأعمال الناس وإراداتهم يعتريها ما يعتريها من سوء القصد كيسير الرياء، وأحيانًا كثيره، وأحيانًا ابتداء العمل لا يكون خالصًا لوجه الله، ناهيك عما تسمعه في كثير من الأحيان من الحلف بغير الله، أو قول: ما شاء الله وشئت. أو: أنا بالله وبك. والعياذ بالله، فضلًا عما تراه أو تسمع عنه في أماكن كثيرة من بلاد المسلمين من الغلو بالقبور، وتشييد البناء عليها، والاستغاثة بأهلها، فبهذا يتبين لك أن كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدفع هذه الضرورة ويصلح هذا الانحراف، ويهدي إلىٰ صيانة توحيد المسلمين وعقيدتهم وإيمانهم، فجزاه الله خيرًا ورفع قدره في عليين علىٰ قيامه بهذا الواجب خصوصًا في وقته، حيث اشتداد الشرك وتعاضد أهله علىٰ حرب دعوة التوحيد، فصبر الإمام وأصلح الله به الحال، وقامت دولة التوحيد، وعاش الناس في كنفها علىٰ السنة المحضة والتوحيد الخالص، ولله الحمد والمنة.

قال العلامة أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٤٥هـ)**[١]: «والقرآن الكريم، بل الكتب المنزّلة من عند الله تعالىٰ، كلها مصرحة بالرد علىٰ أهل هذا الإشراك، كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾. فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية، فتضمنت الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال، ولا في الألفاظ، ولا في الإرادات، فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه، والطواف بغير بيته المحرّم، وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالىٰ في

(١) تجريد التوحيد ص (٢٣، ٢٤).

الأرض[١]»، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها، فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله، فهذا لم يعلم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾».

فصحة الاعتقاد هي أساس الدين، وفساد العقيدة خصوصًا الشرك محبط للأعمال، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. فمن هنا يظهر للجميع أن كتاب التوحيد هو أهم ما تحتاجه الأمة، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن العقيدة الصحيحة كالأساس، والعمل كالسقف، فإذا وجد السقف أساسًا ثبت عليه، وإن لم يجد أساسًا انهار، فالذي ليس عنده عقيدة صحيحة لو عمل الأعمال المطابقة، وأخلص فيها لله، لا تنفعه في الآخرة؛ لأنها لم تُبن علىٰ أساس، ولهذا يقول الله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [النساء: ١٢٤]، فيشترط الإيمان بالعقيدة الصحيحة، ويقول في عمل غير المؤمن: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويقول في أعمال غير المؤمنين: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وفي آية ﴿كَسَرَابِۭ﴾ [النور: ٣٩]، فأعمالهم باطلة - والعياذ بالله -، فالكفار الذين لا عقيدة لهم ولا إيمان قد يعملون أعمالًا صالحة يريدون بها وجه الله، كأن يبرَّ الواحد والديه، وينفِّس عن المكروب، ويقري الضيف ويعين المظلوم، فهذه أعمال صالحة أخلص فيها لله، ولكنها لا تنفعه يوم القيامة؛ لأنها لم تُبْنَ علىٰ أساس عقيدة صحيحة، وإيمان

---

(١) هو من كلام ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا موقوف عليه، سيأتي التعليق عليه وبيان معناه.

(٢) العذب النمير (٣/ ١١٥٠، ١١٥١).

بما يجب الإيمان به في الكتاب والسنة، لكن أعمال الكفار إن وقعت في الدنيا صالحة مطابقة للشرع مخلصون فيها - يثيبهم الله بها في دار الدنيا؛ لأن الله لا يضيع عنده شيء، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، وثبت في صحيح مسلم من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الله جَلَّ وَعَلَا يطعم الكافر بحسناته في الدنيا حتىٰ يرد علىٰ الله يوم القيامة ولا جزاء له، وهو أحد التفسيرين في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩]، فأحد التفسيرين: فوفاه حسابه في دار الدنيا، يعني: عمل الكافر بالعافية والمال والرزق والتنعم في الدنيا علىٰ أحد القولين كما سيأتي.

فحيث اجتمعت هذه الأمور الثلاثة - بأن كان العمل مطابقًا للشرع، وصاحبه مخلص فيه فيما بينه وبين الله، وكان صاحبه بانيه علىٰ عقيدة صحيحة- فهذا عمل صالح ينفعه يوم القيامة، وهو الذي وعد الله أهله بالجنة في هذه الآية التي نحن بصددها، وغيرها من الآيات، وحيث اختل أحد تلك الأمور الثلاثة لم يكن عملًا صالحًا كما بيّنا».

وقال علامة مصر محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وعلىٰ هذا النهج الواضح من المحافظة علىٰ التوحيد سار السلف الصالح، وأئمة الهدىٰ من بعدهم لم يسمحوا لأحد أن يخرج أو يستبيح بيضته، حتىٰ نبتت طوائف الشيعة والمتصوفة، فأعملوا فيه معاول هدمهم بغلوهم في أئمتهم

(١) دعوة التوحيد، ص (٦٩، ٧٠).

وشيوخهم، وتقديسهم للمشاهد والمزارات، وتبركهم بالآثار والمخالفات، وسجودهم علىٰ العتبات، وتقديمهم النذور والقربانات، وما زال الأمر يستفحل والخطر يشتد حتىٰ وصل إلىٰ ما نشاهده الآن في معظم بلاد الإسلام من إقامة القباب علىٰ القبور، وإنشاء المقاصير حولها وتزيينها بالزخارف وفرشها بالبسط، وإيقاد السرج عليها، ووضع صناديق النذور عندها، وفتحها للزائرين والزائرات يحجون إليها، ويرتكبون عندها كثيرًا من الأعمال الشركية كالطواف والتقبيل ووضع النذور والتوسل والمناجاة وذبح القرابين وإقامة المهرجانات الجاهلية التي يسمّونها «الموالد»، إلىٰ غير ذلك مما يئن منه الإسلام، وتتفتت علىٰ صخرته كل قواعد التوحيد.

ولطالما هبّ الغيورون من علماء هذه الأمة وهداتها ناصحين لها بالإقلاع عن هذه العادات الشركية، ومنذرين لها بسوء العاقبة إن استمرت علىٰ هذه الحال، ولكنّ جهودهم كانت تضيع سدًىٰ؛ لأن قوىٰ السلطان لا تسندها، وقد جاء في الأثر: «**إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**»، وليتها حتىٰ وقفت علىٰ الحياد في ذلك الصراع المرير بين جند الرحمن وعسكر الشيطان، بل انحازت بكل ثقلها إلىٰ جحافل الشرك والطغيان، واضطهدت كل داعية إلىٰ التوحيد والإيمان».

العالم تندرس فيه معالم التوحيد، وينطمس فيه منار الهدىٰ، ويصبح الناس وكأنهم في زمن فترة، فيبعث الله المجددين من ورثة الأنبياء فيحيون ما اندرس من معالم التوحيد ومنار السنة.

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيقظ الإيمان في نفوس الناس، وأحيا التوحيد في قلوبهم، بعد أن تعلقوا بغير الله، واستغاثوا بالأموات، وعلقوا

التمائم، وشيدوا القباب، وطافوا بالقبور، فكان كتاب التوحيد هو أهم ما تحتاجه الأمة الإسلامية.

والكفار الأصليون يعرفون ما أصاب الدنيا من إفساد العقيدة، واتخاذ الأنداد من دون الله، فتبًّا لمن يجهل ذلك من أهل القبلة.

قال الكاتب الأمريكي استو دارد **(Lothrop stoddard)**[(١)]:

«أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفًا من الخرافات وقشورًا من الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلىٰ مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلىٰ قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر ويتعاطىٰ الأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتك ستر المحرمات علىٰ غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه الله علىٰ من استطاعه ضربًا من المستهزآت. وعلىٰ الجملة فقد بدّل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطًا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلىٰ الأرض في ذلك العصر، ورأىٰ ما كان يدهي الإسلام - لغضب وأطلق اللعنة علىٰ من استحقها من المسلمين

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترىٰ عليه، ص (٢٧).

كما يلعن المرتدين وعبدة الأوثان».

وقال الشيخ مسعود الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حال العرب زمن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أما العرب فلم يبق لهم مشغل إلا سدانة القبور، والاستجداء، أو قطع الطريق، علىٰ غرار أيام الجاهلية الأولىٰ.

وأخيرًا لما غشي الظلام العالم مرة أخرىٰ، ترك المسلمون كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، واتخذوا مئات من الآلهة دون الله الواحد، وصاروا ينادون ويدعون البدوي والرفاعي في مصر، وعبد القادر الجيلاني في العراق والهند، وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في مكة والطائف، وابن علوان في اليمن، وأصبحوا يخضعون ويتذللون أمام الأشجار والأحجار؛ عندما وصل الأمر إلىٰ هذا الحد طلعت شمس الهدىٰ والرشد من وادٍ غير ذي زرع، ورمال الأرض العربية التي كانت قد اشتهرت بطيب العرار والخزامىٰ، قد فاح فيها طيب التوحيد وكلمة الحق حتىٰ عطرت العالم بأسره، وأريدُ بهذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله ونوّر ضريحه - الذي أعاد إلىٰ الأذهان دروس التوحيد - التي كانت قد نُسيت - بجهده المتواصل، وعمله الدائم، وبلّغ رسالة الحق والصدق حيث وصل صوت هذا الرجل المجاهد».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] **عن أحوال الناس وقت دعوة الإمام**: «كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدَّت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملّة الحنيفية،

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىٰ عليه، ص (٢٦، ٢٧).

(٢) عيون الرسائل (٢/ ٦٦١-٦٧٣).

وغلب علىٰ الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهليَّة، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشبَّ الصغير وهو لا يعرف من الدين إلَّا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير علىٰ ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت معبورة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدُّوا واجتهدوا في الاستعانة والتعلق علىٰ غير الله، من الأولياء والصالحين، والأوثان، والأصنام، والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم علىٰ ذلك مقبلون، ومن بحره الأجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدىٰ الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات، عن الارتفاع إلىٰ طلب الهدىٰ من النصوص المحكمات والآيات البينات، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وعبر الفترات، وكثير منهم يعتقد النفع والضر في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فأما بلاد نجد فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجدَّ، وكانوا ينتابون قبر زيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويدعونه رغبًا ورهبًا بفصيح الخطاب، ويزعمون

أنه يقضي لهم الحوائج، ويرونه أكبر الوسائل والولائج، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذبٌ ظاهر، وبهتان مزوَّر. وكذلك عندهم نخل فحال يتتابه النساء والرجال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، والمرأة إذا تأخر عنها الزواج، ولم يرغب فيها الأزواج - تذهب إليه فتضمه بيدها وتدعوه برجاء وابتهال، وتقول: يا فحل الفحول، أريد زوجًا قبل الحول.

وشجرة عندهم تسمىٰ الطريفة أغراهم الشيطان بها، وأوحىٰ إليهم التعلق عليها، وأنها تُرجىٰ منها البركة، ويُعلِّقون عليها الخرق لعلَّ الولد يسلم من السوء.

وفي أسفل بلدة الدرعية، مغارة في الجبل يزعمون أنها انفلقت من الجبل، لامرأة تُسمىٰ بنت الأمير، أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير، فانفلق لها الغار، ولم يكن له عليها اقتدار، كانوا يرسلون إلىٰ هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان.

وفي بلدتهم رجلٌ يدَّعي الولاية يسمىٰ تاجًا، يتبركون به، ويرجون منه العون والإفراج، وكانوا يأتون إليه ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم، فتخافه الحكام والظلمة، ويزعمون أن له تصرفًا وفتكًا بمن عصاه وملحمة، مع أنهم يحكون عنه الحكايات القبيحة الشنيعة، التي تدل علىٰ انحلاله عن أحكام الملة والشريعة، وهكذا سائر بلاد نجد علىٰ ما وصفنا من الإعراض عن دين الله، والجحد لأحكام الشريعة والردّ.

ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة، والعوائد الجائرة، والطرائق الخاسرة، قد فشت وظهرت، وعمَّت وطمَّت، حتىٰ بلاد

الحرمين الشريفين.

فمن ذلك ما يفعل عند قبر محجوب، وقبَّة أبي طالب، فيأتون قبره بالسَّماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب، وحلول النواكب، وكانوا له في غاية التعظيم، ولا ما يجب عند البيت الكريم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر أحدهما - لم يتعرَّض له أحد، لما يرون من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم.

ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سَرِف، وكذلك عند قبر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عليه من مسلم يرجو الله واليوم الآخر، فضلًا عن كونه من المكاسب الدنيئة الفاجرة، وفيه من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال - ما لا يُقره أهل الأديان والكمال، وكذلك سائر القبور المعظمة المشرفة في بلد الله الحرام مكة المشرفة.

وفي الطائف قبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُفعل عنده من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين، وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين، وتردها الآيات القرآنية، وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين، منها: وقوف السائل عند القبر متضرِّعًا مستغيثًا، وإبداء الفاقة إلىٰ معبودهم مستكينًا مستعينًا، وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية، والنذر والذبح لمن تحت ذلك المشهد والبنية، وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالأسواق اليوم علىٰ الله وعليك يا ابن عباس، فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس.

وذكر **حسين بن محمد النعمي الزبيدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن رجلًا رأىٰ ما يفعل أهل الطائف من الشعب الشركية والوظائف، فقال: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. فقال له بعض من يترشح للعلم: معرفتهم لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كافية؛ لأنه يعرف الله، فانظر إلىٰ هذا الشرك الوخيم والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم، ووازن بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله جلَّ ذكره: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقد لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارىٰ، باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها، فكيف بمن عبَد الصالحين ودعاهم مع الله؟! والنصوص في ذلك لا تخفىٰ علىٰ أهل العلم.

كذلك ما يُفعل بالمدينة المشرّفة - علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام- هو من هذا القبيل، بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل.

وفي بندر جُدَّة ما قد بلغ من الضلال حدَّه، وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء، وصفه لهم بعض الشياطين، وأكثروا في شأنه من الإفك المبين، وجعلوا له السدنة والخدام، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد- عليه أفضل الصلاة والسلام- من النهي عن تعظيم القبور، والفتنة بمن فيها من الصالحين والكرام.

وكذلك المشهد العلوي، بالغوا في تعظيمه وتوقيره وخوفه ورجائه، وقد جرىٰ لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم، وذلك في سنة عشر ومائتين وألف، فهرب إلىٰ مشهد العلوي مستجيرًا، ولائذًا به مستغيثًا،

فتركه أرباب الأموال، ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام علىٰ هتك ذاك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا علىٰ تنجيمه في مدَّة سنين، فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة الشياطين.

وأما بلاد مصر، وصعيدها، وفيومها، وأعمالها - فقد جمعت من الأمور الشركية والعبادات الوثنيَّة والدعاوىٰ الفرعونية ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنو له خطاب، لا سيما عند مشهد أحمد البدوي، وأمثاله من المعتقدين المعبودين، فقد جاوزوا بهم ما ادّعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرىٰ له من تدبير الربوبية، والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة، ما لم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة، والنماردة، وبعضهم يقول: يتصرف في الكون سبعة. وبعضهم يقول: أربعة. وبعضهم يقول: قطب يرجعون إليه. وكثير منهم يرىٰ أنَّ الأمر شورىٰ بين عدد ينتسبون إليه، فتعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وقد استباحوا عند تلك المشاهد، من المنكرات والفواحش والمفاسد، ما لا يمكن حصره، ولا يستطيع وصفه، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات ما لا يصدر عمن له أدنىٰ مسكة وحظ من المعقولات، فضلًا عن النصوص والشرعيات.

كذلك ما يفعل في بلدان اليمن جارٍ علىٰ تلك الطريق والسنن، ففي صنعاء وبُرَع والمخا وغيرها من تلك البلاد، ما يتنزَّه العاقل عن ذكره ووصفه، ولا يمكن الوقوف علىٰ غايته وكشفه، ناهيك بقوم استخفهم الشيطان، وعدلوا عن عبادة الرحمن إلىٰ عبادة القبور والشياطين، فسبحان من لا يُعجل

بالعقوبة علىٰ الجرائم، ولا يهمل الحقوق والمظالم!

وفي حضرموت، والشحر، وعدن، ويافع ما تصطكُّ عن ذكره المسامع، يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يا محيي النفوس.

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان، وخلع ربقة الإيمان - ما لا يخفىٰ علىٰ أهل العلم بهذا الشأن، بذاك رئيسهم المسمىٰ السيد، لقد أتوا من طاعته وتعظيمه وتقديمه وتصديره والغلو فيه، بما أفضىٰ به إلىٰ مفارقة الملَّة والإسلام، والانحياز إلىٰ عبادة الأوثان والأصنام، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وكذلك حلب، ودمشق، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب والأعلام ما لا يجامع عليه أهل الإيمان والإسلام من أتباع سيد الأنام، وهي تقارب ما ذكرنا من الكفريات المصرية، والتلطخ بتلك الأوحال الوثنية الشركية.

وكذلك الموصل وبلاد الأكراد، ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد.

وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان، وعند المشهد الحسيني قد اتخذه الرافضة وثنًا، بل ربًّا مُدبِّرًا وخالقًا مُيسِّرًا، وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معابد اللات والعزىٰ، وما كان عليه أهل الجاهلية.

وكذلك مشهد العباس، ومشهد علي، ومشهد أبي حنيفة، ومعروف الكرخي، والشيخ عبد القادر، فإنهم قد افتتنوا بهذه المشاهد، رافضتهم وسنَّتهم،

وعدلوا عن أسنىٰ المطالب والمقاصد، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله، الفرد الصمد الواحد، وبالجملة فهم شر تلك الأمصار، وأعظمهم نفورًا عن الحق واستكبارًا.

والرافضة يُصلون لتلك المشاهد، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد، وقد صرفوا من الأموال والنذور لسكان تلك الأجداث والقبور، ما لا يحصل عشر معشاره للملك العلي الغفور، ويزعمون أن زيارتهم لعلي وأمثاله أفضل من سبعين حجة، تعالىٰ الله وتقدَّس في مجده وجلاله.

ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله، وتوقيره وخشيته، وخوفه للإله الحق، والملك العلّام، ولم يبق مما عليه النصارىٰ سوىٰ دعوة الولد به مع أن بعضهم يرىٰ الحلول لأشخاص بعض البريَّة، ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وكذلك جميع قرىٰ الشط والمجرة علىٰ غاية من الجهل والمعرَّة، وفي القطيف والبحرين من البدع الرافضية، والأحداث المجوسية، والمقامات الوثنية - ما يضاد ويصادم أصول الملة الحنيفيَّة.

فمن اطّلع علىٰ هذه الأفاعيل وهو عارف بالإيمان والإسلام، وما فيهما من التفريع والتأصيل - تيقَّن أن القوم قد ضلُّوا عن سواء السبيل، وخرجوا من مقتضىٰ القرآن والدليل، وتمسكوا بزخارف الشيطان، وأحوال الكهان، وما شابه هذا القبيل، فازداد بصيرة في دينه، وقوي بمشاهدة إيمانه ويقينه، وجدَّ في طاعة مولاه، وشكره واجتهد في الإنابة إليه، وإدامة ذكره، وبادر إلىٰ

القيام بوظائف أمره، وخاف أشد الخوف علىٰ إيمانه من طغيان الشيطان وكفره، فليس من العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا؟!».

وقال العلامة المحدّث علي السويدي البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متحدثًا عن مظاهر الشرك في العراق**[١]: «ومن أعظم البدع: الغلو في تعظيم القبور، فلقد اتخذوها في هذا الزمان معابد، يعتقدون أن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت الله، وهم وإن لم يصرِّحوا، ولكن طُبعت قلوبهم علىٰ ذلك، فتراهم يقصدونها من الأماكن البعيدة، وربَّما تكون بحذائهم مساجد مهجورة، فيعطلونها، وإذا ألجئوا للصلاة فيها صلَّوا كارهين، وتلك يهرعون إليها، وإذا لحقوا علىٰ الصَّلاة فيها، ولو في أوقات الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة في الأوقات الفضيلة في المساجد، وتلك المساجد التي بحذاء القبور ليست مقصودة لكونها بيوتًا لله، بل لكونها حضرات لمن انتسب إليه من أهل تلك القبور، يدلّك علىٰ ذلك كله: أنهم لا يسمُّونها إلَّا حضرات، فإذا قلت لأحدهم: أين صلَّيت؟ قال لك: صلَّيت في حضرة الشيخ فلان. وليس مقصودهم إلا التقرُّب به وبحضرته، وكلما أكثر الرَّجل الترداد إلىٰ القبور - ولو كانت مشتملة علىٰ أنواع المنكرات من ستور الحرير والدِّيباج، والتَّرصع بالفضة والعقيان، فضلًا عن غيرها مما صارت به أصنامًا - كان مشهورًا بين الناس بالدِّيانات، مغفور الزلّات، مقرَّبًا عند أصحاب تلك الحضرات، ولقد امتلأت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم، فتراهم إذا

(١) بواسطة فتح المنان، ص (٤٠٢-٤٠٥).

عضلت عليهم الأمور أوصىٰ بعضهم بعضًا بقصد أصحاب القبور.

وكذلك إذا وقع علىٰ أحد يمين بالله، حلف به من غير أدنىٰ وجل أو حذر، وإذا قيل له: احلف بفلان عند قبره. خصوصًا إذا أمره بالغسل لهذا اليمين؛ ليكون ذلك من أقوىٰ العبادات - خاف خوفًا يظهر علىٰ جميع جوارحه! فلو سلمنا أنَّه أدخل إلىٰ قبره ارتعدت فرائصه، وانحلَّت قواه.

وربما أن أحدهم لكثرة أوهامه وشدّة خوفه تبطل حواسه، فيزدادون كفرًا، وتضحك عليهم الشياطين جهرًا، وترىٰ كثيرًا منهم يُعلِّقون مرضاهم عليهم، فيأخذون المريض وهو في غاية شدَّته، فيدخلونه علىٰ قبره، والسَّعيد عندهم من يدخلونه داخل شبَّاكه، ويتعلَّق بستر قبره. والرزية العظمىٰ: أنهم في حالتي السَّرَّاء والضَّرَّاء يتلاعب إبليس بهم، فإن مات مريضهم، قالوا: ما قبلنا الشيخ فلان. يعنون به صاحب القبر، وإن صادف القدر فعوفي، سيَّما إذا وافق مطلوبهم ذلك الوقت - فرحوا بما عندهم من الكفر! فأرسلوا القرابين، ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم؛ إظهارًا لقدرة صاحب القبر، وتنبيهًا علىٰ فضيلته، وكثيرًا ما ينشرون الرَّايات له علىٰ طريقة أهل الجهل من الأعراب، من أن من يفعل شيئًا عظيمًا نُشرت له راية بيضاء، وقد رأيت من لم يفعل ذلك، ولكنه ينصب راية بيضاء علىٰ سطح داره ثلاثة أيَّام، يصيح كل يوم وقت المغرب بأعلىٰ صوته: الرَّاية البيضاء المبنيَّة لفلان بيّض الله وجهه!!

وبالجملة فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك، حتىٰ يروىٰ أن أناسًا بدمشق الشَّام ينذرون للشيخ عبد القادر الجيلاني قنديلًا يعلقونه في رءوس المنائر، ويستقبلون به جهة بغداد، ويبقىٰ موقدًا إلىٰ الصباح، وهم يعتقدون أن

ذلك من أتمِّ القربات إليه، كأنهم يقولون بلسان حالهم: أينما توقدوا فثمَّ وجه عبد القادر. فيا لله العجب ما هذه الخرافات؟! وأين دين الله الذي قد مات؟!

بال الشَّيطان في عقولهم وأضلَّهم عن سبيلهم! ولا ترىٰ أحدًا ينهىٰ وينكر عن أمثال ذلك.

والحاصل لو أراد الإنسان أن يفصل منكرات القبور، وتكيات المتصوفة، ومنكرات الحيطان، والآبار والصخور والأحجار والتّماثيل، وكذا منكرات المساجد والحمَّامات والطّرقات والأسواق والبوادي والأمصار، فضلًا عن الدّخول في منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء، وما ابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها - لضاق عنه نطاق التحرير وعجز عن ضبطه من تصدَّىٰ للتسطير».

وقال علامة قطر أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حال نجد من الضلال والشرك، وأثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في إصلاح نجد والجزيرة العربية[(١)]: «كل ما هنالك من دينهم هو مجموع طقوس توارثوها عن آبائهم وأشياخهم من بعض العبادات والدعوات الممزوجة بالشرك والضلال، ونداء غير ذي الجلال. وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ألهمه الله تعالىٰ فهمًا ثاقبًا، وإيمانًا راسخًا، وعلمًا جمًّا، وأخلاقًا كريمة، فصمم علىٰ إعلان الدعوة لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وترك تلك المحدثات والبدع والضلالات وأنواع الشرك بالله، فأخذ يدعو الناس إلىٰ العقيدة الصحيحة المبينة علىٰ الكتاب والسنة، وإلىٰ الأعمال الصالحة المستمدة من الوحيين، وبيّن لهم أن

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر، ص (٩).

توحيد الربوبية الذي يعترفون به لا يدخل الإنسان في دين الإسلام، ولا يعصم دمه وماله، ولا ينجيه في الآخرة من النار، إلا إذا أتىٰ معه بتوحيد الألوهية؛ لأن الله أخبر عن المشركين أنهم يعتقدون بتوحيد الربوبية ولكن لم يفدهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]».

وكان النبيون جميعًا يتعاهدون أممهم وبنيهم بالتوحيد دهرهم كله إلىٰ آخر لحظة من سني عمرهم؛ لأنه هو موجب النجاة من النار ودخول الجنة.

قال علامة المغرب محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن المسلمين قد أهملوا توحيد الله في أكثر أوطانهم، وانغمسوا في الشرك الأكبر، واستوىٰ في ذلك عالمهم وجاهلهم إلا قليلًا ممن أخذ الله بيده، فلو أن عالمًا من علماء المسلمين نشأ في بلد إسلامي، وله أولاد علمهم القرآن، وعلمهم كتب العلوم الإسلامية علىٰ ما عليه العامة ممن يسمون بالعلماء، وعاش معهم زمنًا طويلًا يؤدون العبادات المفروضة، ثم حضرته الوفاة، فجمع أولاده، وقال لهم: ما تعبدون من بعد موتي؟

لقال الناس: إنه أصيب بجنون، وإنه يهذي هذيان المحموم؛ لأنهم يزعمون أن من صلىٰ وصام وحج وقرأ القرآن وأحل الحلال، وحرّم الحرام وإن عبد غير الله تعالىٰ بالدعاء، والاستغاثة، والاستعاذة، والتوكل، والخوف. والرجاء، والحلف، والذبح والنذر، وجعل الحكم لغير الله وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره، ولا يضره ذلك شيئًا وهو مسلم مؤمن كامل الإيمان، ولا يخافون

---

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ١٩٩، ٢٠٠).

عليه ضلالًا ولا زيغًا، وهذا إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، يوصي بنيه بتوحيد الله تعالىٰ، وهذا يعقوب حفيده نبي الله تعالىٰ لم يكفه إجمال الوصية بالإسلام، بل يؤكد ذلك بقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، وذلك عندما حضره الموت، فلم يقولوا له: نحن أبناؤك، ولم نزل نعبد الله معك وحده لا شريك له، فكيف تسألنا هذا السؤال؟!

بل أجابوه جوابًا واضحًا بقولهم: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [البقرة: ١٣٣]، لا نشرك به شيئًا، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، بقلوبنا وألسنتنا لا نتوجه لغيره أبدًا. وبهذا اطمأنت نفس يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ أولاده. وكذلك قول إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في سورة إبراهيم ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والجاهلون في هذا الزمان يقولون: نحن نقول: لا إله إلا الله، ونصلي ونصوم، فكيف تخاف الشرك علينا وعلىٰ أولادنا؟!

وهذا هو الجهل المركب من جهلين:

أحدهما: أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام.

والثاني: أنهم يجهلون أنهم لا يعلمون هذه الحقيقة، فهم كما قال شاعر علىٰ لسان حمار الطبيب توما الذي يضرب به المثل في الجهل بالطب:

قال حِمارُ الحكيم توما ... لو أنصفوني ما كنت أُرْكبُ

لأن جهلي غدا بسيطًا ... وراكبي جهله مركَّبُ»

والعلماء الناصحون للأمة الإسلامية كلهم يستنهض همم العلماء، ويستحثهم

إلىٰ القيام بواجب تبيين حق الله علىٰ عبيده وتحذيرهم من الشرك، قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٥٠هـ)[1]: «فالواجب علىٰ كل من اطّلع علىٰ شيء من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقدون في الأموات أن يبلّغهم الحجة الشرعية، ويبيّن لهم ما أمره الله ببيانه وأخذ عليه ميثاقه أن لا يكتمه كما حكىٰ ذلك لنا في كتابه العزيز، فيقول لمن صار يدعو الأموات عند الحاجات، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات، وينذر لهم النذور، وينحر لهم النحور، ويعظمهم تعظيم الرب سبحانه؛ إن هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية، وهو الذي بعث الله رسوله ﷺ بهدمه، وأنزل كتبه في ذمه، وأخذ علىٰ النبيين أن يبلّغوا عباده أنهم لا يؤمنون حتىٰ يخلصوا له التوحيد ويعبدوه وحده».

ويتأكد بيان التوحيد والتحذير من الشرك؛ لأن أحبار السوء ومن يقتات بالمزارات والقباب والشركيات من سدنتها زيّنوا للناس هذه الشركيات، وأبرزوها لهم في قالب التعظيم والتوقير للأموات، والتوسل بجاه الصالحين، قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٥٠هـ)[2]: «اعلم أن ما حررناه وقررناه من أن كثيرًا مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركًا قد يخفىٰ علىٰ كثير من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفيًّا في نفسه، بل لإطباق الجمهور علىٰ هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير، وهو يرىٰ ذلك ويسمعه، ولا يرىٰ ولا يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (٢٤)، مطبوع ضمن الرسائل السلفية للشوكاني.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص (٢٧، ٢٨).

يرغّب فيه، ويندب الناس إليه، وينضم إلىٰ ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة، وللعامة فيهم اعتقاد، وربما يقف جماعة من المحتالين علىٰ قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت؛ ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا النحائر، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلىٰ من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسبًا ومعاشًا، وربما يهولون علىٰ الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين إليه، ويوقدون في المشهد الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم فيبهر الزائر، ويرىٰ ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم علىٰ القرْب من الميت، والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به، والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات، ونجاح الطلبات مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال، ونحرهم أصناف النحائر، فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة، وانقراض القرن بعد القرن يظن الإنسان في مباديء عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل علىٰ أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ونبا عنه سمعه وضاق به ذرعه؛ لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلىٰ كونه من أقبح المقبحات، وأكبر المحرمات، مع كونه قد درج عليه الأسلاف، ودبّ فيه الأخلاف، وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم، ويحكمون العادات المستمرة وبهذه الذريعة

الشيطانية، والوسيلة الطاغوتية، بقي المشرك من الجاهلية علىٰ شركه، واليهودي علىٰ يهوديته، والنصراني علىٰ نصرانيته، والمبتدع علىٰ بدعته، وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وتبدّلت الأمة بكثير المسائل الشرعية غيرها، وألفوا ذلك، ومرنت عليه نفوسهم، وقبلته قلوبهم، وأنسوا إليه حتىٰ لو أراد من يتصدىٰ للإرشاد أن يحملهم علىٰ المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدّلوا بها غيرها - لنفروا عن ذلك ولم تقبله طبائعهم، وهكذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة».

فالعالم حقًّا والمجدّد صدقًا هو من يصلح ما ابتدعه الناس في دين الله، ويُبيّن للناس ما وقعوا فيه من الشرك بأنواعه وصوره، والغاش للأمة أو البليد هو الذي يدرّس المتون العلمية تدريسًا محضًا معرضًا عن معالجة مشكلات الأمة الإسلامية.

قال الشيخ عبد المنان النورفوري - وهو من علماء القارة الهندية - مقارنًا بين الشيخ أنور الشاه الكشميري والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

«إن الأستاذ أنور من رجال العلم له نظر بسيط في المتون والأسانيد، وهو من فحول الحنفية تيقظًا وبصرًا في الحديث، مع أنه شيخ الحديث في جامعة ديوبند لم يفرق ولم يعثر علىٰ الفرق بين مقام العلم عامة وبين مقام التجديد.

فالعالم قد يفرح بفهمه المصطلح ولا يتجاوز نظره إلىٰ إصلاح ما أفسد الدهر من طبائع الناس، فيتكلم بالعلم المصطلح عنده، غير ملتفت إلىٰ ما

(١) إرشاد القاري إلىٰ نقد فيض الباري (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣).

تقتضيه الأحوال، فيقول بألفاظ درسية كلامية، ويفرح بما عنده من العلم متفوهًا بفوائد القيود، متعرضًا إلىٰ ما يتعارف الطلبة والمدرسون، غير مبالٍ بشدة المرض وأحوال المريض من الضعف والذبول، فعلمه مع فرحه البالغ لا يفيد شيئًا ولا يغني من جوع.

والمجدّد ينظر بدقة وغموض إلىٰ ما ابتلي به العامة والخاصة من أمراض القلب وشيوع الضلال والجمود فيهم، وإلىٰ علل وأسباب أنتجت فيهم هذه الكوارث المهلكة، فيتكلم العامة بلسانهم والخاصة بلسانهم».

ثم قال(١): «الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب هو إمام الحضر والبدو لم يتكلم في لهجة المتكلمين والمناطقة، وهو - رحمه الله وأعلىٰ الله مقامه - لم يكن مدرسًا في الجوامع والمدارس، بل هو خالط الناس وعرف أمراضهم الظاهرة والباطنة، فكلّمهم بلسان يفهمونه، وعالجهم بمعالجات قد تمرن وتدرب هو وأمثاله بها.

والأستاذ أنور مدرس محقق في جزئيات الفقه حافظ للكنز والهداية، يعرف دقائقها الفقهية، ومقام الإصلاح والتجديد أرفع منه بمرات، فإن المبتلىٰ بالرخص المجرب للحيل لا يعرف مقام أرباب العزائم ولا يعرّج معارج أهل التجديد.

والعجب من جرأة الشيخ أنور أنه يزعم أن الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب بليدٌ قليل العلم، والتجربة تشهد أن ذكاء الشيخ أنور وعلمه لم

(١) إرشاد القاري إلىٰ نقد فيض الباري (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).

يفد شيئًا سوىٰ الجمود والتقليد، ومحمد بن عبد الوهاب صار إمام النهضة، وأصلح الله به بلاد نجد واليمن والحجاز، وتأثر من علومه السامية العراق والشام ومصر، وعمّ فيوضه إلىٰ أقطار البلاد الشاسعة، فقلة علمه وبلادة طبعه أسمىٰ وأحسن من ذكاء الشيخ أنور، «وكثرة علمه»، فإنه لم يتجاوز من الجزئيات الفقهية والمسائل الخلافية الفرعية».

وما كتبه الإمام محمد بن عبد الوهاب سواء في كتاب التوحيد أو كشف الشبهات أو سائر كتبه - هو من أسباب إحاطة الرحمة بالأمة، وارتفاع غضب الله الشديد عنها، وهذا يعرفه من تدبّر حقًّا قول النبي ﷺ: «**اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». رواه مالك في الموطأ. فلا إله إلا الله، ما أعظم فضل الإمام علىٰ أمة الإسلام! والله أعلم ماذا كان سيحل بهذه الأمة من النكبات والمثلات بسبب جنايات شرك القبور، فالأئمة المجددون ورثة الأنبياء المرسلين - من أسباب رحمة الله بالعالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وبدلالة الناس إلىٰ العمل المشروع الصالح الخالص لوجه الله يحصل بذلك الأجر والثواب للداعية نفسه، كالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولمن عمل بذلك من المسلمين، ولرسول الله ﷺ أصالة وصحابته الذين بلّغوا الشرع، أما البدع فهي مردودة علىٰ صاحبها كما قال النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**». رواه مسلم، والشرك مردود كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «**من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**». رواه مسلم، وأئمة الضلال الذين يدلون الناس إلىٰ الشرك

عليهم وزرهم ووزر من عمل بضلالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنه إذا أُطيع أمره واتّبعت سنته كان له من الأجر بقدر أجر من أطاعه واتّبع سنته؛ لقوله ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»، وقوله: «**من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**»، وأما البدع التي لم يشرعها، بل نهىٰ عنها وإن كانت متضمنة للغلوّ فيه والشرك به والإطراء له كما فعلت النصارىٰ - فإنه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها، فلا يكون للرسول فيها منفعة، بل صاحبها إن عذر كان ضالًّا لا أجر له فيها، وإن قامت عليه الحجة استحق العذاب، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»».

* * *

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٠١).

أول واجب التوحيد

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][(١)]، قرّر مذهب أهل السنة والجماعة، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ثم ساق حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المخرّج في الصحيحين في بعث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، وأن النبي ﷺ قال له: **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...**»، ثم ختم الباب بحديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خيبر، وقال له: «**انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالىٰ فيه**»[(٢)]. ثم قال في مسائل هذا الباب[(٣)]: «السابعة: كون التوحيد أول واجب».

وهذه الأدلة بمجموعها مع التبويب والتنكيت في المسائل - دال علىٰ نقاء وصفاء دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسلوكه منهج

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١١-١٣).

(٣) القول السديد، ص (٢٧).

الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، لذلك صدّر الإمام الباب بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والنبي ﷺ لم يدع أحدًا من الخلق إلىٰ النظر ابتداءً، ولا إلىٰ مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه، كما قال في الحديث المتفق علىٰ صحته لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما بعثه إلىٰ اليمن: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**». وكذلك سائر الأحاديث عن النبي ﷺ موافقة لهذا، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله**». وفي حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**». وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون علىٰ ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يُدعىٰ إلىٰ الشهادتين، سواء كان معطِّلًا، أو مشركًا، أو كتابيًّا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك».

والقول بأن أول واجب علىٰ العبد النظر هو من أقوال المعتزلة وسرىٰ إلىٰ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦، ٧).

بعض الأشاعرة، وتصور هذا القول كافٍ في رده وظهور سقوطه، قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وأما الأشعرية فإنهم أتوا بما يملأ الفم، وتقشعر منها جلود أهل الإسلام، وتصطك منها المسامع، ويقطع ما بين قائله وبين الله، وهو أنهم قالوا: لا يلزم طلب الأدلة إلا بعد البلوغ. ولم يقنعوا بهذه الجملة حتىٰ كفونا المؤنة، وصرَّحوا بما كنّا نريد أن نلزمهم، فقالوا غير مساترين: لا يصح إسلام أحد إلا بأن يكون بعد بلوغه شاكًّا غير مصدّق.

قال: وما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم إنه لا يكون أحد مسلمًا حتىٰ يشك في الله عَزَّوَجَلَّ، وفي صحة النبوة، وفي هل رسول الله ﷺ صادق أو كاذب؟ ولا سمع قط سامع في الهَوَس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق بأقبح من قول هؤلاء: إنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر، ولا يصح التصديق إلا بالجحد، ولا يُوصل إلىٰ رضا الله عَزَّوَجَلَّ إلا بالشك فيه، وأن من اعتقد موقنًا بقلبه ولسانه أن الله ربه لا إله إلا هو، وأن محمدًا رسول الله، وأن دين الإسلام دين الله الذي لا دين غيره فإنه - كافر مشرك، نعوذ بالله من الخذلان».

وكلام المعتزلة هذا ومن تابعهم عليه سفسطة في البديهيات وقرمطة في المعقولات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومن أعرض عن نصوص الأنبياء، وادّعىٰ عقليات تخالفها، وليس معه معقول صريح ولا قياس صحيح

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧٤).

(٢) الصفدية (٢/ ١٤٩).

- كان كلامه خارجًا عن العقل والسمع، كما قال أهل النار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك: ١٠]».

والملاحظ علىٰ المعتزلة والمتكلمين الذين قالوا: إن أول واجب علىٰ العبد النظر، خصوصًا من التزم هذه الطريقة الكلامية الفلسفية في تقرير جُل أو كل عقيدته الحيرة والاضطراب والشكوك والريب، وسوء العاقبة، وفساد المنطق، حتىٰ أوقعهم في المجادلة في الضروريات عمومًا، وكثير منهم تزندق، وبعضهم أقر بفساد هذا المنهج في تقرير الحقائق عمومًا والعقيدة خصوصًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «ومن تأمل مقالات أهل الفلسفة والكلام، ومن يضاهيهم في هذا الأصل - وجد عامتهم مضطربين فيه، كل منهم وإن أثبت نوعًا من الحق واعتصم به، فقد كذّب بنوع آخر من الحق فتناقض، وأكثر عقول الناس تبخس دون تأمل هذا؛ إذ أحدهم يرىٰ نفسه، إما أن يقول حقًّا، ويقول ما ينقضه، أو يقول حقًّا ويكذّب بحق آخر، وتناقض القولين باطل، والتكذيب بالحق باطل، والحق الصريح لا يرىٰ قلبه يستطيع معرفته، كما لا يستطيع أن يحدق بصر عينيه في نور الشمس، بل كما لا يستطيع الخفاش أن يرىٰ ضوء الشمس، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]».

وكل عاقل يقول: أنا مفطور علىٰ التوحيد والإيمان بالله، فلماذا يطوّل المعتزلة والمتكلمون والفلاسفة الطريق علىٰ المسلمين، ويريدون منهم أن يكفروا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٣٨، ٥٣٩).

وأن ينخلعوا من إيمانهم الذي فُطروا عليه ثم ينظروا ثم يؤمنوا، فقد تخترمهم المنية حال النظر والانسلاخ من الإيمان، وقد يكون نظر أحدهم ضالًّا فيكفر بعد إيمان، ولو آمن بعد النظر فقد طوّل عليه المعتزلة والمتكلمون الطريق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «طوّلوا وداروا بالعقول دورة تُبعد علىٰ العقول معرفة الله تعالىٰ والإقرار بثبوته، وقد يحصل لها في تلك الدورة من الآفات ما يقطعها عن المقصود[(٢)]، فكانوا كما قيل لبعض الناس: أين أذنك؟ فرفع يده، وأدارها علىٰ رأسه، ومدها وتمطَّىٰ، وقال: هذه أذني. وكان يمكنه أن يشير إليها بالطريق المستقيم القريب، ويقول: هذه أذني. وهو كما قيل:

أقام يُعمل أيامًا رويته ... وشبَّه الماء بعد الجهد بالماء»؟

وفي الحقيقة طلب المعتزلة ومن ضاهاهم من الأشاعرة النظر قبل الإيمان، - يعني الكفر، ثم الإيمان هو من باب التكليف بما لا يستطاع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وإذا قُدِّر أن أول الواجبات هو النظر، أو المعرفة، أو الشهادتان، أو ما قيل - فهذا لا يجب علىٰ البالغ أن يفعله عقب البلوغ، إلا إذا لم يكن قد فعله قبل البلوغ، فأما من فعل ذلك قبل البلوغ فإنه لا يجب عليه فعله مرة ثانية، لا سيما إذا كان النظر مستلزمًا للشك، المنافي لما حصل له من المعرفة والإيمان، فيكون التقدير: اكْفُر ثم آمِنْ، واجهل ثم اعْرف، **وهذا كما أنه محرَّم في الشرع فهو ممتنع في العقل**، فإن تكليف العالم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٧٣).

(٢) وبعضهم ألحد في وقت النظر، والعياذ بالله.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١٠).

الجهل من باب تكليف ما لا يقدر عليه، فإن الجاهل يمكن أن يصير عالمًا، فإذا أُمر بتحصيل العلم كان ممكنًا، أما العالم فلا يقدر أن يصير جاهلًا، كما أن من رأىٰ الشيء وسمعه لا يمكن أن يقال: لا يعرفه. فمن كان الله قد أنعم عليه وشرح صدره للإسلام قبل بلوغه، فحصل له الإيمان المتضمن للمعرفة - لم يمكن أن يؤمر بما يناقض المعرفة، من نظر ينافي المعرفة، أو شكٍّ، ونحو ذلك، بل الأمر لمن حصل له علم ومعرفة أن يُقدِّم ذلك ثم يُحصِّله».

والواقع يشهد أن طريقة الوحي هي التي أدخلت الناس في الإسلام وتحقيق التوحيد، وردّت الناس إلىٰ الفطر السويّة وقوّمت عقولهم عن المغالطات الشركية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنه قد أسلم علىٰ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأمم، ودُعي إلىٰ الإسلام من أصناف الأمم - من لا يوجد بعدهم مثلهم في الحذق والنظر، فإن الصحابة دَعَوْا أكمل الأمم: العرب، والعبرانيين، والروم، والفرس، ومن دخل في هؤلاء من القبط، والنبط، وفتحوا أوسط الأرض، وكل من دُعي - أو أسلم - بعد هؤلاء، كالترك، والديلم، والبربر، والحبشة، وغيرهم، فإنهم دون هؤلاء في الفضائل.

ومن المعلوم أن فلسفة اليونان والهند ونحوهم كانت موجودة إذ ذاك كوجودها اليوم وأكثر؛ إذ كان اليونان موجودين قبل مبعث المسيح، وكان أرسطو وملكه الإسكندر بن فيلبس قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة، وآخر ملوكهم بطليموس، الذي دخّل النصارىٰ عليهم».

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٣٠٠، ٣٠١).

ومن المعلوم أن الأمر بالنظر للمؤمنين زيادة في تثبيت إيمانهم كما كان النبي ﷺ إذا قام من الليل في كل ليلة يتلو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. لا يؤمر مسلم أن ينسلخ من الإيمان ثم ينظر، والأمر بالنظر للكافرين خطاب لهم بالإيمان والرجوع إلىٰ مقتضىٰ الفطرة السليمة والعقل الصريح، هذا مقصود الآيات الآمرة بالنظر في القرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «اتفق المسلمون علىٰ أن الصبي إذا بلغ مسلمًا لم يجب عليه عقب بلوغه تجديد الشهادتين، والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر علىٰ كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب علىٰ من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب علىٰ كل من لا يؤدي واجبًا إلا به، وهذا أصح الأقوال، فقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، وهذا بعد قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأٓخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٦، ٧]، ثم قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾، فالضمير عائد إلىٰ الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٤، ١٨٥]، فهذا مذكور بعد

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٨، ٩).

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، ثم قال: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم﴾، فالضمير عائد إلىٰ المكذِّبين، فإنه قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾».

فالدين أوله التوحيد، واستصحاب هذا التوحيد واجب في كل لحظة، حتىٰ يوافي العبد ربه، لا يجوز أن نأمر أحدًا بالانسلاخ منه، ثم نطالبه بأن ينظر في أدلته؛ فإن هذا كفر، والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه - هو التوحيد، وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا إله إلا الله».

وجهال المتكلمين هم الذين يعدلون عن واضح المحجة التي دلّ عليها القرآن في عامة آياته، إلىٰ تنظيرات للاستدلال وتقرير مسلمات وضروريات بمقتضىٰ الفطرة والعقل السليم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول».

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العقل والفطرة يتعاضدان مع الشرع ويتفقان، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ [هود: ١٧]، قال

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٦٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٨).

العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البيّنة، ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ أي: يتلو هذه البيّنة والبرهان، برهان آخر ﴿شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾، وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية، فإن الرسل بُعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والنفس إنما تنال كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكمّلة بالشرعة المنزلة»[٢].

ولا شك أن القرآن مليء بالأدلة العقلية الصريحة في الدلالة علىٰ توحيد الله، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٦٧]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «والقرآن يبيّن ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبّه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع، فإنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بيّن من الآيات الدّالة عليه، وعلىٰ وحدانيته وقدرته، وعلمه وغير ذلك، ما أرشد العباد ودلّهم عليه، كما بيّن أيضًا ما دلّ علىٰ نبوة أنبيائه، وما دلّ علىٰ المعاد وإمكانه».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٣٧٩).

(٢) الصفدية (٢/ ١٥٧).

(٣) الرسالة التدمرية، ص (١٤٦، ١٤٧).

واعلم أنه حيث توهم تعارض العقل مع النقل فإنه ينبغي لك أن تضع العقل في موضعه الصحيح، فهو عقل بشري ناقص محدود بزمان ومكان معينين، وقد اعترف العقل بأن علومه بالنسبة لعلم الله لا شيء، كحلقة ألقيت في أرض فلاة، أو كطائر اغترف غرفة من ماء البحر، فموضعه الصحيح هو أنه محكوم بوحي الله الذي أنزله علىٰ رسله، فالشرع حاكم والعقل محكوم، والمتوهم لتعارض العقل مع النقل إذا دقّق في المعقول فسيتبين له أنه معقول غير صريح.

قال أبو زكريا السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**[١]: «اعلم أن الدين مبني علىٰ أصلين: الشرع المنقول، وعلىٰ قضيات العقول؛ فالنقل والعقل أصلان يتصلان مرة، وينفصلان أخرىٰ.

اعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، وذلك أن الإنسان لا يدخل تحت خطاب الشرع إلا بوجود العقل فيه»، ثم قال[٢]: «وإن الشرع كالأمير، والعقل كالوزير، يأمر الأمير فينفذ الوزير أمره ويتّبع حكمه، والعقل جُعل آلة التمييز كالميزان للموزون».

فهذه المسألة من أبين وأوضح العلامات الفارقة بين أهل السنة والمبتدعة، فأهل السنة يؤمنون بالله ورسوله ولا يكذبون خبره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، وأهل البدع لا يقبلونه حتىٰ تقبله عقولهم، وبئس

---

(١) منازل الأئمة الأربعة، ص (٩١).

(٢) منازل الأئمة الأربعة، ص (٩٥).

العقول التي تكذب خبر ربها، وترد علىٰ الله خبره وأمره. قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم علىٰ المعقول، وجعلوا الاتّباع والمأثور تبعًا للمعقول.

وأما أهل السنة فقالوا: الأصل الاتباع والعقول تبع، ولو كان أساس الدين علىٰ المعقول لاستغنىٰ الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنىٰ الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء.

ولو كان الدين بُني علىٰ المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئًا حتىٰ يعقلوا».

قال فضيلة الشيخ عبد الله المعتاز حفظه الله[(٢)]: «فأي دعوة لا تعتمد علىٰ التوحيد الخالص لله، ولا يكون أساسها، وأولها وآخرها، وظاهرها وباطنها التوحيد لله رب العالمين، ولا يكون ولاؤها وبغضها لأجله - هي دعوة باطلة، ولن يحقق الله علىٰ يديها النصر للإسلام والمسلمين مهما سلكت من الوسائل المادية والمعنوية، فالأمن لا يتحقق إلا بالتوحيد، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث، ص (٨١، ٨٢).

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلىٰ الله، ص (١٩-٢١).

والوحدة لا يمكن تحقيقها إلا بالتوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والبركة لا يمكن الحصول عليها إلا بالتوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وكذا معية الله وتأييده ونصره، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١]، وكذا الحياة الطيّبة، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فأهل التوحيد هم أهل السلامة من كل العيوب، كما قال الله تعالىٰ عن إبراهيم - عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام -: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وكما يقول المؤمنون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ومن طعن في التوحيد فهو من أئمة الكفر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، ومن خالفهم أصابته الفتنة، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

والدعوة إليه مقدّمة علىٰ الدعوة إلىٰ ترك المحرمات وفعل العبادات، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾.

وكل نبي بدأ دعوته بتوحيد العبادة، وقال لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ومن خالف شرع الله ووافق الناس في أهوائهم فليس له من الله من ولي ولا نصير، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠]، ومن ركن إليهم مسته النار، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، ومن وعدهم بالطاعة انقلب علىٰ عقبيه، وارتدّ علىٰ أدباره، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥﴾ [محمد: ٢٥].

ومن أعرض من أفراد الدعاة أو جماعاتهم عن البدء بالدعوة إلىٰ إفراد الله بالعبادة والنهي عن دعاء غيره - والتركيز علىٰ ذلك - فقد خالف شرع الله لجميع أنبيائه.

ولا يجوز موالاة أعداء التوحيد، ويجب تكفيرهم، وعدم الشك في كفر من بان كفره».





إصلاحُ الإمامِ أعظمَ الفسادِ

إذا تأملت كتاب التوحيد وجدت أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر فضائل التوحيد، والتخويف من الشرك، والدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وتفسير كلمة التوحيد، بدأ بالتحذير من لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وأتبعه بالتحذير من لبس التمائم، ثم بالتحذير من التبرك بالشجر والحجر، والتحذير من الذبح والنذر لغير الله، ثم بالتحذير من الاستعاذة والاستغاثة بغير الله، وأنت إذا تأملت واقع المسلمين وجدت أن هذا الفساد أول ما يجب إصلاحه؛ لأن التوحيد هو الأساس في قبول سائر الأعمال، وهو الموجب لدخول الجنة، والشرك في هذه الأمور وغيرها فاشٍ في الأمة الإسلامية، فالمبادرة إلىٰ هذا الإصلاح هو من صدق النية ولزوم منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، وتطبيق لحقائق القرآن، وهو أخذ بيد أمتنا للنهضة الحقيقية، وأفراد مجتمعاتنا للصلاح والإصلاح، وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذّر في كتابه من أنواع الشركيات في المقاصد والأقوال والأفعال، فهو كتاب جامع في الإصلاح الحقيقي، والعلماء من كل قطر الناصحون ذكروا ما ابتليت به الأمة من الشركيات، وقاموا بنصيحة المسلمين في عقائدهم، وحذروا من آثار الشرك وبيّنوا أضراره.

قال علامة العراق محمود شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ مسألة اتخاذ قبور الصالحين مساجد**[(١)]: «هذه المسألة من خصال الكتابيين أيام جاهليتهم، وفي ذلك ورد الحديث الصحيح: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ثم قال: «**فلا تتخذوها مساجد**». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». وفي لفظ مسلم: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذِّر ما صنعوا. وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة وأم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يقل لها: مارية. وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا علىٰ قبورهم مسجدًا وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**». وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن الأربعة.

فهذا التحذير منه، واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد علىٰ قبر الرجل الصالح - صريح في النهي عن المشابهة، وفي هذا دليل علىٰ الحذر عن جنس أعمالهم؛ حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن يكون من هذا الجنس.

---

(١) شرح مسائل الجاهلية، ص (٩٤، ٩٥).

ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء القبور مساجدَ، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة، وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار، ولهذا كان السلف يبالغون في المنع».

وقال العلامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لقد كان الغلو في تعظيم المخلوقين من الأنبياء والصالحين هو أصل ما وقع فيه العالم من الشرك وعبادة الأوثان، فقد خرج هذا الغلو بكثير من الناس إلىٰ اعتقاد أن هؤلاء ليسوا بشرًا كسائر الناس، ولكنهم يتميزون بطبيعة الإلهية، فتراهم ينسبون إليهم القدرة علىٰ فعل الخوارق والمعجزات والكشف عن الغيبيات والأمور المستقبلة، والتأثير في العالم الأرضي بقوة ذاتية موجودة فيهم، فيحضرون الغائب، وينزلون الأمطار، ويجرون علىٰ من يغضبون عليه المصائب والويلات.

ولهذا حرص الإسلام - وهو دين التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية - أن يؤكد في كل مناسبة أن الأمر كله لله، وأن ليس لمخلوق مهما كان قربه ومنزلته شركة معه في خلق شيء ولا في تدبير أمر، وأن كل من سواه مربوب محدث وعاجز فقير، لا يملك لنفسه فضلًا عن عابديه نفعًا ولا ضرًّا، وأن لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه مما شاء أن يطلع عليه رسله وأنبياءه.

وقد جاء القرآن يؤكد بشرية الرسول ﷺ، وورد ذلك في صورة الأمر له أن يقول ذلك، حتىٰ يكون شهادة منه علىٰ نفسه وحجة علىٰ كل من يغلو فيه،

---

(١) النبراس من فتاوىٰ الإمام العلامة محمد خليل هراس، ص (٤٢، ٤٣).

مثل قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقوله في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقوله في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. ومثل هذا في القرآن كثير، ولقد جاءت السنة المطهرة بما يوافق الكتاب الكريم في النهي عن الغلو، فصح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

وقال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٤٠٧هـ)**[1]: «الرب هو المربِّي بنعمه، فكل من اعتقد فيه المشركون أنه يعطيهم الأولاد، أو يجعل الأم التي لا يعيش لها ولد يعيش أولادها، وتطول أعمارهم، أو يأتي بالنصر علىٰ الأعداء - وهو غائب أو ميّت - أو يقتل بهيمته من لا يخضع بعبادته، أو يمرضهم، أو يعطي المطر، أو يحفظ المزروعات، أو يقضي الدين، أو يشفي المريض، أو ينور القلوب، ويخرجها من الضلال إلىٰ الهدىٰ، إلىٰ غير ذلك - فهو أحد أربابهم، فإن قال المشركون من أهل هذا الزمان: إنهم لا يسألون ذلك من المخلوقين. فإن الموحِّدين كلهم وغير الموحِّدين من اليهود والنصارىٰ والمشركين يكذبونهم، ودونك بعض الأدلة:

قال أحد المشركين من أهل المغرب يطلب النصر علىٰ الفرنسيين من الإمام

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٢٦١، ٢٦٢).

إدريس بن عبد الله المدفون في زرهون من بلاد المغرب، لما حاصر الفرنسيون مدينة فاس:

أمولاي يا إدريس يا بن نبينا ... وملجأ هذا القطر في العسر واليسر
تكنفنا الأسد الضراة وإننا ... علىٰ خطر إن لم تغثنا علىٰ الفور

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

الثاني: من عادة التيجانيين إذا فرغوا من قراءة «الوظيفة»، أن ينشدوا هذه الأبيات بلسان واحد:

يا أحمد التيجاني يا نور القلوب ... أما ترىٰ ما نحن فيه من كروب
أما ترىٰ الضيم الذي أصابا ... وأنت غوث لم تزل مجابًا
العَجَلَ العَجَلَ بالإغاثهْ ... يا من له كلُّ العلا وِراثهْ

ومن عادة الدرقاويين إذا فرغوا من قراءة «الحفيظة» أن ينشدوا بلسان واحد:

تشفَّع يا رسول الله فينا ... فما نرجو الشفاعة من سواكا
أغث يا خير خلق الله قومًا ... ضعافًا ظلهم أبدًا لواكا
وأسرع في إغاثتنا فإنا ... نرىٰ المولىٰ يسارع في رضاكا»

وقال العلامة حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فأما الطامات التي تفعل الآن في أكثر الأقطار الإسلامية، ولا سيما في العراق ومصر، فأمر لا يضبطه الوصف، ولا تحيط به العبارة، وحسبك شرًّا من مصرين هما كالبحر

(١) غربة الإسلام (١/ ٢١٦، ٢١٧).

المحيط لأنواع الشرك بالله تعالىٰ في ربوبيته وإلهيته، مع ما ضم إلىٰ ذلك من اطّراح الحكم بالشريعة المحمدية، والاستبدال عنها بأحكام الطاغوت، من قوانين، ونظامات، وسياسات إفرنجية، وما ضم إلىٰ ذلك أيضًا من أنواع البدع والضلالات، والتصديق بالأكاذيب والخرافات، والإصغاء إلىٰ الجهالات والخزعبلات، وما ضم إليه أيضًا من مزيد المشابهة لأعداء الله تعالىٰ من اليهود والنصارىٰ والمجوس، وغيرهم من أصناف أعداء الله تعالىٰ في أخلاقهم، وآدابهم، ولباسهم، وهيئاتهم، وأنظمتهم، وقوانينهم، وسياساتهم، وأكثر أحوالهم أو جميعها، وما ضم إليه أيضًا من التلبس بأنواع الفسوق والمعاصي، واتباع الشهوات، وأعني بهذا حال الأكثرين منهم، فأما أهل الإسلام الحقيقي فيهم فإنهم نزر قليل مستضعفون في الأرض، غرباء بين أهل الشر والفساد الذين أشرنا إليهم، وحال أكثر الأقطار الإسلامية في طغيان الشرك، وأنواع البدع، وكثرة الشر والفساد، وقلة أهل الخير قريب مما ذكرنا عن مصر والعراق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

❊ ❊ ❊

بلوغ الغاية في النصيحة

النصيحة هي قيام الناصح للمنصوح بوجوه الخير إرادة وفعلًا كما قال الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي تدل علىٰ زكاء الناصح إذ يحب للناس ما يحب لنفسه، وتدل علىٰ قوة إيمانه؛ لأنه يلحق الناصح أحيانًا من الأذىٰ والضرر بسبب إلف الناس الباطل وخصوصًا إذا كان دينًا وعقيدة - ما يقع معه نفرة من الناصح، والبغي، والعدوان، والاستطالة عليه؛ لأن الهوىٰ كامن في النفوس، فيكره المنصوح أن تكون حقيقة ما يتدين به ويعتقده - باطلًا وشركًا وبدعة، فمن أجل هذا عظّم النبي ﷺ النصيحة حتىٰ كأنه حصر الدين فيها، فقال: «**الدين النصيحة**»[١]. وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه علىٰ النصيحة لكل مسلم[٢]، فكتاب التوحيد هو نصيحة الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنفسه ولكل المسلمين في أعظم منصوح، وهو توحيد الله الموجب دخول الجنة والنجاة من النار، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، فهو ساعٍ في الأخذ بأيدي الناس إلىٰ حسن عاقبتهم وفي سعادتهم في الدارين، وما يقدر هذه النصيحة حق قدرها إلا من عرف حقيقة الدين الذي بعث الله به رسله.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ص٤٤، ٤٥- رقم ١٩٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: البيعة علىٰ إيتاء الزكاة (ص٢٢٦- رقم ١٤٠١).

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فالنصح في الأديان أفضل من كل نصح، وتترتب فضائل النصح علىٰ فضائل متعلقه، فالنصح بالإيمان في أعلىٰ مراتب النصح في الأديان».

فالنصيحة التي بذلها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمسلمين في كتاب التوحيد - هي التي تصلح أمر الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أين التوحيد للخالق بالرغبة إليه، والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق، والرجاء له، والتوكل عليه، وأن يُحب كما يحب الله؟!

فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة، ونهىٰ عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها، ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢]».

فأين مقام من يدل الناس علىٰ ما يحفظ لهم توحيدهم وعقيدتهم وإيمانهم، وما يوجب لهم السعادة في الدارين، لا يأخذ علىٰ ذلك أجرًا، مبتغيًا الثواب من الله، سالكًا منهج الأنبياء كما قال الله عنهم: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠

---

(١) شجرة المعارف، ص (٣١٠).

(٢) التوسل والوسيلة، ص (١٢١).

﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦]، من مقام علماء السوء الذين يوقعون الناس في ورطات الشرك ويأخذون منهم الأموال بالباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يأكلون من النذور وما يؤتىٰ به إلىٰ قبورهم ما يدخلون به في معنىٰ قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]. فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق ويصدون عن سبيل الله، ويعوضون أنفسهم ويمنعون غيرهم».

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصح للمسلمين، منهجه في دعوته بالإرشاد والنصح بالدليل من الكتاب والسنة وعقيدة الصحابة - دال علىٰ كمال نصحه للخلق، فقد سلك طريقة الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، وحقيقة دعوته دالة علىٰ أنها دعوة النبيين عليهم السلام، فمحتواها هو ما بعث الله به رسله عليهم السلام.

أما دعاة الشرك فلهم من الحيل والألاعيب في إضلال الخلق وأكل أموالهم بغير حق ما هو من أوضح الأدلة علىٰ غشهم للمسلمين، وعدم حبهم لهم، وعلىٰ فساد عقيدتهم.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثًا عن طرائق الأئمة المضلين في إيقاع الناس في ورطات الشرك[٢]: «وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهونون عليهم

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٧٠، ٤٧١).

(٢) شرح الصدور في تحريم رفع القبور، ص (١٠، ١١).

الأمر، يصنعون أمورًا من أنفسهم وينسبونها إلىٰ الميت علىٰ وجه لا يفطن لها من كان من المغفلين، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة علىٰ أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت، ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يُحسّن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يرویٰ عنهم من الأكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد، وينذرون علىٰ ذلك الميت بكرائم أموالهم، ويحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلىٰ قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا، وأجرًا بليغًا، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم علىٰ ذلك القبر، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علىٰ الناس بتلك التهاويل، وكذبوا بتلك الأكاذيب؛ لينالوا جانبًا من الحطام من أموال الطغام الأعتام، وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف علىٰ القبور، وبلغت مبلغًا عظيمًا، حتىٰ بلغت غلات ما يوقف علىٰ المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرىٰ المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنىٰ الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية الله**».

وهي أيضًا من النذر الذي لا يبتغىٰ به وجه الله، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها في الغالب إلىٰ ما يفضي به الاعتقاد في الأموات من تزلزل قدم الدين، إذ لا يسمح بأحب

أمواله وألصقها بقلبه إلا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر، وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به إلىٰ الإسلام سالمًا، نعوذ بالله من الخذلان».

وما وقع في مصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نصيحة - فهو زيادة تثبيت للموحدين وتكميل لدينهم وعقولهم، وهو إخراج للمبتلين بالشرك بأنواعه ووسائله من الظلمات إلىٰ نور التوحيد، وطمأنينة الإيمان، وهو من أسباب حسن العاقبة في الآخرة.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فيتعين علىٰ المؤمن تركها - الشرك ووسائله - ليتم إيمانه وتوحيده، فإنَّه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضًا نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلّق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه علىٰ تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلُّق بالمخلوقين، وعلىٰ تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكّية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها، والله أعلم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «التوحيد أصل كل خير وجماعه، والشرك أصل كل شر وجماعه، والموجبتان: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله

---

(١) القول السديد، شرح كتاب التوحيد، ص (٣٦، ٣٧).

(٢) ملخص الاستغاثة (١/ ١٦٠).

دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئًا دخل النار»».

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أدىٰ الأمانة وأظهر النصيحة كما أمر الله العلماء: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. والمناوئون لدعوة الإمام دجالون يفسدون علىٰ الناس أديانهم، ويغشونهم، ويأكلون أموالهم بالباطل، وينتهزون الفرصة في الأماكن التي يقل فيها العلماء لإضلال الخلق، قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله(١): «وقد تلاعب بعض الأشرار من الإنس بعقائد الناس، وبأكله لأموالهم، وشعوذته عليهم، ولا سيّما عند البوادي والقرىٰ البعيدة عن حضور مجالس الذكر، فإن هذا يكثر كلما كثر الجهل، وحقيقة هذا أنه عميل للجن، وأنه مشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقتصر شره علىٰ نفسه، بل يضلِّل الناس، ويُفسد عقائد الناس، ويأتي إليه الناس ويسألونه، ويُخبرهم بالمغيّبات، أو يأمرهم بالذبح لغير الله، أو غير ذلك من أنواع الشرك، فهذه مسألة خطيرة، يجب علىٰ أهل العلم وعلىٰ الدعاة إلىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يبيّنوها للناس، وأن يتجوّلوا في القرىٰ، وفي البوادي، ويوضِّحوا هذا الأمر للناس؛ لأنهم - والله - أمانة في أعناق طلبة العلم، وفي أعناق الدعاة».

❊ ❊ ❊

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٩١).

توحيد على برهان صحيح

عندما نتحدث عن أدلة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد، مرادنا من ذلك بيان أن هذه العقيدة برهانها صحيح، وأنها مؤسسة علىٰ أدلة القرآن، وصحيح السنة، وإجماع الصحابة، أما المشركون فليس لهم برهان يدل علىٰ عقيدتهم الباطلة، وأنت إذا نظرت في شبهاتهم وجدت مادتها أخبارًا موضوعة، وخطرات شيطانية، وقياسات فاسدة، واستحسانات منحرفة، من ذلك قولهم: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور». وقولهم: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه». إلىٰ غير ذلك من الترهات، كما ستجدها مفصلة في «أسباب الشرك»، فشتان بين الفريقين، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٩]. فالمشركون تخونهم ظنونهم في أعظم المقامات، في الضراء، فيتركون آلهتهم وينزلون حاجاتهم بالله، ثم يعودون لشركهم والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

وتخونهم ظنونهم عند الاحتضار، والموحّدون مطمئنون يثبتهم الله كما قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وتخونهم ظنونهم في القبر إذا سئل أحدهم: من ربك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك؟

وتخونهم ظنونهم في عرصات القيامة، فيحشرون إلىٰ جهنم وبئس المصير، قال تعالىٰ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾.

وكان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاذقًا ذكيًّا في تفسير التوحيد وتبيينه في كل أبوابه بالبرهان الصحيح، وحرص علىٰ ذلك في الباب الخاص بتفسير كلمة التوحيد، فإنه في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1] ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]. قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «والذين آمنوا أشد حبًّا لله من هؤلاء لأصنامهم؛ لأن محبة المؤمنين ثابتة في السراء والضراء علىٰ برهان صحيح، خلاف المشركين؛ فإنَّ محبتهم لأصنامهم تتضاءل إذا مسَّهم الضر.

فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من حبه لله؟!

وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟! وهذا أقبح وأعظم، وهذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم؛ فإنهم يحبون أولياءهم أكثر مما يحبون الله، و لهذا لو قيل له: احلف بالله. حلف صادقًا أو كاذبًا، أما الولي فلا يحلف به إلا صادقًا.

وتجد كثيرًا منهم يأتون إلىٰ مكة والمدينة ويرون أنَّ زيارة قبر الرسول ﷺ

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) القول المفيد، ص (١٠٠).

أعظم من زيارة البيت؛ لأنهم يجدون في نفوسهم حبًّا لرسول الله ﷺ كحبِّ الله أو أعظم، وهذا شرك؛ لأن الله يعلم أننا ما أحببنا رسول الله ﷺ إلا لحب الله، ولأنَّه رسول الله، ما أحببناه لأنَّه محمد بن عبد الله، لكننا أحببناه لأنه رسول الله ﷺ، فنحن نحبه بمحبة الله، لكن هؤلاء يجعلون محبة الله تابعة لمحبة الرسول ﷺ إن أحبوا الله».

ولو جادل جاهل بحقيقة التوحيد، وقال: برهاني علىٰ عقيدتي أني إذا دعوت الميت أجابني وحصل غرضي. قال شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله[(١)]: «هل الصنم استجاب لأحد في يوم من الأيام؟! هل القبر استجاب لأحد في يوم من الأيام؟! هل الشجرة التي تُعبد من دون الله استجابت لأحد؟ أبدًا، ولو قُدِّر أنه يحصل للمشرك مقصوده، فهذا ليس من المعبود من دون الله، وإنما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أجراه امتحانًا له، واستدراجًا له، حتىٰ يظن أن هذا من القبر، فيستمر في الشرك[(٢)] - والعياذ بالله -.

وقد ذكر شيخ الإسلام في إحدىٰ رسائله - أو في كثير من رسائله - ما معناه أن ما يحصل لعبّاد القبور من قضاء الحاجات، فليس ذلك دليلًا علىٰ صحة مذهبهم؛ لأن حصول المقصود يكون ابتلاءً وامتحانًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكون من أجل الاستدراج، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾. فالله سبحانه يُمهل ويستدرج، من أجل أن يزداد هذا الكافر وهذا المشرك آثامًا يُعذَّب بها يوم القيامة، فليس هذا من صالحه، فإذا

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٩٨).

(٢) هذا الاستدراج عدل من الله ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

حصل لعباد القبور شيء من مقاصدهم، فهذا من إهانة الله لهم، واستدراجهم».

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا برهان دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فإن الأنبياء علىٰ دين الإسلام، وبعثوا بالدعوة إليه، وما يتضمن من الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره، أو دعاه ودعا غيره - كان مشركًا، ومن لم يستسلم له؛ كان مستكبرًا عن عبادته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وعقيدتهم مبنية أيضًا علىٰ تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، ونبذ البدع والخرافات، وكل ما يخالف الشرع الذي جاء به محمد رسول الله.

وهذا هو الذي يعتقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويدين الله به، ويدعو إليه، ومن نسب إليه خلاف هذا فقد كذب، وافترىٰ إثمًا مبينًا، وقال ما ليس له به علم، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين، **وأبدىٰ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **من التقارير المفيدة، والأبحاث الفريدة، والمؤلفات الجليلة، علىٰ كلمة الإخلاص والتوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، وما دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع**، من نفي استحقاق العبادة والإلهية عما سوىٰ الله، وإثبات ذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علىٰ وجه الكمال المنافي للشرك دقيقه وجليله، ومن عرف مصنفاته وما ثبت عنه، وما عرف واشتهر من دعوته، وأمره، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته - تبين له أنه علىٰ ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين والهدىٰ من إخلاص العبادة لله وحده، ونبذ البدع والخرافات للدين الإسلامي، والغلو المفرط الذي نهىٰ عنه الرسول ﷺ».

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (١/ ٢٣٣، ٢٣٤)، ط: الأولىٰ -١٤٠٨هـ.

تجديد حقيقي

دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة إصلاحية حقيقية، دعوة تجديدية علىٰ منهاج الكتاب والسنة، هي دعوة لبناء العقيدة علىٰ نور الوحي، وعلىٰ حقيقة ما بُعثت به الرسل جميعًا من توحيد الله، ونبذ الشرك جميعه، صغيره وكبيره.

ودين الله الذي بعث به رسله لا يشتبه علىٰ أحد، وهكذا كل دعوة توزن بميزان الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنادي علىٰ نفسها بالصحة، ومحتواها برهان صحتها، فهذا كتاب التوحيد من أهم كتب الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما فيه إلا القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين.

دعوة الإمام هي دعوة المرسلين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هي دعوة للإخلاص لله وحده، وعبادته وحده، والتوكل عليه وحده، والاستغاثة به وحده، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال تعالىٰ:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

أما دعوة المشركين القبوريين فهي دعوة لعبادة غير الله، كما يقول بعضهم: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر نفعه»، والعياذ بالله، أو كما يقول البوصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نور من مشكاة الوحي، أضاء الله بها جهل عباد القبور والحجارة والشجر في زمن اندرس فيه العلم، وضعف من يقوم بنور النبوة، قال حفيد الإمام العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفًا دعوة الشيخ(١): «ولم يزل الحال - من مضادة التوحيد - علىٰ ما وصفنا لك من الأمور العظام منتشرًا في أهل البلدان المنتسبين إلىٰ الإسلام، المارقين منه كما تمرق الرَّميَّة من السهام، إلىٰ أن أراد الله إزالة تلك الظلمات، وكشف البدع والضلالات، ونبذ الشبهات والجهالات، وتصديق بشارة رسول ربِّ الأرض والسموات في قوله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة، وإسناده صحيح، علىٰ يدي من أقامه هذا المقام، ومنحه جزيل الفضل والإنعام، أعني به الشيخ الإمام، خلف السلف الكرام، المُتَّبع لهدي سيد الأنام، المنافح عن دين الله في كل مقام، شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب، وضاعف له الثواب.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٢١- ١٢٣).

فدعا إلىٰ الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، **وقام بأمر الله تعالىٰ في الدَّعوة إليه، وما حابىٰ أحدًا فيه، ولا دارىٰ، فعظم علىٰ الأكثرين، وأنفوا استكبارًا، ولم يثنه ذلك عن أمر الله، حتىٰ قيَّض الله له أعوانًا وأنصارًا، فرفعوا ألويته وأعلامه، حتىٰ انتشرت في الخافقين.**

وصنَّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين، والرد علىٰ من خالفه من المشركين، ومن جملتها **كتاب التوحيد، وهو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق**».

وتكلم العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تجديد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدين، فقال[١]: «فإنه قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين، ووقع فيهم من الشرك والبدع ما عم وطم في كثير من البلاد، إلا بقايا متمسكين بالدين، يعلمهم الله تعالىٰ، وأما الأكثرون: فعاد المعروف بينهم منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

ففتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله، وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربهم، من أدلة توحيده، الذي خلقهم له، وما حرَّمه الله عليهم، من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فقال لهم ما قال المرسلون لأممهم، أن ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

فحجب كثيرًا منهم عن قبول هذه الدعوة - ما اعتادوه، ونشئوا عليه من

---

(١) الدرر السنية (١/ ٤٤٢).

الشرك والبدع، فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلىٰ توحيد ربهم وطاعته - وهو شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ومن استجاب له، وقبل دعوته، وأصغىٰ إلىٰ حجج الله وبيناته، كحال من خلا من أعداء الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]».

وقال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وحقيقتها هي الدعوة إلىٰ ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من توحيد الله، والإخلاص له، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله، ومتابعة رسوله ﷺ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله؛ وعاداها وأنكرها الجهال الذين لم يعرفوا ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدىٰ ودين الحق، أو من نقلت لهم علىٰ غير حقيقتها ممن جهلها أو تعمد الكذب عليها».

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (٩/ ٢٣٠، ٢٣١).



كتاب التوحيد شاهد بتجديد الإمام

كتاب التوحيد شاهد بتجديد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن من أعظم الدلائل في تجديد أي إمام حقيقة دعوته التي يدعو إليها، وأنت إذا تأملت كتاب التوحيد وكذلك سائر رسائل الإمام - أيقنت حقيقة أن دعوة الإمام دعوة تجديدية إصلاحية، فكتبه كلها بيان للتوحيد، وتحذير من الشرك، بيان بأدلة الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فياله من بيان يفرح به المؤمنون، ويهتدي به الضالون، وتنكشف به الشبهات، ويظهر نور الوحي ساطعًا أمام من حُرم الاهتداء بالوحي المعصوم بسبب التقليد لأهل الباطل، والانقياد لهم دون تحرير لحقيقة مذاهبهم، أو بسبب رواج شبهات المشركين الذين صرفوا حق الله الخالص لمخلوق بدعوىٰ توقير الأولياء.

كتاب التوحيد شاهد بتجديد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلا نعرف له نظيرًا في بابه، جمع مسائل التوحيد في أيسر أسلوب وأسهله وأقربه للفهم لجميع الناس، وليس لهذا الكتاب نظير فيما حواه من التحذير من الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وليس له نظير في حماية جناب التوحيد وسده ذرائع الشرك.

كتاب التوحيد لا يمكن لموحّد منصف سليم العقل والفطرة إلا أن يقبله، فليس فيه إلا القرآن والسنة، قال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

(١) الشريعة (١/ ٣٣٨).

«لأن الحجة إذا كانت من كتاب الله تعالىٰ، ومن سنة رسول الله ﷺ، فليس لمخالف حجة».

وقد أحاط بالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلبة علم ورجال مخلصون صدقوه في أخوتهم له، وناصروا دعوته حتىٰ أظهرها الله، قال العلامة ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فانتظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول، فاتخذوه جليسًا وأنيسًا، واقتدوا به في كل ما يقول، فكانوا لطريقته المثلىٰ مُتَّبعين، وبأقواله وأفعاله مقتدين، وبهديه الواضح مهتدين، لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمِّرين، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين، وبإيضاح مناهج الشرك مُعْلنين، وفيما يرضي الله مسرعين، ولأهل الدين والحق مكرمين، ولأهل الضلال موهنين، وللضُّلَّال والفُسَّاق مهينين، ولقبح عقائدهم لهم مبينين، قائمين في ذلك لرب العالمين، ولوجهه الكريم محتسبين، وفي الفوز غدًا مؤمِّلين، وللنجاة مُرْتَجين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال، وكان في تعليمهم وإرشادهم لا يزال، فقرءوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض، في حريملاء، والعُيَيْنَة، والدرعية، والرياض، ومنفوحة، فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة؛ لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد، فكان لأجل ذلك

---

(١) روضة الأفكار (١/ ٢١٤).

ذا أهبة واستعداد، لما حظي بالمدد والإمداد، فتنوّر قلبه بضياء الرشاد، وهو مقيم في تلك البلاد، فأتىٰ إليه ناس كثير، وانحاز لدعوته جم غفير، وكان الناس عند ذلك حزبين، وانقسموا فيه فريقين: فريق أحبه وما دعا إليه - وهم الأكثر - حتىٰ أعزه الله تعالىٰ عليهم وأظهره».

وتجديد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي نتحدث عنه تجديد حقيقي، فهو واقع تعيشه نجد والحجاز والإحساء وعسير، تجديد يتفيأ ظلاله كل من عاش في جزيرة العرب، فلا نجد في جزيرة العرب المشاهد والقبور والقباب والشركيات التي كانت موجودة قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه كتب الإمام وشروحاتها هي معتمد طلبة العلم في جزيرة العرب، والناس اليوم في جزيرة العرب لو سمعوا كلمة شركية من الحلف بغير الله ونحوها - أنكروها، ولو شاهدوا مظاهر الشرك لبادروا إلىٰ إزالتها.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «منَّ الله علىٰ هذا الشيخ من النعم الباطنة والظاهرة، وكونه نصب نفسه - بحمد الله ومنّته - لحماية دين الله والذبِّ عنه، ومراغمة أعدائه، فقام في وجوه من أجاز دعاء غير الله، والاعتماد عليه، والتوكل علىٰ غيره، وذمَّ من حسَّن حالهم، وذبَّ عنهم، وتصدَّىٰ للردِّ عليه، وتجهيله وتضليله، وقام في وجوه أهل البدع المنكرة كالجهمية، والأشاعرة، والسالمية، والكرامية، وقمعهم الله تعالىٰ به، وصاروا في بلدكم - الإحساء - يستترون، وكذلك أهل الموالد والأعياد الجاهلية، كبتهم الله بما أبداه وقرَّره من عيبهم وتضليلهم.

(١) عيون الرسائل (٢/ ٥٢٩-٥٣١).

وقد منَّ الله عليه بنشر العلم، وانتفع الناس به، بعدما كاد أن يُعدم في البلاد النجدية، بعد المحنة المصريَّة، فجدّد الله به آثار سلفه الصالح.

وجمهور من له معرفة بالعلم، وما جاءت به الرسل، من أهل هذه البلاد النجدية، إنما تخرَّج عليه، وسمع منه، وتربَّىٰ بين يديه.

ومن لم يحظ بهذا، فهو دون غيره، كما لا يخفىٰ علىٰ عارف، والمنصف من يعترف بهذا، وقد عرف العامة والخاصة مناصحته لولاة الأمور، وحثهم علىٰ ما ينتفعون به في الدنيا والآخرة، من تحكيم كتاب الله، والجهاد لإعلاء كلمته، ونصحهم عن الإصغاء إلىٰ أهل الريب والشك في الدعوة الإسلامية، والحقائق التوحيدية، الذين يبغونها عوجًا، ولا يحبون ظهور هذا الدين وعلوّه، فهو قد نصح ولاة الأمور عنهم، وكبت الله بسببه وأخزىٰ منهم عددًا كثيرًا».

وقال تلميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب العلامة ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **متحدثًا عن حال نجد قبل دعوة الإمام**[1]: «وكان أكثر الناس علىٰ دعوة الأولياء والصالحين، الأحياء منهم والميِّتين - مجدِّين مجتهدين، وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، أيُدعىٰ من لا يملك لنفسه نفعًا، ولا يصرف عنها من السوء دفعًا، ويترك مدبِّر الخلائق إعطاءً ومنعًا؟! ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، فعَدَوْا عليها في قضاء الحاجات وراحوا، وابتهلوا لديهم في ذلك وأباحوا، وأحلوا ما حرّمه الله واستباحوا،

(١) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام (١/ ١٧٢، ١٧٣).

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل علىٰ تلك الأحوال مقيم، وفي ذلك الوادي مُسيم، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨]، وقد مضوا قبل بُدُوِّ نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب، وينسلون إليه من كل باب، ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب، فيدعونه لتفريج الكُرب بفصيح الخطاب، ويسألونه كشف النُّوَب من غير ارتياب، ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]».

وتحدّث ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحوال الإحساء وما جاورها قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال(١): «وأما ما في القطيف والبحرين من البدع الرافضية، والأمور القبيحة الشركية، والمشاهد المعظمة الوثنية، وما يفعله أولئك الضُّلَّال والأنجاس، من الضلال والغيّ والإبلاس، وما يأتونه من الشرك والأرجاس - فلا يكاد يخفىٰ علىٰ أحد من الناس، ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك، ويَقصر عن مقتضاه ونظمه في هذه الأسلاك، وما يجحد ذلك إلا كل معتدٍ أفَّاك».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ضعف

---

(١) روضة الأفكار (١/ ١٨٨).

(٢) عيون الرسائل (١/ ٤٣٠-٤٣٥).

العلم بحقائق الإيمان، وما كان عليه الصدر الأول من العلوم والشأن، فوقعت عند ذلك فتنة الشبهات، وتوالدت تلك المآثم، وقوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**».

ولكن لله في خلقه عناية وأسرار، لا يعلم كنهها إلا العليم الغفار، من ذلك أن الله تعالىٰ يبعث لهذه الأمة في كل قرن من يجدد لها أمر دينها، ويدعو إلىٰ واضح السبيل ومستبينها؛ كي لا تبطل حجج الله وبيّناته، ويضمحل وجود ذلك، وتعدم آياته.

فكل عصر يمتاز فيه عالم بذلك، يدعو إلىٰ تلك المناهج والمسالك، وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب، ولا أن يكون معصومًا في كل ما يقول، فإنَّ هذا لم يثبت لأحد دون الرسول ﷺ.

ولهذا المجدد علامة يعرفها المتوَسِّمون، وينكرها المبطلون، أوضحها وأجلاها وأصدقها وأولاها: محبَّة الرَّعيل الأول من هذه الأمة، والعلم بما كانوا عليه من أصول الدين وقواعده المهمّة، التي أصلها الأصيل وأُسُّها الأكبر الجليل: معرفة الله تعالىٰ بصفات كماله، ونعوت جلاله، وأن يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، من غير زيادة ولا تحريف، ومن غير تمثيل ولا تكييف، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويكفروا بما سواه من الأنداد والآلهة.

هذا أصل أديان الرُّسل كافة، وأوَّل دعوتهم وآخرها، ولبُّ شرائعهم وحقيقة ملّتهم، وفي بسط هذه الجملة من العلم به وبشرعه ودينه، وصرف الوجوه إليه - ما لا يتسع له هذا الموضع، وكل الدين يدور علىٰ هذا الأصل

ويتفرَّع عنه.

ومن طاف البلاد، وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة - عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل، وبُعْدَهم عمَّا جاءت به الرُّسل من التفريع والتأصيل. فكل بلد، وكل قطر، وكل جهة - فيما نعلم - فيها من الآلهة التي عُبدت مع الله بخالص العبادات، وقُصدت من دونه في الرَّغبات والرهبات - ما هو معروف مشهور، لا يمكن جحده ولا إنكاره، بل وصل بعضهم إلىٰ أن ادّعىٰ لمعبوده مشاركة في الرُّبوبية، بالعطاء والمنع والتدبيرات، ومن أنكر ذلك عندهم، فهو خارجيٌّ ينكر الكرامات، وكذلك هم في باب الأسماء والصفات، ورؤساؤهم وأحبارهم معطلة كذلك، يدينون بالإلحاد والتحريفات، وهم يظنون أنّهم من أهل التنزيه والمعرفة باللغات، ثم إذا نظرت إليهم وسيرتهم في باب فروع العبادات، رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوَّات.

هذا وصف من يدَّعي الإسلام منهم في سائر الجهات، وأما من كذّب بأصل الرسالة أو أعرض عنها، ولم يرفع بذلك رأسًا - فهؤلاء نوع آخر وجنس ثانٍ، ليسوا مما جاءت به الرُّسل في شيء، بل هم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمن عرف هذا حق المعرفة، وتبيّن له الأمر علىٰ وجهه، عرف حينئذ قدر نعمة الله عليه، وما اختصَّه به، إن كان من أهل العلم والإيمان، لا من ذوي الغفلة عن هذا الشأن.

وقد اختصَّكم الله تعالىٰ من نعمة الإيمان والتوحيد بخالصه، ومنَّ عليكم

بمنَّةٍ عظيمة صالحة من بين سائر الأمم، وأصناف الناس في هذه الأزمان، فأتاح لكم من أحبار الأمة وعلمائها حبرًا جليلًا، وعلمًا نبيلًا فقيهًا، عارفًا بما كان عليه الصدر الأول، خبيرًا بما انحلَّ من عرىٰ الإسلام، وتحوَّل فتجرَّد إلىٰ الدعوة إلىٰ الله، وردَّ الناس إلىٰ ما كان عليه سلفهم الصالح، في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلُّق علىٰ غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار والعيون والمغار، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار.

فجادل في الله وقرر حججه وبيناته، وبذل نفسه لله، وأنكر علىٰ أصناف بني آدم الخارجين عما جاءت به الرسل، المعرضين عنه التاركين له.

وصنّف في الرد علىٰ من عاند أو جادل، وما حلَّ وجرىٰ بينهم من الخصومات والمحاربات ما يطول عدّه، وكثير منكم يعرف بعضه.

ووازره علىٰ ذلك من سبقت له من الله سابقة السعادة، وأقبل علىٰ معرفة ما عنده من العلم، وأراده من أسلافك الماضين وآبائك المتقدمين - رحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عن الإسلام خيرًا - فما زالوا من ذلك علىٰ آثار حميدة، ونعم عديدة، يصنع لهم تعالىٰ من عظيم صنعه، وخفيِّ لطفه، ما هداهم به إلىٰ دينه الّذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة والصولة ما ظهروا به علىٰ كافة العرب، فلم يزل الأمر في مزيد حتىٰ توفَّىٰ الله شيخ هذه الدعوة، ووزيره العبد الصالح رحمهما الله تعالىٰ.

ثم حدث فيهم من فتنة الشهوات ما أفسد علىٰ الناس الأعمال والإرادات،

وجرىٰ من العقوبة والتطهير ما يعرفه الفَطِنُ الخبير، ثم أدرككم من رحمته تعالىٰ وألطافه ما ردَّ لكم به الكرَّة، ونصركم ببركته المرة بعد المرّة، ولله تعالىٰ عليك خاصةً نعم، لا يستقصيها العدّ والإحصاء، ولا يحيط بها إلّا عالم السرِّ والنَّجوىٰ، فكم أنقذك من هول وشدَّة! وكم أظهرك علىٰ من ناوأك مع كثرة العدد منهم والعدة!

ولم تزل نعمته تترىٰ، وحوله وقوّته يرفعك إلىٰ ما ترىٰ، حتىٰ آلت إليك سياسة هذه الشريعة المطهَّرة، وآل إليك ما كان إلىٰ أسلافك ومَنْ قبلهم ممن قام بنصرة الدين وأظهره.

وقد عرفت ما حدث من الخلوف في الأصول والفروع، وما آل إليه الحال في عدم الأخذ بأحكام المنهج المشروع، حتىٰ ظهر الطعن في العقائد، وتكلَّم كل كاره للحق معاند، وصار أمر العلم والعقائد لعبًا لكل منافق حاسد.

وكُتبت في الطعن علىٰ أهل هذه الملَّة الرسائل والأوراق، وتكلّم في عيبهم وذمّهم أهل البغي والشقاق، وصار أمر العلم والدين ممتهنًا عند الأكثر من العامة والمتقدّمين، وإقبالهم إنما هو علىٰ نيل الحظوظ الدنيويّة، والشهوات النفسانيَّة، وعدم الالتفات والنظر للمصالح الدينيَّة، والواجبات الإسلامية.

وتفصيل ذلك يعرفه من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، والمؤمن يعلم أن لهذه الأمور غائلة، وعاقبة ذميمة وخيمة، آخرها الأجل المقدور، وإلىٰ الله عاقبة الأمور.

فالسعيد من بادر إلىٰ الإقلاع والمتاب، وخاف سوء الحساب، وعمل

بطاعة الله قبل أن يغلق الباب، ويسبل الحجاب».

وقال العلامة عثمان بن عبد الله البشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مبينًا التغير الكبير والتجديد العظيم الذي حصل للدرعية بعد استيطانها من قبل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولما استوطن الشيخ الدِّرعيّة، وكان أهلها في غاية الجهالة، ورأىٰ ما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر، والتهاون بالصلوات والزكاة، ورفض شعائر الإسلام - جعل يتخوَّلُهم بالتعلُّم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنىٰ «لا إله إلا الله»، ويشرح لهم معنىٰ الألوهية، وأن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وخوفًا ورجاءً، وأن الإسلام الاستسلام لأمر الله تعالىٰ والانقياد له والإذعان لعبادته، والخضوع له، والذل والإنابة والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة، ويعلمهم أصول الدين وقواعد الإسلام، ومعرفة نبيهم محمد ﷺ، ونسبه، ومبعثه، وما دعا إليه، وهي: «لا إله إلا الله»، وما تضمَّنته، وأنهم مبعوثون بعد الموت؛ فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد وضده بعد الجهالة - أُشرب حب الشيخ في قلوبهم، وأحبُّوا المهاجرين إليهم وآووهُم».

فالدرعية حاضنة الدعوة، وأميرها الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي نصرها بسيفه وأحاط ابن عبد الوهاب بالنصرة والتأييد وتبايعَا علىٰ إظهار كلمة التوحيد وإعزاز الدين، فأظهرهما الله.

قال العلامة عثمان البشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فلمّا وصل الشيخ إلىٰ بلد الدِّرعية،

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٩١، ٩٢).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٨٨، ٨٩).

نزل عند عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم وابن عمّه حمد بن سويلم، فلمّا دخل علىٰ ابن سويلم ضاقت عليه داره خوفًا علىٰ نفسه من محمد بن سعود، فوعظه الشيخ وسكَّن جأشه، وقال: سيجعل الله لنا ولكم فرجًا ومخرجًا، فعَلِم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية، فقرَّر لهم التوحيد، واستقر في قلوبهم فأرادوا أن يُخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتَوا إلىٰ زوجته موضي وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهىٰ عنه، فوقَر في قلوبهما معرفة التوحيد، وقذف الله في قلوبهم محبة الشيخ، فلما دخل محمد بن سعود علىٰ زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة فاغتنم ما خصّك الله به. فقبل قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته فقذف الله سبحانه في قلب محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه، فأراد أن يُرسل إليه، فقالوا: سِرْ إليه برجلك، وأظهر تعظيمه وتوقيره؛ ليسلم من أذىٰ الناس، ويعلموا أنه عندك مكرَّم. فسار إليه محمد بن سعود، ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحب به، وقال له: أبشر ببلاد خير من بلادك، وبالعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشِّرك بالعزّ والتمكين والنصر المبين، **وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسَّك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترىٰ نجد كلها وأقطارها أطبقت علىٰ الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم بعض، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك**، وجعل يشرح له

الإسلام وشرائعه، وما يحل ويحرم وما عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدعوة إلىٰ التوحيد، والقيام في نصره، والقتال عليه.

فلمّا شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك، وتقرّر عنده - طلب من الشيخ المبايعة علىٰ ذلك، فبايع الشيخ علىٰ ذلك».

وأثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الكويت - واضح جدًّا، وأمير الكويت وقتها الشيخ عبد الله الصباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ راسل ابن عبد الوهاب، وسأله عما يُنسب إليه، فأجابه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يلي[1]: «الحمد لله، أما بعد: فما ذكره المشركون عني أني أنهىٰ عن الصلاة علىٰ النبي ﷺ أو أني أقول: لو أني أمير هدمت قبة النبي ﷺ. أو أني أتكلم في الصالحين أو أنهىٰ عن محبتهم - فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليَّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، مثل: أولاد شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينتخوهم ويندبوهم، كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلىٰ الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الرافضة، فلما رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم ﷺ ألا يعبدوا إلا الله، وأن من دعا عبد القادر فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك من انتخىٰ الصالحين أو الأولياء، أو ندبهم، أو سجد لهم، أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله علىٰ العبيد، وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله لا يُنكر هذا الأمر، بل يقرُّ به ويعرفه.

---

(١) روضة الأفكار (١/ ٥١٦-٥١٧)، ولقراءة تمام الرسالة يُراجع المصدر.

وأما الذي ينكره فهو بين أمرين: إن قال: إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم، وصيرورة الإنسان فقيرًا لهم - أمر حسن. ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر.

فهذا مُصرح بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره، فليس معنا له كلام، وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل، قد لَبّست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كافر يدخل صاحبه في النار، فنحن نبيِّن لهذا ما يوضح الأمر، فنقول:

الذي يجب علىٰ المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، فالله سبحانه أنزل القرآن، وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه، وبيَّن لنا فيه ديننا وأكمله، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس علىٰ وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له، فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضًا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمان النبي ﷺ دعاه، أو نذر له، أو ندب له، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله، ويندبه، أو يدخل عليه ملتجئًا به عند القبر - فاعرف أنه أمر صحيح حسن، ولا تطعني ولا غيري.

وإن كان إذا سألت وجدت أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالحق، والواجب علىٰ كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

وبالجملة، فالذي أُنكره الاعتقاد في غير الله فيما لا يجوز صرفه لغيره، فإن كنتُ قلته من عندي فارم به، أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضًا.

وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب - فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض عنه لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه».

وما زالت النصرة متوارثة بين الصباح وآل سعود، وتجلّت ذروتها في نصرة الشيخ مبارك الصباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإعادة قيام الدولة السعودية الثالثة، وهو في الحقيقة نصرة للتوحيد والعقيدة والدين، وحصل للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الفتوح ما لم يحصل في الدولة الأولىٰ والثانية، فبات الجنوب، والشمال، ونجد، والحجاز، والشرقية كلها مملكة واحدة علىٰ كلمة التوحيد بفضل الله ومنّته.

ومما ينبغي التنبيه عليه هو التوافق الاعتقادي الكويتي السعودي؛ لأنه الدين الذي بعث الله به رسله، ولأن غالب الأسر الكويتية سعودية، وقد كانت «الأصول الثلاثة» للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدرّس في مدارسنا، أعادها الله إلىٰ مقرراتنا ثانيًا آمين.

وأثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البحرين - واضح، فقد استوطنها الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

في مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب «منحة القريب المجيب في الرد علىٰ عبّاد الصليب» تأليف الشيخ عبد العزيز المعمّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصة تأليف الكتاب المذكور ما ملخصه: «إن الإنكليز أرسلوا مندوبًا إلىٰ البحرين من القسس؛ ليعمل علىٰ بث الدعاية النصرانية وشكوكها لفتنة الناس في البحرين عن دينهم، كما هي سياسة أعداء الإسلام من الصليبيين في الشرق الإسلامي كله، فقام ذلك القسيس بتأليف كتاب ضمَّنه شبهاتهم حول الإسلام، ودفعه إلىٰ أمير البحرين عبد الله بن خليفة، وطلب منه أن يعرضه علىٰ المشايخ؛ ليقولوا رأيهم، فرد عليه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر بكتابه «منحة القريب المجيب في الرد علىٰ عبّاد الصليب»، ودفعه إلىٰ أمير البحرين، ففرح به الأمير أشد الفرح، ودعا القنصل الإنكليزي القسيس، وأعطاه الرد، فاندهش جدًّا؛ لأنه كان يظن عجز علماء البحرين، ثم قال: «هذا الرد لا يكون من هنا، وإنما هو من البحر النجدي»»[1].

أما تأثر جنوب المملكة واليمن بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فواضح جدًّا بشهادة الأتراك خصوم الدعوة السلفية، قال المتصرف التركي سليمان شفيق أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري[2]: «إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حلت محل الرضا والقبول في عسير أيام استيلاء آل سعود عليها في أوائل القرن الماضي، فمساجد عسير الآن مجردة من الزينة والزخرف، ولا ترىٰ عندهم قبابًا ومزارات يعكف الناس عليها،

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (٢/ ٤١٥، ٤١٦).

(٢) أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، ص (٦٨، ٦٩).

وقبورهم دوارش غير معلمة بشارات أو كتابة، بل إن الأمراء السالفين الذين حكموا عسير لا تعرف قبورهم، الناس في عسير يقصرون التوسل والاستغاثة علىٰ مالك الملكوت وأرحم الراحمين».

وقال الشيخ د: عبد الله بن محمد أبو داهش حفظه الله[١]: «ومن الواضح أن بعض بلدان المخلاف السليماني، وبخاصة جبالة الشرقية - قد عاشت في القرون المتأخرة الماضية حياة جاهلة لا تعرف من أمور دينها شيئًا غير الاعتقاد في التنجيم والسحر ونحوهما، ويقرر هذا ما ورد في إحدىٰ الوثائق المخطوطة لدىٰ رجال من قبائل فيفا، إذ ذكر كاتبها أن: «الشريعة بهذه البلاد غير معروفة»، وهذا يؤيد انصراف الناس في جبل فيفا في أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلىٰ شيخهم قاسم المعكوي، إذ كانوا يرون في ممارسته للتنجيم وذبحه لغير الله سبيلًا لقضاء حاجاتهم وصلاح أمورهم.

وقد زاد هذه الأمور جهلًا كون الأهلين في جبل فيفا يعتقدون فيما بعد في النصب التي يتقربون إليها بالقرابين ويستسقون بها المطر ونحوه، فلما جدّدت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيهم في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري - أزالوا معالم تلك النصب، وانثنوا إلىٰ الواحد القهار في قضاء الحاجات وتيسيرها».

وقال العلامة عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لقد كان لهذه الدعوة المباركة آثار كبيرة

---

(١) أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجنوب، ص (٨٥).

(٢) مجموعة رسائل سماحة الشيخ، ص (١٦٩، ١٧٠)، ط: وزارة الأوقاف السعودية، عام ١٤٢٢هـ.

علىٰ منطقة نجد، نذكر بشيء من الإيجاز بعضها، ليطّلع القارئ الكريم ويقارن بين الواقع الذي تعيشه نجد بعد الدعوة، والدعاية المغرضة التي سارت بها الركبان مناوأةً للدعوة وإيقافًا لمسيرتها المباركة:

١- قضت هذه الدعوة قضاءً تامًّا علىٰ ما كان شائعًا في نجد من الخرافات والشعوذات، وتعظيم القبور، والنذر لها، والاعتقاد في بعض الأشجار والأحجار، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها.

٢- كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة، ولا يجمعهم حكم شرعي، بل كانوا في حالة تفرق واختلاف، تطحنهم الحروب، وتشتت شملهم النزاعات والنعرات، فوحّدت هذه الدعوة كلمتهم علىٰ الحق، وجمعت شملهم، وجعلتهم تحت راية واحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأخضعتهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة.

٣- كانوا يعيشون حياة جهل وعزلة عن الناس، حتىٰ وصل بهم الحال إلىٰ الاعتقاد بالأشجار والغيران المظلمة، فانتشلتهم هذه الدعوة المباركة من حياة الجهل إلىٰ نور العلم والدين والخير، فانتشرت فيهم علوم التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، والنحو، والسير، والتواريخ، فظهر فيهم راسخون في العلم، عمروا البلاد بمؤلفاتهم، فانتشرت في أنحاء الجزيرة، وكانت سببًا في هداية كثير ممن اطلعوا عليها، وأدركوا حقيقة الدعوة وصفاءها.

٤- انتشر الأمن في ربوع البلاد، حتىٰ إن السائر في صحاريها وقفارها

يسير الليالي الطوال لا يخشىٰ إلا الله».

وقال العلامة عبد الله بن حميد أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وقد ألّف الشيخ مؤلفات كثيرة تبين حقيقة دعوته، وصحة مأخذه، وصفاء مشربه، وعلىٰ كل من يريد أن يطّلع علىٰ حقيقة هذه الدعوة فليطّلع علىٰ هذه المؤلفات، وأغلبها في مسائل التوحيد، وأصول الدّين، والرد علىٰ المخالفين، ومنها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والأصول الثلاثة، ومختصر السيرة النبوية، وأصول الإيمان، ومسائل الجاهلية، ومفيد المستفيد، وغيرها».

والمجدد الثاني هو العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي اصطفاه الله لحفظ الدعوة بعد أن تنادىٰ من بأقطارها من المبتدعين والضالين لمحاربتها، وقام الأتراك والمصريون بهدم الدرعية، وهدم أركان الدولة، وقتل أئمة الدعوة، فقتلوا العلامة سليمان ابن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلف: «تيسير العزيز الحميد»، ورفع المنافقون عقيرتهم بحرب الدعوة السلفية وعقيدتها بعد تسلط العساكر التركية، وضادوا دعوة التوحيد، وأثاروا حولها الشكوك، واعتذروا لعبّاد القبور، ولكن الله حافظ وناصر لدينه، فاستعمل الإمام المجدد الثاني العلامة عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنصرة الدعوة وإكمال مسيرة جده في تأسيس الدولة علىٰ عقيدة التوحيد بنصرة الإمام تركي بن عبد الله وسائر آل سعود الذين أعادوا أركان الدولة السعودية الأولىٰ.

---

(١) مجموعة رسائل، العلامة عبد الله بن حميد ص (١٦١، ١٦٢).

قال الشيخ خالد الغنيم - جزاه الله خيرًا[1] -: «يعتبر الشيخ عبد الرحمن ابن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشهر العلماء في الدولة السعودية، وبلغت شهرته الذروة في أواخر حياته، وبالتحديد في بداية الدولة السعودية الثانية حينما احتاجت إليه الدولة والبلاد، فقام بأعمال كثيرة كالقضاء والإمامة والتعليم والإرشاد، بل كان يقوم بهذه الأعمال مجتمعة، فكان هو القاضي والخطيب والإمام، وهو المستشار للإمام والمرجع في شئون البلاد الدينية، حتىٰ قيل: إنه ثاني رجل في البلاد، ولُقب بـ«المجدد الثاني»، وما ذلك إلا لأنه قد بلغ مكانة علمية رفيعة، ولأنه قام بالأعمال التي قام بها جده رحمهما الله تعالىٰ».

ومن أعظم ما يكون من تجديد الإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مصنفاته التي دفع بها شبهات المشككين في دعوة جده الإمام محمد بن عبد الوهاب، فثبّت الله به الموحدين، وأعاد المذبذبين إلىٰ جادة الصراط المستقيم، وقمع الله به شبهات المعاندين والأئمة المضلين.

ومن مؤلفاته[2]:

١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

٢- قرة عيون الموحدين.

٣- القول الفصل النفيس في الرد علىٰ داود بن جرجيس.

٤- الرد والردع.

---

(١) المجدد الثاني عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص (١٠٥).

(٢) المجدد الثاني عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص (١٢٥، ١٢٦).

٥- الإيمان والرد علىٰ أهل البدع.

٦- بيان المحجة في الرد علىٰ اللجة.

٧- المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال.

٨- المقامات.

٩- بيان كلمة التوحيد والرد علىٰ الكشميري عبد المحمود.

١٠- ملخص منهاج السنة.

١١- مجموعة من الرسائل والفتاوىٰ[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) هذا الكتاب فيه رد علىٰ عثمان بن منصور في اعتراضاته وطعونه علىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه بيان الأسباب التي خرجت عليها فتاوىٰ أئمة الدعوة وقت تسلط العساكر التركية.

الفصل الثاني

مميزات كتاب التوحيد



جودة وإتقان نادر

الكمال لكتاب الله تعالىٰ، وما من أحد كتب إلا وانتقد علىٰ ما كتب، ومع هذا فهناك كتب متقنة لدرجة الإحكام من توفيق الله وفضله، مواضع النقد والاستدراك عليها قليل أو نادر جدًّا، وكتاب التوحيد أحسبه كذلك.

فمن جودة الكتاب تأسيسه علىٰ الحق، لذلك كتب الله له القبول، فالله فطر الخلق علىٰ حب الحق وقبوله، فما في هذا الكتاب إلا القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

ومن جودة الكتاب: وضوح عبارته وسهولتها، فهذا الكتاب لا ينغلق عن العامة فضلًا عن طلبة العلم، فما بالك بالعلماء.

ومن جودة الكتاب: أنه أتىٰ علىٰ كل أو جُلّ ما تمس الحاجة إلىٰ بيانه، خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية.

ومن جودة الكتاب: تسلسل أبوابه في حسن عرض المادة، وتهيئة نفوس القراء لقراءة ما يستتبع الأبواب الأولىٰ، فإنه بدأ ببيان حق الله الخالص، ثم في بيان فضل التوحيد، وأتبعه بالتحذير والخوف من الشرك، ثم بيان حقيقة لا إله إلا الله، وتنبيه القراء إلىٰ أن الأبواب بعده بيان وتفصيل لحقيقة كلمة التوحيد، وتحذير مما يضاد أصله أو كماله

ومن جودة الكتاب: ندرة مواضع النقد عليه، فليس فيه - ولله الحمد - ما يُنتقد من جهة العقيدة، ولم نعرف أحدًا من العلماء المحققين من أهل العقيدة الصحيحة انتقد عليه شيئًا من محتواه في ذلك، بل الكل يشيد بجودة هذا المتن وصحة عقيدته، وهو كلمة إجماع من أهل الإنصاف، وما من عالم أو طالب علم قرأ هذا الكتاب إلا ووجد الكتاب هو عقيدة المرسلين، والسابقين الأولين.

هذا الكتاب ابتهج به كل صاحب سنة، وقرت عينه به؛ لما يرىٰ فيه من معالجة الخلل الذي أصاب عقيدة كثير من المسلمين في هذا الزمان، فهو لبنة مهمة في إصلاح هذا الخلل، ويأخذ بأيدي الناس إلىٰ ما يحيي قلوبهم بالتوحيد، ويُذهب عنهم ما يفسد عقيدتهم وما يحبط أعمالهم، وما يوجب حرمانهم من الجنة، فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان إلىٰ عباد الله المسلمين؟! وأي إصلاح أفضل من هذا؟!

ومن جودة الكتاب: نقاوة أحاديثه، فأحاديثه كلها ما عدا ثلاثة عشر كلها مخرجة في الصحيحين والمسند والسنن الأربعة، والمخرج في الصحيحين هو الأكثر.

ومع هذه النقاوة، فإن ما هو مخرّج خارج الصحيحين تناول الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان درجته، وأبان عن صحته في الغالب، من أحكام الأئمة السابقين، أو حكم عليه بخاصة نفسه، فمثلًا أورد الإمام في باب [بيان فضل التوحيد وما يكفّر الذنوب][1]، حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال:

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٧).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالىٰ: «**يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا - لأتيتك بقرابها مغفرة**». وذكر مخرجه، وأنه رواه الترمذي وحسنه.

وكذلك في باب [من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][(١)]، ذكر حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفر، فقال: «**ما هذا؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». ثم قال الإمام مبينًا درجة الحديث: «رواه أحمد بسند لا بأس به».

وكذلك في باب [لا يذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله][(٢)]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ حديث ثابت بن الضَّحاك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**». قالوا: لا. قال: **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟** قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**».

ثم قال الإمام بعد ذلك: رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما[(٣)].

وفي باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٢) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٣).

إذا عبده؟!][١]، قال: «ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[٢].

وهذا عمله في أكثر الأحاديث التي يوردها مما ليس في الصحيحين، يُبيّن حكمها، ففي باب [ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله][٣]، أورد حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض، فليس من الله**». ثم قال الإمام مبينًا مخرج الحديث ودرجته: «رواه ابن ماجه بإسناد حسن»[٤].

وكذلك في باب [ما جاء في كثرة الحلف][٥]، ساق الإمام حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلِّمهم الله، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». ثم قال الإمام[٦]: «رواه الطبراني بسند صحيح».

* * *

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) الباب الثاني والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٥) كتاب التوحيد، الباب الحادي والستون، ص (١٠٣).

(٦) كتاب التوحيد، ص (١٠٤).



توحيد المسلمين بلا تكلف المتكلمين

من أبرز وأجمل ما يميّز كتاب التوحيد نقاوته، فمصادره هي الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وخلوه من تنظيرات المتكلمين، وخزعبلات الفلاسفة الضالين الملحدين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ، وهكذا متون السلف المتقدمين خالية تمامًا من أي نقل عن الفلاسفة المتكلمين، كاعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الإسماعيلي، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، والتوحيد لابن خزيمة، والشريعة للآجري، والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والسنة لابن أبي عاصم، وخلق أفعال العباد للبخاري، وغيرها. أما متون المبتدعة فلا تخلو من تقريرات متكلفة، وعبارات منحرفة دخلت عليهم من الفلاسفة المتكلمين، بل ومنها كتب كاملة مادتها فلسفية، أراد مصنفوها أن يلبسوها لحاء الشريعة.

ومتن كتاب التوحيد وإن كان متأخرًا زمنًا فهو علىٰ عقيدة المتقدمين من الصحابة والتابعين، ومحتواه ينادي عليه بذلك، فما فيه إلا القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : «وإنما ظهرت المجادلات في الدين والخصومات بعد مضي قرن التابعين، ومن يليهم، حين

(١) الانتصار لأصحاب الحديث، ص (١٨).

ظهر الكذب، وفشت شهادات الزور، وشاع الجهل واندرس أمر السنة بعض الاندراس، وأتىٰ علىٰ الناس زمان حذّر منه النبي ﷺ والصحابة من بعده».

كل من يقرأ كتاب التوحيد يرىٰ فيه أنوار النبوة، فكتابه مشرق بنور الوحي بفهم السلف، أما كتب المبتدعة فهي مظلمة بالطرق الكلامية والمفردات الفلسفية، قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤٥هـ)[1]: «حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد المائتين من سني الهجرة، وصنفوا فيه مسائل في العدل والتوحيد وإثبات أفعال العباد، وأن الله تعالىٰ لا يخلق الشر، وجهلوا بأن الله لا يُرىٰ في الآخرة، وأنكروا عذاب القبر علىٰ البدن، وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث، إلىٰ غير ذلك من مسائلهم، فتبعهم خلائق في بدعهم، وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية، فنهىٰ أئمة الإسلام عن مذهبهم، وذموا علم الكلام، وهجروا من ينتحله».

ومن مذهب المعتزلة نشأ مذهب الأشاعرة، فالمعتزلة شيوخ الأشاعرة، فأبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان معتزليًّا أربعين عامًا علىٰ مذهبهم أخذ دينه وعلمه من شيخ المعتزلة الجبائي.

وعن المعتزلة أخذ الأشاعرة شبهاتهم في معارضة الكتاب والسنة، ومخالفة الصحابة والتابعين ومن لزم عقيدتهم من الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة.

---

(١) الخطط والآثار، (٤/ ١٩٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس - مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس»، ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء، مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم - **هي بعينها تأويلات بشر المريسي**، التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسن في أشياء. فإنما بيّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي، ويدل علىٰ ذلك كتاب الرد الذي صنّفه عثمان بن سعيد الدارمي، أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري، صنّف كتابًا سماه «رد عثمان بن سعيد علىٰ الكاذب العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التوحيد»، حكىٰ فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين، الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم».

فأنت إذا قرأت كتاب التوحيد لم تر فيه شيئًا من ألفاظ المبتدعة والمتكلمين كلفظ «الجسم»، و«الحيز»، و«الجهة»، و«القادر علىٰ الاختراع»، وغيرها من ألفاظ المبتدعة، فمتن كتاب التوحيد صرف في قال الله، قال رسوله ﷺ، قال

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٣).

الصحابة هم أولو العرفان، هذه متون أهل السنة والجماعة في العقيدة، أما كتب المبتدعة ففيها ألفاظ متكلفة، وفيها اتباع المتشابه، وفيها صناعة الشبهات وجعلها حاكمة علىٰ الأدلة الشرعية، ثم يقومون بعد زلزلة معاني الشريعة بالجواب عنها بالمناهج الفلسفية، فزلزلوا الإسلام زلزالًا شديدًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال العلامة أبو زكريا السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ) ذاكرًا منهج الصحابة في أخذ الدين**(١): «كانوا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ينهون عن التعرض للغوامض، والتعمق في المشكلات، والإمعان في ملابسة المعضلات، والاعتناء بجمع الشبهات، وتكلف الأجوبة عما لم يقع من السؤالات، ويرون صرف العناية إلىٰ الاستحثاث علىٰ البر والتقوىٰ، وكف الأذىٰ، والقيام بالطاعة حسب الاستطاعة، وما كانوا ينكفون رضوان الله عليهم أجمعين عما تعرض له المتأخرون عن عيٍّ وحَصَر وتبلد في القرائح - هيهات -، كانوا أذكىٰ الناس قرائح وأذهانًا وأرجحهم إيمانًا، ولكنهم **استيقنوا أن اقتحام الشبهات داعية الغوائل وسبل الضلالات**، وكانوا يحاذرون في حق عامة المسلمين ما هم الآن به مبتلون، وإليه مدفوعون».

فسبحان من اصطفىٰ علماء السنة لحفظ الدين وهداية الخلق إلىٰ صراط الله المستقيم، الله أعلم حيث يجعل رسالته أصلًا وميراثًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لفظ «الجسم»، و«الحيز»، و«الجهة»، ألفاظ فيها إجمال وإبهام، وهي ألفاظ اصطلاحية، وقد يراد بها معانٍ متنوعة، ولم يرد

(١) منازل الأئمة الأربعة، ص (١٥٤).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٩٨).

الكتاب والسنة في هذه الألفاظ لا بنفي ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها فيها نفي ولا إثبات أصلًا، فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية، لا من كتاب ولا من سنة، ولا إجماع، بل ولا أثر لا عن صاحب أو تابع، ولا إمام من المسلمين، بل الأئمة الكبار أنكروا علىٰ المتكلمين بها، وجعلوهم من أهل الكلام الباطل المبتدع، وقالوا فيهم أقوالًا غليظة معروفة عن الأئمة، كقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام».

والرازي والآمدي كتبهم مشحونة بالفلسفة الكلامية والتقريرات العقلية الباطلة، ومع نصيحتهم للخلق بتحذيرهم من سلوك طريقهم الذي تبين لهم ضلاله بعد أن وقعوا فيه إلا أن المبتدعة ما زالوا مصرين علىٰ التدين بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الرازي[1]: «من الناس من يسيء به الظن ، وهو أنه يتعمد الكلام الباطل، وليس كذلك، بل تكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر والبحث في كل مقام بما يظهر له، وهو متناقض في عامة ما يقوله، يقرر هنا شيئًا ثم ينقضه في موضع آخر؛ لأن المواد العقلية التي كان ينظر فيها من كلام أهل الكلام المبتدع المذموم عند السلف، ومن كلام الفلاسفة الخارجين عن الملة، يشتمل علىٰ كلام باطل - كلام هؤلاء وكلام هؤلاء - فيقرر كلام طائفة بما يقرر به ثم ينقضه في موضع آخر بما ينقض به ولهذا اعترف في آخر عمره، فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥٦٢).

غليلًا، ورأيت أقرب الطرق «طريقة القرآن»، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

والآمدي تغلب عليه الحيرة والوقف في عامة الأصول الكبار، حتىٰ إنه أورد علىٰ نفسه سؤالًا في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جوابًا، وبنىٰ إثبات الصانع علىٰ ذلك، فلا يقرر في كتبه لا إثبات الصانع ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، ولا النبوات، ولا شيئًا من الأصول التي يحتاج إلىٰ معرفتها».

وقال الشيخ مسعود الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتب الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : « فلا توجد في هذه المكتوبات تنطعات المتكلمين، ولا تكلفات الفقهاء المتأخرين، الذين سيطرت عليهم العلوم اليونانية، ولكنها علىٰ طريقة المحدثين تمامًا، فكل ما قاله في كلمات واضحة مستدلًّا بنصوص من الكتاب والسنة وكفىٰ!!

إن الحق لا يحتاج إلىٰ تجميل ولا تزوير؛ فإنه يحمل في طياته جاذبية كامنة، ومن أهم مميزات مؤلفاته أنها لم يصبها أدنىٰ كدر من اليونان والعلوم اليونانية، في حين نرىٰ في بلادنا - الهند - أن كبار المجددين[2] لم يستطيعوا أن يتجنبوا التعقيدات اليونانية والإشراقية، ولكن أسلوب الشيخ قرآني محض، وأدلته كلها مأخوذة من القرآن والسنة، ومزية أخرىٰ أنه بعيد كل البعد عن المصطلحات

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترىٰ عليه، ص (١٣٣، ١٣٤).

(٢) التجديد لا يطلق إلا علىٰ أهل السنة.

الصوفية، وإن هذا الخليط المركب من الفلسفة اليونانية وميدا[١] الذي سماه الناس تصوفًا - قد نخر أسس الدين الإسلامي».

* * *

(١) اسم الكتاب المقدّس عند الوثنيين في الهند ومنه تؤخذ شرائعهم وتقاليدهم.

وضوح العبارة

السمة الأوضح والأبرز لكتاب التوحيد هو وضوح عبارته، فإنك من حين تبدأ قراءة الكتاب من أوله إلىٰ آخره لا يستبهم ولا ينغلق عليك شيء من الكتاب، وهذا منهج قرآني معلوم، قال العلامة محمد بن سليمان الكافيجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فالله تعالىٰ أخرج مخاطباته في محاجة خلقه في أجلىٰ صورة، تشتمل علىٰ أدق دقيق؛ ليفهم العامة من جليّها ما ينفعهم وتلزمهم الحجة، ويفهم الخواص أسرارها ودقائقها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٢٢]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أي: سهَّلنا لفظه، ويسَّرنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ولا تجد كلامًا أحسن تفسيرًا، ولا أتم من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه الله بيانًا، وأخبر أنه يسَّره للذكر، ويسَّر ألفاظه للحفظ، ومعانيه للفهم، وأوامره ونواهيه للامتثال».

---

(١) التيسير في قواعد علم التفسير ص (٢١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٤).

(٣) مختصر الصواعق (١/ ٥٧).

والإمام محمد بن عبد الوهاب التزم هذا المنهج القرآني، فعباراته أوضح العبارات، وذلك لعدة أمور: **الأول**: تحققه بالعلم، فالعلم هو قال الله، قال رسوله ﷺ، قال الصحابة هم أولو العرفان، وهكذا المتحققون بالعلم إنما ينعتون العالم إذا انتهىٰ علمه إلىٰ الكتاب والسنة وسلم من البدعة، فهذا علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يصف علم ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله[1]: «قرأ القرآن، وعلم السنة، ثم انتهىٰ، وكفاه بذلك».

الثاني: المقصود بالكلام الإبانة عن المعنىٰ، فالمتواضع أيضًا لا يتكلف العبارات الغريبة والألفاظ الصعبة، والكلمات الوحشية، قال أبو هلال العسكري[2]: «وأجود الكلام ما يكون جزلًا سهلًا لا ينغلق معناه، ولا يُستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودًا مستكرهًا، ومتوعرًا متقعرًا، ويكون بريئًا من الغثاثة، عاريًا من الرثاثة».

والأمر الثالث: هو أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ قصد البلاغة في كتابه، ولا أبلغ من كلام الله ورسوله، لذلك لم يتجاوزه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، قال ابن الوزير رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «وكلام الله أبلغ الكلام، والبلاغة مشتقة من بلوغ المتكلم بكلامه إلىٰ بيان مراده ووضوح مقصده، وتخليصه من نقص الخطأ والتقصير عن إصابة الشواكل ولصق المفاصل».

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٥).

(٢) كتاب الصناعتين، ص (٦٧).

(٣) ترجيح أساليب القرآن علىٰ أساليب اليونان، ص (٩٩).

والأمر الرابع في سبب وضوح عبارات الإمام في كتابه: هو حسن قصده، فلم يكن له غرض بالمخيلة برصف كلامات كتابه علىٰ وجه يغرب في ألفاظه.

الأمر الخامس: خلوص النصيحة من الإمام لعموم المسلمين، فحفظ أديان الناس ودلالتهم علىٰ الخير هو مقصود الناصحين، وإذا كان الكتاب واضح العبارة انتفع به عموم الناس، وإذا كان صعب العبارة لم ينتفع به إلا أقل القليل، وهذا حرمان للمؤلف قبل أي شخص آخر، فإن عظم أجره يكون بكثرة قراء كتابه، وموافقته للحق.

الأمر السادس: أن الكلام الواضح عليه من الحلاوة ما يوجب فهمه وقبوله ما ليس علىٰ الكلام الصعب المستغلق، قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحًا من يقصد الكتابة[1]: «وليتجنب التقعير في الكلام، والوحشي من الألفاظ؛ فإنه منافٍ للبلاغة، بعيد من الحلاوة».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه، وابتهجت قلوب سامعيه».

الأمر السابع: أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب حق، فاستعمل الألفاظ الواضحة التي تدل عليه وترشد إليه، والمبطل هو الذي يغرب في الكلام ويتشدق ويتفيهق؛ ليستزل الناس عن واضح المحجة إلىٰ

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٧).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/ ٣٧).

ورطات الشبهات.

قال أبو زكريا السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**[(١)]: «إنه تعالىٰ إنما جعل حجج الكتاب الأوضح دون الأدق الأغمض؛ لما أراد من تفهيم كافة البشر، فإنهم مخاطبون به إلىٰ يوم القيامة».

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا سر إغراب أهل الباطل في كلامهم**[(٢)]: «إني تدبّرت هذا الشأن، فوجدت عظم السبب فيه أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيله، يُسول لكل من أحس من نفسه بزيادة فهم وفضل ذكاء وذهن، ويوهمه أنه إن رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السنة، واقتصر علىٰ واضح بيان منها كان أسوة للعامة وعُدّ واحدًا من الجمهور والكافة، فإنه قد ضل فهمه واضمحل لفظه وذهنه، فحرّكهم بذلك علىٰ التنطع في النظر، والتبدع لمخالفة السنة والأثر؛ ليبينوا بذلك من طبقة الدهماء، ويتميزوا في الرتبة عمن يرونه دونهم في الفهم والذكاء، فاختدعهم بهذه المحجة حتىٰ استزلهم عن واضح المحجة، وأورطهم في مشبهات تعلقوا بزخارفها، وتاهوا عن حقائقها، فلم يخلصوا منها إلىٰ شفا نفس، ولا قبلوها بيقين علم».

الأمر الثامن: مصادر التلقي عند الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي كتب السلف، فهو جارٍ علىٰ سننها، متأسٍّ بأئمة الهدىٰ، مصنفاتهم واضحة الألفاظ والعبارات، لا يتجاوزون دليل السنة والكتاب.

---

(١) منازل الأئمة الأربعة، ص (٦٣).

(٢) الغنية عن الكلام بواسطة «صون المنطق» ص (٩٣).

الأمر التاسع: محاذرة الإمام طرائق الفلاسفة؛ فإنهم يوّعرون طريق الوصول للحق بعدة أمور، منها الإغراب في الألفاظ، واستعمال مقدمتين لكل نتيجة وإن كانت واضحة لا تحتاج إلا إلىٰ مجرد إيقاظ الناس إلىٰ حقيقتها، قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفق عليها، استدل بها، ولم يحتج إلىٰ الاستدلال عليها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ليس جميع المطالب يحتاج إلىٰ مقدمتين، ولا يكفي في جميعها مقدمتان، بل يذكر ما يحصل به البيان والدلالة، سواء كان مقدمة أو مقدمتين أو أكثر، وما قُصد به هُدىٰ عامًّا كالقرآن الذي أنزله الله بيانًا للناس يُذكر فيه من الأدلة ما ينتفع به الناس عامة».

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المراد تقريب الطريق الموصل إلىٰ المطلوب علىٰ أقرب ما يكون، وعلىٰ وفق ما جاء في الشريعة».

عاشرًا: اقتدار الإمام علىٰ بيان الحق فسلك واضح المحجة، خلاف الجاهل بالحق فإنه لا يحسن الدلالة عليه لجهله، أو المبتدع الذي لا يمكن أن يقوم دليل صحيح من القرآن والسنة علىٰ بدعته، فيغرب في الألفاظ تعمية علىٰ الخلق وعيًّا وجهلًا ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس كل من عرف

(١) شرح الطحاوية (١/ ٣٨).

(٢) الرد علىٰ المنطقيين، ص (٢٥١).

(٣) الموافقات (٤/ ٣٣٧).

الحق - إما بضرورة أو بنظر - أمكنه أن يحتج على من ينازعه بحجة تهديه أو تقطعه، فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يُعرّفه به غيره نوع، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به»[1].

الأمر الحادي عشر: أن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك مسلك التبسيط والتيسير في عرض مادة كتابه؛ ليقطع الطريق على الأئمة المضلين الذين أوهموا الناس بصعوبة فهم القرآن والسنة والكتب المصنفة على تأسيس الأدلة منهما، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتّباع الآراء والأهواء المتفرّقة المختلفة، وهي أن القرآن والسُّنَّة لا يعرفهما إلّا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافًا لعلّها لا توجد تامّة في أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإن لم يكن الإنسان كذلك، فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شكّ ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما، فهو إمّا زنديق، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كما بيّن الله - سبحانه - شرعًا وقدرًا خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٧١).

(٢) ستة أصول عظيمة، ص (٢٦)، مطبوعة مع رسالة «مسائل الجاهلية».

يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ٧-١١]».

* * *



حماية المقاصد بحفظ الوسائل

الشريعة حين تُحرّم شيئًا فإنها تحيطه بسياج شديد يمنع من الوقوع فيه، فانظر مثلًا إلىٰ تحريم الزنا، كيف حرّم الله من أجله النظر إلىٰ المرأة، وحرّم الاختلاط والخلوة بها، وحرّم علىٰ المرأة السفر من غير محرم، وأوجب الله علىٰ المرأة تغطية بدنها، وحرّم الله عليها أن تضرب برجلها حتىٰ لا يعلم الرجال زينتها، وحرّم عليها الخضوع بالقول، فإذا كان هذا في كبيرة الزنا، فما ظنك بأكبر الكبائر؟! فإن حمىٰ التوحيد أشد، والنهي عن ذرائعه ووسائله أشد، وقد اعتنىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الجانب عناية شديدة، وهي من أبرز ما يميّز كتاب التوحيد.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وحماية جناب التوحيد، وسدُّ الذرائع الشركية - من أكبر المقاصد الإسلامية، وقد ترجم شيخنا في كتاب التوحيد لهذه القاعدة، فرحمه الله من إمام ما أفقهه في دين الله! وما أعظم غيرته لربه، وتعظيمه لحرماته! وما أحسن أثره علىٰ الناس!».

هذا شأن الراسخين في العلم، المعظمين لحق الله الخالص، المستقرئين

(١) عيون الرسائل (١/ ٤٦٥).

لأدلة الشريعة في مواردها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإن استقراء الشريعة في مواردها ومصادرها دال علىٰ أن ما أفضىٰ إلىٰ الكفر غالبًا حرم، وما أفضىٰ إليه علىٰ وجه خفي حرم، وما أفضىٰ إليه في الجملة ولا حاجة تدعو إليه حرم، كما قد تكلمنا علىٰ قاعدة الذرائع، في غير هذا الكتاب».

وانظر إلىٰ كمال نصح النبي ﷺ لأمته، فلم يكتف بتحريم اتخاذ قبور الأنبياء قبله مسجدًا، بل زجر عن الغلو فيه حال حياته، ودعا ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، وقد نبّه علىٰ هذا الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه في [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله][٢]، صدّره بما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضبُ الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فهذه المفسدة - التي هي مفسدة الشرك، كبيره وصغيره - هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فينهىٰ المسلم عن الصلاة حينئذ - وإن لم يقصد ذلك -

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤١).

(٢) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢، ١٩٣).

سدًّا للذريعة.

فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين، متبركًا بالصلاة في تلك البقعة - فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر - أيَّ قبر كان - لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خيرٍ أصلًا، بل مزية شرٍّ».

ومما ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حماية جناب التوحيد وسد ذرائع الشرك النهي عن الصلاة في المقابر - ما رواه مسلم من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[(١)].

وفي قول جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «قبل أن يموت بخمس»، فيه بيان أنه من الأمر المحكم الذي داوم النبي ﷺ علىٰ بيانه ونصح أمته فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول: الصلاة عندها باطلة، وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها، ولهذا اتفق العلماء علىٰ أن من سلّم علىٰ النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبّلها؛ لأن

---

(١) كتاب التوحيد ص (٣٨، ٣٩).

(٢) بواسطة غربة الإسلام (١/ ٢٠٣).

التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، وكذلك الطواف، والصلاة، والاجتماع للعبادات إنما تقصد في بيوت الله وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيدًا، كما قال ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]».

ومما جاء في حماية جناب التوحيد وسدِّ ذرائع الشرك - النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فقد عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][1]، وساق فيه ما رواه الشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا[2].

وتأمل أخي المسلم كيف حذّر النبي ﷺ من الشرك ووسائله في آخر لحظات حياته، كل ذلك تعظيمًا للتوحيد وتحذيرًا من الشرك، فالتوحيد هو أول ما يُبدأ في الدعوة إليه، «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»، وهو آخر ما يفارق عليه الدنيا «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله**

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

دخل الجنة»، وهي دعوة النبيين جميعًا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهي الوصية التي ودّع بها النبي ﷺ أمته.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[1]: «المناسبة أنه لما شعر بالموت خشي علىٰ أمته أن تفعل عند قبره ما فعل من قبلها من الأمم عند قبور الأنبياء والصالحين، فلم يترك الفرصة تذهب، وإنما استغلها بالنصيحة للأمة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإذا كان النبي ﷺ يحذّر من الشرك وهو في هذه الحالة، فهذا دليل علىٰ أن التحذير من الشرك أمر متعيّن، وأنه يجب علىٰ الدعاة أن يهتموا بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا قبل غيره، قبل أن يحثوا الناس علىٰ الصلاة والصيام، وترك الربا، وترك الزنا، وترك شرب الخمر، قبل ذلك ينهونهم عن الشرك، لا سيما إذا كان واقعًا في الأمة، فالسكوت عنه من الغش للأمة، فلا بد أن يبدأ به، وأن يعمل علىٰ إزالته قبل كل شيء؛ لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت بقية الأعمال، أما إذا فسدت العقيدة فلا فائدة في الأعمال كلها، ولو ترك الربا، وتصدّق بماله، وصلىٰ الليل والنهار، وصام الدهر، وحج، واعتمر، وعنده شيء من الشرك الأكبر، فإن أعماله تكون هباءً منثورًا، لا فائدة منها.

أما إذا كان موحدًا خاليًا من الشرك، فلو وقع في الكبائر، ولو وقع في الزنا، ووقع في الربا، ووقع في المحرمات التي دون الشرك - فإنه يُرجىٰ له المغفرة، وإن عذب بذنوبه فإنه لا يخلد في النار وهو مؤمن موحد، حكمه

(١) إعانة المستفيد (١/ ٢٨٦، ٢٨٧).

حكم المؤمنين، ولا بد له من دخول الجنة بتوحيده وإيمانه، وإن كان ضعيفًا.

أما إذا كان عنده شرك أكبر، فهذا لا فائدة في أعماله، لو ترك المحرمات كلها، وأدىٰ الواجبات كلها ولم يتجنب الشرك، فإنه لا فائدة في أعماله كلها.

فكيف إذًا نهتم بجوانب فرعية، أو جوانب جزئية، ونترك هذا الأمر الخطير يعجّ في جسم الأمة الإسلامية، ولا نحذّر منه، ولا ندعو إلىٰ تركه، ولا نسعىٰ في إزالته عن الأمة بحجة أننا نريد أن نجمع الأمة كما يقولون؟!

هذا هو صميم الدعوة، هذا هو الذي جاءت الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم للتحذير منه، كل رسول يقول لقومه: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]؛ لأن العبادة لا تنفع مع وجود الشرك».



لزوم الإمام إجماع الصحابة في سد ذرائع الشرك

من أهم وأقوىٰ وأنفع ما يميّز كتاب التوحيد عنايته بحماية جناب التوحيد، وسد ذرائع الشرك، وهذا كما أنه مقتضىٰ القرآن والسنة، فإنه إجماع الصحابة، فالصحابة لما فتحوا (تستر) وجدوا في بيت مال الهرمزان سريرًا، عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذوا المصحف، فحملوه إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، وحفر الصحابة بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفنوه، وسدوا القبور كلها، قال أبو العالية: لنعمِّيه علىٰ الناس فلا ينبشونه[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إسناد صحيح إلىٰ أبي العالية».

وكذلك لما رأىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أقوامًا يقصدون الشجرة التي بايع عندها الصحابة النبي ﷺ - قطعها رواه البخاري؛ لئلا يغلوا الناس في الأحجار والأشجار.

وأول شرك وقع في الأرض في قوم نوح كان بتجسيم صور الصالحين، فالتصوير من وسائل الشرك الذي استدرج به الشيطان قوم نوح.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ممتدحًا**

(١، ٢) البداية والنهاية (٢/ ٣٧٧).

مصنفات الإمام[١]: «وقد تتبَّع العلماء مصنفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل زمانه وغيرهم، فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب.

وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة».

وتجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمّن هذا الإجماع في مسائل التوحيد كلها عمومًا في أبواب كتابه، وسد الذرائع خصوصًا، وأوضح ما يكون من ذلك باب [الخوف من الشرك][٢]، وأبين دليل ساقه قول الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥][٣].

وكذلك باب [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][٤]، وساق الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، قال العلامة عبد اللطيف ابن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففيه دليل علىٰ هدم المساجد التي هي أعظم فسادًا منه، كالمبنية علىٰ القبور، وكذلك قبابها، فتجب المبادرة إلىٰ هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله، والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه.

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسَّر الله - سبحانه - كسرها علىٰ يد شيخ الإسلام، وحزب الله الموحدين، وكان العامة يقولون للشيء منها:

---

(١) عيون الرسائل (٢/ ٦٤٩).

(٢) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٤) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٥) عيون الرسائل (٢/ ٧١٧).

إنه يقبل النذر؛ أي: يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرَّب بها الناذر إلىٰ الله المنذور له».

وكذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ثابت ابن الضَّحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم**»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**». رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما[(١)].

وعقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا خاصًّا لسد ذرائع الشرك، وهو باب [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][(٢)]، وساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، وقال: رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات[(٣)].

وساق كذلك أثر علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم**». رواه الضياء المقدسي في المختارة[(٤)].

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

(٢) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤١، ٤٢).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

وفي باب [قول: ما شاء الله وشئت][١]، ساق حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**»[٢].

ومبالغة في النصيحة وحفظ أديان الناس ختم الإمام كتاب التوحيد بباب [ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد وسدّه كل طرق الشرك][٣]، وساق فيه حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: «**السيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**». رواه أبو داود بسند جيد[٤].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «**تقدَّم نظير هذه الترجمة، وأعادها المصنف اهتمامًا بالمقام، فإنَّ التوحيد لا يتم ولا يُحفظ ولا يحصن إلَّا باجتناب جميع الطرق المفضية إلىٰ الشرك**، والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدُّب والتحفظ بالأقوال.

فكل قول يفضي إلىٰ الغلو الذي يخشىٰ منه الوقوع في الشرك - فإنَّه يتعين

---

(١) الباب الثالث والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٩).

(٣) الباب الخامس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٥) القول السديد، ص (١٦٥، ١٦٦).

اجتنابه، ولا يتم التوحيد إلَّا بتركه.

والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرًا وباطنًا، قولًا وفعلًا، وإرادة واعتقادًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: ٥]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**».

وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة، ونبينا ﷺ نهىٰ عن الشرك دقه وجله، وجليله وخفيه، وكبيره وصغيره، حتىٰ إنه قد تواتر عنه أنه نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة: تارة يقول: «**لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها**».

وتارة ينهىٰ عن الصلاة بعد الفجر حتىٰ تطلع الشمس، وبعد العصر حتىٰ تغرب الشمس، وتارة يذكر أن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، وإذا غربت غربت بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ونهىٰ عن الصلاة حينئذ، فإذا كان قد نهىٰ عن الصلاة في هذا الوقت، وأن الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له - فكيف بما هو أظهر شركًا ومشابهة للمشركين من هذا؟!

---

(١) اللمعة في الأجوبة السبعة، ص (٦٤-٦٦).

وقد قال الله تعالىٰ فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وذلك لما في ذلك من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، ونحن منهيون عن مثل هذا، ومن عدل عن هدي نبيه محمد ﷺ وهدي أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ ما هو من جنس هدي النصارىٰ - فقد ترك ما أمر الله به ورسوله».

* * *

قوة تحذير الإمام وتنفيره من الشرك

العالم الناصح المتحقق بالعلم هو الذي يُنفِّر عن الشرك أشد التنفير؛ لمضادته لشرائع الله، ولما فيه من انتقاص الله، ومن يحب الله لا يرضىٰ بذلك، بل يسارع إلىٰ نصرة الله، والذب عن حق الله الخالص، والترغيب في التوحيد، وذكر فضائله وثمراته التي من أعظمها دخول الجنة، والتحذير من الشرك وتقبيحه، وبيان سوء عاقبته، التي من أعظمها الخلود في النار، والعياذ بالله.

وكتاب التوحيد كله في بيان التوحيد وفضائله، والتحذير من الشرك، وذكر قبائحه، وحسبنا أن نبرز بعض تنبيهات الإمام المهمة في ذلك، فإنه في [باب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][1] - ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ثم أتبعه بحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ لَمَّا بعث معاذًا إلىٰ اليمن، قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». رواه الشيخان، ثم ختم الباب بحديث بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خيبر، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يهدي الله**

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).

بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»، رواه البخاري ومسلم[١].

ثم قال الإمام في مسائله[٢]: «**الرابعة**: من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيه الله تعالىٰ عن المسبَّة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبَّة لله».

فهذا غاية ما يكون من التنفير عن الشرك وتقبيحه، وهذا منهج قرآني لا بد من سلوكه والتأسي به، قال الله تعالىٰ محذرًا من سب النصارىٰ لله بنسبة الولد إليه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[٣].

وإذا علم الإنسان أن كل شر في الدنيا سببه الشرك - فإنه لا يألوا جهدًا في محاربته إن كان من المصلحين، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فالشرك والدعوة إلىٰ غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متّبع غير رسوله - هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلّا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدَّعوة له لا لغيره، والطاعة والاتِّباع لرسوله ﷺ ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع له ولا طاعة، فالله تعالىٰ أصلح الأرض برسوله ﷺ ودينه وبالأمر

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١١-١٣).

(٢) القول السديد ص (٢٧).

(٣) مريم: (٨٨-٩١).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٨٥٦، ٨٥٧).

بتوحيده، ونهىٰ عباده عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله.

ومن تدبَّر أحوال العالم وجد كلَّ صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدُوٍّ وغير ذلك - فسببه مخالفة رسوله ﷺ، والدعوة إلىٰ غير الله ورسوله.

ومن تدبَّرَ حق التدبُّر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلىٰ الآن، وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها - وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حقِّ غيره عمومًا وخصوصًا، ولا قوة إلا بالله».

ومن قوة تحذير الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشرك بيانه الحكمة من دفنه ﷺ في بيته، فإنه في [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][1]، بعد أن ساق حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[2].

ثم قال معلقًا علىٰ معنىٰ ومقتضىٰ الحديث[3]: «فقد نهىٰ عنه في آخر حياته،

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٨، ٣٩).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٩).

ثم إنه لعن - وهو في السِّياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كل موضع يُصلَّىٰ فيه يُسمَّىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»».

ثم تمَّم الإمامُ الباب بما يزجر عن اتخاذ القبور مساجد، فقال[1]: «ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»».

ومبالغةً في تتميم النصيحة حذّر في المسائل من هذا الشرك، وبيّن كيف بلّغ رسولنا ﷺ البلاغ المبين، فقال في المسألة الثالثة[2]: «العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك - كيف بيَّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدَّم».

وفي المسألة الثامنة قال[3]: «العلة في عدم إبراز قبره».

ومن كمال نصحه وقوة بيانه وقوة زجره عن الشرك أتبع باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!]، بباب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله][4]، وصدّر هذا الباب بما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل**

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٢، ٣) القول السديد، ص (٧١).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

وبعد هذا الباب مباشرة بوّب [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][٢]، ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[٣].

فهذا غاية ما يكون في النصيحة والبيان وحماية جناب التوحيد، فإن النبي ﷺ نهىٰ أن يُتَّخذ قبره مسجدًا، ونهىٰ عن تكرار زيارة قبره في قوله: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**». ومنع من إبراز قبره، وأمر أن يُدفن في بيته، فصلوات الله وسلامه علىٰ من بلَّغ البلاغ المبين، وبالغ في حماية جناب التوحيد، ونهىٰ عن الشرك الأكبر والأصغر، وسد ذرائع الشرك، فلا إله إلا الله ما أحكم الشريعة التي بُعث بها!

قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٤هـ)[٤]: «فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرًا لأمته من ذلك، ونهاهم عن ذلك، ونهاهم أن يتخذوا قبره عيدًا، دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك، وكانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك، إنما يدخلون إليها هي، ولما توفيت لم يبق بها أحد، ثم لما أدخلت في المسجد سدت، وبُني الجدار

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٢) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤١، ٤٢).

(٤) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٦٣).

البراني عليها، فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره، سواء كانت سنية أو بدعية، بل إنما يصل الناس إلىٰ مسجده، ولم يكن السلف يطلقون علىٰ هذا زيارة لقبره، ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة، ولم يتكلموا بذلك، وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا في كلامهم، فإن المعنىٰ ممتنع عندهم، فلا يعبروا عن وجوده، وهو نهي عن اتخاذ بيته وقبره عيدًا، وسأل الله تعالىٰ أن لا يُجعل وثنًا، ونهىٰ عن اتخاذ القبور مساجد فقال النبي ﷺ: «**اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»».

وقال ابن عبد الهادي أيضًا[1]: «فعُلم أن الله سبحانه استجاب دعاءه حيث قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»، وإن كان كثير من الناس يريدون أن يجعلوه وثنًا، ويعتقدون أن ذلك تعظيم له كما يريدون ذلك، ويعتقدونه في غيره، فهم لا يتمكنون من ذلك، بل هذا القصد والاعتقاد خيال في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج، بخلاف القبر الذي جعل وثنًا، وإن كان الميت وليًّا لله لا إثم عليه من فعل من أشرك به، كما لا إثم علىٰ المسيح من فعل من أشرك به».

وقال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٢)**[2]: «ومع حمايته ﷺ لجنابه - يعني التوحيد - اجتهد في سد كل طريق يوصل أمته إلىٰ الشرك، وحذّر وأنذر، وأبدىٰ وأعاد، وخصّ وعمّ، وقطع الوسائل والذرائع المفضية إليه، فصلىٰ الله عليه وسلم، كما بلّغ البلاغ المبين، وفي

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٣٤).

(٢) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٦٩).

الأبواب المتقدمة شيء من حماية المصطفىٰ ﷺ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا حمايته الخاصة».

وأنت إذا تأملت أحوال القبوريين المشركين رأيتهم مضادين للشرع تمامًا في كل موارده، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة إلىٰ القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهىٰ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد؛ مضاهاةً لبيوت الله تعالىٰ، ونهىٰ أن تُتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد وأكثر؛ وأمر بتسويتها كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته.

وفي صحيحه أيضًا عن ثمامة بن شُفيٍّ قال: كُنّا مع فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأرض الروم - برودس - فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقبره فسوّي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهىٰ عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنىٰ عليه».

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥، ٣٦٦).

إلىٰ أن قال[(١)]: «والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور، والمتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب - مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادُّون لما جاء به».

وقال مبينًا ما آل إليه انحراف القبوريين في تضييع حمىٰ جناب التوحيد ووقوعهم في الشرك[(٢)]: «اعتقاد المشركين بها أن يكشف بها البلاء، وينصر علىٰ الأعداء، ويستنزل غيث السماء، ويفرج الكرب، وتقضىٰ الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلىٰ غير ذلك».

ولا يشك عاقل أن قبور الأنبياء والصالحين لا يقع منها شيء مما يتوهمه المشركون، فإن كشف البلاء، والنصر علىٰ الأعداء، وقضاء الحوائج، وتفريج الكربات - من خصائص الربوبية، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم - قد اتخذوها أوثانًا من دون الله، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم، فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر، ولهذا قالوا لهود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]، فقال هود: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقد

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٩). (٣) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٦).

قال الله تعالىٰ في قصة الخليل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾، وقال الله تعالىٰ لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾، وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ - إلىٰ قوله: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[١]: «ومن هؤلاء من يظن أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم ببركته يرزقون وينصرون، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه، ويقولون عمن يعظمونه: إنه خفير البلد الفلاني. كما يقولون: السيدة نفيسة خفيرة مصر القاهرة، وفلان وفلان خفراء دمشق أو غيرها، وفلان خفير حرّان أو غيرها، وفلان وفلان خفراء بغداد أو غيرها. ويظنون أن البلاء يندفع عن هذه المدائن والقرىٰ بمن عندهم من قبور الصالحين أو الأنبياء، ثم قد يكون في البلد من قبور الصحابة والتابعين من هو أفضل من ذلك الذي جعلوه خفيرًا، كما أن فيهم من الصحابة والتابعين وغيرهم من هو أفضل من نفيسة بكثير.

وبدمشق من الصحابة والتابعين من هو أفضل من بعض من يجعلونه خفيرًا أو يقصدون الدعاء عند قبره كرابعة في باب الصغير، وكرسلان التركماني، وغيرهم.

وقد نزل عدوّ كافر بالبلد فتمثل له الشيطان بصورة ذلك الخفير، وأنه يضربه بعكازه أو غيره، ويقول: ارحل من عندي. فيرحل ذلك الملك الكافر

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٣-٥٥).

لما رآه، فيظن أولئك أن نفس الشيخ الميت أو سره أتاه فدفع عنه، وفي المدفونين بالبلد من هو أفضل من ذلك بكثير، وهذا مما لم يكن معروفًا علىٰ عهد الصحابة والتابعين، ولكن حدث بعدهم.

ومن أقدم ما روي في ذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد الله بن موسىٰ الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد هاربًا منها، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة، فقال لي: من أين خرجت؟ فقلت: من بغداد، وهربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف بأهلها. فقال: ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لها من جميع البلاد. قلت: من هم؟ قال: الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر بن الحارث الحافي، ومنصور بن عمار الواعظ. فرجعت ولم أخرج[(١)].

وهذا الشخص الذي قال هذا هو مجهول لا يعرف، وقد يكون جنيًّا وقد يكون إنسيًّا، فإن الجن كثيرًا ما يتصورون في صورة الإنس، ويقول أحدهم لمن ينفرد به في البرية: أنا النبي فلان. أو: الشيخ فلان. أو: الخضر. ومثل هذا كثير معروف تطول حكاية آحاده فإنها لا تحصىٰ لكثرتها. وهؤلاء قد يظنون أن وجود النبي ﷺ مقبورًا بينهم مثل وجوده في حياته، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، وهذا غلط عظيم، فقد روىٰ الترمذي: حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير

(١) أبو عبد الرحمن السلمي حاله معلومة من الضعف، واتهم بالكذب، ولكن شيخ الإسلام ثبتت عنده هذه الحكايات من طرق كثيرة لا تحصىٰ، ذكر ذلك بعد ذكر القصة مباشرة، فانتبه لذلك.

عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن عباد بن يوسف، عن أبي بردة ابن أبي موسىٰ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل الله أمانين لأمتي** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾، **فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار**»، فقد بيّن ﷺ أن الأمان بوجوده هو في حياته، وأنه بعد موته لم يبق إلا الاستغفار، ليس في وجود القبور أمان.

وكذلك في صحيح مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**النجوم أمنةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**»، ومما يوضح الأمر في ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره، فإنه قد قيل: إن بني إسرائيل بُعث فيهم ألف نبي، ومع هذا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، فقد بيّن الله أنهم إذا علوا وأفسدوا عاقبهم الله بذنوبهم، وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل فيهم من لا يحصي عدده إلا الله، ولم ينفع أحد من قبور الأنبياء التي كانت هناك، وإنما الناس يجزون بأعمالهم، والله تعالىٰ هو الذي يرزقهم وينصرهم، لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ الآيتين، فليس للعباد من دون الله رازق ولا ناصر، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية، فأخبر أنه لا بد لكل قرية من هلاك، أو عذاب شديد بدون الهلاك، وذلك

بذنوبهم بعد إرسال الرسل لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٠٩﴾، وكان أهل المدينة النبوية علىٰ عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – أحسن أهل المدائن حالًا، ونعمة الله عليهم أعظم النعم، لكونهم كانوا مطيعين لله ورسوله، وكانت الخلفاء تسوسهم سياسة نبوية، فلما تغيّروا وقُتل بينهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تغير الأمر وحصل لهم من الخوف والذل، ثم أصابهم من السيف ما أصابهم، ورسول الله ﷺ مدفون بالحجرة وهو قد بلّغهم الرسالة وأدّىٰ الأمانة، **ولم يضمن لهم أنه لوجود قبره أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين يندفع البلاء، وإنما يندفع البلاء بطاعة الرسل لا بقبورهم**، فمن أطاعهم كان سعيدًا في الدنيا والآخرة، ومن عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم».

وهنا سؤال يورده كثير من الناس: كيف دخل قبر النبي ﷺ إلىٰ المسجد؟

فنقول: إنما حصل هذا بعد انقضاء عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٤ هـ)[1]: «كان علىٰ عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرته خارجة عن المسجد، ولم يكن بينهم وبينه إلا الجدار.

ثم إنه إنما أُدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وكان من آخرهم موتًا جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو توفي في خلافة عبد الملك، فإنه توفي سنة ثمان

---

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٥١).

وسبعين، والوليد تولىٰ سنة ست وثمانين، وتوفي سنة ست وتسعين، فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ دافعًا أن يكون للقبوريين حجة في دخول حجرة النبي ﷺ المسجد النبوي لتبرير شركياتهم في القبور كلها: «الجواب علىٰ ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن علىٰ القبر، بل بُني المسجد في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتىٰ يقال: إنَّ هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول ﷺ، ومنها بيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلّا القليل، وذلك عام ٩٤هـ تقريبًا، فليس ممَّا أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه، مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممَّن خالف أيضًا سعيد ابن المسيب من التابعين، فلم يرض بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتىٰ بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد، فليس المسجد مبنيًّا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة - أي مثلث - والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلَّىٰ؛ لأنه منحرف»[1].

وهنا يتأكد ضرورة استصحاب إجماع الصحابة السابق في صيانة قبره عن

(١) القول المفيد، ص (٢٥٤، ٢٥٥).

أن يصل إليه أحد، فمن تدبّر ذلك انزاحت عنه كل الإشكالات، واندّحرت كل الشبهات والمتشابهات التي يوردها القبوريون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فلمّا اتفق الصحابة علىٰ أنهم يدفنونه في الحجرة، ولا يمكّن النّاس من الدخول عليه، فلم يمكّن أصحابه ولا غير أصحابه من الدخول إلىٰ الحجرة إلا صاحبة الحجرة، ومن دخل إليها علم أن إتيان قبره لم يكن مما سنّه لهم وأمرهم به، بخلاف السّلام عليه في الصّلاة وخارج الصّلاة، في مسجده وغير مسجده، فإنه مما سنّه لهم وأمرهم به، كما أمروا بالصلاة عليه، والسّلام عليه من جنس الصلاة عليه، وقد أمروا في القرآن بهذا وهذا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولم يكتف بأنه لم يأمرهم بإتيان قبره، وزيارته في حجرته، والدعاء عنده والصلاة، بل نهاهم عن ذلك، فقال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذّر ما فعلوا، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: ولولا ذلك لأُبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدًا.

وقال لهم قبل موته بخمس: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

ومالك وغيره من أئمة المسلمين علموا أنه لم يأمر بزيارة قبره، فلم يقل:

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٨٠، ٨١).

زوروا قبري. ولا رغّب في زيارة قبره، بل **كل حديث روي في زيارة قبره فإنه ضعيف، بل كذب موضوع**».

ومن أقوىٰ ما أبرزه الإمام من الأدلة في التحذير من الشرك - ما ذكره في [باب الخوف من الشرك][1]، حيث صدّره بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فتبين بهذا أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالىٰ أخبر أنه لا يغفره - أي: إلّا بالتوبة منه -، وما عداه، فهو داخل تحت مشيئة الله، إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذّب به.

وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله، وإنما كان كذلك؛ لأنه **أقبح القبيح، وأظلم الظلم؛ إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقّه لغيره**، وَعَدْلُ غيره به، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذُّلّ له، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتىٰ خلا منه خَرِبَ وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ لا يُقال في الأرض: الله الله**»، رواه مسلم.

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالىٰ وتقدّس - في خصائص الإلهية من مُلك الضُّرِّ والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلُّق الدعاء

---

(١) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠). (٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٨٤، ٢٨٥).

والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده».

ومن قوة تحسينه للتوحيد وترغيبه فيه أنه في [باب بيان فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب][1]، في خاتمته ساق حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالىٰ: يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**». رواه الترمذي وحسنه[2].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «فمن تحقَّق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كلَّ ما سوىٰ الله محبةً، وتعظيمًا، وإجلالًا، ومهابة، وخشيةً، ورجاءً، وتوكُّلًا، وحينئذ تُحرق ذنوبه وخطاياه كلُّها ولو كانت مثلَ زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، **فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرَّة منها علىٰ جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات كما في** «المسند»، وغيره، عن أم هانئ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا، ولا يسبقها عمل**»».

ومن قوة ترغيب الإمام في التوحيد وتحذيره من الشرك - ترغيبه في المسابقة في حب الله، وتحذيره من أن يزاحم حب أي شيء حب الله، بحيث يوقع في شرك، أو ترك واجب، أو فعل محرم، فإنه في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥]][4]، رغّب في تجريد حب التأله لله وحده، فالموحّدون

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٧).
(٣) جامع العلوم والحكم، ص (٤٧٢، ٤٧٣).
(٤) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

المؤمنون أشد حبًّا لله، ومحبتهم لله خالصة له لا شرك فيها، والمشركون والعياذ بالله حبهم لمعبوداتهم أعظم من حبهم لله، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥هـ)[١]: «ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبين المقرَّبين يقوىٰ حتَّىٰ تمتلىء قلوبهم به، فلا يبقىٰ في قلوبهم غيره، ولا تستطيع جوارحهم أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلوبهم، ومن كان حاله هكذا، قيل فيه: ما بقي في قلبه إلا الله. والمراد معرفته ومحبته وذكره».

وقال أيضًا[٢]: «فإذا تحقَّق القلب بالتوحيد التام، لم يبق فيه محبةٌ لغير ما يُحبُّه الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، ومن كان كذلك، لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله، وإنما تنشأ الذنوب من محبَّة ما يكرهه الله، أو كراهة ما يُحبه الله، وذلك ينشأ من تقديم هوىٰ النَّفس علىٰ محبَّة الله وخشيته، وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب، فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات، فأما من تحقَّق قلبه بتوحيد الله، فلا يبقىٰ له همٌّ إلا في الله وفيما يرضيه به».

ومقامات الموحدين في تحقيق المحبة متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، أعظمهم تحقيقًا لها الخليلان، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»[٣].

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٤٣٤).

(٢) جامع العلوم والحكم، ص (٤٣٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص٢١٦ – رقم ١١٨٨).

نهى الإمام عن الأعمال والوسائل الشركية وأرشد إلى الأعمال الشرعية

سلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطريقة القرآنية في النهي عن الأعمال والوسائل الشركية، والاستعاضة عنها بالأعمال الشرعية التي تحفظ للعبد دينه وتحقق توحيده.

وطريقة القرآن في تقرير هذا المنهج واضحة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤].

وكذلك لما أنكر الله علىٰ قوم شعيب أكل أموال الناس بالباطل بتطفيف المكيال والميزان قال تعالىٰ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾.

وقد سلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المنهج القرآني، فكتاب التوحيد، كله في تقرير التوحيد وتوضيحه والأمر به، وتوجيه الخلق إلىٰ قصد الله وحده لا شريك له، ونهي عن الشرك، وتحريم وسائله، وحماية لجناب التوحيد، وسد لكل طريق يوصل إليه، وفوق هذا إرشاد إلىٰ التي هي أحسن وأقوم، مما يوجب صيانة العقيدة وحفظ الإيمان.

ومن أوضح الأمثلة علىٰ ذلك باب [ما جاء في التطير][1]، فالإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن بالأدلة تحريم الطيرة، وذكر الدليل علىٰ أنها شرك، ووجّه الناس إلىٰ التوكل علىٰ الله، والتفاؤل، وذكر الأحسن عند رؤية ما يكره، وأنه يقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك[2].

كما أنه ذكر دليل كفارة من وقع في التطيّر، وأنه يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك[3].

فالله عَزَّوَجَلَّ جعل لنا الشروع في المضي في الفعل أو تركه بالاستخارة والاستشارة، أما التطير فشؤم ويعطل الإنسان عن القيام بأسباب ما ينفعه، والله يحب من عبده أن يكون حارثًا وهمَّامًا.

ومن أوضح البراهين والأدلة علىٰ سلوك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المنهج القرآني خصوصًا فيما عظم وكثر فيه الشرك في الخلق في هذا الزمان - ما أورده في [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][4]، فإنه ذكر ما رواه الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**»[5].

---

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٥، ٥٦).

(٤) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

فانظر إلىٰ هذا البيان، وإلىٰ عظم هذه النصيحة، كيف يرشد النبي ﷺ من أراد الاستغاثة به إلىٰ الاستغاثة بالله وحده لا شريك له.

فالله هو غياث المستغيثين وحده لا شريك له، وكل عاقل ومؤمن يعلم أن من أنزل حاجته بالله، فقد أنزلها بالقوي الرزاق، فهو وحده الذي يجلب المنفعة، ويدفع المضرة، ويرزق، ويشفي، ويحيي، ويميت.

ومع حصول غرض المستغيثين بالله فإنه موجب سلامتهم من الشرك ومن الخلود في نار جهنم، وفي التجاء الخلق إلىٰ الله وحده لا شريك له تحقيق للتوحيد، وهو الموجب للفوز بالجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة، أو دعا الجن، فقد دعا من لا يغيثه، فلا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله».

وقال أيضًا[2]: «إن الشرك وقع كثيرًا، وكذلك الشرك بأهل القبور، بمثل دعائهم، والتضرع إليهم، والرغبة إليهم، ونحو ذلك.

فإذا كان ﷺ نهىٰ عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلىٰ نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع من الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ؟!».

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٤٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥).

فصلاح الخلق في توجههم إلىٰ ربهم، وفي سلوكهم الطرق المشروعة التي أمر الله بها، وكل ما يأمر به الشيطان فهو من المضادة لأمر الله، إما بالشرك أو بالطرق المحرمة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾.

وانظر إلىٰ حكمة الشرع في النهي عن الصلاة حين تتضيف الشمس للغروب، وحين تطلع الشمس قبل أن ترتفع قيد رمح؛ لأنه يسجد لها المشركون، فنهىٰ عن الفعل الذي لم يقصدوا فيه الشرك؛ حتىٰ لا يقعوا في مشابهة للمشركين، كل ذلك تعظيمًا للتوحيد وفرارًا من مشابهة أفعال المشركين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أين التوحيد للخالق بالرغبة إليه، والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق، والرجاء له، والتوكل عليه، وأن يُحب كما يحب الله؟!

فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة، ونهىٰ عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها، ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٠-٦٢]».

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢١).

ومن محاسن صنيع الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في انتخاب الأدلة في النصح للمسلمين في تحذيرهم من الشرك أنه لم ينقلهم من حظيرة الألفاظ والأفعال الشركية إلىٰ الألفاظ والأقوال المباحة، بل دلّهم علىٰ ما ينقلهم إلىٰ كمال التوحيد، فإنه في [باب قول: ما شاء الله وشئت][1] ساق حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**»[2].

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٨هـ)[3]:

«نهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، لما فيه من مطلق التسوية بين الخالق والمخلوق، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده. كما في الحديث قبله، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك، وأفضل وأكمل من قول: ما شاء الله ثم شاء محمد. لما في قول: ما شاء الله وحده. من التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، **فالبصير يختار لنفسه أعلىٰ مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص، ويجوز أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان. كما تقدم**».

* * *

---

(١) الباب الثالث والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٩).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٣١٠).



يقظة الإمام في استنباطاته

استنباطات الإمام التي سطرها في كتابه، سواء منها ما كان في تبويبه ووضع الأدلة الدالة عليه، أو ما أودعه في مسائل كل باب - دالة علىٰ يقظة الإمام ونفوذ بصيرته، وهنا لا بد لطالب العلم والعلماء من تقليب ألفاظ الإمام وتأملها في ضوء تبويبه والأدلة التي ساقها فيه، مع ملاحظة تعاضد عموم الأدلة؛ لتحقيق المقصود الأعظم، وهو تجريد التوحيد لله وحده لا شريك له.

فانظر - مثلًا - إلىٰ باب [ما جاء في الذبح لغير الله][1]، حيث ذكر جملة من التنبيهات والفوائد في حديث طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ **قال: مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتىٰ يُقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرِّب. قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلّوا سبيله؛ فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ. **فضربوا عنقه، فدخل الجنة**»[2]. فقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستنباطات في مسائله: «التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم».

(١) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).

(٢) رواه أحمد في الزهد، ص (١٥).

وقال أيضًا في مسائله: «الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتىٰ عند عبدة الأوثان»(١).

فهنا لا بد أولًا من مناقشة هذه الاستنباطات في ضوء عموم أدلة الشريعة، وأول ما ينبغي التنبيه عليه هو العذر بالإكراه، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ [النحل: ١٠٦]، فالآية استدل بها عموم العلماء وعامتهم علىٰ الإعذار بالإكراه علىٰ الكفر، ولكن لننظر في فقه حديث الذباب وتوجيهه في ضوء دلالة الآية.

فإذا عرفنا ذلك فحينئذ ينبغي لنا أن ندفع الإشكال عن دخول النار لمن قرّب ذبابًا علىٰ سبيل الإكراه.

فنقول: لا يظهر قصد الإكراه، فإن المشركين طلبوا ممن مرّ بصنمهم أن يقرّب ذبابًا، فأجابهم وقرّب ذبابًا اختيارًا وتأمل هذا في استنباط الإمام حيث قال: «عمل القلب هو المقصود الأعظم»، فقول الإمام «عمل القلب» يدل علىٰ قصد الفعل اختيارًا لا إكراهًا، لأن من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان لا يميل قلبه لفعل الشرك وانظر كيف لم يؤاخذ الله من وقع منه الكفر لفظًا خطأً بلا قصد القلب في حديث الذي أضل راحلته في أرض فلاة فلما وجدها قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**». قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وفي الصحيحين عن خبَّاب بن

(١) القول السديد، ص (٤٥).

(٢) إرشاد طالب الهدىٰ لما يباعد عن الرّدىٰ، ص (٤٢، ٤٣).

الأرتّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا.

قال: فجلس محمرًّا وجهه، ثم قال: **والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل، فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويقعد الرجل فتحفر له الحفرة، فيوضع المنشار علىٰ رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه.** الحديث.

وبعدما وقع بعمار وأهله من المشركين ما وقع، أذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلىٰ الحبشة، لما اشتد بهم أذىٰ المشركين، فهاجروا وفيهم عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم إنه رجع هو وبعض المهاجرين فهاجروا إلىٰ المدينة، وفي تلك الأحوال لم يطمئن أحد منهم إلىٰ المشركين ولا داهنهم بدينه، واستمروا علىٰ عداوتهم والبراءة منهم حتىٰ هاجروا إلىٰ المدينة، وقصتهم في السّير وكتب الحديث والمغازي مشهورة».

وقد يُقال: إن هذا الذي قرّب ذبابًا كان يعبد الله علىٰ حرف، فامتحنه الله في إيمانه وعقيدته وتوحيده، وأراده المشركون علىٰ الذبح لغير الله، فبادر إلىٰ طاعتهم قبل أن يقع منهم إكراه حقيقي له، ومثل هذا لا يسمىٰ إكراهًا.

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله[1]: «الملاحظ - هنا - في هذا الحديث أنه لم يدل علىٰ أنهم أكرهوه علىٰ هذا الفعل؛ لأنه قال: «**مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتىٰ يقرّب له شيئًا**». فظاهر قوله:

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (١٤٧، ١٤٩).

«**لا يجوزه أحد**». يعني أنهم لا يأذنون لأحد بمجاوزته عن ذلك الطريق حتىٰ يُقرِّب، وهذا ليس إكراهًا؛ إذ يمكن أن يقول: سأرجع من حيث أتيت ولا يجوز ذلك الموضع، ويتخلص من أذاهم، فهذا يدل علىٰ أن الإكراه بالفعل لم يحصل من أولئك، فلا يدخل هذا في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]. لأنه ليس في الحديث دلالة - كما هو ظاهر - علىٰ حصول الإكراه، وإنما قال: «**مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتىٰ يقرّب له شيئًا**». فما صفة عدم السماح بعدم المجاوزة، هل هي أنه لا يجوزه حتىٰ يُقتل أو يقرّب؟ أو لا يجوزه حتىٰ يقرّب أو يرجع؟ استظهر بعض العلماء من قتلهم لأحد الرجلين أن المعنىٰ: أنه لا يجوزه حتىٰ يقرّب، أو يقتل، وأن هذا عُلم بالسياق فصار ذلك نوع إكراه، فلهذا استشكلوا كون هذا الحديث دالًّا علىٰ أن من فعل هذا الفعل يدخل النار مع أنه مكره.

والجواب عن هذا الإشكال أن هذا الحديث - علىٰ هذا القول وما فيه من عدم إعذار المُكره ولو بالقتل - كان في شرع من قبلنا(١)، وأما رفع الإكراه، أو جواز قول كلمة الكفر، أو عمل الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان - فهذا خاص بهذه الأمة، هذا ما أجاب به بعض أهل العلم.

وعلىٰ القول الأول الذي قدمناه - وهو أن السياق ليس فيه ما يُعيّن أنهم هددوه بالقتل - فيكون الحديث مجملًا، فكيف يُحمل الحديث علىٰ شيء مجمل لم يعيّن؟ وقوله: «**فضربوا عنقه**». ليس فيه إشكال، ولا يرد علىٰ ما قلناه؛

---

(١) يدل له قوله ﷺ: «إنه كان من قبلكم يؤتىٰ الرجل فينشر بالمنشار فما يصده عن دينه».

لأنهم ربما قتلوا الذي لم يقرب شيئًا، لأنه أهان صنمهم بقوله: «**ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ». لهذا استشكل هذا الحديث طائفة من أهل العلم - كما سبق -، وهو - بحمد الله - ليس بمُشكل؛ لأنه إما أن يحمل علىٰ أنه فيمن كان قبلنا، فلا وجه إذًا لدخول الإكراه، أو يحمل علىٰ أنهم لم يكرهوه حين أراد المجاوزة، ولكن قتلوه لأجل قوله: «**لم أكن لأقرب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ».

إذًا فهذا الباب، وهو قوله: «باب ما جاء في الذبح لغير الله». ظاهر في الدلالة علىٰ أن التقرب لغير الله جَلَّوَعَلَا بالذبح شرك به - سبحانه - في العبادة، فمن ذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة».

وقال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] معلقًا علىٰ حديث التقرب بالذباب: «ليس هو بإكراه، ولا يسمىٰ إكراهًا، وليس هو بعذر، فالعذر يكون من إكراه، قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولا يسمىٰ من قيل له: قرّب. مكرهًا، حتىٰ يُهدّد، ويتوعد من قادر يظن أنه يفعل ما هدّد به، فهذا الخوف ليس بعذر حتىٰ يكون معه إكراه».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وإنما قد يقال: إنه كان مكرهًا إذا كان بعد الذي قُتل، فهذا قالوا له: قرّب. قال: ليس عندي شيء. فأجابهم وما اعتذر بشيء، فظاهره أنه غير مكره».

---

(١) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٢٧٣).

(٢) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٢٧٤).

وقد قال جماعة من العلماء أن الرخصة في الكفر في الإكراه تكون في الأقوال لا في الأفعال، قال أبو محمد بن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] «ومن كتاب ابن حبيب قال الله تعالىٰ ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية، وقال النبي ﷺ لعمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إن عادوا فعد**».

فمن ترك الرخصة وصبر علىٰ إظهار الإسلام فذلك له واسع فيما يعرض من القتل، وذلك أحظىٰ له عند ربه إن صدق، وقد جاءت به الآثار، قال: إنما الرخصة في القول والقلب مطمئن بالإيمان، وأما أن يعمل عملًا فيسجد لغير الله أو يصلي إلىٰ غير القبلة أو يشرب الخمر، ويأكل الخنزير، أو يزني، أو يقتل مسلمًا، أو يضربه أو يأكل ماله، وما أشبه ذلك فلا رخصة له، وإن خاف القتل.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «التقية بالقول وليس بالفعل ولا باليد»».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والقول الثاني: أن التقية إنما تكون في الأقوال ولا تقية في الأفعال، ولا إكراه عليها، رُوي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي العالية، وأبي الشعثاء، والربيع بن أنس، والضحاك، وهو رواية عن أحمد، وروي عن سحنون أيضًا».

* * *

---

(١) النوادر والزيادات (٣/ ٣١٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٢).

دقة في التفريق بين أنواع الفعل المختلف حكمه

العالم المحقق لا شك أنه لا يفرق بين متماثلين، ولا يجمع بين متفرقين، وهذا هو الميزان الذي أنزله الله، وأمر عباده أن يزنوا به الأمور، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هي ميزان عادلة تتضمن اعتبار الشيء بمثله وخلافه، فيسوي بين المتماثلين، ويفرق بين المختلفين بما جعله الله في فطر عباده، وعقولهم، من معرفة التماثل والاختلاف».

ومسائل الشرك ومقاصد الخلق في أعمالهم تختلف، فمنها ما هو شرك أكبر، ومنها ما هو شرك أصغر مع أن الفعل واحد، وذلك بحسب ما يقوم في القلب من الاعتقاد، فإغفال ذلك يوجب الزلل، والتسوية بين الحكمين مع اختلافهما دليل نقص العلم.

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان دقيقًا في كتابه حيث فرّق بين المختلفين، وجعل لكلٍّ حكمه الذي يقتضيه، وأقام الأدلة علىٰ ذلك؛ تنبيهًا ونصحًا للخلق، وبيانًا لحكم الله كما ينبغي.

---

(١) الرد علىٰ المنطقيين، ص (٣٨١، ٣٨٢).

فانظر كيف عقد بابًا خاصًّا بما جاء في الرياء[١]، ثم أتبعه مباشرة بباب [من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][٢]، وهذا من دقته في التفريق بين الأحكام المختلفة، فهناك فرق بين أن يكون أصل الباعث علىٰ العمل ابتغاء غير وجه الله، فهذا شرك أكبر، وهذا داخل ضمن باب [من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا]، وبين أن يكون أصل الباعث علىٰ العمل ابتغاء وجه الله ثم طرأ عليه يسير الرياء، فهذا شرك أصغر.

* * *

(١) الباب الخامس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٢) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨، ٦٩).

قوة في الاستدلال

كل من قرأ كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلفت نظره جدًّا قوته في الاستدلال، وهذا يدل علىٰ فرط ذكائه، وقوة ذهنه، وتحققه بالعلم، ومعرفته بالحكم الشرعي ودليله، وإن كان لا يظهر لبعض المنتسبين للعلم منزعه في الاستدلال في بعض المسائل، وما ذاك إلا لنقصه في العلم، أو غفلته عن دلالة الدليل للمدلول، أو لبلادة ذهنه بسبب إلف التقليد وتعطيل ذهنه عن الاستنباط والاستدلال.

مثال: انظر إلىٰ الباب العاشر، باب [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله]، حيث استدل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]. فإن هذا الاستدلال ينبئك عن عظيم قوة الإمام في الاستدلال وتوقد ذهنه، وحضور قلبه في تدبّر آيات القرآن.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وجه المناسبة من الآية أنَّه لما كان مسجد الضرار مما اتُّخذ للمعاصي ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين – نهىٰ الله رسوله ﷺ أن يقوم فيه، مع أن صلاته فيه لله، فدلّ علىٰ أن كل مكان يُعصىٰ الله فيه أنه لا يُقام فيه، فهذا المسجد متَّخذ للصلاة، لكنَّه محل معصية، فلا تقام فيه الصلاة.

(١) القول المفيد، ص (١٥٢).

وكذا لو أراد إنسان أن يذبح في مكان يُذبح فيه لغير الله كان حرامًا؛ لأنه يشبه الصلاة في مسجد الضرار، وقريب من ذلك النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأنَّهما وقتان يسجد فيهما الكفار للشمس، فهذا باعتبار الزمن والوقت، والحديث الذي ذكره المؤلف - الإمام ابن عبد الوهاب - باعتبار المكان».

وانظر إلىٰ باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][1]، فتبويبه بهذه الآية في كتاب التوحيد دال علىٰ عظم توحيد الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشدة تعظيمه لربه، ووقوع آيات القرآن في قلبه موضعها، فإن هذه الآية من أقوىٰ الأدلة علىٰ وجوب توحيد الله في أسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وهذا أيضًا برهان عظيم آخر علىٰ وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالَّة علىٰ كبرياء الربّ وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدَّىٰ لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده، خاضعة له خائفة منه، فمن كان هذا شأنه فهو الربّ الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم

(١) الباب الخامس عشر.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٦١).

والتألُّه إلَّا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحقِّ شيء، فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله، لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالىٰ الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه».

ومن فطنته في الاستدلال كذلك ما جاء في الباب الحادي عشر [باب من الشرك النذر لغير الله]، حيث أورد قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]، ولم يكتف بذلك، بل أتبعه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، فإنه ربما ينازع منازع في دلالة الآية الأولىٰ علىٰ مقصود إثبات أن النذر لغير الله شرك؛ لأن النذر في أصله مكروه أو محرم علىٰ اختلاف بين أهل العلم، والوفاء بالنذر غير ابتدائه، والمحرم والمكروه منهي عنه، فلا يقال: إنه عبادة رغب فيها الشارع، وأن صرف العبادة لغير الله شرك، فأتبعه بما يقطع النزاع، وأردفه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠]؛ ليثبت أن ابتداء النذر عبادة؛ لأن عطفه علىٰ الصدقة يدل علىٰ ذلك، لاشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ما لم يوجد صارف، ولإخبار الله بعلمه بهذه الطاعة كعلمه بالصدقة؛ ليبين أنها مما يثاب عليها المسلمون.

ومن أمثلة قوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استنباطاته ما جاء في [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][1]، حيث استدل لهذا التبويب بقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

«الشاهد من هذه الآية: أن هذه الأصنام لا تنفع أصحابها، لا بجلب نفع ولا بدفع ضر، فليست أسبابًا لذلك، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي أو قدري، فيعتبر اتخاذه سببًا إشراكًا بالله.

وهذا يدل علىٰ حذق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوّة استنباطه، وإلّا، فالآية بلا شك في الشرك الأكبر الذي تعبد فيه الأصنام، ولكن القياس واضح جدًّا؛ لأن هذه الأصنام ليست أسبابًا تنفع، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب، فيعتبر إشراكًا بالله.

وهناك شاهد آخر في قوله: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾، فإن فيه تفويض الكفاية إلىٰ الله دون الأسباب الوهمية، وأما الأسباب الحقيقية فلا ينافي تعاطيها توكل العبد علىٰ الله تعالىٰ وتفويض الأمر إليه؛ لأنها من عنده».

❊ ❊ ❊

---

(١) القول المفيد، ص (١٠٩).

الفصل الثالث

وصف كتاب التوحيد وترتيبه

حسن ترتيب أبواب الكتاب ومباحثه

صياغة كتاب التوحيد صياغة متقنة، تدل علىٰ قدرة الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تعريف الناس بالحق، وقوة ذهنه في ترتيب موضوع الكتاب، فإنه بدأ أولًا ببيان حق الله علىٰ عبيده، وهو توحيده سبحانه، وجعل ذلك كالمقدمة لكتابه، وحشد أنواعًا من الأدلة علىٰ ذلك من القرآن والسنة، وكلها أدلة صريحة واضحة تدعو من يؤمن بالقرآن ويعتقد أنه وحي رب العالمين، إلىٰ التزام مقتضاها ودلالتها، كقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وأبان أن هذه وصية نبينا محمد ﷺ إلىٰ أمته كما ذكر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان قبل ذلك بيّن أن هذه دعوة المرسلين جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦]، وتمّم أدلة الباب بذكر حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، المخرج في الصحيحين أن النبي ﷺ قال له: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله أن لا يُعذِّب من لا يشرك به شيئًا**»[1].

(١) كتاب التوحيد، ص (٣-٥).

وهو مطابق لدلالة قول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾.

وبقية الأبواب تناسقت في بيان معنىٰ وحقيقة التوحيد، والتحذير مما يضاده، وهذا التناسق تجده واضحًا، ووضوحه مميّز في الكتاب كله، فأبوابه الست والستون كلها في تناسق ممتاز في بيان حقيقة التوحيد والتحذير من الشرك.

فالتوحيد قام النبي ﷺ ببيانه في سنوات دعوته كلها ثلاثة عشر عامًا في مكة، وعشر في المدينة، ابتدأها وهو يخاطب الناس بقوله: «**يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**». وما زال علىٰ ذلك يدعو لتوحيد الله وحده لا شريك له، وقبل أن يفارق أصحابه ويودّع الدنيا أمر أمته بالتوحيد وحذّرهم الشرك، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما نُزل به، طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذّر ما صنعوا.

فلذلك تجد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حق الله علىٰ خلقه في توحيده، عطف بذكر فضائل التوحيد، ثم بالتحذير من الشرك، ثم نصح بالدعوة إلىٰ التوحيد، ثم بيّن معنىٰ كلمة التوحيد، ثم جعل بقية الأبواب الإحدىٰ والستين كلها بيانًا لمعنىٰ التوحيد، وتحذيرًا مما يضاده، والأبواب كلها في تناسق ممتاز، فتجد المواضيع ذات العلاقة الواحدة متتابعة في سلك منتظم تدل علىٰ تضلع الإمام في علمه وجودة ذهنه في ترتيب أبواب الكتاب، فتجد باب النشرة بعد باب السحر، وباب بيان أنواع من السحر، وتجد التحذير من وسائل الشرك بالقبور، وكذلك الشرك بالقبور متتابعة، وتجد التحذير من

الاستسقاء بالأنواء بعد باب ما جاء في التنجيم[1].

ومن حسن ترتيبه لأبواب التوحيد أنه ذكر [باب ما جاء في الذبح لغير الله][2]، وذكر وجوب إفراد الله بالذبح، وساق الأدلة علىٰ ذلك، منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[3]. وحديث طارق بن شهاب فيمن قرّب ذبابًا فدخل النار[4]، ثم أتبع هذا الباب بباب: [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][5]، وساق حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن نذر أن ينحر إبلًا ببوانة، فقال له النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[6].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[7]: «ما أحسن إتباع هذا الباب

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٨). (2) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب: تحريم الذبح لغير الله (ص٨٨٣، رقم ٥١٢٥).

(٤) رواه أحمد، كتاب الزهد، ص (١٥).

(٥) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب: ما يؤمر به من وفاء النذر (ص٤٨٠- رقم ٣٣١٣)، قال ابن الملقن: «إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم»، البدر المنير (٩/ ٥١٨).

(٧) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٤٨).

الباب بالذي قبله، فالذي قبله من المقاصد، وهذا من الوسائل، وذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإنَّ المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربًا إليها، وشركًا بالله - قد صار مشعرًا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله، فقد تشبَّه بالمشركين، وشاركهم مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلىٰ الموافقة الباطنة والميل إليهم».

ومن حسن ترتيب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبواب التوحيد - أنه ذكر باب التوكل[١] بعد باب الخوف[٢] وباب المحبة[٣].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعقب باب المحبة بباب الخوف؛ لأن العبادة ترتكز علىٰ شيئين: المحبة، والخوف.

فبالمحبة يكون امتثال الأمر، وبالخوف يكون اجتناب النهي، وإن كان تارك المعصية يطلب الوصول إلىٰ الله، ولكن هذا من لازم المعصية، وليس هو الأساس».

ومن حسن ترتيب أبواب الكتاب أنه جعل خاتمة أبواب كتابه التوحيد باب [ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧]][٥]، بيانًا أن الشرك لا يقع إلا ممن لا يقدر الله حق قدره.

---

(١) الباب الثاني والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٣).

(٢) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٣) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

(٤) القول المفيد، ص (٤١٢).

(٥) الباب السادس والستون.

ومن حسن ترتيب الكتاب بداءة الإمام بذكر فضائل التوحيد، فبعد أن ذكر بيان حق الله علىٰ عباده في التوحيد، بدأ أولًا بذكر فضائل التوحيد، حيث قال: [باب بيان فضل التوحيد، وما يكفّر من الذنوب][1]، فإن من عرف فضل الشيء تشبث به.

فالتوحيد هو الموجب للفوز بالجنة، ولذلك ساق الإمام قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا لا بشرك ولا بمعاصٍ - حصل لهم الأمن التام والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنَّهم يعملون السيئات حصل أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل كمالها».

والتوحيد هو الموجب للنجاة من النار، لذلك ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب [باب بيان فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب]، حديث عتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فإن الله حرّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[3]. وهذا مطابق لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]. وكلمة التوحيد هي الشجرة الطيبة التي تثمر كل عمل صالح، وهي التي لا يقبل الله عملًا صالحًا بدونها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٢٨٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٦).

مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

من أجل هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «**وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون، وهي حقيقة الأمر كله**، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]».

وتأمل سورة الصافات، ما أعظمها من سورة، كلما ذكر الله وعيد المشركين، قال الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٤٠]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤هـ)[2]: «أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ من التضعيف».

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٥٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ص (١١٥٥).

التبويب بآية قرآنية

نجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحيانًا يبوّب بآية قرآنية، وهذا فعله في أبواب كثيرة، وهذا من جودة تصنيفه؛ فإن الأحكام إنما تؤخذ من القرآن، وفي التبويب بآياته تلقٍّ للحكم مباشرة من مصدره، وفيه تربية للناس علىٰ تأسيس الأحكام بالأدلة الشرعية، وفيه طمأنينة للمعتقد إذا عرف أن عقيدته صحيحة في مصادر التلقي.

والأبواب التي بوّب فيها بآيات قرآنية، هي:

١- باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢][1].

٢- باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][2].

٣- باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][3].

٤- باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

(١) الباب الرابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

(٣) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥](١).

٥- باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥](٢).

٦- باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣](٣).

٧- باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩](٤).

٨- باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠](٥).

٩- باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣](٦).

١٠- باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢](٧).

١١- باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ

---

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

(٢) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد ص (٦١).

(٣) الباب الثاني والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٣).

(٤) الباب الثالث والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٤).

(٥) الباب الثامن والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧١).

(٦) الباب الأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٤).

(٧) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٦).

﴿هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠][١].

١٢- باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠][٢].

١٣- باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠][٣].

١٤- باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤][٤].

١٥- باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧][٥].

والتبويب بآيات قرآنية هو من جملة التشابه بين كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب والجامع الصحيح لأمير المؤمنين في الحديث البخاري.

* * *

---

(١) الباب الثامن والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٥).

(٢) الباب التاسع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٩).

(٣) الباب الخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٤) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦).

(٥) الباب السادس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١١).



التبويب بين الإجمال والبيان

أبواب كتاب التوحيد أحكامها مبيّنة في غالبها، وبعضها مجمل، وذلك لاختلاف الحكم تبعًا لاختلاف اعتقاد من قام بالفعل أو تلفظ بالقول، وبعض تبويباته آيات قرآنية، وحكم الباب حكم الآية حينئذ، والحكم قد يكون مأخوذًا ببيان الآية نفسها، وقد ينضم إليها نصوص أخرىٰ ذات صلة بالموضوع من القرآن والسنة تبيّن الحكم.

والأبواب التي نطق فيها الإمام بالحكم هي:

الباب الأول: بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

الباب الثاني: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

الباب الثالث: باب الخوف من الشرك.

الباب الرابع: باب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

الباب الخامس: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

الباب الثامن عشر: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

الباب التاسع عشر: باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

الباب العشرون: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

الباب الحادي والعشرون: باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك.

الباب الثاني والعشرون: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

الباب الرابع والثلاثون: باب من الإيمان بالله الصبر علىٰ أقدار الله.

الباب السادس والثلاثون: باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

الباب السابع والثلاثون: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله - فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

الباب الرابع والأربعون: باب من سبَّ الدهر فقد آذىٰ الله.

الباب السادس والأربعون: باب احترام أسماء الله تعالىٰ، وتغيير الاسم لأجل ذلك.

الباب الحادي والخمسون: باب لا يقال: السلام علىٰ الله.

الباب الثالث والخمسون: باب لا يقول: عبدي وأمتي.

الباب الرابع والخمسون: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

الباب السابع والخمسون: باب النهي عن سب الريح.

الباب الرابع والستون: باب لا يستشفع بالله علىٰ خلقه.

الباب الخامس والستون: باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد، وسده

طرق الشرك.

والملاحظ أن بعض الأبواب مجملة وحكمها واحد، فلا يقال: إن الإجمال فيها بسبب اختلاف الحكم، وإنما يقال بيان حكمها في أدلة الباب، مثلًا: [باب ما جاء في السحر][1]، فإن السحر شرك وكفر بالله، وأدلة الباب كلها التي ساقها الإمام تدل علىٰ ذلك، لا تدل علىٰ اختلاف الحكم.

فقد صدَّر الإمام هذا الباب بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ثم أتبعه بقوله تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وذكر معه تفسير عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للجبت بالسحر، والطاغوت بالشيطان.

ثم ساق الإمام حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

وأتبعه بعد ذلك بحديث جندب مرفوعًا: «**حدُّ الساحر: ضربة بالسيف**»، ثم ذكر الآثار عن الصحابة التي تؤيد ذلك[2].

وهناك أبواب فيها تفصيل من وجه وإجمال من وجه آخر، كـ [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][3]، فالتفصيل في

---

(١) الباب الثالث والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٥). (٢) كتاب التوحيد، ص (٤٥-٤٧).

(٣) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

هذا الباب هو الحكم بأن لبس الحلقة والخيط شرك، والإجمال أنه لم يذكر أي نوع من الشرك هو، هل هو أصغر أو أكبر؟

والسبب في إجماله ذلك هو اختلاف الحكم بحسب اعتقاد لابس الحلقة والخيط، فإن اعتقد أنها تنفع وتضر بنفسها فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب لدفع البلاء أو رفعه، فهو شرك أصغر.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله، فقد أشرك؛ لأنه إنه اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تألَّه لذلك وعلَّق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أنَّ الله هو الدَّافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء - فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم وكذب علىٰ الشرع وعلىٰ القدر.

أما الشرع فإنه ينهىٰ عن ذلك أشدَّ النهي، وما نهىٰ عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وكذلك هو من جملة وسائل الشرك، فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة له».

---

(١) القول السديد، ص (٣٦).

ونجده في التبويب أحيانًا يُطلق الترجمة بما يدل علىٰ أن حكم المسألة يختلف بحسب استعمالات اللفظ، أو وقوع الفعل مع ما يتعلق به من اعتقاد القائل أو الفاعل، إلا أنه أحيانًا لا يسوق إلا الأدلة المقتضية لحكم واحد، مثال ذلك: [باب ما جاء في اللو][1]، فهنا التبويب مطلق وغير منصوص علىٰ حكم معين، إلا إن أدلة الباب كلها دالة علىٰ التحريم فقط، فقد ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ثم ختم الباب بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ المخرّج في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[2].

ولا يدل اقتصار الإمام علىٰ هذه الأدلة؛ أن ما سواها للجواز.

وقد تكلم شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حكم استعمال «لو»، وقسّمه إلىٰ خمسة أقسام:

١- في الاعتراض علىٰ الشرع فهذا حرام، كاعتراض المنافقين في غزوة أحد علىٰ شرع الله في جهاد مشركي قريش، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، يريد المنافقون الاعتراض علىٰ شرع الله في الخروج للجهاد.

---

(١) الباب السادس والخمسون، ص (٩٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩٤، ٩٥).

٢- في الاعتراض على القدر، وهذا محرم أيضًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي أنهم لو بقوا ما قتلوا، فهم يعترضون على قدر الله.

٣- أن تستعمل للندم والتحسر، وهذا محرم أيضًا؛ لأن الندم يكسب النفس حزنًا وانقباضًا، وهذا ما يريده الشيطان ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وما يريده الله منّا أن نكون في انشراح صدر وانبساط، قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا. فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

٤- أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية، كقول المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]، وهذا باطل.

٥- أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمنى: إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، وفي الصحيح عن النبي ﷺ في قصة النفر الأربعة، قال أحدهم: «**لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان**»، فهذا تمنى خيرًا، وقال الثاني: «**لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان**»، فهذا تمنى شرًّا، فقال النبي ﷺ في الأول: «**فهو بنيته، فأجرهما سواء**»، وقال في الثاني: «**فهو بنيته، فوزرهما سواء**».

٦- أن تستعمل في الخبر المحض، وهذا جائز، ومنه قوله ﷺ: «**لو استقبلت**

من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم»(١).

ومن أمثلة ما أطلق فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحكم في تبويبه [باب الشفاعة](٢)؛ وذلك لأن الشفاعة نوعان: شركية، وشرعية، وأدلة هذا الباب تضمنت النوعين، فساق في أدلة النوع الأول قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢](٣).

وفي الشفاعة الشرعية ذكر قوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، وحديث الشفاعة العظمىٰ، وأن النبي ﷺ يسجد لربه ويحمده، فيقال له: «**اشفع تُشفَّع**»، وكذلك ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله. خالصًا من قلبه**»(٤).

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٢ هـ)(٥):
«الشفاعة نوعان: شفاعة منفية، وهي التي تُطلب من غير الله، فيما لا يقدر

(١) القول المفيد، ص (٦٠٠، ٦٠١).
(٢) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٣١).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٣٢، ٣٣).
(٥) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٣٣).

عليه إلا الله، ومثبتة، وهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، ومقيدة بأمرين: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، والناس في الشفاعة ثلاث طوائف، طرفان ووسط، فطائفة أنكروها كاليهود والنصارىٰ، والخوارج المكفرين بالذنوب، وطائفة أثبتوها وغلوا في إثباتها، حتىٰ جوزوا طلبها من الأولياء والصالحين، وأهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة الشرعية، كما ذكر الله في كتابه، ولا تطلب إلا من الله، كأن تسأله تعالىٰ أن يشفّع فيك محمدًا ﷺ، فإن الشفاعة محض فضل وإحسان».

وتكلّم العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقصود الإمام بترجمته، فقال[١]: «إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب؛ لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون ومملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهًا عظيمًا ومقامات عالية، ندعوهم ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرَّب إلىٰ الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله الملك العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها، بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

فأبطل الله هذا الزعم وبيَّن أن الشفاعة كلها له، كما أن المُلْك كله له، وأنه

(١) القول السديد في شرح كتاب التوحيد، ص (٦٢، ٦٣).

لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضىٰ إلَّا توحيده وإخلاص العمل له.

فبيّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّن أنَّ الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنَّما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنَّها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفوًا عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد ﷺ فيها، وأناله المقام المحمود، فهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول في الشفاعة».

ومن التبويب المطلق غير المقيد حكمه باب [لا يُرد من سأل الله][1]؛ وذلك لأن الحكم يختلف، فتارة يجب إجابة من سأل، وتارة يستحب، وساق الإمام حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»، رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح[2].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٣٣هـ)**[3]: «ظاهر كلام شيخ الإسلام التفريق بين أن يقصد إلزامه بالقَسَم فتجب إجابته، أو يقصد إكرامه فلا تجب عليه، ولهذا أوجب علىٰ المقسم في الأولىٰ الكفَّارة، إذا لم

---

(١) الباب الرابع والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩٣، ٩٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣١١).

يفعل المحلوف عليه، دون الثانية؛ لأنه كالأمر، ولا يجب إذا كان للإكرام؛ لأمر النبي ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوقوفه في الصف، ولم يقف، ولأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقسم علىٰ النبي ﷺ ليخبرنَّه بالصواب والخطأ لما فسَّر الرُّؤيا، فقال النبي ﷺ: «**لا تُقسم**»، كما في الصحيحين، قال: «لأنه علم أنه لم يقصد الإقسام عليه مع المصلحة المقتضية للكتم».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين متممًا القسمة في حكم المسألة[١] : «لا يخلو السائل من أحد أمرين:

الأول: أن يسأل سؤالًا مجردًا، كأن يقول مثلًا: يا فلان**!** أعطني كذا وكذا. فإن كان مما أباحه الشارع له فإنك تعطيه، كالفقير يسأل شيئًا من الزكاة.

الثاني: أن يسأل بالله، فهذا تجيبه وإن لم يكن مستحقًّا، لأنه سأل بعظيم، فإجابته من تعظيم هذا العظيم، لكن لو سأل إثمًا أو كان في إجابته ضرر علىٰ المسئول، فإنه لا يجاب.

مثال الأول: أن يسألك بالله نقودًا ليشتري بها محرمًا كالخمر.

ومثال الثاني: أن يسألك بالله أن تخبره عما في سِرّك، وما تفعله مع أهلك، فهذا لا يجاب؛ لأن في الأول إعانة علىٰ الإثم، وإجابته في الثاني ضرر علىٰ المسئول».

* * *

---

(١) القول المفيد، ص (٥٩١).



التفصيل بعد الإجمال

سلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطريقة القرآنية في التفصيل بعد الإجمال، ففاتحة الكتاب هي أم القرآن، ومعاني القرآن كله يرجع إلىٰ تفصيل وبيان سورة الفاتحة.

قال العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٠٨هـ)**[١]: «سورة أم القرآن قد ذكر الناس كيفية تضمنها مجملًا لما تفصّل في الكتاب العزيز بجملته، وهو أوضح وجه في تقدُّمها سوره المكرّمة».

وفائدة الإجمال ثم التفصيل معلومة، فالابتداء بالإجمال توطئة لإدراك المعاني المفصلة؛ لأن ورود الشرح مفصلًا دفعة واحدة تعجز عنه أذهان كثير من الناس، وتتبدد أذهانهم عن ضبط المسائل وفهمها، والقرآن نزل مفرّقًا حسب الحوادث، والصحابة كانوا يتعلمون القرآن عشر آيات، فإذا أتقنوها علمًا وفهمًا وعملًا انتقلوا إلىٰ أمثالهن، وهكذا.

فكلمة التوحيد كلمة عظيمة هي حقيقة الدين كله، ومع تغير فطر الناس، وفساد عقائد كثير منهم إلا ما شاء الله، ووقوعهم فيما يضاد أصل التوحيد أو كماله، ومع فشو الجهل، لا بد أولًا من بيان حق الله علىٰ عباده في

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، ص (٨٣).

توحيده، ثم بيان فضل التوحيد، ثم الدعوة إليه، ثم الشروع بعد ذلك بتفصيل حقيقة كلمة التوحيد التي من حفظها وحققها أوجبت له الجنة، ومن ضيّعها ونقضها أوجبت حبوط عمله وخلوده في النار، وهذا الذي سلكه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٩٥هـ)**[١]: «وقوله ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»، لما أمر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بحفظ الله والتعرف إليه في الرخاء، وذلك هو العبادة حقيقة، ثم أرشد إلىٰ سؤال الله وحده ودعائه، و«**الدعاء هو العبادة**» كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

خرّجه أهل السنن الأربعة، أرشد بعد ذلك إلىٰ الاستعانة بالله وحده، وهذا منتزع من قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي كلمة عظيمة جامعة يقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها».

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ ببيان حق الله علىٰ عبيده في توحيده، ثم ببيان فضل التوحيد، ثم حذّر من الشرك، ثم دعا إلىٰ التوحيد، وفي الباب الخامس الذي عقده لتفسير التوحيد[٢]، قال في خاتمة هذا الباب[٣]: «وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب».

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا وشارحًا عبارة**

---

(١) نور الاقتباس، ص (٧٢).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١٤).
(٣) كتاب التوحيد، ص (١٥).

الإمام[١]: «فقد ذكر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ما يبيّن التوحيد وما ينافيه، وما يقرّب من الشرك وما يُوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له، وجهادهم علىٰ ذلك، وقد جمع هذا الكتاب علىٰ اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد علىٰ أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنىٰ به عن غيره في الرد علىٰ كل مبتدع».

* * *

(١) قرة عيون الموحدين، ص (٦٣).



مطابقة الأدلة للأبواب

مطابقة الأدلة للأبواب واضح جدًّا، ووضوحه دليل حسن التصنيف، ودليل قوة البيان، وهذا التطابق صريح جدًّا في كل أبواب التوحيد، وأحيانًا نادرة يدق ظهور ذلك علىٰ طالب علم، وهو دال علىٰ معرفة الإمام بأدلة الشرع علىٰ صفة الاستقراء، ومعرفته بأنواع الدلالات والاستنباطات، فاستلزام الدليل للمدلول بالتطابق والتضمن واضح، وبالالتزام لا يحسنه كل أحد.

فانظر في [باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما](١)، كيف ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]. فالدلالة واضحة بحمد الله.

قال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ)(٢): «فإن قلت: فأين دليل الترجمة من الآيات؟ قيل: هو بيِّنٌ بحمد الله؛ لأنه إن كان التبرُّك بالشجر والقبور والأحجار من الأكبر فواضح، وإن كان من الأصغر؛ فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر علىٰ الأصغر».

(١) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٠٢).

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «مناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزىٰ إنما كان بالتفات القلوب رغبةً إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر، فصارت أوثانًا تعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الكفر وفساد عقولهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، فصارت عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرىٰ ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة».

وقال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «مناسبة الآية للترجمة أنهم - مشركي قريش - يعتقدون أن هذه الأصنام تنفعهم وتضرهم؛ ولهذا يأتون إليها، يدعونها، ويذبحون لها، ويتقرَّبون إليها، وقد يبتلي الله المرء فيحصل له ما يريد من اندفاع ضر أو جلب نفع بهذا الشرك؛ ابتلاءً من الله وامتحانًا، وهذا قد تقدّم لنا له نظائر أن الله يبتلي المرء بتيسير أسباب المعصية له حتىٰ يعلم سبحانه من يخافه بالغيب».

ويجب علىٰ طالب العلم ملاحظة وجوب تأمل مجموع الأدلة في مناسبتها للترجمة، فالأدلة التي ساقها الإمام في الباب كلها مناسبة للباب، وكلها يفسر بعضها بعضًا.

وفي هذا الباب [باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما]، بعد أن ساق

---

(١) قرة عيون الموحدين، ص (٧٤).

(٢) القول المفيد، ص (١٢٩).

الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]. أتبعه بحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه»[١].

ودلالة هذا الحديث مع الآية لترجمة الباب واضحة؛ فإن النبي ﷺ جعل التبرك بالشجر شركًا، وسمىٰ شجرة المتبركين بها إلهًا، وهكذا كل من تبرك بشجر أو حجر أو قبر فقد اتخذه إلهًا.

وعود علىٰ كلام العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هل التبرك بالشجر والحجر شرك أكبر أو أصغر؟ فقد قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله[٢]: «وتحقيق المقام: أن التبرك بالشجر، أو بالحجر، أو بالقبر، أو ببقاع مختلفة - قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر.

فيكون شركًا أكبر إذا طلب بركتها، معتقدًا أنه بتمسحه بهذا الشجر، أو الحجر، أو القبر، أو تمرّغه عليه، أو التصاقه به، يتوسط له عند الله، فإذا اعتقد

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (١٢٨، ١٢٩).

فيه أنه وسيلة إلىٰ الله، فهذا اتخاذ إله مع الله جَلَّوَعَلَا وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يعتقده أهل الجاهلية في الأشجار والأحجار التي يعبدونها، وفي القبور التي يتبركون بها، يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها، وتمسحوا بها، أو نثروا ترابها علىٰ رءوسهم؛ فإن هذه البقعة، أو صاحب هذه البقعة، أو الروحانية - وهي: الروح التي تخدم هذه البقعة - أنه يتوسط له عند الله جَلَّوَعَلَا، فهذا الفعل - إذًا - راجع إلىٰ اتخاذ أندادٍ مع الله جَلَّوَعَلَا، وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ويكون التبرك شركًا أصغر: إذا كان يتخذ هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم به، أو التبرك بعين ونحوها، أسبابًا لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلىٰ الله، يعني أنه جعلها أسبابًا فقط، كما يفعل لابس التميمة، أو الحلقة، أو الخيط، فكذلك هذا المتبرّك، يجعل تلك الأشياء أسبابًا، فإذا أخذ - من هذه حاله - تراب القبر، ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك، وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك به - أي من جهة السببية -؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه لا يكون عبادة لغير الله جَلَّوَعَلَا، وإنما اعتقد ما ليس سببًا مأذونًا به شرعًا سببًا، وأما إذا تمسح بها - كما هي الحال الأولىٰ - وتمرَّغ والتصق بها؛ لتوصله إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولهذا قال الشيخ سليمان - كما تقدم -: إن كان التبرك شركًا أكبر فظاهر - في الاستدلال بالآية - وإن كان شركًا أصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر علىٰ ما يريدون من الاستدلال، في مسائل الشرك الأصغر».

وتبرك الصحابة بالنبي ﷺ خاص به حال حياته فقط، فإنهم لم يتبركوا به

بعد موته، ولا تبرك أحد من الصحابة بعد موته بخيار الصالحين كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإجماعهم حجة قاطعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**[١]: «دُفن ﷺ في الحجرة، ومنع الناس أصحابه، وغير أصحابه، من الدخول إلىٰ عند قبره، وإنما كان يدخل من يدخل إلىٰ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكانت ناحية في الحجرة عن القبر، وربما طلب منها أحيانًا بعض التابعين أن تريه القبر، فتريه إياه؛ ليعرف السُّنة في القبور، وأنها تكون لاطية، لا مشرفة.

فلمّا ماتت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا منع الناس منعًا عامًّا، وكان الدخول ممكنًا مع وجود الباب، فلما سدّت الحجرة، وبني الحائط البرَّاني؛ صار الدخول إلىٰ قبره، والزيارة له كما يزار قبر غيره - غير مقدور، ولا مأمور.

ولو كان إتيان قبره لصلاة أو دعاء، أو سلام، أو طلب حوائج مما سنّه لهم؛ لكان يكون باب الحجرة مفتوحًا لجميع المسلمين، وكانوا يقصدونه لذلك، كما أن مسجده لمّا كان إتيانه للصّلاة، والدُّعاء، والسّلام عليه في الصلاة وغير الصّلاة - مشروعًا؛ كان مفتوحًا للمسلمين يقصدونه في كل وقت، ويسافرون إليه من الأمصار، ولهذا لمّا كانت الصلاة عليه بعد الموت وقبل الدفن - صلاة الجنازة - مشروعة، فتحوا باب الحجرة لجميع الصحابة، فكان كل منهم يدخل فيصلي عليه، ثم يخرج، وصلّوا أفذاذًا، لم يؤمّهم في الصلاة عليه أحد، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في ناحية الحجرة.

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٧٩-٨٠).

فلو كان إتيان قبره بعد دفنه كإتيانه قبل الدفن؛ لكانت الحجرة مشرعة للمسلمين، كلّهم يأتي قبره ليفعل ما سنّه للمسلمين، **فلمّا اتفق الصحابة علىٰ أنهم يدفنونه في الحجرة، ولا يُمكّن الناس من الدخول عليه، فلم يمكّن أصحابه، ولا غير أصحابه، من الدخول إلىٰ الحجرة إلا صاحبة الحجرة، ومن دخل إليها؛ علم أن إتيان قبره لم يكن مما سنّه لهم وأمرهم به، بخلاف السّلام عليه في الصلاة، وخارج الصّلاة في مسجده، وغير مسجده، فإنه مما سنّه لهم، وأمرهم به، كما أمروا بالصلاة عليه، والسلام عليه من جنس الصلاة عليه، وقد أُمروا في القرآن بهذا وهذا، كما قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]».

ومن أوضح الأدلة وأصرحها علىٰ أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد وفاة النبي ﷺ لم يكونوا يتبركون به، ولا يستغيثون به - هو توسلهم بدعاء عمه العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلو كان التبرك والتوسل بذات النبي ﷺ بعد وفاته جائزًا، لما عدلوا عنه إلىٰ دعاء العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو دون النبي ﷺ في الفضل بلا ريب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولهذا عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بعمه العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولىٰ من التوسل بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلما عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عُلم أن ما يُفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢٨).

الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائمًا».

فالشأن إذًا في فهم مناسبة الأدلة لترجمة الأبواب، وفهم مراد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تبويبه، فانظر أيضًا في [باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][1]، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]. وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

وبعد ذلك ساق حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المخرّج في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.** قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن؟**»[2].

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[3]: «قصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الترجمة الرد علىٰ من زعم أنه لا يقع في هذه الأمة شرك، وهم عباد القبور، يقولون: هذا الذي نعمله ليس بشرك؛ لأن هذه الأمة لا يقع فيها شرك، وإنما هو من باب التوسل بالصالحين أو محبة الصالحين، أو ما أشبه ذلك من الأعذار الباردة.

---

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٢، ٤٣).

(٣) إعانة المستفيد (١/ ٣٢٤).

وهذه مقالة المشركين الأولين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، لكن هؤلاء - والعياذ بالله - يقرءون القرآن ولا يفقهون معناه، أو يعرفون معناه، ويغالطون ويكابرون تبعًا لهواهم».

وتمّم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة الباب بحديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**»[١].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**أراد المصنف بهذه الترجمة الرَّدَّ علىٰ عُبَّاد القبور، الذين يفعلون الشرك، ويقولون: أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية**، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فبيَّن في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدلُّ علىٰ وقوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلىٰ عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال علىٰ الحق، لا يضرُّهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

ولنتأمل مثالًا ثالثًا في مطابقة الأدلة لتراجم أبواب كتاب التوحيد، ففي [باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][٣] ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «مطابقة الآية

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٥).
(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٣٩).
(٣) كتاب التوحيد، الباب الثاني والعشرون، ص (٢٢).
(٤) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٠٣).

للترجمة أن هذا المسجد لما أسس علىٰ معصية الله والكفر به؛ صار محل غضب، فنهىٰ الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه، لوجود العلة المانعة، وهو ﷺ لا يصلي إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، وهذا قياس صحيح يؤيده الحديث الآتي».

والحديث الآتي بعده هو حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟** قالوا: لا. قال: **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟** قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: **أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**. رواه أبو داود وإسناده علىٰ شرطهما»[(١)].

* * *

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

التنصيص على فوائد كل باب

سلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجًا واحدًا في جميع أبواب كتاب التوحيد، فيبدأ بالتبويب، ويكون هذا التبويب هو عنوان المسألة وحكمها، ثم يذكر تحت كل باب أدلته من القرآن والسنة، ويذكر مع الأدلة أحيانًا آثار الصحابة والتابعين، وفي بعض الأبواب يذكر توضيحات الأئمة المحققين، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وفي خاتمة كل باب يذكر مسائله، وهي فوائد وتنبيهات واستنباطات لأدلة الباب.

والملاحظ أن مسائل الأبواب تتفاوت كثرة وقلة، بحسب مادة الباب، وتفاوت نصوصه فيتبع ذلك تفاوت التنبيهات والاستنباطات.

وأكثر المسائل جاءت في باب [الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله](1)، حيث بلغ مجموعها ثلاثين مسألة(2).

وأقل المسائل كانت في باب [لا يسأل بوجه الله إلا الجنة](3)، حيث نبّه فيها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مسألتين(4).

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١). (٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٢٧، ٢٨).

(٣) الباب الخامس والخمسون، ص (٩٤). (٤) القول السديد، ص (١٤٨).

ومسائل الأبواب دلالاتها نوعان: صريحة، ودقيقة تحتاج إلىٰ تأمل.

فمن أمثلة الصريحة ما جاء في [باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة][(١)]، ساق حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**». رواه أبو داود، ثم قال في مسائله[(٢)]: «الأولىٰ: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلَّا غاية المطالب».

ومن الفوائد الدقيقة التي نبّه عليها الإمام في [باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله][(٣)]، أنه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، وأتبعه بحديث خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتىٰ يرحل من منزله ذلك**». رواه مسلم، ثم قال في مسائله[(٤)]: «الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر، أو جلب نفع - لا يدل علىٰ أنه ليس بشرك»، والدليل نبّه عليه الحفيد سليمان بن عبد الله[(٥)]، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، الآية، فالجن تقضي حوائج الإنس بالشرك، والعياذ بالله.

---

(١) الباب الخامس والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٤).

(٢) القول السديد، ص (١٤٨).

(٣) الباب الثاني عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٤) القول السديد، ص (٥٠).

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٦٤).

ومما دقَّ من استنباطات الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][١]، ساق الأحاديث في النهي عن الغلو، ثم قال في مسائله[٢]: «فيه شاهد لما نُقل عن بعض السلف أنَّ البدع سبب الكفر».

ومن لطائف مسائله، أنه في [باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه][٣]، ساق حديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أمره بتقوىٰ الله، وقال له: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم علىٰ حكم الله، فلا تنزلهم علىٰ حكم الله، ولكن أنزلهم علىٰ حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا**». فإنه قال في مسائله[٤]: «السادسة: الفرق بين حكم الله، وحكم العلماء».

والمسائل تتفاوت في أهميتها، من أجل ذلك نبّه الإمام بعبارات في المسائل المهمة زيادة في التنبيه عليها؛ حتىٰ يُدرك منها القاريء ما أراده الإمام، فتجده يقول: المسألة العظيمة. أو: المسألة الكبيرة. أو: أهمها. وهكذا.

وهنا لا بد من الإشارة إلىٰ بعض ذلك:

فمثلًا في باب [الخوف من الشرك][٥]، قال الإمام في مسائله[٦] : «**المسألة العظيمة** سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام».

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).
(٢) القول السديد، ص (٦٧).
(٣) الباب الثاني والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٥).
(٤) القول السديد، ص (١٦١).
(٥) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).
(٦) القول السديد، ص (٢٤).

وفي باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، قال الإمام في أول مسائله[2]: «**فيه أكبر المسائل وأهمها**، وهي: تفسير التوحيد وتفسير الشهادة».

وفي باب [من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][3]، ساق جملة من الآيات في إقرار المشركين أنه لا يجيب المضطر إلا الله، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢][4]، وقال في مسائله[5]: «السابعة عشرة: **الأمر العجيب**، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلَّا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين».

وفي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]][6]، قال الإمام في مسائله[7]: «**هي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب**». وفي باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][8]، ذكر الآيات في عبادة أهل الكتاب الطاغوت، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، ثم قال في مسائله[9]: «الرابعة وهي - **أهمُّها** - ما معنىٰ الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟».

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) القول السديد، ص (٣٠).

(٣) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

(٥) القول السديد، ص (٥٢).

(٦) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٧) القول السديد، ص (٥٩).

(٨) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٩) القول السديد، ص (٧٩).

ونظرًا لتعلق بيان الأبواب بعضها ببعض في بناء العقيدة فإن الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبّه القاريء في مسائل الباب إلىٰ ضرورة ضم الأبواب ذات العلاقة بالموضوع؛ ليتحقق القاريء من بيان الإمام.

مثال: في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][1]، قال الإمام في مسائله[2] : «الأولىٰ: **أنَّ من فهم هذا الباب وبابين بعده** تبيَّن غُربة الإسلام، ورأىٰ من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب».

والبابان هما: [باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][3]، و[باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله][4].

وتنبيه الإمام واضح بحمد الله، فيما يتعلق بتقليب القلوب في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين]، فإنه ذكر ما جرىٰ لقوم نوح من تبدل أحوالهم وعقيدتهم من التوحيد إلىٰ الشرك، وأن سبب شركهم غلوهم في الصالحين، حيث صوروا لهم تماثيل؛ ليتذكروا نشاطهم في الطاعة، ثم جاء مَن بعدهم فوسوس لهم الشيطان أن من كان قبلكم يعبدونها فعبدوها، وفي الباب الذي بعده ذكر ما جرىٰ لليهود والنصارىٰ من تبديل الشرائع واتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وفي الباب التالي له ذكر ما جرىٰ

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) القول السديد، ص (٦٧).

(٣) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٤) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).

لكفار مكة من تبديل ملة إبراهيم إلىٰ عبادة الأصنام بسبب غلوهم في قبر الرجل الصالح الذي كان يلتُّ السويق للحجاج فاتخذوا قبره وثنًا.

وأما غربة الإسلام فهو وقوع الشرك والغلو في القبور في هذه الأمة، فقد اتخذ كثير من الناس قبور الأولياء والصالحين مساجد ومزارات، يحجون إليها، ويطوفون بها، ويستغيثون بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

علىٰ كل حال المسائل مليئة بالفوائد، والبعض حين تدريس كتاب التوحيد، أو شرح الكتاب - يتجاوز المسائل، وأعجب من ذلك أن غالب شروحات كتاب التوحيد المطبوعة فعلت، ففات طلبة العلم خير كثير.

من ذلك تعليل الإمام للأحكام، فإنه في باب [ما جاء في اللو](١)، قال في مسائله: «الثالثة: تعليل المسألة بأنَّ ذلك يفتح عمل الشيطان»(٢).

ومن أهم ما وقع في المسائل من فوائده تنبيه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أي جهة يدخل الشرك، ففي [باب: قول الله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤]](٣)، قال في مسائله(٤): «أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات، وعرف نفسه».

ومن فوائد المسائل تنبيهه إلىٰ أحكام مهمة، فإنه في باب [من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول](٥)، ذكر أن المنافقين في غزوة تبوك بعد

---

(١) الباب السادس والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٤). (٢) القول السديد، ص (١٤٩).

(٣) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦). (٤) القول السديد، ص (١٥٣).

(٥) الباب السابع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٣).

نزول قول الله تعالىٰ فيهم بسبب استهزائهم بقراء الصحابة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. فإنه قال في مسائله[١] : «أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل».

* * *

---

(١) القول السديد، ص (١٣٤).

طريقة الإمام في حكاية الخلاف

بداية لا بد أن نعرف أن خلاف السلف في العقيدة نادر جدًّا جدًّا، لا تكاد تُذكر فيه إلا المسألة والمسألتان، أما عموم مسائله فالإجماع فيها واضح ظاهر، توارثه التابعون عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وأوضح دليل علىٰ إجماع السلف في العقيدة أن مقالات المبتدعة تؤرخ بظهورها؛ لعدم القائل بها من السلف، ولخروجها عن اعتقاد السلف.

قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٨٤٥هـ) مؤرخًا عقائد المبتدعة وابتداء ظهورها في الأمة الإسلامية**[١]: «وكان أول من قال بالقدر في الإسلام معبد الجهني». ثم قال: «وأخذ السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ في ذم القدرية، وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث»[٢].

وقال مؤرخًا لبدعة الحرورية[٣]: «وحدث أيضًا في زمن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مذهب الخوارج، وصرّحوا بالتكفير بالذنب، والخروج علىٰ الإمام وقتاله، فناظرهم عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فلم يرجعوا إلىٰ الحق، وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقتل منهم جماعة كما هو معروف في

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٨٨).

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٨٩).

(٣) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٨٩).

كتب الأخبار، ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير، ورُمي جماعة من أئمة الإسلام بأنهم يذهبون إلىٰ مذهبهم، وعُدَّ منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله، **وحدث أيضًا في زمن الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **مذهب التشيع** لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والغلو فيه، فلما بلغه ذلك أنكره، وحرّق بالنار جماعة ممن غلوا فيه، وأنشد:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا أجَّجْتُ ناري ودعوت قنبرا

وقام في زمنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن وهب بن سبأ، المعروف بابن السوداء السبئي، وأحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإمامة من بعده، فهو وصي رسول الله ﷺ وخليفته علىٰ أمته من بعده بالنص، وأحدث القول برجعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد موته إلىٰ الدنيا، وبرجعة رسول الله ﷺ أيضًا، وزعم أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقتل، وأنه حي، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه لا بدّ أن ينزل إلىٰ الأرض فيملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا، **ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة**».

وكذلك تحدّث المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مبدأ ظهور الجهمية، فقال[1]: «حدث بعد عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فإنه نفىٰ أن يكون لله تعالىٰ صفة، وأورد علىٰ أهل الإسلام شكوكًا أثّر في الملة الإسلامية آثارًا قبيحة، تولد عنها بلاء كبير».

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩٠).

وتكلّم أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نشأة المعتزلة، فقال[١]: «حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

ثم تكلم المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك في اشتهار مذاهب المبتدعة وظهور الأشاعرة، فقال[٢]: «واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرَّامية، والخوارج، والروافض، والقرامطة، والباطنية، حتىٰ ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فلم يبق مصر من الأمصار، ولا قطر من الأقطار، إلا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا.

وكان أبو الحسن علي بن أبي إسماعيل الأشعري قد أخذ عن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ، ولازمه عدّة أعوام، ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال، وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب، ونسج علىٰ قوانينه في الصفات والقدر».

علىٰ كل حال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتقل من الاعتزال إلىٰ مذهب ابن كلاب ثم منَّ الله عليه بالبراءة من تلك المذاهب وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن بدعه وأنه يتدين بعقيدة الإمام أحمد بن حنبل، وصنّف كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»، وافق فيه مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ينقد عليه تقرير الصفات بالمعقول، وبقاءه علىٰ بعض بدع الكلابية، ومع هذا

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩٠).

(٢) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩١).

فإن الأشاعرة تتدين بما كان عليه من عقيدة الكلابية لا بما استقر عليه اعتقاده في آخر أمره، وما أعلن من رجوعه إلىٰ عقيدة الإمام أحمد التي هي عقيدة السلف، قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٢هـ)[١]: «معلوم أن الأشعرية قد ابتدعت بدعًا في علم الكلام مذمومة مخالفة لما كان عليه سلف الأمة، ففراق ما هم عليه من الابتداع مأمور به، لا نهي عنه، فليسوا بأهل السنة ولا بالجماعة».

ولزوم أهل السنة والجماعة لعقيدة السابقين الأولين من الصحابة والتابعين، ومفارقة الأشاعرة ومخالفتهم لهذه العقيدة - واضح وضوح الشمس لا يدفعه إلا مكابر.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته».

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[٢]: «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، فهذا إجماع معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والجماعة».

على كل حال طريقة الأئمة المحققين المتجردين للحق في الخلاف، أنهم

---

(١) الإشاعة في بيان من نُهي عن فراقه من الجماعة، ص (٧٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

يذكرون أدلة المسألة المتنازع فيها ثم يذكرون أقوال المختلفين ويتأملون نزاع أهل العلم في ضوء أدلة الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي ﷺ مع ما يستفاد من كلام الله تعالىٰ، فيصل المؤمن إلىٰ ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداءً، بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ﷺ - ما يبيِّن أن رد موارد النزاع إلىٰ الله وإلىٰ الرسول خير وأحسن تأويلًا، وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة».

فانظر إلىٰ باب [ما جاء في الرقىٰ والتمائم][٢]، فإنه لم يبدأ مباشرة بذكر خلاف العلماء في تعليق التمائم من القرآن، وإنما ذكر أدلة المسألة أولًا، فساق حديث أبي بشير الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: «**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادةٌ من وتر - أو قلادة - إلا قُطعت**»[٣].

ثم ساق بعد ذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قال:** سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦).

(٢) الباب السابع، كتاب التوحيد، ص(١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، (ص٤٩٦- رقم ٣٠٠٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير، (ص٩٤٦- رقم ٥٥٤٩).

يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»[(١)].

ثم ذكر حديث عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلّق شيئًا وُكل إليه»[(٢)]، وبعد أن سرد هذه الأدلة ذكر بعد ذلك اختلاف العلماء في التمائم من القرآن، فقال[(٣)]: «التمائم: شيء يُعلَّق علىٰ الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المُعلَّق من القرآن؛ فرخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

ثم ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث رويفع أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا رويفع، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبر الناس أنَّ من عقد لحيته، أو تقلَّد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم - فإن محمدًا بريء منه**»[(٤)].

وفي خاتمة الباب ساق الأثر الذي أبان عن ترجيحه في هذه المسألة حيث قال: «عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود، كتاب الطب، باب: في تعليق التمائم، (ص٥٥٢- رقم ٣٨٨٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي، كتاب الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق (ص٤٧٦- رقم٢٠٧٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٧، ١٨).

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٠٨)، والنسائي، كتاب الزينة، باب: عقد اللحية، (ص٦٩٤، رقم٥٠٧٠)، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب: ما ينهىٰ عنه أن يستنجىٰ به (ص١٧-رقم ٣٦).

(٥) كتاب التوحيد، ص (١٩).

ومن تمام إنصافه فسّر مراد التابعي إبراهيم النخعي بقوله: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن. حيث ذكر في المسائل من هذا الباب المسألة التاسعة: «إن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدّم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله»[١]. فهنا لم يوهم القارئ أن المسألة إجماع؛ لأن التابعي إذا قال: «كانوا»، فإنما يقصد بذلك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بل وجّه العبارة بما يدفع توهم الإجماع؛ لأنه حكىٰ الخلاف قبل، وأبان أن مراد إبراهيم النخعي رَحِمَهُٱللَّهُ الصحابة الذين كانوا بالكوفة وأخذ عنهم، كعبد الله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وما رجحه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ في هذه المسألة هو **الراجح، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين** رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «إذا كان المُعلَّق من القرآن أو الأدعية المباحة والأذكار الواردة - فهذه المسألة اختلف فيها السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ، فمنهم من رخَّص في ذلك، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ولم يذكر الوسيلة التي توصل بها إلىٰ الاستشفاء بهذا القرآن، فدلَّ علىٰ أن كل وسيلة يتوصل بها إلىٰ ذلك فهي جائزة، كما لو كان القرآن دواءً حسيًّا.

ومنهم من منع ذلك، وقال: **لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به؛ لأنَّ الاستشفاء بالقرآن ورد علىٰ صفة معينة، وهي القراءة به،** بمعنىٰ أنَّك تقرأ

---

(١) القول السديد، شرح كتاب التوحيد، ص (٣٩).

(٢) القول المفيد، ص (١٢٠).

علىٰ المريض به، فلا نتجاوزها، فلو جعلنا الاستشفاء بالقرآن علىٰ صفة لم ترد فمعنىٰ ذلك أنَّنا فعلنا سببًا ليس مشروعًا، وقد نقله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **ولولا الشعور النفسي بأن تعليق القرآن سبب للشفاء؛ لكان انتفاء السببية علىٰ هذه الصورة أمرًا ظاهرًا؛ فإنَّ التعليق ليس له علاقة بالمرض، بخلاف النفث علىٰ مكان الألم؛ فإنه يتأثر بذلك.**

ولهذا نقول: الأقرب أن يقال: إنه لا ينبغي أن تعلّق الآيات للاستشفاء بها، لا سيما وأن هذا المعلَّق قد يفعل أشياء تنافي قدسية القرآن، كالغيبة مثلًا، ودخول بيت الخلاء، وأيضًا إذا **علَّق وشعر أن به شفاءً استغنىٰ به عن القراءة المشروعة**، فمثلًا: علَّق آية الكرسي علىٰ صدره، وقال: ما دام أن آية الكرسي علىٰ صدري فلن أقرأها. فيستغني بغير المشروع عن المشروع، وقد يشعر بالاستغناء عن القراءة المشروعة إذا كان القرآن علىٰ صدره».

ومن طريقة الإمام في حكاية الخلاف استيعابه لأقوال السلف في المسألة، فانظر [باب قول الله تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]][(١)]، فإنه ذكر قولي السلف في نوع الشرك، ولم يقتصر علىٰ أحدهما، وهذا من إنصافه، فإنه أولًا ذكر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال[(٢)]: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيْلٍ، فيخرج

---

(١) الباب التاسع والأربعون، كتاب التوحيد، ص(٨٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨٩، ٩٠).

من بطنك فيشقه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ - يخوِّفهما - سمِّياه عبد الحارث. فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾. رواه ابن أبي حاتم».

ثم ذكر بعد ذلك قول قتادة، حيث قال[1]: «وله - ابن أبي حاتم - بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا.

وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما».

والعلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩ هـ) رجح أن القصة في آدم وحواء، وقال عن هذا القول**[2]: «أشهر، وأظهر، وهو قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وجماعة المفسرين كلهم قالوا: إن الآية في آدم وحواء كما بينّا».

ومع هذا التقرير وهذا الاختيار أورد السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشكالًا وأجاب عنه، حيث قال[3]: «فإن قال قائل: كيف يقول: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، وآدم كان نبيًّا معصومًا عن الإشراك بالله؟

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٩١،٩٠).

(٢) تفسير القرآن (٢/ ٢٤٠).

(٣) تفسير القرآن (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠).

قيل: لم يكن هذا إشراكًا في التوحيد، وإنما ذلك إشراك في الاسم، وذلك لا يقدح في التوحيد، وهو مثل تسمية الرجل ولده عبد يغوث، وعبد زيد، وعبد عمرو، وقول الرجل: أنا عبدك. وعلىٰ ذلك قول يوسف - صلوات الله عليه -: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣]. ومثل هذا لا يقدح، وأما قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. ابتداء كلام بعد الأول، وأراد به: إشراك أهل مكة، ولئن أراد به الإشراك الذي سبق استقام الكلام؛ لأنه كان الأولىٰ ألا يفعل ما أتىٰ به من الإشراك في الاسم، وكان ذلك زلة منه، فلذلك قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾».

هذا ما دفع به أبو المظفر السمعاني الملامة عن آدم فيما وقع منه، وتسمية الولد عبد يغوث، أو عبد زيد - شرك، وهذا شرك أصغر إن كان لاعتقاده أن الخلق كلهم عبيد لله، لو قلنا بثبوت القصة في تسمية آدم لمولوده بعبد الحارث مع أن إسنادها ومتنها منكر؛ فإن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد تاب من ذلك.

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[١]: «هذا ليس بشرك أكبر، إنما هو شرك أصغر، وهو شرك في الطاعة والألفاظ، لا في المعاني والمقاصد والنيات، وقد يقع من الأنبياء بعض الذنوب الصغار التي عاتبهم الله عليها، ثم يتوبون منها، ويتوب عليهم».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وليس المحذور في هذه القصة بأعظم من المحذور في المرة الأولىٰ».

---

(١) إعانة المستفيد (٢/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص (٦٣٠).

وشيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكىٰ الإجماع علىٰ أن القصة في آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قال[١]: «وأولىٰ القولين بالصواب قول من قال: عنىٰ بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، في الاسم، لا في العبادة، وأن المعني بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل علىٰ ذلك».

وهنا ينبغي علىٰ طالب العلم ملاحظة اصطلاح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالإجماع؛ فإنه يريد به الأكثر، وليس عدم وجود المخالف، بدليل حكايته للأقوال الأخرىٰ من مقالات كبار أئمة السلف كالحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن المرجحات علىٰ أن القصة في آدم وزوجه حواء عليهما السلام - أول الآية حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. فإن هذا لا يكون إلا لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن الشرك علىٰ وجهين: فشرك في طاعة، وهو - والله أعلم - هذا؛ لأن أحدًا لا يشك أن آدم وحواء لم يشركا بالله شرك كفر وعبادة، ولكنهما عصيا في القبول من إبليس، واغترا بقوله: إن الولد إذا سُمي عبد الحارث عاش. كما اغترا به في أكل الشجرة.

وشرك في كفر وعبادة، وهو فعل الكفار في عبادة الأصنام، وافتراء اليهود والنصارىٰ في ادعاء الأولاد علىٰ الله - جل الله -.

وكان الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن الجاعلي شركاء فيما آتاهم الله صالحًا في

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٠/ ٦٢٩).

(٢) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٤٥٨، ٤٥٩).

هذا الموضع هم اليهود والنصارىٰ، رزقهم الله أولادًا فهوّدوهم ونصّروهم. ولا أدري ما وجهه؛ لأن أول الآية لا يدل عليه».

ووالدنا العلامة الجهبذ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقد القصة المذكورة في آدم من وجوه، حيث قال[1]: «وهذه القصة باطلة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ، وهذا من الأخبار التي لا تتلقىٰ إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا: ماتا عليه، كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة:

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله ... وتزويجه بنتيه بابنيه بالخنا

علمنا بأن الخلق من نسل فاجر ... وأن جميع الناس من عنصر الزنا

فمن جوّز موت أحد من الأنبياء علىٰ الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كانا تابا من الشرك، فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما، ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا، ولم يذكر توبتهما، والله تعالىٰ إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها.

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٣/ ٦٧، ٦٨).

الوجه الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلىٰ آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أعظم وأولىٰ وأحرىٰ.

الوجه الخامس: أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما، وقال: «أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة»، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، بل هذا وسيلة إلىٰ رد كلامه، فيأتي بشيء يقرب من قبول قوله، فإذا قال: «أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة»، سيعلمان علم اليقين أنه عذر لهما، فلا يقبلان منه صرفًا ولا عدلًا.

الوجه السادس: أن في قوله في هذه القصة: «لأجعلن له قرني أيل»، إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه، **وهذا شرك في الربوبية**؛ لأنه لا خالق إلا الله، أو لا يصدقا، فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

الوجه السابع: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]. بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء لقال: عما يشركان.

فهذه الوجوه تدل علىٰ أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك، مبرءون منه باتفاق أهل العلم، وعلىٰ هذا فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلىٰ بني آدم الذين أشركوا شركًا حقيقيًّا، فإن منهم مشركًا، ومنهم موحدًا».

علىٰ كل حال ضعف إسناد القصة إلىٰ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا معلوم، ومتن

القصة فيه نكارة، يبقىٰ أن نجيب عن منطوق الآية، حيث قال الله فيها - ومن أصدق من الله قيلًا -: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]. فنقول: إن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أجوبة أئمة التابعين عن ذلك، ورجح هذا عنهم فيما يظهر، والله أعلم، حيث أبرزها منوهًا بصحة أسانيدها، وختم بها الباب بعد أن ذكر قبل ذلك أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، مكتفيًا بذكر مخرجه فقط، قال شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾. قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما».

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله[2]: «إن التشريك هنا تشريك فيما يدل عليه المعنىٰ اللغوي، وليس شركًا أصغر، ولا شركًا أعظم، وحاشاهما من ذلك، وإنما هو تشريك في الطاعة كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]. وكما قال أيضًا في الآية الأخرىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فكل من جعل هواه مُتبعًا فقد جعله مطاعًا، وهذا نوع تأليه، لكن لا يقال: عبد غير الله، أو ألَّه غير الله، أو أشرك بالله جَلَّ وَعَلَا لكن هو نوع تشريك، فكل طاعة للشيطان أو للهوىٰ فيها هذا النوع من التشريك، إذ الواجب علىٰ العبد أن يُعظِّم الله جَلَّ وَعَلَا وأن لا يطيع إلا أمره جَلَّ وَعَلَا وأمر رسوله ﷺ.

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٩٠، ٩١).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (٤٩٩).

فظهر بهذا التقرير أن هذه القصة لا تقتضي نقصًا في مقام آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا في مقام حواء، بل هو ذنب من الذنوب، تابا منه، كما حصل لهما أول مرة في الأكل من الشجرة، بل إن أكلهما من الشجرة ومخالفة أمر الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من هذا الذي حصل منهما هنا، وهو تسمية الولد عبد الحارث، وذلك أن الخطاب الأول كان من الله جَلَّ وَعَلَا لآدم مباشرة، خاطبه الله جَلَّ وَعَلَا ونهاه عن أكل هذه الشجرة».

ومن المرجحات علىٰ أن القصة في ذرية آدم سياق الآية، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثم قال: فذكر آدم وحواء أولًا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلىٰ الجنس، كقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾ الآية، ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمىٰ بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلىٰ جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم».

علىٰ كل حال اعتراض من اعترض علىٰ أن القصة في آدم من أجل أن الآية ختمت بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، أجيب عنه بأنه كلام منفصل ليس من الأول، وأن خبر آدم وحواء تم في قوله تعالىٰ:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (٥٦٧، ٥٦٨).

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وهذا من توجيهات السدي والطبري[(١)].

ومن الأجوبة التي تزيل الإشكال في ختم الآية بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، القراءات الأخرىٰ الواردة في الآية، قال ابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: «شركًا»، بكسر الشين، وسكون الراء علىٰ المصدر، وهي قراءة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي جعفر، وشيبة، وعكرمة، ومجاهد، وعاصم، وأبان بن ثعلب، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «شركاء»، علىٰ الجمع، وهي بيّنة علىٰ هذا التأويل الأخير، وقلقة علىٰ قول من يقول: إن الآية الأولىٰ في آدم وحواء، وفي مصحف أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فلما آتاهما صالحًا أشركا فيه»».

ومن الأجوبة التي ذكرت في دفع الاعتراض بأن القصة لو كانت في آدم لما خُتمت الآية بقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، اتفاق ضمير المثنىٰ في كل المواضع التي أريد بها آدم وزوجه مما هو متحقق فيهم، فالمخالفة في نظم الآية في خاتمتها له غرض مقصود وهو ذرية آدم، قال العلامة محمد الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وفيها الالتفات من الخطاب الذي سبق في قوله: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وليس عائدًا إلىٰ ما قبله؛ لأن ما قبله كان بصيغة المثنىٰ خمس مرات من قوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾. إلىٰ قوله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾».

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٢٢٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٢٦).

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٢١٥).

قال العلامة عبد الرحمن بن محمد العُليمي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٢٧هـ)[١]: «في الآية قول آخر، وهو أن الضمير في (آتيتنا) و(لنكونن) لهما ولأولادهما، وفي (آتاهما)، و(جعلا)، لأولادهما، وفيه حذف مضافٍ وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: فلما آتىٰ أولادهما صالحًا جعل أولادهما لله شركاء، بأن سمَّوا عبد شمس، وعبد العزىٰ، وعبد يغوث، وغير ذلك، كما أضاف فعل الآباء إلىٰ الأبناء في تعييرهم بفعل الآباء، فقال: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٢]، ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا﴾ [البقرة: ٧٢]. خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ محاورًا شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعيين المراد بالضمير هل هو آدم أو ذريته؟ وكذلك في تحرير المنقول عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا[٢]: «وهذا مروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، فقلت له: هذا فاسد من وجوه: الأول: لأنه تعالىٰ قال في الآية الثانية: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. فهذا يدلُّ علىٰ أن القصة في حق جماعة. **الثَّاني**: أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر. **الثالث**: أن الله تعالىٰ علّم آدم الأسماء كلها، فلا بد وأنه كان يعلم أن اسم إبليس الحارث. **الرابع**: أنه تعالىٰ قال: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾، وهذا يدل علىٰ أن المراد به الأصنام؛ لأن «ما» لما لا يعقل، ولو كان إبليس لقال: «مَنْ». التي هي لمن يعقل.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **فقد ذهب بعض المفسرين إلىٰ أن المراد بهذا قُصَيّ؛ لأنه سمىٰ**

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣/ ٧٣، ٧٤).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص (٣٧٣).

أولاده الأربعة: عبد مناف، وعبد العزىٰ، وعبد قصي، وعبد الدار، والضمير في: «يشركون»، له ولأولاده من أعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها.

فقلت له: وهذا أيضًا فاسد؛ لأنه تعالىٰ قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وليس كذلك إلا آدم؛ لأن الله تعالىٰ خلق حواء من ضلعه، فقال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: المراد بهذا أن زوجه من جنسه عربية قرشية، فما رأيت التطويل معه».

وقال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلىٰ غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث، ففعلا؛ فإن الله سبحانه اجتباه وهداه، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك».

* * *

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٣٣٦).

الفصل الرابع

أنواع التوحيد في كتاب التوحيد



تقسيم التوحيد في كتاب التوحيد

كتاب التوحيد تضمّن أنواع التوحيد: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «التوحيد في القصد والإرادة والعمل، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول».

وتوحيد العلم والمعرفة متضمن لتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله سبحانه بأفعاله، ومتضمن لتوحيد الأسماء والصفات، وهو إفراده سبحانه بما ثبت له من أسماء وصفات، وتوحيد القصد هو إفراده وحده بأفعال العباد، الذي هو توحيد الألوهية.

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١هـ)(٢): «التوحيد علىٰ وجهين:

الأول منهما: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالربوبية والألوهية، ونفي الشركاء والشبه عنه، وإثبات البينونة، ومعرفته بأنه لا يكافأ في قدر، ولا ينازع في أمر، ولا يشابه في صفة، ولا يدافع في حكم، وأنه صمد، صفاته ممتنعة عن التكييف، وقدره عن الإدراك.

---

(١) التدمرية، ص (٥).

(٢) منازل الأئمة الأربعة، ص (١٤٦-١٤٨).

وضد هذا التوحيد هو الشرك الأكبر من إلحاق شريك، أو تشبيه بشيء من خلقه، قال الله تعالىٰ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]».

وكتاب التوحيد وإن كان أكثره في توحيد الألوهية إلا أنه تضمن أنواع التوحيد الثلاثة، وهذا من حسن تصنيف الإمام، ومعرفته بحقيقة التوحيد، ولتلازم أنواع التوحيد الثلاثة بعضها مع بعض، فمن أشرك مع الله غيره في الألوهية واستغاث بمخلوق - فقد أشرك بالربوبية؛ لأنه ما وحّد الله في أفعاله، فالله وحده النافع الضار، وكان توحيده في الأسماء والصفات فاسدًا؛ لأنه ما قدر الله حق قدره؛ إذ انصرف عنه إلىٰ مخلوق لا يملك له نفعًا ولا ضرًّا.

ومن أبواب الكتاب في توحيد الأسماء والصفات [باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات][1]، فالترجمة واضحة بالتحذير من تعطيل أسماء الله وصفاته، وتعطيلها ليس بمجرد تحريف معانيها كتأويل الاستواء بالاستيلاء، واليدين بالقدرة والنعمة، والوجه بالثواب، فهذا تعطيل بلا ريب، ومن التعطيل أيضًا تجريد حقائق ومعاني الأسماء والصفات عن العمل بمقتضاها وخلو القلب من الرغبة والرهبة لله في الشدائد والنوازل، وإنزال الحوائج بالمخلوقين، فعباد القبور عطلوا الله عن أسمائه وصفاته سبحانه عما يصفون، وشبهوا الخالق بالمخلوق، بل وجعلوه في رتبة دون المخلوقين، فانصرفت

---

(١) الباب التاسع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧٣).

قلوبهم عن الله وقصدوا الموتىٰ من الأولياء والصالحين، وجعلوهم غياثهم وغياث المستغيثين، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يشركون.

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذا الباب ساق قول الله تعالىٰ:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٨هـ)[١]: «أي هذا باب بيان حكم من جحد شيئًا من أسماء الله تعالىٰ وصفاته، وأنه يكفر بذلك، ولما كان التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، نبّه عليه المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتقدّم أن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، فمن أقر بربوبية الله تعالىٰ وإلهيته وجحد أسماءه وصفاته أو شيئًا منها فقد كفر».

ومن أقوىٰ الأدلة وأوضحها علىٰ التقسيم ما ذكره الإمام في أول أبواب التوحيد [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][٢]، فإنه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فالأمة: هو القدوة المعلم للخير، والقانت: المطيع لله الملازم لطاعته، والحنيف المقبل علىٰ الله المعرض عما سواه، ومن فسره بالمائل، فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسره بلازم المعنىٰ، فإن الحنف هو الإقبال، ومن أقبل علىٰ شيء مال عن غيره، والحنف في الرجلين

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٩٢).

(٢) الباب الثاني، كتاب التوحيد، ص (٧).

(٣) النحل: (١٢٠).

(٤) بدائع التفسير (٣/ ٦٢).

هو إقبال إحداهما على الأخرى، ويلزمه ميلها عن جهتها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠]، فحنيفًا هو حال مفردة لمضمون قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾، ولهذا فسرت ﴿مُخْلِصًا﴾، فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص، فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره، والحنيف المفرد لمعبوده لا يريد غيره، فالصدق أن لا ينقسم طلبك، والإخلاص أن لا ينقسم مطلوبك:

الأول: توحيد الطلب.

والثاني: توحيد المطلوب».

توحيد الأسماء والصفات الذي هو أساس التأله لله وحبه، وقصده، والرغبة إليه، والرهبة منه، وأساس تعظيم الله وتقديسه، فلا يقع مع محققه شرك في الألوهية، وأتى الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه بأقوى دليل في ذلك، وهو دال على فطنته وقوة استدلاله، فإنه عقد [باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]][1].

قال فضيلة الشيخ محمد بن حسين الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن من أعرض عن الله وقصد غيره، وأعدَّ لذلك الغير لحاجته وفاقته، واستغاث به ونذر له، ولاذ به – فقد أساء الظن بربه، وأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به،

(١) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦).

(٢) الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، ص (٢٧٨).

فإن المسيء به الظن قد ظنَّ به خلاف كماله المقدس، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الظانين به ظن السوء، بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالىٰ لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال تعالىٰ عن خليله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذ قال لقومه: ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٥-٨٧]. أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتىٰ أحوجكم إلىٰ عبودية غيره.

فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه، فقير إليه كل ما عداه، وأنه قائم بالقسط علىٰ خلقه، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره، وأنه العالم بتفاصيل الأمر فلا تخفىٰ عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده لا يحتاج إلىٰ معين، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلىٰ من يستعطفه، ما اتخذتم الأنداد من دونه والوسطاء بينكم وبينه».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر توحيد الأسماء والصفات في أبواب خاصة، وبيّن حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأن من حقق التوحيد في أسماء الله وصفاته أنزل حاجته بالله وحده لا شريك له.

وبيّن كذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة الكمال في أسماء الله الحسنىٰ، وحذّر من الشرك الذي أوقعه المشركون من الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ، ففي [باب

قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]][1]، ذكر ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾، يُشركون، وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزّىٰ من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها[2].

فالمقصود أنه لا يتحقق توحيد الأسماء والصفات والربوبية بدون تحقيق توحيد الألوهية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «والمسلمون يقولون كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، والتوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين: **أحدهما**: القول العملي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، فالصمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك، كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع.

والتوحيد العملي الإرادي أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ

(١) الباب الخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٣) الصفدية (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ [الكافرون]».

ومن أقسام التوحيد الذي حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ بيان حقيقته، وتحذير الناس من كل ما يضاده - توحيد الربوبية، ففي الباب التاسع والعشرين [باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء][1]، ساق حديث زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[2].

فإضافة ما يختص الله بفعله إلىٰ غيره شرك في الربوبية، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «قوله: «**فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**»، لأنه نسب المطر إلىٰ الله، ولم ينسبه إلىٰ الكوكب، ولم ير له تأثيرًا في نزوله، بل نزل بفضل الله.

قوله: «وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا»، الباء للسببية، «**فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»، وصار كافرًا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله، ونسبها إلىٰ سبب لم يجعله الله سببًا، فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله».

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٥٧). (٢) كتاب التوحيد، ص (٥٨، ٥٩).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (٣٨٩، ٣٩٠).

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرع في المقصود مباشرة، ولم يجعل لكتابه مقدمة، ومن حسن تصنيفه وترتيبه لأبواب الكتاب استعاضته عن المقدمة بما يدل علىٰ مقصود الكتاب فيكون هو المقدمة في الدلالة علىٰ موضوع الكتاب ومقصوده، فإنه بدأ بالتبويب بقوله: [كتاب التوحيد]، ثم ذكر الآيات القرآنية الدالة علىٰ مقصود خلق الخلق، وحق الله الخالص في التأله له وحده لا شريك له، فساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣][(١)]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذه الترجمة تدل علىٰ مقصود هذا الكتاب من أوله إلىٰ آخره، ولهذا استُغني بها عن الخطبة، أي أنَّ هذا الكتاب يشتمل علىٰ توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعِّفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل».

وقال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٢ هـ)**[(٣)]: «وكأن المصنف قال: كتاب التوحيد الذي هو الحكمة في إيجاد الثقلين، كما في الآية الأولىٰ، والذي هو الحكمة في إرسال الرسل، كما في الآية الثانية، والذي

(١) كتاب التوحيد، ص (٣).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (١٢).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٨).

هو أوجب الواجبات، كما في الآية الثالثة، والرابعة، والخامسة، والذي ضده هو الشرك أعظم المحرمات، كما في الآية الخامسة، والذي هو حق الرب علىٰ العباد الذي افترضه عليهم، ولا يقبل منهم سواه، كما يأتي في حديث معاذ ابن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والذي حقيقته وتفسيره عبادة الله وحده لا شريك له، كما في الآية الرابعة، وحديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابتدأ مصنفه بتوحيد الألوهية، فأول ما ابتدأ به كتابه هو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وختم كتابه بباب [ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، وذلك لأن العاقل لا يعبد إلا من يعتقده كاملًا في نعوته وصفاته، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مخاطبًا أباه في ذلك: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٥هـ)[١]: «وقد ابتدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام الشيخ ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد، فالدعوة إلىٰ ذلك هي أهم الأمور

(١) قرة عيون الموحدين، ص (٢٦٢، ٢٦٣).

وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة علىٰ الدعوة إليه، والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد كما ترىٰ في هذه الأبواب، ثم ختم به كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلىٰ هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلىٰ العلم، وأما من ينتسب إلىٰ العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم علىٰ شيء، فقبلوا مذهبهم وما وجدوه عنهم فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين، وما زال أهل السنة متمسكين بذلك، لكنهم قلُّوا، فهدىٰ الله هذا الإمام إلىٰ معرفة أنواع التوحيد فقررها بأدلتها، فلله الحمد علىٰ توفيقه وهدايته إلىٰ الحق حين اشتدت غربة الإسلام، فضلَّ عنه من ضلَّ من أهل القرىٰ والأمصار وغيرهم، وبالله التوفيق.

فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بقوله:

والعلم أقسام ثلاث ما لها	**من رابع والحق ذو تبيان**
علم بأوصاف الإله وفعله	**وكذلك الأسماء للرحمن**
والأمر والنهي الذي هو دينه	**وجزاؤه يوم المعاد الثاني»**

ومن حذق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ موالاته بين أنواع النوع الواحد في الشرك في البيان والتحذير، فالإمام والىٰ بين [باب: من الشرك

النذر لغير الله][1]، و[باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله][2]، و[باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][3].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: ««باب: من الشرك النذر لغير الله، باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله، باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره»، **متىٰ فهمت الضابط السابق في حدِّ الشرك الأكبر وهو أن** «**من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك**» - **فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والىٰ المصنف بيانها.**

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنىٰ علىٰ من قام به أو أمر به - فهو عبادة.

فإن العبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة»، والنذر من ذلك.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدَّة ومشقَّة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد».

ومن حسن تصنيف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترتيب أبواب كتاب التوحيد وفق مقاصد الدين وضرورة الدعوة إليه، فإنه بدأ بذكر

(١) الباب الحادي عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٢) الباب الثاني عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٣) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٤) القول السديد، ص (٥٣).

حق الله الخالص في توحيده، ثم أول ما بدأ به من الأبواب [باب: بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب][1]، ثم أتبعه بـ[باب: من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][2]، ثم أردفه بـ[باب: الخوف من الشرك][3]، وبعد ذكره عقد [باب: الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][4].

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[5]: «قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله»، مناسبة هذا الباب لما قبله من الأبواب ظاهرة جدًّا، فإنه في الأبواب السابقة ذكر في الباب الأول: معرفة التوحيد، وفي الباب الثاني: ذكر فضل التوحيد، وفي الباب الثالث: ذكر فضل من حقق التوحيد، وفي الباب الرابع: ذكر ما يضاد التَّوحيد، وهو الشرك.

فإذا كان طالب العلم ألمَّ بهذه الأبواب، وعرفها معرفة جيدة - عرف التوحيد وفضله وتحقيقه، وعرف ما يضاده من الشرك الأكبر أو ينقّصه من الشرك الأصغر والبدع وسائر المعاصي، فإنه حينئذ تأهّل للدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا يجوز للإنسان إذا علم شيئًا من هذا العلم أن يختزنه في صدره، ويُغلق عليه، ويختصه لنفسه، هذا العلم مشترك بين الأمة، فمن عرف شيئًا منه فإنه يجب عليه أن ينشره، وأن يدعوَ الناس إليه، فإن هذه الأمة أمة دعوة،

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) الباب الثاني، كتاب التوحيد، ص (٧).

(٣) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٤) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).

(٥) إعانة المستفيد (١/ ١٠٠).

كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، فلا يجوز للمسلم الذي عرف شيئًا من العلم أن يسكت عليه وهو يرىٰ الناس في حاجة إليه، خصوصًا علم التّوحيد وعلم العقيدة؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد ترك واجبًا عظيمًا، ولا يقل الإنسان: أنا ما عليَّ من الناس!!

بل عليك نفسك أولًا، ثم عليك أن تدعوَ الناس إلىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، فإن اقتصرت علىٰ نفسك تركت واجبًا عظيمًا تحاسب عنه يوم القيامة، وتعرّض نفسك لغضب الله عَزَّوَجَلَّ حيث تركت ما أوجبه عليك من الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، هذا وجه المناسبة، وهي ظاهرة».

ومن حسن ترتيب أبواب الكتاب أن الإمام بدأ ببيان حق الله علىٰ خلقه في توحيده، ثم تكلم في فضل التوحيد، ثم أتبعه بباب الخوف من الشرك، كل هذا حتىٰ يعرف المسلم ما يجب عليه من حق الله الخالص، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر: ٣].

وكذلك يعرف فضل التوحيد حتىٰ لا يكون إيمانه مجرد خوف، بل يعرف فضل التوحيد وما يحصل بتحقيقه من دخول الجنة، ولذة النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ، فيكون فرحًا بتوحيده، ملازمًا له، ملازمًا لجادة العبودية الصحيحة، يعبد الله حبًّا ورغبة ورهبة، قال سفيان بن عيينة: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن».

وإتباع باب [من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب] بباب [الخوف من الشرك] غاية في حسن ترتيب أبواب الكتاب؛ حتىٰ لا يزهد مغرور عن تعلم التوحيد وما يضاده، ركونًا لما يعتقده من تحققه به، فإن الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب ساق قوله تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم؟».

والإنسان ولو كان موحّدًا فإنه يطلب علم التوحيد زيادة في التثبيت، قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما في حق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت».

والمؤمن يتعلم التوحيد طلبًا للاستقامة علىٰ حق الله الخالص، فإن الله يقلب القلوب كيف شاء.

ومن حسن تصنيف الإمام لكتاب التوحيد ابتداؤه ببيان حق الله علىٰ عباده في توحيده، ثم تبيين معنىٰ التوحيد والتحذير مما يضاده في سائر الأبواب، ثم ختم الكتاب ببيان كمال الله في أسمائه وصفاته وأنه الموجب لعبوديته وحده، وأن الشرك يقع ممن لم يقدر الله حق قدره.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا مناسبة ختم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب التوحيد بنعوت الله وصفاته الحسنىٰ[٣]:

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٦٨٨).
(٢) تفسير القرآن (٣/ ١١٩).
(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (١٧٠).

«ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتابه بهذه الترجمة، وذكر النصوص الدالة علىٰ عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه؛ لأنَّ هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين علىٰ أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم، وغاية الحبّ والتأله، وأنه الحقّ وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبّه وروحه، وسر الإخلاص.

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، إنَّه جواد كريم».

وأبواب التوحيد متداخلة لا يظن ظان أن تبويب الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبوابه يقتضي تجزئة التوحيد، حاشا وكلا، هذا لم يرده الإمام، ولا يذهب إلىٰ هذا الذهن البتة، فالتوحيد كلٌّ لا يتجزأ، فلا يكون العبد مؤمنًا موحّدًا حتىٰ يحقق أنواعه كلها: توحيد في ربوبية الله، وأسمائه وصفاته، وألوهيته.

فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد بابًا للتوكل، وبابًا للأسماء والصفات، فلا يمكن أن يقع التوكل من العبد ولا يتصور ذلك، وهو غير متحقق بتوحيد الأسماء والصفات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «التوكل من أعم المقامات تعلقًا بالأسماء الحسنىٰ، فإن له تعلقًا خاصًّا بعامة أسماء الأفعال، وأسماء الصفات.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠٤، ١٠٥).

فله تعلق باسم «الغفار، والتواب، والعفو، والرءوف، والرحيم»، وتعلّق باسم «الفتاح، والوهاب، والرزاق، والمعطي، والمحسن»؛ وتعلق باسم «المعز، المذل، الحافظ، الرافع، المانع»، من جهة توكله عليه في إذلال أعداء دينه، وخفضهم ومنعهم أسباب النصر؛ وتعلق بأسماء «القدرة، والإرادة»، وله تعلق عام بجميع الأسماء الحسنىٰ، ولهذا فسره من فسره من الأئمة بأنه المعرفة بالله.

وإنما أراد أنه بحسب معرفة العبد يصح له مقام التوكل، وكلما كان بالله أعرف، كان توكله عليه أقوىٰ.

وكثير من المتوكلين يكون مغبونًا في توكله، وقد توكل حقيقة التوكل وهو مغبون، كمن صرف توكله إلىٰ حاجة جزئية استفرغ فيها قوة توكله، ويمكنه نيلها بأيسر شيء.

وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان والعلم، ونصرة الدين، والتأثير في العالم خيرًا، فهذا توكل العاجز القاصر الهمة، كما يصرف بعضهم همّته وتوكله ودعاءه إلىٰ وجع يمكن مداواته بأدنىٰ شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم، ويدع صرفه إلىٰ نصرة الدين، وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان، ومصالح المسلمين».

❋ ❋ ❋

غالب مادة كتاب التوحيد في الألوهية

كتاب التوحيد ستة وستون بابًا، غالبه في توحيد الألوهية، وفيه أبواب في توحيد الربوبية، وكذلك في توحيد الأسماء والصفات، وبعض مسائل القدر.

وهذا سببه ما دعت إليه الحاجة من بيان، فإن شرك أهل هذا الزمان، كشرك مشركي قريش غالبه في توحيد الألوهية، فإن مشركي قريش كانوا مقرين بربوبية الله تعالىٰ، كما قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وشرك أهل مكة الذين بُعث فيهم نبينا محمد ﷺ وشرك أهل زماننا - سواء في اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فعظمت رغبة ورهبة المشركين في الأصنام والأوثان والقبور، فخوّفوا من تعرض لها بنقص، ورغبوا إليها في طلب النصرة، فما نفعتهم بل حاق بهم سوء العذاب في غزوة بدر، وسائر الغزوات، وهكذا المشركون من أهل هذا الزمان، وصدق الله إذ

يقول: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾(١).

وباستعراض أبواب التوحيد ومحتواها ومادتها نجد أن المقدمة التي استفتح بها الإمام كتابه تدل علىٰ ذلك، فقد استفتح كتابه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ** رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وحديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قال:** كنت رديف النبي ﷺ علىٰ حمار، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله علىٰ العباد؟ وما حقُّ العباد علىٰ الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حقُّ الله علىٰ العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد علىٰ الله: أن لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئًا**». قلت: يا رسول الله، أفلا أبشِّر الناس؟ قال: «**لا تُبشِّرهم فيتكلوا**»، أخرجاه في الصحيحين(٢).

فهذه المقدمة هي عنوان الكتاب، وبيان مادّته، وهي تحكي بوضوح أنه في توحيد الألوهية، والأبواب تنطق بهذا، وتدل علىٰ هذا، فبعد أن ذكر فضل التوحيد، والخوف من الشرك، والدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، ذكر تفسير التوحيد، وهو حقيقة العقيدة، وصدّر هذا الباب بالآية الدالة علىٰ

---

(١) العنكبوت: (٢١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣-٥).

افتقار الأنبياء والملائكة والصالحين إلىٰ الله، فكيف جعلهم المشركون وسائط بينهم وبين الله فساق قول الله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وفي الباب نفسه في تفسير التوحيد ساق قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وهو برهان آخر علىٰ تركيزه في بيان حقيقة التوحيد في عبودية الله وحده، وفي الباب نفسه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وهذا متعلق بأنواع التوحيد الثلاثة، فإن الله هو الحكم فهذا متعلقه من جهة الأسماء والصفات، ولذلك عقد له الإمام بابًا خاصًّا هو [باب احترام أسماء الله تعالىٰ وتغيير الاسم لأجل ذلك][١]، وساق الحديث: أن أبا شريح كان يُكنىٰ أبا الحكم، وكناه النبي ﷺ أبا شريح، وقال له: «**إن الله هو الحكم**». رواه أبو داود[٢].

ومتعلقه من جهة الربوبية هو أنه من باب توحيد الله بأفعاله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾ [الرعد: ٤١].

ومتعلقه بتوحيد العبودية واضح، فإن المسلم يجب عليه أن يتعبد لله بما شرعه من أحكام مع انشراح صدر وإذعان لذلك.

وساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في باب تفسير التوحيد أيضًا**

---

(١) الباب السادس والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨٢).

قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وهذا تحذير من شرك المحبة، وأمر بضده وهو تحقيق التوحيد لله في المحبة، وهي حقيقة التأله لله، فالإله هو الذي تألهه القلوب محبةً وتعظيمًا وإجلالًا.

وأتم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان هذا الباب بما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله - حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله** عَزَّوَجَلَّ»[١]. وهذا هو حقيقة التوحيد إثبات الألوهية الحقة لله، والكفر بكل ما يُعبد من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، وهذا ما لا يريد أن يفهمه المشركون من أهل زماننا، يعبدون الله ويعبدون غيره فلا يفردون العبادة لله وحده لا شريك له، فيذبحون لغير الله، ويطوفون بالقبور، ويستغيثون بغير الله، والعياذ بالله.

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أتم البيان في هذا الباب، قال في خاتمة هذا الباب[٢]: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب».

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ معلقًا علىٰ عبارة الإمام[٣]:

«فقد ذكر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب من الشرك وما

(١، ٢) كتاب التوحيد، ص (١٤، ١٥).

(٣) قرة عيون الموحدين، ص (٦٣).

يُوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدهم عن الشرك في العبادة، وشدة إنكارهم له، وجهادهم علىٰ ذلك، وقد جمع هذا الكتاب علىٰ اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبّر، وكذلك الرد علىٰ أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنىٰ به عن غيره في الرد علىٰ كل مبتدع».

ونحن إذ نقول: إن غالب مادة كتاب التوحيد في توحيد الألوهية، لا بد أن يستذكر طالب العلم أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فالعبد لا يعبد إلا من يعتقده كاملًا مستحقًّا للألوهية، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ محاجًّا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، وتوحيد الربوبية مستلزم توحيد العبودية، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وربنا الذي نعبده وتأله قلوبنا نعوته وأسماؤه كلها حسنىٰ وكمال، ولذلك ضمّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه أنواع التوحيد الثلاثة؛ لقيام بعضها ببعض، فتجد في توحيد الألوهية مثلًا أبواب: باب: من تبرك بشجرة أو حجر. وباب: ما جاء في الذبح لغير الله. وباب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. وباب: من الشرك النذر لغير الله. وباب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره. وباب: الشفاعة. وباب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين. وباب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟! وباب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله. وباب: ما

جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد. وباب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. وباب: ما جاء في الرياء. وباب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا. وباب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وباب: لا يستشفع بالله علىٰ خلقه. وباب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد، وسده كل طرق الشرك.

وفي توحيد الأسماء والصفات باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، وباب التسمي بقاضي القضاة، وباب: احترام أسماء الله تعالىٰ، وتغيير الاسم لأجل ذلك، وباب: لا يقال: السلام علىٰ الله. وباب: قول الله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وهكذا.

وفي توحيد الربوبية عقد باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو رفعه، وباب: ما جاء في الرقىٰ والتمائم، وباب: من الشرك الاستعاذة بغير الله، وباب: قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، وباب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]، وباب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وباب: ما جاء في التطير، وباب: ما جاء في التنجيم، وباب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، وباب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، وباب: قول: ما شاء الله وشئت، وباب: من سبّ الدهر فقد آذىٰ الله، وباب لا يرد من سأل بالله، وهكذا.

ومما ينبغي التنبيه عليه هو أننا عندما نقول: إن هذا الباب في توحيد

الألوهية، أو الربوبية، نريد بذلك أنه ألصق به، وإلا فكثير من الأبواب فيها معنىٰ هذا وهذا، فتأمل هذا.

❊ ❊ ❊

تعاضد الأدلة بأنواعها في تقرير التوحيد

قد تكلمت في منهج الإمام في استدلاله بتعاضد الأدلة من جهة ثبوتها وصحتها، وأما التعاضد بأنواع الأدلة النقلية، والعقلية، والفطرية، في تقرير دلالتها بأنواعها لمدلول الأبواب - فهذا واضح في مصنفه كتاب التوحيد، وسائر كتبه، وهذا منهج قرآني مهم؛ لأن المخالفين عقولهم وثقافاتهم ومدارك علومهم متفاوتة، فتنويع الأدلة أنفع، فمنهم من يذعن للدليل النقلي، ومنهم من يقبل الدليل العقلي، ومنهم من ينقاد للدليل الفطري، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي[١]: «قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمَّة ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البيّنة، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، أي يتلو هذه البيّنة والبرهان برهان آخر، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وهو شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه وعَلِمَ بعقله حسنه؛ فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

والقرآن لا شك أنه مملوء بالأدلة العقلية، وهذا واضح خصوصًا في مسائل التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «اعلم أن عامة مسائل

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٤٢٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٣٠).

أصول الدين الكبار مثل الإقرار بوجود الخالق، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته، ومشيئته، وعظمته، والإقرار بالثواب، وبرسالة محمد ﷺ، وغير ذلك مما يُعلم بالعقل - قد دلّ الشارع علىٰ أدلته العقلية».

ونجد هذا المنهج قد استعمله الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه في مجموع أبوابه، وفي أغلبها، فانظر مثلًا الباب الرابع عشر باب قول الله تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢][1]. فهذه الآية وهي دليل نقلي تخاطب العقول بما لا تستطيع إنكاره، وهو دليل صريح في التفريق بين الخالق والمخلوق، والقادر القوي والضعيف العاجز، فالله يخلق وما يعبدون من دون الله لا يخلقون، والله ينصر وما يعبدون من دون الله لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون.

ثم ساق الدليل من السنة علىٰ أن أتقىٰ الخلق رسول الله ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وكيف كان يخاطب قومه بهذا الدليل.

وكذلك ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من آيات القرآن ما يدل علىٰ عجز المخلوق عن النفع والضر بأدنىٰ حقير، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عُبد مع الله، فإن جميع ما يُعبد من دون الله

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) القول السديد، شرح كتاب التوحيد ص (٥٦)، ط: إدارة المساجد بالرياض.

من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلىٰ الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يخلقون، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، والله تعالىٰ هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرزاق لكل مرزوق، المدبِّر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يُرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي علىٰ وجوب توحيد الله وأنه الحقّ، ودليل كذلك علىٰ بُطلان الشرك».

❋ ❋ ❋

تعاضد الأبواب في تحقيق التوحيد

أبواب كتاب التوحيد الستة والستون كلها متعاضدة في تحقيق التوحيد، فتجد هذا الكتاب أتىٰ علىٰ ما يحقق التوحيد في أسماء الله وصفاته، وربوبيته، وألوهيته، كما أتىٰ علىٰ التحذير من نوعي الشرك أكبره وأصغره.

وتجد هذا الكتاب أيضًا جاء بإصلاح الباطن والظاهر؛ ففيه التحذير من شرك السرائر، وكذلك من شرك الجوارح في الظاهر، وجاء هذا الكتاب بالتحذير من الأفعال الشركية، وكذلك بالتحذير من الأقوال الشركية.

وتجد أبواب التوحيد بمجموعها تقوي مادة التوحيد في القلب، وتنميه، وتحميه والجوارح عن كل ما يضعف مادته.

علىٰ كل حال يجب علىٰ طالب العلم أن يتلمح مجموع الأبواب ودلالاتها في بناء عقيدته، وكذلك يتأمل كلَّ دليل ودلالته علىٰ أنواع التوحيد حيث يدل علىٰ ذلك، وهذا كله عون علىٰ حسن فهم مقصود المؤلف من مجموع الأبواب، وفهم مراده من أنواع دلالات الأدلة في الباب الواحد.

وتأمل مثلًا [باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]][1]؛ فإن هذه الآية بتمامها فيها أمر بعبادة من خلقنا ورزقنا،

(١) كتاب التوحيد، الباب الحادي والأربعون، ص (٧٦).

وذلك لاستلزام توحيد الربوبية توحيد الألوهية.

وطالب العلم متىٰ أدرك معاني أنواع التوحيد وعلاقة بعضها ببعض؛ أورثه ذلك فهم مراد الإمام من أدلة الأبواب، وتعاضد أبواب الكتاب بمجموعها لتحقيق التوحيد.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، والأوَّلان وسيلة إلىٰ الثالث، فهو الغاية والحكمة المقصودة بالخلق والأمر، وكلها متلازمة».

وانظر كيف أجرىٰ العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر في تفسير الآية التي بوّب لها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قال العلامة سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معنىٰ الآية أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نهىٰ الناس أن يجعلوا له أندادًا، أي: أمثالًا في العبادة والطاعة، وهم يعلمون أن الذي فعل تلك الأفعال، فهو ربُّهم وخالقهم، وخالق من قبلهم، وجاعل الأرض فراشًا، والسَّماء بناءً، والذي أنزل من السماء ماءً فأخرج به من أنواع

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٣٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٦١، ١١٦٢).

الثمرات رزقًا لهم، فإذا كنتم تعلمون ذلك فلا تجعلوا له أندادًا؛ قال ابن القيم: «فتأمل هذه، وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها، وظفر العقل بها بأوَّل وهلة، وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح، إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال، فكيف تجعلون له أندادًا؟! وقد علمتم أنه لا ندَّ له يشاركه في فعله»».

ومن تعاضد الأبواب في تحقيق التوحيد ما ذكره الإمام في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]][(١)]؛ فإن التذكير بنعم الله مستلزم لشكر الله مسديها، وموجب لاستعمالها في طاعة الله وتوحيده.

ومن كفر النعمة نسبتها لغير الله، وهذا ما أراده المصنف من الآية، التحذير من نسبتها لغير الله، والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتبع الآية بتفسير السلف لها، لذلك قال[(٢)]: «قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي».

والمال المورّث عن الآباء أوجب في شكر الله عليها، لأن الله منّ بحفظها للأبناء، ولأن الله أنعم بها علىٰ الآباء والأبناء، ولم يمن بها علىٰ أحدهما دون الآخر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لما أضافوا النعمة إلىٰ غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلىٰ غيره، فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه، غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع اللذين ذكّرهما الملك بنعم الله عليهما، فأنكراها،

---

(١) الباب الأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٥٤).

وقالا: «إنما ورثنا هذا كابرًا عن كابر». وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إتمام إنعام الله عليهم، إذ أنعم بها علىٰ آبائهم، ثم ورَّثهم إياها فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمه».

وانظر إلىٰ ما قصده الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]][1]، كيف ساق بعد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦][2]، ثم أتبعه بحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**»[3]. فهنا الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ استعمل توحيد الأسماء والصفات ليرغِّب الناس في التوحيد والتوبة من الشرك، فإن من عرف سعة رحمة الله لم يقنط منها، وبادر إلىٰ الانخلاع من الشرك وتحقيق التوحيد.

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ قول النبي ﷺ لما سُئل عن الكبائر، فقال: «**الإشراك بالله واليأس من روح الله**»[4]، «أي: قطع الرجاء والأمل من الله، فيما يرومه ويقصده ويخافه ويرجوه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾. وذلك

---

(١) الباب الثالث والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٦٥).

(٤) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٥٦).

إساءة ظن بالله، وجهل بسعة رحمته وجوده ومغفرته، والإشراك بالله في ربوبيته أو عبادته هو أكبر الكبائر بالإجماع، ولهذا بدأ به».

ومن الأبواب التي تعاضدت في تحقيق التوحيد والدعوة إليه - ذكر الإمام للفضائل الدنيوية للتوحيد فضلًا عن الفضائل الأخروية، ففي [باب من الإيمان بالله الصبر علىٰ أقدار الله][(١)]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[(٢)]، وهذا غاية ما يكون في الترغيب في التوحيد وتحقيق كمال الإيمان، فالمؤمنون مطمئنون في سكينة ورضا بالله، يسيرون في دنياهم علىٰ صراط مستقيم، لا تستفزهم جهالات المبتدعين، ولا تلبيسات المشركين، قلوبهم عامرة بتوحيد الله، لا يشركون به شيئًا لا في صغير ولا كبير، ولا يهولهم الكهان، والعرّافون، ولا يتتبعونهم؛ لأنهم يعلمون أن الله وحده هو عالم الغيب والشهادة، ولا يخافون وعيد المشركين ولا إرجاف الأئمة المضلين؛ لأنهم يعلمون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فقلوبهم حية بالإيمان، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، وقلوبهم منشرحة بالإسلام الذي بُعث به نبينا ﷺ، كما نقله لنا الصحابة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وانظر كيف كمّل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنىٰ وحقّقه بـ[باب قول الله تعالىٰ:

(١) الباب الرابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٥).

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾][1]، فإن العبد متىٰ قوي قلبه بالله وعظم توحيده وتوكله علىٰ الله؛ حمله ذلك علىٰ فعل كل خير، ومن أعظمه الدعوة للتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن كيد عدو الله أن يخوّف المؤمنين جنده وأولياؤه؛ لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالىٰ أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافهم، قال: والمعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلّت هذه الآية علىٰ أن «إخلاص الخوف» من كمال شروط الإيمان».

ومما ذكره في الترغيب في التوحيد ما جاء في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]].

فالمحبة لله الخالصة ترغيب لتجريد التوحيد لله سبحانه، والمتابعة لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١]، والمحبة لله الخالصة ترهيب عن الشرك عمومًا وشرك المحبة خصوصًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أخبر أن من أحبَّ من دون الله شيئًا، كما يحب الله

---

(١) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٢) قرة عيون الموحدين، ص (١٦٨).

(٣) مدراج السالكين (٢/ ١٩).

تعالىٰ - فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا».

ومن أمثلة تعاضد الأبواب في تحقيق التوحيد تحذيره من دعاء الأموات، كما جاء صريحًا في باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢][1]، فإنه ساق في هذا الباب ما يدل علىٰ تحريم دعاء الأموات، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]. ثم تمّم تحقيق التوحيد في هذه المسألة، فعقد [باب لا يستشفع بالله علىٰ خلقه][2]، حيث ذكر فيه إنكار النبي ﷺ علىٰ من قال له: إنا نستشفع بالله عليك، حيث قال له النبي ﷺ: «**إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد**»[3]. وهذا من تمام إحكام الإمام في تصنيف كتابه حيث ذكر ما لا يجوز من الاستشفاع بالموتىٰ إلىٰ الله في الباب الأول، وذكر كذلك ما لا يجوز من الاستشفاع بالله علىٰ الأحياء، فالله هو الذي يشفع الشافع إليه.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «فإنه تعالىٰ ربُّ كل شيء ومليكه، والخير كلُّه بيده، لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما منع، ولا رادَّ لما قضىٰ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماء ولا في الأرض، إنه كان عليمًا قديرًا، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن. فيكون، والخلق وما في أيديهم

---

(١) الباب الرابع، عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) الباب الرابع والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٩).

(٣) كتاب التوحيد ص (١٠٩).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٤١٦).

ملكه يتصرَّف فيه كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر علىٰ الأعرابي قوله هذا، وسبَّح الله كثيرًا، وعظَّمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، إن شأن الله أعظم من ذلك».

ولبصيرة العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعلاقة بين الموضوعين تمّم الشرح بعد أن حذّر من الاستشفاع بالله علىٰ الخلق، تكلم في حكم الاستشفاع بدعاء الصالحين الأحياء، ثم ختم شرح الباب ببيان تحريم دعاء الأموات وسؤالهم.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٣٣ هـ)**[(١)]: «أما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصًّا به ﷺ، بل كل حيٍّ صالح يُرجىٰ أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي ﷺ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما أراد أن يعتمر من المدينة: «**ولا تنسنا يا أُخيَّ من صالح دعائك**».

وأما الميِّت فيُشرع في حقه الدعاء له علىٰ جنازته، وعلىٰ قبره، وفي غير ذلك.

وهذا هو الذي يُشرع في حق الميِّت، وأما دُعاؤه فلم يُشرع، بل قد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. فبيَّن تعالىٰ أن دُعاء من لا يسمع ولا يستجيب – شرك يكفر

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٤٦٣، ١٤٦٤).

به المدعوُّ يوم القيامة - أي: يُنكره -، ويُعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]. فكل ميِّت أو غائب لا يسمع، ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والله تعالىٰ أمر عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنىٰ، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. وقد ثبتت الأحاديث وصحت أنه لا يجوز الحلف إلا بالله، وأن من حلف بغيره فقد أشرك، وذلك لما فيه من تعظيم المحلوف به، فالاستغاثة والإقسام علىٰ الله بحقه إذا لم يكن أعظم من الحلف به كان مثله في أنه شرك».

❊ ❊ ❊

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص (٩٧).

توحيد الحاكمية مضمّن في أنواع التوحيد

تفرد الله بالحكم هذا أمر مقطوع به، فالله يحكم لا معقّب لحكمه، ولكن ينبغي أن نعلم أن العلماء بدّعوا من أفرد الحاكمية بتوحيد خاص غير أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات؛ لأن الحاكمية مضمّنة في أنواع التوحيد الثلاثة، وليست قسيمًا لها، فهي داخلة في توحيد الربوبية؛ لأنها من توحيد الله بأفعاله، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وداخلة في توحيد الأسماء والصفات؛ لأن «الحكم» من أسماء الله الحسنىٰ، وداخلة في توحيد العبودية؛ لأنه يجب علىٰ العبد أن يلتزم أحكام الله الشرعية ويقضي بها ويتدين بها مع انشراح صدر وإذعان لها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

ودعاة إفراد الحاكمية بنوع خاص يزعمون أنهم يفعلون ذلك تعظيمًا لهذا التوحيد لتعطيله في غالب الديار الإسلامية ما عدا السعودية، وهؤلاء مع الأسف باتوا أشد الناس تقدمًا بين يدي الله ورسوله، قال يوسف القرضاوي: الحرية قبل الشريعة. وكذلك قال طارق سويدان.

فالشرع ملزم للجميع الراعي والرعية، والأحزاب والأفراد، والعجيب تكفير أحزاب الإسلام السياسي للولاة للحكم بغير ما أنزل، ثم مسارعتهم إلىٰ العلمانية وتقديم الحرية علىٰ الشريعة، وهذا من التنكر لشريعة الرحمن،

وكثير من هذه الأحزاب لا تتحاكم إلىٰ الشريعة في الاعتقاد، وإنما تتبع أهواء المبتدعين؛ لأنهم معظّمون عندهم.

قال شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله(١): «وكذلك التحاكم في المناهج التي يسمّونها الآن مناهج الدعوة، ومناهج الجماعات هي من هذا الباب، يجب أن يُحكَّم فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما كان منها متمشيًّا مع الكتاب والسنة فهو منهج صحيح يجب السير عليه، وما كان مخالفًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب أن نرفضه وأن نبتعد عنه.

ولا نتعصب لجماعة أو لحزب أو لمنهج دعوي ونحن نرىٰ أنه مخالف لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فالدعاة منهم من هو داعية ضلال.

فالذي يقصر هذا التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة علىٰ المحاكم الشرعية فقط - غالط؛ لأن المراد: التحاكم في جميع الأمور وجميع المنازعات: في الخصومات، وفي الحقوق الماليّة، وغيرها، وفي أقوال المجتهدين، وأقوال الفقهاء، وفي المناهج الدعوية، والمناهج الجماعية؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الشورىٰ: ١٠]. و﴿شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم كل نزاع، وكلَّ خلاف في كل شيء، سواء في الخصومات أو في المذاهب، أو في المناهج، وفي أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والقدرية».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان صادقًا في دعوته، وكان حريصًا علىٰ أن يحكم شرع الله لا أن يكون هو خليفة لديار المسلمين، فلم يكن له

---

(١) إعانة المستفيد (٢/ ١١٩).

طمع في الحكم، لذلك بايع الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وتعاونا جميعًا علىٰ تحكيم شريعة الله.

وقد عظمت عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتقرير حق الله الخالص في الحكم، وتغليظ التحليل والتحريم بالأهواء والتشهي.

فقد أفرد لذلك بابًا خاصًّا [باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]][1]، والعلماء كلهم يعظمون حق الله في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١هـ)[2]: «أقسم سبحانه بأجل مقسم به، وهو نَفْسُهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنه لا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونون من أهله حتىٰ يُحكموا رسوله ﷺ في جميع موارد النزاع، في جميع أبواب الدين، فإن لفظة «ما» من صيغ العموم، ولم يقتصر علىٰ هذا حتىٰ ضمَّ إليه انشراح صدورهم بحكمه، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا - وهو الضيق والحصر - من حُكمه، بل يقبلون حكمه بالانشراح، ويقابلونه بالقبول، لا يأخذونه علىٰ إغماض، ويشربونه علىٰ قذىٰ، فإنَّ هذا منافٍ للإيمان، بل لا بُدَّ أن يكون أخذه

---

(١) الباب الثامن والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧١).

(٢) بواسطة تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١١٢، ١١١٣).

بقبول ورضًى وانشراح صدر.

فسبحان الله! كم من حزازة في نفوس كثير من النصوص، وبوُدِّهم أن لو لم ترد، وكم من حرارة في أكبادهم منها، وكم من شجًى في حلوقهم من موردها، ثم لم يقتصر سبحانه علىٰ ذلك حتىٰ ضمَّ إليه قوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾. فذكر الفعل مؤكِّدًا له بالمصدر القائم مقام ذكره مرَّتين، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعًا ورضًى وتسليمًا، لا قهرًا أو مُصابرة، كما يُسلِّمُ المقهور لمن قهره كرهًا، بل تسليم عبدٍ مطيع لمولاه وسيِّده الذي هو أحب شيء إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه».

وكذلك اعتنىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا في باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله - فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][1]، وساق قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا»[2].

وساق كذلك في هذا الباب حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فقلت: إنا لسنا نعبدهم.

(١) الباب السابع و الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٩).

قال: «**أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرم الله فتحلونه؟** فقلت: بلىٰ. قال: **فتلك عبادتهم**». رواه أحمد والترمذي وحسنه(١).

وكذلك فعل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [احترام أسماء الله تعالىٰ، وتغيير الاسم لأجل ذلك](٢)، فإنه ساق فيه حديث أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يُكنىٰ أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحُكم**. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: **ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟** قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح. قال: **فأنت أبو شريح**»، رواه أبو داود وغيره(٣).

ولزوم شرع الله هو البرهان الساطع الصادق علىٰ محبة الله، فالذين آمنوا يحبون شرع الله؛ لأنه تنزيل من عزيز حميد، ولأن الله تعبّدنا بشرعه، لا أن نتخذه وراءنا ظهريًّا، ولأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق خلقه وهو أعلم بما يصلح لهم، فشرعه كمال لا نقص فيه البتة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾. وانظر إلىٰ عظم نصيحة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأمة في كتاب ربها بلزوم شرعه، وأين؟ في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله](٤)، حيث ساق من الأدلة ما يحذّر من اتخاذ أولياء من دون الله يتحاكم إليهم، فساق قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١](٥). وتدّبر ختام الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾، وكذلك

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٧٠). (٢، ٣) كتاب التوحيد، ص (٨٢).

(٤) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤). (٥) كتاب التوحيد، ص (١٤).

تأمل الآية التي ساقها الإمام بعدها، وهي قوله تعالىٰ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فأولياء الله هم الذين يتولونه ولا يتخذون من دونه أولياء يتبعونهم في مخالفة شرع الله، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ويصدِّق هذه المحبة أمران: **أحدهما:** تجريد التوحيد؛ فإنه ﷺ كان أحرص الخلق علىٰ تجريده، حتىٰ قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتىٰ قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**». ونهىٰ أن يُحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك، ونهىٰ أن يُصلىٰ إلىٰ القبر أو يتَّخذ مسجدًا، أو عيدًا، أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه علىٰ هذا الأصل الذي هو قطب رحا النَّجاة، ولم يقرره أحد ما قرَّره ﷺ بقوله وفعله، وسدَّ الذرائع المنافية له، فتعظيمه ﷺ بموافقته علىٰ ذلك لا بمناقضته فيه.

الثاني: تجريد متابعته، وتحكيمه وحده في الدَّقيق والجليل من أصول الدِّين وفروعه، والرِّضىٰ بحكمه، والانقياد له والتسليم، والإعراض عمَّا خالفه، وعدم الالتفات إلىٰ ما خالفه، حتىٰ يكون وحده هو الحاكم المُتَّبعُ المقبول قوله، المردود ما خالفه، كما كان ربُّه تعالىٰ وحده هو المعبود المألوه المَخُوفُ المرجوُّ المستغاث به، المتوكَّلُ عليه، الذي إليه الرَّغبة والرَّهبة، الذي

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٤٤-٦٤٦).

يُؤَمَّل وحده لكشف الشدائد ومغفرة الذنوب، الذي من جوده الدنيا والآخرة، الذي خلق الخلق وحده، ورزقهم وحده، ويبعثهم وحده، ويغفر ويرحم ويهدي ويُضِلُّ، ويُسعد ويُشقي وحده، وليس لغيره من الأمر شيء كائنًا من كان، لا النبي ﷺ ولا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا غيرهما، فهذا هو التعظيم الحقُّ المطابق لحال المعظِّم، النافع للمعظِّم في معاشه ومعاده، والذي هو لازم إيمانه وملزومه».



الفصل الخامس

الصناعة الحديثية في كتاب التوحيد



الاستدلال بالأصح

السمة الواضحة والطريقة المميّزة في منهجية الإمام في الاستدلال في كتابه - اعتماده علىٰ أحاديث الصحيحين، فكل باب من أبواب التوحيد الست والستين أحاديثه مخرجة في الصحيحين أو أحدهما ولا يصير لأحاديث غير الصحيحين إلا حيث لا يوجد الحديث فيهما.

وهذا يدل بلا شك على أمرين مهمين:

أولهما: أن متن كتاب التوحيد قطعة من الصحيحين في غالبه.

ثانيهما: سلوك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهج المحدثين في الاستدلال بالأصح، والاستدلال بأحاديث الصحيحين، فإن لم يوجد فإنه يورد أصح ما في الباب.

وهذا برهان مهم علىٰ أن كتاب التوحيد قطعة من صحيح البخاري، وأنه جارٍ علىٰ منهجه، فإن البخاري يورد في الأحاديث المسندة أصح الأحاديث، وما يحتاجه مما ليس في أعلىٰ درجات الصحة، أو ما كان أصح ما في الباب وليس علىٰ شرطه، أو ما كان من الآثار فإنه يعلقه.

ولنستعرض الآن أبواب كتاب التوحيد التي خلت من أحاديث الصحيحين أو أحدهما، لننظر في نسبتها إلىٰ مجموع الأبواب، ثم ننظر في درجة صحتها:

فأول بابين أحاديثهما أحاديث الصحيحين أو أحدهما.

(١) الباب الثالث [باب الخوف من الشرك][١]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرياء**»».

الحديث رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، قال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (١/ ١٠٢)، ويشهد له حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد وابن ماجه وحسنه البوصيري، ويأتي تخريجه في ص(٣٢٦).

(٢) الباب السادس [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][٣]، ليس فيها شيء من أحاديث الصحيحين، وأحاديث هذا الباب من مسند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأحاديثه نقية في عامتها، وما أودعه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب صحيح، فإنه ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفْر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[٤].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن أورده**[٥]: «رواه أحمد بسند لا بأس به»، وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالحديث صححه ابن حبان

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠، ١١).
(٣) كتاب التوحيد ص (١٥).
(٤) كتاب التوحيد ص (١٥-١٦).
(٥) كتاب التوحيد، ص (١٦).

(٧/ ٦٢٨ - رقم ٦٠٥٣)، و(٧/ ٦٢٩ - رقم ٦٢٩)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٠)، وصححه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك (٤/ ٢٤٠)، وصححه المنذري، وهذا كله ذكره العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٥٦)، فإنه من أئمة الحديث، وقال الشوكاني[١]: «إسناد لا بأس به». وبعد حديث عمران بن حصين ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال[٢] «وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعةً فلا ودع الله له**». وفي رواية: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**»».

وذكر الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه تصحيح الحاكم له (٤/ ٢١٦)، وموافقة الذهبي له[٣].

والحديث قال عنه المنذري: «إسناده جيد».

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «سنده لا بأس به».

(٢) الباب السابع [باب ما جاء في الرقىٰ والتمائم]، صدّره بحديث أبي بشير الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو مخرج في الصحيحين، ثم أتبعه بحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتِّولة شرك**»، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه أحمد وأبو داود»،

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص(٨)، مطبوع ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية، دار الكتب العلمية.

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٠).

(٤) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٩)، (٢/ ١٤١).

(٥) كتاب التوحيد، ص(١٧).

ونقل الحفيد سليمان بن عبد الله تصحيحه عن ابن حبان، والحاكم والذهبي[١].
قال العلامة المحدث ابن باز[٢]: «لا بأس بإسناده». ثم أردفه بحديث عبد الله ابن عكيم مرفوعًا[٣]: «**من تعلّق شيئًا وُكل إليه**»، وقال[٤]: «رواه أحمد والترمذي».

الحديث رواه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق (ص٤٧٦ - رقم ٢٠٧٢)، وضعفه من أجل ضعف محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، ولعدم العلم بسماع عبد الله بن عكيم من النبي ﷺ، وأشار إلىٰ شواهد في معناه، فقال[٥]: «حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، وكان في زمن النبي ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ».

ثم قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «وفي الباب عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

وبعد ذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث رويفع؛ أن رسول الله ﷺ قال له: «**لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلَّد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه**»[٧]. والحديث صححه الحفيد سليمان بن عبد الله، ونقل تصحيحه كذلك عن النووي[٨].

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٩]: «هذا الحديث رواه أحمد من طريقين

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٧٤).
(٢) مجموع الفتاوىٰ البازية (١/ ٥٢).
(٣، ٤) كتاب التوحيد، ص(١٧).
(٥) الجامع، ص(٤٧٦).
(٦) التمهيد (٥/ ٤٢).
(7) كتاب التوحيد، ص(١٨).
(٨) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٨٦).
(٩) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٢٢٦).

أحدهما أحسن من الآخر، فهو جيد با لطريقين، ورواه أيضًا من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص بإسناد جيد أيضًا، ورواه أبو داود أيضًا، فهو حديث جيد بطرقه».

(٣) الباب الثامن [باب من تبرّك بشجرة أو حجر ونحوها][١]، ساق الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، ثم ساق حديث أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم**»[٢].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ **بعد أن رواه**[٣]: «رواه الترمذي وصححه»، وهذا دال علىٰ توقير الإمام لتصحيحات المتقدمين، وأنها تقع في قلبه موقعها، والترمذي تلميذ البخاري، وعنه وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبي زرعة الرازي رَحِمَهُمُٱللَّهُ أخذ علم علل الأحاديث»[٤].

وقد أفادنا الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُٱللَّهُ أن الحديث رواه أيضًا أحمد وأبو داود والنسائي، وبيان هذا المخرج مهم، فأحاديث المسند قوية في غالبها، والنسائي معلوم تشدده في انتخاب الرواة والأحاديث، وسننه أصح

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٠).
(٤) العلل الصغير بشرح الحافظ ابن رجب (١/ ٣١).

الكتب الستة بعد الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كتاب النسائي أقل الكتب بعد الصحيحين حديثًا ضعيفًا ورجلًا مجروحًا».

وأما أبو داود فقد ضمّن سننه الصحيح، وما يشبهه، وما يقاربه[٢].

وقد نبّه العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن لفظ الترمذي: «حسن صحيح»[٣].

وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «رجاله رجال الصحيحين».

والحديث صححه ابن حبان أيضًا (٧/ ٢٤٨- رقم ٦٦٦٧).

(٤) الباب التاسع [باب ما جاء في الذبح لغير الله]، ساق فيه الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، رواه مسلم، ثم أردفه بحديث طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتىٰ يقرِّب له شيئًا. قالوا لأحدهما: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرّب. قال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ. **فضربوا عنقه، فدخل الجنة**». وقال: رواه أحمد[٥]. وهو إسناد صحيح إلا أن طارق ابن

---

(١) النكت (١/ ٤٨٤).

(٢) رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، ص (٣٢). (٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٠٤).

(٤) رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله ص(٢٣٠)، ط: دار عالم الفوائد.

(٥) كتاب التوحيد، ص(٢٠-٢٢).

شهاب في رواية أخرىٰ أدخل بينه وبين النبي ﷺ سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في شعب الإيمان للبيهقي، قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «هذا السند جيد، فهو إما مرسل - مرسل صحابي - ومرسل الصحابي حجة[٢]، وإما متصل فيكون أعظم للحجة، فبكل حال هو مناسب للمقام، وشاهد للباب». وحديث طارق بن شهاب أدخله بعض المتقدمين في المسند؛ لأنه رأىٰ النبي ﷺ[٣].

(٥) الباب العاشر [باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][٤]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨][٥]، ثم ساق حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟** قالوا: لا. قال: **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟** قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[٦].

ثم قال الإمام مبينًا مخرجه وحكمه[٧]: «رواه أبو داود، وإسناده علىٰ

(١) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٢٧٢).

(٢) **قال طارق بن شهاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت رسول الله ﷺ. الاستيعاب، ص(٣٨١، رقم: ١٢٦٨)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ «إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي علىٰ الراجح، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول علىٰ الراجح، وقد أخرج له النسائي عدَّة أحاديث، وذلك مصير منه إلىٰ إثبات صحبته». الإصابة (٥/ ٣٨٤).

(٣) الإنابة إلىٰ معرفة المختلف فيهم من الصحابة للحافظ مغلطاي (١/ ٣٠٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

(٧) كتاب التوحيد، ص (٢٣).

شرطهما». والحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال[١]: «إسناد جيد». وهو كما قالا، قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم».

(٦) الباب الثالث عشر: [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][٣]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الآيات، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، ثم ختم الباب بحديث خارج الكتب الستة، قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وروىٰ الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**»».

وهذا الحديث قال فيه الحافظ الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث».

وعبد الله بن لهيعة حاله معلوم، والاختلاف فيه مشهور، والأرجح أنه يعتبر به، ورواية العبادلة عنه أقوىٰ من غيره، قال الحافظ العلائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦١هـ)[٦]: «إن ابن لهيعة قد وثَّقه أيضًا قوم آخرون مطلقًا، وقوم إذا حدَّث من كتابه أو كان له متابع، وروىٰ له مسلم في صحيحه مقرونًا بغيره، وقال أبو داود السجستاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه، وحدَّث عنه بحديث كثير.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٣٨).
(٢) البدر المنير (٩/ ٥١٨).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٤).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٢٥).
(٥) مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩).
(٦) مجموع رسائل الحافظ العلائي (١/ ٣١٩).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند ابن لهيعة الأصول، وعندي الفروع. وقال أبو طاهر ابن السرح: سمعت ابن وهب يقول: وسأله رجل عن حديث فحدَّث به، فقال له الرجل: من حدَّثك بهذا يا أبا محمد؟ فقال: حدّثني به والله الصادق البار عبد الله بن لهيعة.

وفيه أقوال جيدة غير هذه، وإن كان قول من ضعَّفه أكثر».

وهنا لا بد من مراعاة اختلاف أنظار العلماء في ترجيحاتهم في الرواة المختلف فيهم.

وأنت إذا تأملت منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل باب لوحده، وفي مجموع الأبواب - فإنه يذكر ما هو مقطوع بصحته من القرآن وصحيح الأحاديث، ثم يعضده بما يعتبر به مما هو حسن أو قريب من الصحيح والحسن.

وحديث ابن لهيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ منطوقه موافق للآيات التي ساقها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب، فإنه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢][1].

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] معلقًا علىٰ الحديث: «فيه ضعف؛ لأنه من رواية ابن لهيعة، ولكن له شواهد في المعنىٰ فيما يتعلق بتحريم الاستغاثة

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٤، ٢٥).
(٢) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٣٣٠).

بغير الله في الأمور التي من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

(٧) وفي الباب التاسع عشر [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟][(١)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»، رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه».

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «سند جيد».

وقال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «هذا حديث حسن».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «وقد أخرجه البخاري (ج١٣، ص١٤)، ومسلم (ج٤، ص٢٢٦٨)، إلىٰ قوله: «**وهم أحياء**»».

(٨) في الباب العشرين [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله][(٦)]، ابتدأ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما رواه الإمام مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٧)].

وقد تكلم الحفيد العلامة المحدّث سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير صحة الحديث فقال[(٨)]: «هذا الحديث رواه مالك في «باب جامع الصلاة»، مرسلًا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار: أن رسول الله ﷺ قاله.

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٣٧). (٢) كتاب التوحيد، ص(٤٠).

(٣) الدر النضيد في كلمة التوحيد، ص(١١). (٤، ٥) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥/ ٩٦).

(٦، ٧) كتاب التوحيد، ص (٤٠). (٨) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٧٠ - ٦٨٩).

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به، ولم يذكر عطاء.

ورواه البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وعمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ثقة من أشراف أهل المدينة، روىٰ عنه مالك، والثوري، وسليمان بن بلال.

فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ «الموطأ»، سواء، وهو ممَّن تُقبل زيادته.

وله شاهد عند الإمام أحمد والعقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وحديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة حديث صحيح، وقد صححه ابن عبد البر في التمهيد[١]، وصححه العلامة المحدّث ربيع المدخلي[٢].

والعلامة المحدّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحح إسناد حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣]، وقال عن مرسل زيد بن أسلم: إسناده قوي[٤]. وعن حديث عطاء بن يسار مرفوعًا: سنده صحيح[٥].

والحديث صححه العلامة المحدّث أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦].

---

(١) التمهيد (٥/ ٤٢). (٢) في تحقيقه للتوسل والوسيلة ص (٧٩)، ط: دار الإمام أحمد.

(٣، ٤) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (٢٥).

(٥) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (٢٦). (٦) في تحقيقه لمسند أحمد (١٣/ ٨٦).

وفي الباب نفسه ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا آخر، فقال[١]: «وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن»[٢].

هذا الحديث رواه أهل السنن كلهم من طريق محمد بن جحادة عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا... الحديث، إلا أن ابن ماجه رواه بالإسناد نفسه، ولكن لفظه: «**زوَّارات**».

واختلف العلماء في تعيين أبي صالح، قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وأبو صالح هذا هو مولىٰ أم هانئ بنت أبي طالب، واسمه باذان، ويقال: باذام أيضًا». واختلفوا كذلك في توثيق أبي صالح، فابن عدي وهو متأخر قال: لا أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه. بينما نجد المتقدمين علىٰ خلاف هذا، قال يحيىٰ بن سعيد القطان: لم أر أحدًا من أصحابنا ترك أبا صالح مولىٰ أم هانئ، وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شعبة[٤].

واختلف في إسناده كذلك، قال الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «يرويه محمد ابن

(١) كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢٩)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب: التغليظ في اتخاذ السرج علىٰ القبور (ص٢٨٦- رقم ٢٠٤٥)، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب: في زيارة النساء القبور (ص٤٧٢- رقم ٣٢٣٦)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في كراهية أن يَتخِذَ علىٰ القبر مسجدًا (ص٨٨- رقم ٣٢٠)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور (ص٢٢٤- رقم ١٥٧٥).

(٣) جامع الترمذي، ص (٨٨).

(٤) الوهم والإيهام (٥/ ٥٦٣).

(٥) علل الأحاديث (٨/ ١٩٩).

جحادة، واختلف عنه فرواه عمرو بن عاصم عن همّام عن ابن جحادة عن أبي صالح عن أبي هريرة، وغيره يرويه عن ابن جحادة عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، منهم شعبة وعبد الوارث، وهو الصواب».

فالدارقطني صوّب رواية محمد بن جحادة عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال الترمذي رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حديث حسن».

وقال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «هذا الحديث رواه ابن عباس، ورواه أبو هريرة، ورواه حسان بن ثابت الأنصاري، عن النبي ﷺ، وهذه الأسانيد يشد بعضها بعضًا، ويؤيد بعضها بعضًا».

(٩) في [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][٣]، ساق الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ثم أتبعه بحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[٤].

ثم قال الإمام مبينًا مخرج الحديث وحكمه[٥]: «رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات». والحديث كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ

---

(١) جامع الترمذي ص (٨٨). (٢) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٣٨٦).

(٣) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١). (٤) كتاب التوحيد، ص (٤٠، ٤١).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

حسن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا حديث حسن، ورواته ثقات مشاهير». وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «سند حسن».

ثم ساق الإمام أثرًا عن آل البيت المتقدمين، فقال[٣]: «وعن علي ابن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم**». رواه في المختارة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وهذا الحديث مما خرّجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فيما اختاره من الأحاديث الجياد المختارة الزائدة علىٰ ما في الصحيحين، وهو أعلىٰ مرتبة من تصحيح الحاكم، وهو قريب من تصحيح الترمذي وأبي حاتم البستي، ونحوهما، فإن الغلط في هذا قليل، ليس هو مثل تصحيح الحاكم، فإن فيه أحاديث كثيرة يظهر أنها كذب موضوعة، فلهذا انحطت درجته عن غيره».

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «سنده مسلسل بأهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ،

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٢).

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (١٢٩).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٤) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٢).

(٥) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (١٢٨).

إلا أن أحدهم - وهو علي بن عمر - مستور، كما قال الحافظ في «التقريب»».

١) وفي الباب الثالث والعشرين [باب ما جاء في السحر][(١)]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا: يا رسول الله! وما هنّ؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**». ولم يخرّجه الإمام علىٰ غير المعهود من عمله في الكتاب[(٢)].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هكذا أورد المصنف هذا الحديث غير مَعْزُوٍّ، وقد رواه البخاري[(٤)] ومسلم[(٥)]».

(١) وفي باب [بيان شيء من أنواع السحر][(٦)]، ساق حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو في الصحيحين، وحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في مسلم، وبقية أحاديث الباب رواها أحمد وأصحاب السنن، وصححها جميعًا، عدا حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من رواية النسائي، وهذه الأحاديث ساقها الإمام كالتالي:

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٤٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٤٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٨٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات (ص١١٨٢ - رقم ٦٨٥٧).

(٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها (ص٥٣ - رقم ٢٦٢).

(٦) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص(٤٧).

(أ) قال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر: حدَّثنا عوف: حدثنا حيَّان بن العلاء: حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إن العيافة، والطَّرْق، والطِّيَرَة من الجبت**».

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه».

وقال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إسناد جيد».

(ب) والحديث الثاني في الباب حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**».

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «رواه أبو داود، وإسناده صحيح»، وهو كما قال.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إسناد صحيح».

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «سند صحيح».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «سند صحيح».

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧]: «إسناده صحيح».

(١) كتاب التوحيد، ص(٤٨).
(٢) الدر النضيد في كلمة التوحيد، ص(١٢).
(٣) كتاب التوحيد، ص(٤٨).
(٤) رياض الصالحين، ص(٣٧٨).
(5) الكبائر، ص(١٢٣).
(٦) الدر النضيد في كلمة التوحيد، ص(١٢).
(٧) الفتاوىٰ البازية (٢/ ١٢٠).

وقال العلامة المحدّث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «حديث صحيح».

(ج) الحديث الثالث في الباب، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكل إليه**»[٢].

والحديث رواه النسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة (ص٥٦٩، ٥٧٠ - رقم ٤٠٨٤)، وفيه علتان:

الأولى: الانقطاع بين الحسن البصري وأبي هريرة.

الثانية: في إسناده عباد بن ميسرة وهو لين الحديث.

(١٢) وفي باب [ما جاء في الكهان ونحوهم][٣]، قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ»، رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرطهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من أتىٰ عرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ»».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إسناده صحيح».

---

(١) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥/ ٧٧). (٢) كتاب التوحيد، ص(٤٨، ٤٩).

(٣) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص(٤٩). (٤) كتاب التوحيد، ص(٥٠).

(٥) الكبائر، ص(١٢٣).

والحديث له شواهد كثيرة، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وأخرج أبو يعلىٰ بسند جيد مرفوعًا: «**من أتىٰ كاهنًا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**»، وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بسند حسن».

(١٣) وفي باب [ما جاء في النشرة][٢]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة؟ فقال: **هي من عمل الشيطان**. رواه أحمد بسند جيد».

والحديث كما قال ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «سنده حسن».

وصححه الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

(١٤) وفي باب [ما جاء في التطير][٦]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧]: «ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ، فقال: **أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا**

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص(١٣)، مطبوع ضمن مجموع الرسائل السلفية.

(٢) الباب السادس والعشرون، كتاب التوحيد، ص(٥٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص(٥٢).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

(٥) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها، ص(١٥)، ط: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط: الثالثة.

(٦) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص(٥٤).

(٧) كتاب التوحيد، ص(٥٥).

رأىٰ أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وله من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منّا إلَّا! ولكن الله يُذهبه بالتوكل**. رواه أبو داود والترمذي، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

حديث عقبة بن عامر رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (ص٥٥٦، رقم: ٣٩١٩)، والعلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الاختلاف في صحبة عقبة بن عامر بناءً علىٰ الخلاف فيه، هل هو القرشي أو الجهني[١].

وأبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنن لمّا رواه قال[٢]: «قال أحمد: القرشي».

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح».

والإمام محمد بن عبد الوهاب حكىٰ تصحيح حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن الترمذي، ونقل عنه أن آخر المتن: «وما منّا إلَّا! ولكن الله يذهبه بالتوكل» مدرج من كلام ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي بيان ذلك في مبحث نقد الإمام للمتون.

وقال العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] **عن حديث ابن مسعود**: «هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا عيسىٰ بن عاصم، وقد وثّقَهُ أحمد والنسائي».

وصححه كذلك العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٨٤).
(٢) السنن، ص(٥٥٦).
(٣) رياض الصالحين، ص(٣٧٩).
(٤) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٣١٤).
(٥) صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٩٧ - رقم ٣٠٩٨).

وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردَّته الطِّيرة عن حاجته فقد أشرك**. قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: **أن تقول: اللهم لا خير إلَّا خيرك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك**».

وله من حديث الفضل بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**إنَّما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك**»».

حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رواه أحمد[(٢)] كما قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو حديث صحيح، صححه العلامة المحدِّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

وحديث الفضل بعده ساقه الإمام متابعة، يدل لذلك أنه في بعض نسخ الكتاب بيان الإمام لعلته، قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «قال: «**إنَّما الطيرة ما أمضاك أو رَدَّك**»، هكذا، رواه أحمد وفي إسناده نظر، وقرأت بخط المصنف: «فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع»، أي: بين مسلمة وبين الفضل وهو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، وأكبر ولد العباس».

والراوي المختلف فيه هو محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي، روىٰ عنه عبد الله بن المبارك، ووكيع، وأبو الوليد الطيالسي، وروىٰ له النسائي في سننه.

وثقه يحيىٰ بن معين، وقال أبو زرعة: صالح، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يحتج به.

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٥٥-٥٦).

(٢) المسند (٢/ ٢٢٠).

(٣) السلسلة الصحيحة (٣/ ٥٤).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٩٢).

وقال محمد بن سعد: ثقة.

وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال الدارقطني: متروك.

وقال الخطيب البغدادي: وصفه يحيىٰ بن معين بالثقة، ولم أحفظ لأحد من الأئمة فيه خلاف ما وصفه به يحي.

وقال ابن عدي: حسن الحديث وأرجو أنه لا بأس به[١].

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ[٢].

(١٥) وفي الباب الثامن والعشرين [باب ما جاء في التنجيم][٣]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدِّقٌ بالسحر**»، ثم قال[٤]: «رواه أحمد وابن حبان في صحيحه».

وهذا الحديث رواه أحمد[٥] كما قال الإمام، وصححه ابن حبان[٦]، ونقل تصحيحه الحفيد أيضًا عن الحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه[٧].

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٣٨١).

(٢) تقريب التهذيب (ص٨٦٤ - رقم ٦٠٧٨).

(٣) كتاب التوحيد، ص(٥٦).

(٤) كتاب التوحيد، ص(٥٧).

(٥) المسند (٤/ ٣٩٩).

(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧/ ٣٦٦).

(٧) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩١٠).

(١٦) وفي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]][1]، ساق الإمام حديث أبي سعيد، فقال[2]: «عن أبي سعيد مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذمَّهم علىٰ ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**».

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «**من التمس رضىٰ الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضىٰ الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»[3]. وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعده مبينًا مخرج حديث عائشة وحكمه[4] «رواه ابن حبان في صحيحه».

وحديث أبي سعيد لم يذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخرجه علىٰ غير المعهود من طريقته في كتاب «التوحيد»، والحديث رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦) من طريق علي بن محمد بن مروان، ثنا أبي، عن عمرو بن قيس به، وقال أبو نعيم بعد أن رواه (٥/ ١٠٦): «غريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن محمد بن مروان عن أبيه».

وعلي بن محمد بن مروان أبوه محمد بن مروان السدي الكوفي، لم يرو له أحد من أصحاب الكتب الستة، وهو متهم بالكذب.

وأما حديث عائشة فهو كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الحادي والثلاثون، ص (٦١).

(٣،٢) كتاب التوحيد، ص (٦٢، ٦٣).

(٤) كتاب التوحيد ص (٦٣).

رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٤٧- رقم ٢٦٧).

(١٧) **وفي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾** [الأعراف: ٩٩]][1]، ساق الإمام حديث ابن عباس مرفوعًا، وأثر ابن مسعود موقوفًا، فقال[2]: «وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: **الشرك بالله، واليأس من رَوْح الله، والأمن من مكر الله**».

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله. رواه عبد الرزاق».

وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال عنه الهيثمي**[3]: «رجاله موثقون». وقال عن أثر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[4]: «إسناده صحيح».

(١٨) وفي باب [من الإيمان بالله الصبر علىٰ أقدار الله][5]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه، حتىٰ يُوافي به يوم القيامة**»، ولم يذكر مخرجه علىٰ غير المعتاد[6].

والحفيد العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبان عن مخرجه، فقال[7]: «هذا الحديث رواه الترمذي، والحاكم، وحسنه الترمذي».

---

(١) الباب الثالث والثلاثون كتاب التوحيد، ص (٦٥). (٢) كتاب التوحيد، ص (٦٥).

(٣) مجمع الزوائد (١/ ١٠٤). (٤) مجمع الزوائد (١/ ١٠٤).

(٥) الباب الرابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٦٥). (٦) كتاب التوحيد، ص(٦٦).

(٧) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٢٨).

وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقال النبي ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»، حسنه الترمذي».

وأبان الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الحديث مروي بإسناد الحديث قبله، وأن الترمذي قال فيه: هذا حسن غريب من هذا الوجه[٢].

وذكر أن ابن ماجه رواه أيضًا[٣].

ونقل تصحيحه عن السيوطي[٤].

(١٩) وفي باب [ما جاء في الرياء] [٥]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي سعيد مرفوعًا[٦]: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟** قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزيِّن صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**». ثم قال[٧]: «رواه أحمد».

الحديث رواه أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة (ص٦١٢ - رقم ٤٢٠٣).

قال البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٨]: «إسناد حسن».

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٦٦-٦٧).
(٢) كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر (ص٥٤٦ - رقم ٢٣٩٦).
(٣) كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء (ص٥٨٢ - رقم ٤٠٣١).
(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٣٣).
(٥) الباب الخامس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٦٧). (٥) كتاب التوحيد، ص(٦٧-٦٨).
(٧) كتاب التوحيد، ص(٦٨). (8) مصباح الزجاجة (٢/ ٣٣٩).

والعلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صححه بشواهده، حيث قال[١]: «الحديث، وفي سنده ضعف، ومعناه صحيح. وروىٰ ابن خزيمة[٢] في «صحيحه» معناه عن محمود بن لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ فقال: **يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر!** قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: **يقوم الرجل فيُصلِّي، فيزيِّن صلاته جاهدًا لما يرىٰ من نظر الرَّجُلِ إليه، فذلك شرك السرائر**».

والضعف الذي قصده العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّنه البوصيري بقوله[٣]: «كثير بن زيد[٤] وربيح بن عبد الرحمن[٥] مختلف فيهما».

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث محمود بن لبيد[٦]: «إسناد صحيح».

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٥٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٢/ ٦٧).

(٣) مصباح الزجاجة (٢/ ٣٣٩).

(٤) كثير بن زيد الأسلمي، قال أحمد: ما أرىٰ به بأسًا. وقال أبو زرعة. صدوق فيه لين، وقال أبو حاتم: صالح ليس بالقوي، وضعفه النسائي، وقال ابن معين في رواية: صالح، وقال في روايات: ضعيف، وقال ابن عدي: ارجو أنه لا بأس به، وقد روىٰ عنه مالك وحماد بن زيد. تهذيب الكمال (٦/ ١٥٣).

(٥) ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، قال أحمد: ليس بمعروف، وقال أبو زرعة: شيخ، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. تهذيب الكمال (٢/ ٤٥٦).

(٦) مجموع الفتاوىٰ البازية (١/ ٤٤).

(٢٠) وفي باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][١]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال: **أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه**؟ فقلت: بلىٰ. قال: **فتلك عبادتهم**»[٢].

ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا مخرجه وحكمه: «رواه أحمد والترمذي وحسنه»[٣]. والحديث ثابت كما نقل إمام الدعوة عن الترمذي تحسينه، وقد صححه أبو المظفر السمعاني في تفسيره[٤]، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية[٥].

(٢١) **وفي باب قوله تعالىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠][٦]. ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[٧]. وسيأتي الكلام علىٰ تخريجه في الأحاديث المخرّجة في غير الكتب الستة والموطأ والمسند.

(٢٢) **في باب قول الله تعالىٰ:** ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

(١، ٢) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧٠). (٣) كتاب التوحيد، ص (٧٠).

(٤) تفسير القرآن (٢/ ٣٠٣). (٥) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٧).

(٦) الباب الثامن والثلاثون، كتاب التوحيد ص (٧١). (7) كتاب التوحيد، ص (٧٢، ٧٣).

تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢][1]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك**». قال الإمام: «رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم»[2].

والحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن نقل تصحيح جده الإمام للحديث – قال مضيفًا**[3]: «وقال الزين العراقي في «أماليه»: إسناده ثقات».

وقال الإمام المحدّث المجدد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «إسناد صحيح».

وفي الباب نفسه ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي ﷺ، قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**». ثم قال[5]: «رواه أبو داود بسند صحيح».

وهنا نجد الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ خالف جده الإمام في تصحيح السند، حيث قال[6]: «هذا الحديث رواه أبو داود – كما قال المصنف – ورواه أحمد وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، وله علة، وله شواهد، وهو صحيح المعنىٰ بلا ريب».

ومخالفة الحفيد للجد في تضعيف السند للعلة التي أشار إليها، وهي عدم سماع التابعي عبد الله بن يسار من الصحابي حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ – دالة علىٰ تحري

(١) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٦).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٦، ٧٧).
(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٦٥).
(٤) مجموع الفتاوىٰ البازية (١/ ٤٥).
(٥) كتاب التوحيد، ص (٧٧).
(٦) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٧٥).

وتجرد الحفيد للحق، ومع هذا فالحفيد موافق للجد بتصحيح الحديث بشواهده.

(٢٣) وفي باب [ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حُلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه ابن ماجه بسند حسن».

والحديث رواه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب: «**من حُلف له بالله فليرض**» (ص٣٠١ - رقم ٢١٠١) من طريق محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا إسناد حسن كما قال الإمام، قال البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٢٤) وفي باب [قول: ما شاء الله وشئت][٤]، ساق الإمام حديث قتيلة - امرأة من جهينة - أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة. وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه النسائي وصححه».

---

(١) الباب الثاني والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٨). (٣) مصباح الزجاجة (١/ ٣٦٠).

(٤) الباب الثالث والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨). (5) كتاب التوحيد، ص (٧٩).

الحديث رواه النسائي، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة (ص٥٣٠- رقم ٣٨٠٤) أخبرنا يوسف بن عيسىٰ، حدثنا الفضل ابن موسىٰ، حدثنا مسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا عبد الله بن يسار، وقد وثّقه النسائي».

وفي الباب نفسه أيضًا قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمّها -، قال: رأيت كأني أتيت علىٰ نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل أخبرت بها أحدًا؟**». قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا وأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**». الحديث رواه أحمد (٥/ ٧٢)، وابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. (ص٣٠٤ - رقم ٢١١٨/ ٢) كلهم من طريق عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش

(١) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٢٨٦). (٢) كتاب التوحيد، ص (٧٩، ٨٠).

عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لأمِّها.

والحديث صححه العلامة المحدّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وقال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «حديث صحيح».

(٢٥) وفي باب [احترام أسماء الله تعالىٰ وتغيير الاسم لأجل ذلك][٣]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي شريح أنه كان يُكنىٰ أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم**». فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «**ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟**». قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قلت: شريح. قال: «**فأنت أبو شريح**».

قال الإمام[٤]: «رواه أبو داود وغيره». والحديث رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (ص٦٩٨ - رقم ٤٩٥٥)، والنسائي كتاب آداب القضاة، باب: إذا حكموا رجلًا فقضىٰ بينهم (ص٧٣٠ - رقم ٥٣٨٩) كلهم من طريق يزيد بن المقدام بن شريح عن شريح بن هانئ عن أبيه.

قال العلامة المحدّث أبو عبد الرحمن مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «هذا

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢١٦- رقم ١٣٨).

(٢) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥/ ٦٨٤).

(٣) الباب السادس والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٢).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٨٢).

(٥) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٣١٨).

حديث حسن».

(٢٦) وفي باب [لا يرد من سأل بالله][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح». الحديث رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في الرجل يستعيذ من الرجل (ص٧١٩- رقم ٥١٠٩)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب: من سأل بالله عَزَّوَجَلَّ (ص٣٥٥ - رقم ٢٥٦٨)، كلهم من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين».

(٢٧) وفي باب [لا يسأل بوجه الله إلا الجنة][٤]، ذكر الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**».

---

(١) الباب الرابع والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩٤).

(٣) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٢٨٢).

(٤) الباب الخامس والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٤).

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «رواه أبو داود».

والحديث رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله عَزَّوَجَلَّ (ص٢٤٨ - رقم ١٦٧١)، حدثنا أبو العباس القلوريُّ، حدثنا يعقوب ابن إسحاق الحضرمي، عن سليمان بن معاذ التميمي، حدثنا ابن المنكدر، عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الحديث.

وسليمان بن قرم ضعيف، قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرم».

(٢٨) وفي باب [النهي عن سب الريح][٣]، ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشرِّ ما أُمرت به**».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «صححه الترمذي».

الحديث رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في النهي عن سب الريح (ص٥١٧ - رقم ٢٢٥٢)، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن الشهيد،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٩٤).

(٢) الكامل في الضعفاء (٣/ ١١٠٧).

(٣) الباب السابع و الخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٥).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٩٥).

حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ذرٍّ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزىٰ، عن أبيه، عن أبيِّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال أبو عيسىٰ رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال العلامة أبو عبد الرحمن مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «هو حديث صحيح، ورجاله رجال الصحيح، إلا إسحاق بن إبراهيم بن الشهيد، وقد وثَّقه النسائي والدارقطني.

والحديث قد روي عن الأعمش موقوفًا ومرفوعًا فيُحمل علىٰ الوجهين».

(٢٢) وفي باب [ما جاء في منكري القدر][٣]، قال الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]: «وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال لابنه: يا بُني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتىٰ تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أَخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كُلِّ شيء حتىٰ تقوم الساعة**. يا بُنيَّ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من مات علىٰ غير هذا فليس مني**». وفي رواية لأحمد: «**إن أوَّل ما خلق الله تعالىٰ القلم، فقال له: اكتب. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**».

---

(١) جامع الترمذي، ص (٥١٨).

(٢) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٣١٦).

(٣) الباب التاسع والخمسون، كتاب التوحيد، ص(٩٩).

(٤) كتاب التوحيد، ص(٩٩، ١٠٠).

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار»».

رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة «نون والقلم» (ص٧٥٧ - رقم ٣٣١٩)، وقال: حسن صحيح غريب.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٧).

قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إسناد صحيح».

وقال العلامة المحدّث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «حديث صحيح».

أما الزيادة التي ذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**»، فقد رواها عبد الله بن وهب القرشي، أخبرني عمر بن محمد أن الأعمش حدّثه، قال: قال: عبادة بن الصامت[٣].

إسناده ضعيف لانقطاعه بين الأعمش وعبادة بن الصامت.

وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي، قال: أتيت أُبَيَّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة (١/ ١٧٣).

(٢) ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٤٦، ٤٧).

(٣) كتاب القدر (ص١٢١ - رقم ٢٦).

(٤) كتاب التوحيد، ص(١٠٠-١٠١).

ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ علىٰ هذا لكنت من أهل النار. فقال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ.

حديث صحيح ، رواه الحاكم في صحيحه».

والحديث كما قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواه أحمد (٥/ ١٨٥)، وأبو داود، كتاب السنة باب في القدر (ص٦٦٤ - رقم ٤٦٩٩)، وابن ماجه، كتاب السنة، باب في القدر (ص١٢، ١٣ - رقم ٧٧)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص١٩٦ - رقم ٢٠٠) كلهم من طريق وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي.

والحديث صححه ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، وقال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورواه كثير بن مرة عن ابن الديلمي، إلا أنه زاد سعد بن أبي وقاص في أوله ولم يذكر حذيفة»[٢].

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إسناده صحيح».

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «حديث حسن، وابن الديلمي هو عبد الله بن فيروز».

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢/ ٥٥).

(٢) الاعتقاد، ص(١٧٢).

(٣) ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ١٠٢).

(٤) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٥/ ٥١).

(٣٠) وفي باب [لا يستشفع بالله علىٰ خلقه][(١)]، ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك علىٰ الله. فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! سبحان الله!**»، فما زال يُسبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله علىٰ أحد**».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «رواه أبو داود».

والحديث رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية (ص٦٦٨ - رقم ٤٧٢٦)، من طريق محمد بن إسحاق يُحدّث عن يعقوب بن عتبة عن جبير ابن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده، الحديث، وهذا الحديث أعلّه الحافظ الذهبي بتفرد محمد بن إسحاق، وبنكارة متنه، حيث جاء فيه: «**إن الله علىٰ عرشه، وعرشه علىٰ سمواته، وسمواته علىٰ أرضه، هكذا** - وقال بأصابعه مثل القبة - **وأنه ليئط به مثل أطيط الرحل بالراكب**».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هذا حديث غريب جدًّا فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا؟ وأما الله عَزَّوَجَلَّ فليس كمثله شيء جَلَّجَلَالُهُ، وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره.

(١) الباب الرابع والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠٩).

(٣) العلو، ص (٣٩).

الأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعدّه صفة لله عَزَّوَجَلَّ، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت».

(٣١) وفي باب [ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد وسده طرق الشرك](١)، أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عبد الله ابن الشخير، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: «**السيِّد الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: **قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «رواه أبو داود بسند جيد».

والحديث رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح (ص٦٨٠ - رقم ٤٨٠٦)، حدثنا مسدَّد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشخير، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ... فذكره.

قال العلامة المحدّث مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «صحيح علىٰ شرط مسلم».

وفي الباب نفسه ساق حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن ناسًا قالوا**: يا رسول الله، يا خيرنا، وابنَ خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا. فقال: **يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن**

---

(١) الباب الخامس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١٠). (٢) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٣) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٣٤٣).

ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ».

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «رواه النسائي بسند جيد».

الحديث رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٢٥٠)، أخبرنا أبو بكر ابن نافع، قال: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة المحدّث أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم».

(٣٢) وفي باب [ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]][٣]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟** قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **بينهما مسيرة خمسمئة سنة، ومن كل سماء إلىٰ سماء مسيرة خمسمئة سنة، وكِثْفُ كل سماء مسيرة خمسمئة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالىٰ فوق ذلك، وليس يخفىٰ عليه شيء من أعمال بني آدم**»، أخرجه أبو داود وغيره».

الحديث رواه أحمد (١/ ٢٠٦)، وأبو داود (رقم ٤٧٢٣)، والترمذي (رقم ٣٣٢٠).

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١١١). (2) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٢٨٩).

(٣) الباب السادس والستون، كتاب التوحيد، ص(١١١). (٤) كتاب التوحيد، ص(١١٥).

والحديث حسنه الترمذي في جامعه[١]، وذكر الذهبي تصحيحه عن الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة[٢]، ولا يظهر هذا؛ فإن الحديث معلول سندًا ومتنًا، وعلله كثيرة، منها:

(١) جهالة عبد الله بن عميرة، وقد أعله بذلك الحافظ الذهبي[٣].

(٢) تفرد عبد الله بن عميرة به، وقد أعله بذلك الحافظ الذهبي[٤].

(٣) الاختلاف في سنده؛ فقد رواه أبو داود والترمذي كلاهما عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس به.

ورواه أحمد بخلاف ذلك؛ حيث قال: ثنا عبد الرزاق: أنبأنا يحيىٰ بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد: حدثنا سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن عباس بن عبد المطلب به.

(٤) تفرد سماك به، وأعله بذلك الذهبي[٥].

(٥) الاختلاف في رفعه ووقفه، قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «روىٰ شريك عن سماك بعض هذا الحديث، وأوقفه ولم يرفعه».

(٦) نكارة متنه؛ فإنه جاء في متنه «**فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلىٰ السماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلىٰ سماء ثم فوق ظهورهن العرش**».

---

(١) الجامع ص(٧٥٧)، وقال: حسن غريب.

(٢-٥) العلو، ص(٥٠).

(٦) الجامع، ص(٧٥٧).



قطعة من صحيح البخاري

متن كتاب التوحيد كأنما هو قطعة من صحيح البخاري، وهذا واضح جدًّا، فقد سلك الإمام محمد بن عبد الوهاب طريقة البخاري في صحيحه، فقد ترجم لكل مسألة بباب يدل علىٰ حكم المسألة، وأودع فيه من الأدلة ما يدل علىٰ ذلك.

وسلك طريقة البخاري في الاحتجاج لترجمة كل باب، فأدلته هي القرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين.

وشرع في المقصود مباشرة، فلم يجعل لكتابه مقدمة كما فعل البخاري تمامًا، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ ابتداء المصنف مباشرة بالمقصود من غير مقدمة حيث ابتدأ بالبسملة والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، ثم قال: كتاب التوحيد. وشرع في المقصود[1] «كتاب التوحيد»، هذه الترجمة تدل علىٰ مقصود هذا الكتاب من أوله إلىٰ آخره، **ولهذا استُغني بها عن الخطبة**، أي إنَّ هذا الكتاب يشتمل علىٰ توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعِّفه

---

(١) القول السديد في شرح كتاب التوحيد، ص (١٢).

ويوهيه، وما به يتم أو يكمل».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر اسم الكتاب، وقال: «كتاب التوحيد»، ابتدأ مباشرة بالبسملة؛ استعانة بالله قوة وتسديدًا في تصنيف الكتاب، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : «قوله في كتاب التوحيد: «بسم الله الرحمن الرحيم»، الكلام علىٰ البسملة بيّن مذكور في الشرح، **والبداءة بها سنة كما فعل البخاري** وغيره من العلماء؛ اتباعًا للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف».

وموافقة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأمير المؤمنين في الحديث البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لم تأت هكذا اعتباطًا، بل جاءت عن قصد، وبغرض تيسير العلم لطالبه، ولخبرة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصحيح البخاري واغترافه من معينه، فإن مادة كتاب التوحيد أغلبها وجلها من أحاديث البخاري، وكذلك آثاره من معلقات البخاري.

والذي يدل علىٰ قصد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ اقتفاء أثر البخاري في التصنيف علىٰ طريقته - تنصيصه علىٰ ذلك بنفسه، فإنه في باب [الخوف من الشرك][2]، ذكر الآيات والأحاديث في تحقيق التوحيد، وقال في مسائله[3]: «المسألة العاشرة: **فيه تفسير «لا إله إلا الله»، كما ذكره البخاري**».

ومن أوضح البراهين علىٰ أن كتاب التوحيد قطعة من صحيح البخاري

---

(١) قرة عيون الموحدين، ص (١٥).

(٢) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٣) القول السديد، ص (٢٤).

- هو أنه في بعض أبواب التوحيد يُضمِّنها بابًا كاملًا برمته من الصحيح، مثال ذلك: انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فقد أودعه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتمامه في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢]].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب المغازي، باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾: قال حميد وثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد، فقال: «**كيف يفلح قوم شجُّوا نبيهم؟**» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

ثم قال البخاري: حدثنا يحيىٰ بن عبد الله السلمي: أخبرنا عبد الله: أخبرنا معمر عن الزهري: حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا**». بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربَّنا ولك الحمد**». فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

ثم قال البخاري: وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: كان رسول الله ﷺ يدعو علىٰ صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

---

(١) صحيح البخاري، ص (٦٨٨، ٦٨٩).

وإذا قابلت بين هذا الباب من صحيح البخاري، وباب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١]][1]، وجدت أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمنه القطعة الكاملة من باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨] من كتاب المغازي من صحيح البخاري، وأضاف إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]، وأضاف إليه أيضًا حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**»، وهذا الحديث أيضًا من أحاديث البخاري، ورواه مسلم كذلك.

ومعرفة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصحيح البخاري واضح أنها معرفة مفصلة، فإنه جعله مادة كتابه، وفضلًا عن سلوك منهجه في التبويب والاستدلال وعرض المادة وتقرير الأحكام، والاستدلال بأحاديثه، فإنه ضمّن كتابه ما احتاجه من معلقات البخاري أيضًا، فانظر مثلًا باب [ما جاء في كثرة الحلف][2]، من كتاب التوحيد، حيث أورد فيه الإمام محمد ابن

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الرابع عشر، ص (٢٦).

(٢) كتاب التوحيد، الباب الحادي والستون، ص (١٠٣).

عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد، ونحن صغار»[١].

وهذا من معلقات البخاري ذكره في كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال: أشهد بالله. أو: شهدت بالله[٢].

ولم يقتصر تطابق المنهج بين الإمامين ابن عبد الوهاب والبخاري رحمهما الله في التراجم والتبويب وسياقة الأحاديث، بل تشابها في أصول الاستدلال وتقرير العقيدة، ومنهج تقرير الحق، ومجادلة المبتدعين، فإنه وافق البخاري في محاجة المبتدعين خصوصًا الرافضة برواية خلاف ما يعتقدونه مما هو ثابت عن آل البيت؛ ليبرهن علىٰ أنهم مبطلون لا يتبعون الحق، ولا يأتمون بمن ينتسبون إليهم.

فالبخاري مثلًا ردّ علىٰ الرافضة المبيحين الجمع بين تسع نساء، توهمًا أن ذلك يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، بما ثبت خلافه عن آل البيت، حيث علّق البخاري في تفسير هذه الآية بما جاء عن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: مثنىٰ، أو ثلاث، أو رباع[٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «هذا من أحسن الأدلة في الرد علىٰ

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: أشهد بالله. أو: شهدت بالله. ص (١١٥٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يتزوج أكثر من أربع، ص (٩١١، ٩١٢).

(٤) فتح الباري (٩/ ١٣٩).

الرافضة؛ لكونه من تفسير زين العابدين، وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلىٰ قولهم ويعتقدون عصمتهم».

وهذا ما فعله الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمامًا، فإنه نص في مسائل باب: [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!]، في المسألة الحادية عشرة أنه بسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنىٰ عليها المساجد[١]، ثم حاجهم بما ثبت ضده عن آل البيت، ففي باب: [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يُوصل إلىٰ الشرك]، أورد أن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدِّي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم**»، رواه في المختارة[٢].

* * *

---

(١) القول السديد، ص (٧١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

التعويل على المشهور من دواوين السنة

شأن المحقق والراسخ في العلم التعويل علىٰ الأحاديث الصحيحة، وبعد ثبوتها لا بأس بذكر ما في معناها من الأحاديث الحسان، وفي باب الدلالة علىٰ تعاضد الأدلة يُذكر ما ضعفه يسير مما يوافق رواية الثقات.

وأنت إذا تأملت طريقة البخاري في صحيحه، فإنه احتج بأصح الأحاديث إطلاقًا، وتراه لا ينزل إلىٰ ما دونه وإن كان صحيحًا أو حسنًا إلا إذا اضطر إلىٰ ذلك ويذكره في المعلقات، وهذا شأن كبار المحدثين عمومًا، قال حماد ابن سلمة[١] : «لولا الاضطرار ما حملنا عن محمد بن إسحاق».

ومضىٰ مسلم علىٰ طريقة شيخه البخاري في سلوك هذا المنهج، قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] : «وهكذا عادة مسلم غالبًا إذا روىٰ لرجل قد تُكلم فيه ونُسب إلىٰ ضعف وسوء حفظه وقلّة ضبطه، إنما يروي له في الشواهد والمتابعات، ولا يُخرّج له شيئًا انفرد به ولم يتابع عليه».

وجودة التصنيف تقتضي التعويل علىٰ دواوين السنة المشهورة كالصحيحين التي هي أصول الصحاح، ودواوين السنة المشهورة التي غالب مادتها صحاح الأحاديث وحسانها، كمسند أحمد والسنن الأربعة وموطأ مالك ومسند

(١) الأجوبة عن أسئلة البرذعي (٢/ ٥٨٩).

(٢) الصارم المنكي، ص (١٩٧).

الدارمي، وطالب العلم لا بد أن يسلك هذا المنهج، ويتديّن بالصحيح الثابت عن النبي ﷺ، ويعوّل علىٰ المشهور من دواوين السنة ويحذر الغرائب والمنكرات، وقد علمت طريقة البخاري ومسلم إمامي الصنعة، والعناية بالأجزاء الغريبة والمفاريد الضعيفة من أسباب انتحال الباطل، ولا يجدي علىٰ صاحبه نفعًا، قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن هؤلاء[١] : «لعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثًا، وتراه يذكر من الطرق الغريبة، والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع، وجُلّها مصنوع، ما لا يُنتفع به».

فليكن معول طالب العلم ومتحري الحق أحاديث الموطأ، والصحيحين، ومسند أحمد، والسنن الأربعة، وليحذر غريب الأحاديث ومنكرها، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] : «كثير من الناس اليوم تجدهم يعتمدون علىٰ ظاهر الإسناد، ويصححون الحديث بناءً علىٰ ظاهره، ولا ينظرون إلىٰ الأحاديث الصحيحة التي تُعتبر في السنة كالجبال، وهذه المسألة أنا دائمًا أحذركم منها، وأقول: إن مثل هذه الأحاديث التي ليست في الكتب المعروفة المتلقاة عن أهل العلم، إذا وردت ولو بسند ظاهره الصحة، وهي تعارض الأحاديث الواضحة المبيّنة المتلقاة بالقبول - فإنه لا ينبغي للإنسان أن يعتمد عليها، فكما أننا لا نعتمد علىٰ ظاهر الإسناد - لا تصحيحًا ولا تضعيفًا - فإننا يجب أن نحيل هذه المسائل إلىٰ القواعد العامة في الشريعة والأحاديث التي تعتبر جبالًا راسية».

(١) شرف أصحاب الحديث، ص (١٢٩، ١٣٠).

(٢) شرح مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ص (٩٠).

وأنت إذا تأملت الأحاديث المرفوعة في كتاب التوحيد - أيقنت أن مصنفه راسخ في العلم، معوله القرآن وصحيح الأحاديث، بل أصح الأحاديث.

فمجموع أحاديثه مع الروايات المفسرة للأحاديث التي أوردها - ست وثلاثون ومائة حديث، ثلاث وعشرون ومائة هي أحاديث الصحيحين، وموطأ مالك، ومسند أحمد، والسنن الأربعة، وأحاديث الصحيحين أو أحدهما خمس وسبعون.

والأحاديث التي خارج المسند والكتب الستة فقط - ثلاثة عشر، وجلها أو أكثرها أوردها الإمام محمد بن عبد الوهاب وصححها، ومنها ما نقل تصحيحها عن مصنفيها كابن حبان، والبرقاني في مستخرجه علىٰ الصحيح، وبعضها روايات متابعة لروايات الصحيحين، فكتاب التوحيد غاية في جودة أحاديثه.

أما القبوريون غلاة الصوفية كالسبكي وأشباهه - شحنوا كتبهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأعجب من ذلك أنهم عارضوا بها القرآن وأحاديث الصحيحين، وهذا شأن أهل الأهواء المبطلين.

قال أبو بكر الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ضم الواهي إلىٰ الواهي لا يؤثر في اعتبار الصحة، ولم يذهب إلىٰ هذا أحد من أهل العلم قاطبة».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **واصفًا كتاب السبكي**[2]: «وجدت كتابه مشتملًا علىٰ تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلىٰ تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة والآثار القوية المقبولة، وتحريفها عن مواضعها وصرفها عن ظاهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة».

---

(١) شروط الأئمة الخمسة، ص (٦٥).

(٢) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٣).



منهج الإمام في سياقة الأحاديث

منهج الإمام واضح في سياقة الأحاديث، فهو في كل الكتاب إلا (موضعين)[١] يسوق الحديث بدون إسناد، ومع هذا فقد التزم منهجًا واضحًا في سياقة الأحاديث يذكر صحابي الحديث، ومخرجه في دواوين السنة.

ويكتفي بتصحيح أصحاب الصحاح إذا كان الحديث مخرجًا فيها دون إفاضة فيمن رواه سواهم كما يفعله بعض طلبة العلم؛ لأن كتاب التوحيد كتاب عقيدة وليس بكتاب تخريج، فالمقصود بيان مخرج الحديث، واستعمال الأصح، والمخرّج في الصحيحين أو أحدهما تلقته الأمة بالقبول، وما لم يكن فيهما فإنه يتحرىٰ ذكر الحديث المشهور من دواوين السنة، ويكتفي بتخريجه

(١) **الأول**: في الباب الرابع والعشرين باب بيان شيء من أنواع السحر، كتاب التوحيد ص (٤٧، ٤٨)، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثنا حيَّان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إن العِيافة، والطَّرْق، والطيرة من الجبت**». إسناده جيد.

الثاني: في الباب التاسع والثلاثين، باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، ص (٧٣، ٧٤)، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروىٰ عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنه رأىٰ رجلًا انتفض لمّا سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات؛ استنكارًا لذلك! فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقَّة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه.

وهذا إسناد علىٰ شرط الصحيحين.

منه، كمسند أحمد، والسنن الأربعة.

وإذا كان الحديث مخرجًا في الكتب الثلاثة (النسائي، وأبي داود، والترمذي) فنجده لمعرفته بجودتها فضلًا عن انتخابه لما يرويه منها، فإنه أحيانًا يكتفي بذكر مخرجها، وما ذاك إلا لمعرفته بأن سنن النسائي من أصح الكتب، بل جماعة من كبار المحدثين يُسمونه بالصحيح كالدارقطني، وابن عدي، وأبي عبد الله الحاكم، والخطيب البغدادي، وابن الأحمر راوية السنن[١].

ومع هذه المنزلة لأحاديث النسائي فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح أحيانًا ما ينتخب من أحاديثه، ففي [باب لا يُرد من سأل بالله][٢]، ساق حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**». قال الإمام بعد ذلك[٣]: «رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح».

وإذا كان الحديث مرويًّا في جامع الترمذي فإنه يكتفي بذكر حكم الترمذي، وما ذاك إلا لإمامة الترمذي في علم الحديث عمومًا، والتصحيح خصوصًا، وهذا يدل علىٰ توقير إمام الدعوة للأئمة المتقدمين من كبار المحدثين، وأن أحكامهم في تصحيح الأحاديث تقع في قلبه موقعها.

---

(١) القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر، ص (٥٢، ٥٣).

(٢) الباب الرابع والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٣).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٩٣، ٩٤).

من أمثلة ذلك أنه في باب [بيان فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب][(١)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وللترمذي وحسَّنه عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالىٰ: **«يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا - لأتيتك بقرابها مغفرة»**».

وكذلك في [باب من تبرّك بشجرة أو حجر ونحوهما][(٣)]، ساق حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: **«الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ سنن من كان قبلكم»**.

ثم قال الإمام[(٤)]: «رواه الترمذي وصححه».

وكذلك الشأن بالنسبة لسنن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه يسكت في الغالب عما أودعه كتابه من أحاديثه، وذلك لجودة أحاديثه، ولأنه انتخب الصحيح منها، ولأن من منهج أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحسين ما سكت عنه.

قال أبو داود واصفًا سننه[(٥)]: «الأحاديث التي وضعتها في «كتاب

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٧).
(٣) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٢٠).
(٥) رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، ص (٢٩).

السنن»، أكثرها مشاهير».

وذكر أبو داود أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ضمّن سننه ثمانمائة وأربعة آلاف حديث انتخبها من خمسمائة ألف حديث، وأنه ذكر الصحيح، وما يشبهه، وما يقاربه[١].

وحسبنا هنا أن نذكر ما أورده الإمام محمد بن عبد الوهاب من أحاديث أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنوعيها التي حكم عليها والتي لم يحكم عليها.

المثال الأول: في [باب ما جاء في الرُقىٰ والتمائم][٢]، قال: «وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقىٰ والتمائم والتِّولة شرك**». رواه أحمد وأبو داود»[٣].

المثال الثاني: في باب [ما جاء في الكهان ونحوهم][٤]، قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ**»، رواه أبو داود»[٥].

وهذا الحديث ساقه الإمام بعد أن أورد ما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ عرَّافًا فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»، فحديث أبي داود شاهده الحديث

---

(١) رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، ص (٣٢).

(٢) الباب السابع، كتاب التوحيد، ص (١٧).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٧).

(٤) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٥٠).

المخرّج في الصحيح، وهكذا ينبغي أن يُحكم علىٰ الحديث في ضوء شواهد أحاديث الباب.

ومع هذا نجد الإمام يصحح في مواضع ما أودعه في كتابه من أحاديث أبي داود، من أمثلة ذلك في باب [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][1]، فإنه ساق حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلًا ببُوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**». ثم قال الإمام[2]: «رواه أبو داود وإسناده علىٰ شرطهما»، وهو كما قال رَحِمَهُٱللَّهُ.

وفي [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][3]، أورد حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ[4]: «رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات».

وكذلك في باب [بيان شيء من أنواع السحر][5]، ذكر حديث ابن عباس

---

(١) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢). (٢) كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٣) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١). (٤) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٥) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**». ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «رواه أبو داود وإسناده صحيح».

ومن ذلك أيضًا ما جاء في [باب ما جاء في النشرة][٢]، أورد الإمام حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة، فقال: «**هي من عمل الشيطان**». ثم قال الإمام بعد ذلك[٣]: «رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود».

وأما أفراد ابن ماجه فمنزلتها معلومة عند المحدثين، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «بلغني أن السري كان يقول: مهما انفرد بخبر فيه فهو ضعيف غالبًا، وليس الأمر في ذلك علىٰ إطلاقه باستقرائي، وفي الجملة ففيه أحاديث كثيرة منكرة».

من أجل هذا رأىٰ بعض العلماء أنه كان الأجدر أن لا يُجعل سنن ابن ماجه سادس الكتب الخمسة، قال الحافظ العلائي رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «ينبغي أن يُعد كتاب الدارمي سادسًا للكتب الخمسة بدل كتاب ابن ماجه، فإنه قليل الرجال الضعفاء، نادر الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة فهو مع ذلك أولىٰ من كتاب ابن ماجه.

قلت - الحافظ ابن حجر -: وبعض أهل العلم لا يعد السادس إلا الموطأ،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٨).
(٢) الباب السادس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٢).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٢).
(٤) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٣١).
(٥) النكت لابن حجر (١/ ٤٦٨).

كما صنع رزين السرقسطي، وتبعه المجد ابن الأثير في جامع الأصول».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان بصيرًا بمنزلة أفراد ابن ماجه فلم يعوّل عليها، وندر كتابه منها جدًّا، وما أورده في كتابه منها فهو إما صحيح أو أجود ما في الباب.

وحسبنا هنا أن نذكر ما أورده في كتابه من أحاديث ابن ماجه:

الأول: في باب [ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله][١]، أورد الإمام حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال[٢]: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله**». رواه ابن ماجه[٣]، وهو حديث صحيح.

الثاني: في باب [قول: ما شاء الله وشئت][٤]، ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث الطُفيل أخي عائشة لأمّها قال[٥]: «رأيت كأني أتيت علىٰ نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد ﷺ.

ثم مررت بنفر من النصارىٰ، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد ﷺ. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ

(١) الباب الثاني والأربعون. (٢) كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب من حُلف له بالله فليرض (ص٣٠١، رقم ٢١٠١).

(٤) الباب الثالث والأربعون. (٥) كتاب التوحيد، ص (٧٩).

فأخبرته، فقال: «**هل أخبرت بها أحدًا؟**» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإنَّ طفيلًا رأى رؤيا وأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ﷺ، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»(١).

ومن منهجه في سياقة الأحاديث تفسير الحديث بمجموع رواياته، وبالشواهد من أحاديث أخرى، فيكون مجموع الحديث برواياته، وشواهد بقية الباب تبيّن مقصود الترجمة، وتدل على الأحكام التي في الباب بوضوح، فانظر مثلًا [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه](٢)، فقد ابتدأ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨](٣)، وقصد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلزام المشركين والمغرر بهم الحجة بإقرارهم بأنه لا يكشف الضر إلا الله وحده لا شريك له.

ثم ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». وقال: رواه أحمد بسند لا بأس به(٤).

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٧٢)، وابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت (ص٣٠٤، رقم ٢١١٧)، وهذا الحديث لم ينفرد به ابن ماجه.

(٢) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

فهذا الحديث فيه نصيحة للمتعلقين بالأوهام بأن لبس حلقة الصفر لا تنفع من جهة الواقع فالمشرك يحصل له نقيض قصده؛ لتعلقه بغير الله، وانصرافه عن ربه، وسلوكه غير الطريق الشرعي في حصول مقصوده، ولأن الشرك يضعف بل يميت مادة التوحيد في القلب، فيكون خاويًا من التوكل علىٰ الله، فلا يدفع الأمراض.

وفوق هذا تضمّن الحديث بيان سوء عاقبة المشركين، حيث جاء فيه أن النبي ﷺ قال: «**لو مِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به.

وبعد ذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حديث عقبة ابن عامر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «من تعلّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له»**[1].

وأراد الإمام بذلك أن النبي ﷺ قد دعا علىٰ من تعلّق تميمة أن لا يُتم الله له، ودعاء النبي ﷺ مستجاب، فالشرك عناء ووبال.

ثم أورد الإمام رواية متممة لحديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه، فقال: «وفي رواية: «**من تعلّق تميمة فقد أشرك**»[2]، فتأمل أيها الموحّد كيف بيّن في هذه الرواية أن من تعلّق تميمة فقد أشرك، وتأمل أثر ذلك في الحديث الذي قبله حديث عمران بن حصين: «**لومِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**».

وفي خاتمة هذا الباب، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «ولابن أبي حاتم عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلًا في يده خيطٌ من الحُمّىٰ،

(**١-٣**) كتاب التوحيد، ص (١٦).

فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]»، حيث أفادنا الإمام أن هذه عقيدة الصحابة في الحكم على معلق التمائم بالشرك، وأفادنا قوة في الاستدلال في تنزيل عموم القرآن في آحاد صور الشرك، وأفادنا قوة حياة قلوب الصحابة في إنكار الشرك.

❊ ❊ ❊

اصطلاح الإمام بقوله: «وفي الصحيح»

قول العالم «في الصحيح» من الجهة النظرية، إذا كانت «أل» للعهد، فإن هذا يحتمل صحيح البخاري، أو مسلم، وهنا لا بد من استعراض الأحاديث التي أوردها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد مستخدمًا اصطلاح «في الصحيح»؛ لنتبين من مراده.

الحديث الأول: في [باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][١]، قال الإمام[٢]: «وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ**»».

وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ (ص٣٣، رقم ١٣٠) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحديث الثاني: في [باب ما جاء في الرُّقىٰ والتمائم][٣]، قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٤، ١٥).

(٣) الباب السابع، كتاب التوحيد، ص (١٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١٧).

كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: **أن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر** - أو قلادة - **إلا قطعت**».

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين، وقد نبّه علىٰ ذلك الحفيد سليمان ابن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «قوله في «الصحيح»، أي في الصحيحين»[١].

فلعل الإمام دوّنه من حفظه.

فالحديث رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (ص٤٩٦، رقم ٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (ص٩٤٦، رقم ٥٥٤٩).

الحديث الثالث: في [باب من الشرك النذر لغير الله][٢]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، وقد أبان الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مخرج الحديث، فقال[٤]: «قوله في «الصحيح»، أي: صحيح البخاري».

والحديث رواه البخاري، كتاب الأيمان، والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (ص١١٥٦، رقم ٦٧٠٠).

الحديث الرابع: وفي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٨).

(٢) الباب الحادي عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٥٥).

يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢][١]، قال الإمام[٢]: «وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكُسرت رباعيته، فقال: «**كيف يُفلح قومٌ شجّوا نبيَّهم؟**» فنزلت: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وفيه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**»، بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده: ربنا ولك الحمد**». فأنزل الله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث ابن هشام، فنزلت: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قال:** قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها -، **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس ابن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**»».

فهنا عندنا ثلاثة أحاديث: حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

---

(١) الباب الرابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٦-٢٨).

وحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا له روايتان.

والملاحظ أن أول حديث في الباب حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علّقه البخاري، ووصله مسلم، وحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رواه البخاري، والرواية الملحقة به أيضًا مخرجة في البخاري، وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مخرج في الصحيحين.

فإذا الإمام ابتدأ الباب بحديث رواه البخاري ومسلم، ثم صار يقول لكل حديث يورده بعد ذلك في الباب: «وفيه»، يريد البخاري؛ لأنه المخرج لكل حديث أورده في الباب؛ لأن الأحاديث الثلاثة لم يروها كلها مسلم أيضًا، كحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

لذلك قال الحفيد سليمان بن عبد الله مفصحًا عن مراد الإمام بقوله «وفيه» في الروايات التالية[(١)]: «أي: في صحيح البخاري».

وكان قد نبّه الحفيد سليمان بن عبد الله عن مخرج الحديث في أول الباب، وهو حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: «قوله: في «الصحيح». أي: «الصحيحين»، فعلَّقه البخاري عن حميد، وثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حميد عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ووصله مسلم عن ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[(٢)].

الحديث الخامس: في باب [قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]][(٣)]، قال الإمام محمد ابن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٤٣). (٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٣٣).

(٣) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها؛ خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان، ينفذهم ذلك، حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع** - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصفه سفيان بكفه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه -، **فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشِّهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**»».

وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الحجر، باب قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨]، (ص٨١١، رقم ٤٧٠١).

الحديث السادس: قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][(٢)]، «في الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أميَّة، وأبو جهل، فقال له: **يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمةً أحاج لك بها عند الله.**

فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٨، ٢٩).

(٢) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: **«لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك»**. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1] [القصص: ٥٦]».

هذا الحديث قال فيه الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «في الصحيح». أي: «في الصحيحين»»، وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد رواه البخاري كتاب التفسير، باب: سورة القصص، باب قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ص ٨٣٧، رقم ٤٧٧٢، ومسلم كتاب الإيمان، باب: الدليل علىٰ صحة إسلام من حضره الموت (ص٣٣، رقم ١٣٢).

الحديث السابع: قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم، وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][2]، «في الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت»[3].

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «في الصحيح»، أي: صحيح

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

(٢) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

البخاري»[١]، وهو كما قال، فقد رواه البخاري كتاب التفسير، باب: سورة نوح، باب: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، (ص٨٧٥، رقم ٤٩٢٠).

الحديث الثامن: قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!][٢]، «في الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرار الخلق عند الله**». فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل؟»[٣].

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «قوله: «في الصحيح»، أي: في الصحيحين». وهو كما قال، فقد رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: بناء المسجد على القبر (ص٢١٤ - رقم ١٣٤١)، ومسلم، كتاب المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور (ص٢١٥ - رقم ١١٨١).

الحديث التاسع: في [باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][٥]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٣٢).

(٢) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٧، ٣٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٥٥).

(٥) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٦٨، ٦٩).

الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّةٌ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة، كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفَّع»».

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «**قوله**: «في الصحيح»: أي: صحيح البخاري»، وهو كما قال، فقد رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله (ص٤٧٧، رقم ٢٨٨٧).

الحديث العاشر: في [باب من سب الدهر فقد آذىٰ الله][(٢)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالىٰ: «**يؤذيني ابن آدم، يَسبُّ الدهر وأنا الدهر، أقلِّبُ الليل والنهار**. وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»».

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «قوله: «في الصحيح»، أي: صحيح البخاري، ورواه أحمد بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم بلفظ آخر».

وهو كما قال، رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة حم الجاثية، باب: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]، (ص٨٥٤، رقم ٤٨٢٦)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر (ص٩٩٧، رقم ٥٨٦٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٧٠). (2) الباب الرابع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٠).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٨١). (٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٠٤).

الحديث الحادي عشر: في [باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه][(١)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّىٰ بملك الأملاك، لا مالك إلَّا الله**»».

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «في الصحيح»، أي: في الصحيحين»»، وهو كما قال، فقد رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلىٰ الله (ص١٠٨٠، رقم ٦٢٠٦)، ورواه مسلم، كتاب الأدب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك أو بملك الملوك (ص٩٥٥، رقم ٥٦١٠).

الحديث الثاني عشر: في [باب: لا يقال: السلام علىٰ الله][(٣)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام علىٰ الله من عباده، السلام علىٰ فلان. فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام علىٰ الله؛ فإنَّ الله هو السلام**»»[(٤)].

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «قوله: «في الصحيح»، أي: الصحيحين»، وهو كما قال، فقد رواه البخاري في كتاب الأذان، باب: ما يتخيَّر من الدعاء بعد التشهد، وليس بواجب (ص١٣٥، رقم ٨٣٥)،

---

(١) الباب الخامس والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨١).

(٣) الباب الحادي والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٩١، ٩٢).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٩٣).

ومسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (ص١٧٠، رقم ٨٩٧).

الحديث الثالث عشر: في [باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت][١]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له**»».

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««قوله: في الصحيح»، أي: الصحيحين»[٣].

وهو كما قال، فقد رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب: «**ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له**» (ص١١٠٢، رقم ٦٣٣٩)، ومسلم: في كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء، ولا يقل: إن شئت (ص١١٦٧، رقم ٦٨١٢).

الحديث الرابع عشر: في [باب لا يقول: عبدي وأمتي][٤]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك: وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي. وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي**»»[٥].

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الثاني والخمسون، ص (٩٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٩٨).

(٤) الباب الثالث والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٣).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٩٣).

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: «في الصحيح»، أي: الصحيحين»، وهو كما قال، فقد رواه البخاري في كتاب العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي. أو: أمتي (ص٤١٢، رقم ٢٥٥٢)، ومسلم في كتاب الألفاظ، باب: حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد (ص٩٩٨، ٢٢٤٩).

الحديث الخامس عشر: في [باب ما جاء في (اللو)][٢]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**»».

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «قوله: «في الصحيح»، أي: صحيح مسلم»، وهو كما قال، فقد رواه مسلم، كتاب القدر، باب: الإيمان بالقدر والإذعان له (ص١١٦١، رقم ٦٧٧٤).

الحديث السادس عشر: في [باب ما جاء في كثرة الحلف][٥]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «وفي الصحيح عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٠٣).

(٢) الباب السادس والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٩٤).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٢٩).

(٥) الباب الحادي والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٣).

(٦) كتاب التوحيد، ص (١٠٤، ١٠٥).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** - قال عمران: فلا أدري، أذكر بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثًا -، **ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون، ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**».

وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**».

وحديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مخرج في الصحيحين، فقد رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص٦١٢، رقم ٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة (ص١١١١، رقم ٦٤٧٥).

وأما حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ (ص٦١٢- رقم ٣٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (ص١١١١ - رقم ٦٤٧٢).

فالذي يظهر والله أعلم بعد استعراض الأحاديث التي قال فيها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الصحيح»، يريد أنه في الصحيحين أو أحدهما، ولعل سبب استعماله لهذا الاصطلاح تحديثه من حفظه، وقد يكون لسبب آخر فإنه ابتدأ تأليف كتاب «التوحيد» في رحلته في طلب العلم لمّا كان

بالبصرة، فإنه أحيانًا قال: «وفي الصحيح»، والحديث مخرّج في الصحيحين، ثم يتبعه مباشرة بحديث آخر يقول: «ولهما»، كما فعل في باب: [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟][1].

وقال **الإمام عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قد يطلق الشيخ «الصحيح»، يريد به «صحيح مسلم»، وقد يريد به «صحيح البخاري»، فالشيخ يتساهل في هذا اتكالًا علىٰ ما يعلمه أهل العلم، وعلىٰ أن كلًّا منهما صحيح».

علىٰ كل حال، مما سبق يتبيّن لنا أن ما قال فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ «في الصحيح» علىٰ أقسام:

١ – منه ما رواه البخاري وحده.

٢ – ومنه ما رواه مسلم وحده.

٣– ومنه ما رواه البخاري ومسلم.

* * *

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) شرح تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٤).



الأحاديث المخرّجة في غير الكتب الستة والموطأ والمسند

بعد أن عرفنا أن غالب الأحاديث التي استعملها الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحين والمسند والسنن الأربعة، يحسن بنا أن ننظر في الزوائد الثلاثة عشر المخرجة في غير المسند والأصول الستة والموطأ.

الحديث الأول: في باب [بيان فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب][1]، احتج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**قال موسىٰ: يا ربِّ، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسىٰ: لا إله إلا الله. قال: كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**». رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.

والحديث صحيح أنه غير مخرّج في الكتب الستة، لكنه مروي في سنن النسائي الكبرىٰ (٣/ ١٦٦٨- رقم ١٠٦٠٢)، وهذا الحديث ضَعّفه بعض طلبة العلم؛ لأنه من رواية درَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد

(١) الباب الأول، ص (٥).

الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ورواية درَّاج عن أبي السمح فيها مناكير.

ونقول: إن رواية درّاج عن أبي السمح فيها مناكير، وليس كلها مناكير، فلذلك قال يحيىٰ بن معين في رواية عباس الدوري لما سئل عن حديث درَّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، فقال: ما كان هكذا بهذا الإسناد فليس به بأس، درَّاج ثقة، وأبو الهيثم ثقة[(١)].

والحافظ ابن عدي رَحِمَهُٱللَّهُ المعروف بسبر مرويات الراوي للحكم عليه - أورد المناكير من حديث درَّاج، وهذا ليس منها، ثم قال بعد ذلك:

«وسائر أخبار درَّاج غير ما ذكرت من هذه الأحاديث - يتابعه الناس عليها، وأرجو إذا أخرجت درَّاجًا وبرأته من هذه الأحاديث التي أُنكرت عليه أن سائر أحاديثه لا بأس بها، وتقرب صورته مما قال فيه يحيىٰ ابن معين»[(٢)].

من أجل هذا نقل إمام الدعوة رَحِمَهُٱللَّهُ تصحيح الحديث عن ابن حبان، والحاكم[(٣)]. والحافظ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ في التلخيص وافق الحاكم علىٰ تصحيحه[(٤)]، وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في فتح الباري[(٥)].

---

(١) تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٨).

(٢) تهذيب الكمال (٨/ ٤٧٩، ٤٨٠).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٧).

(٤) تلخيص المستدرك (١/ ٥٢٨).

(٥) فتح الباري (١١/ ٢٠٨).

الحديث الثاني: في [باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][١]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»**».

وهذا الحديث حسنه الحافظ الهيثمي، حيث قال: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث»[٣].

الحديث الثالث: في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾][٤]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «وعن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله تعالىٰ أن يُوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة** - أو قال: **رعدة** - **شديدة؛ خوفًا من الله** عَزَّوَجَلَّ، **فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرُّوا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل علىٰ الملائكة، كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق، وهو العليُّ الكبير.**

---

(١) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

(٣) مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩).

(٤) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٣٠).

فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ».

وهذا الحديث رواه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٢٧٨)، وابن كثير في تفسيره (ص١١٢٢) من طريق ابن أبي حاتم، ورواه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٠١، ٥٠٢)، وفي إسناده نعيم بن حماد الخزاعي.

والحديث يشهد له القرآن، فإن الآية التي ساقها الإمام فيها معنىٰ ما في حديث النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأن الملائكة تفزع إذا تكلم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتتمة الحديث هو منطوق الآية حيث جاء في آخره: «**تقول الملائكة: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: الحق وهو العلي الكبير**».

ويشهد لبعض حديث النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - ما قبله من حديث في الباب نفسه، وهو حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان، ينفذهم ذلك، حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**»[١].

الحديث الرابع: في باب [ما جاء في حماية المصطفىٰ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][٢]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ: «وعن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٨، ٢٩).

(٢) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم**». رواه في المختارة[(١)].

وهذا الحديث وإن لم يكن مخرّجًا في الكتب الستة، إلا أن أحاديث المختارة اشترط فيها مؤلفها الضياء المقدسي الصحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذا الحديث ممّا خرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فيما اختاره من الأحاديث الجياد المختارة الزائدة علىٰ ما في الصحيحين، وهو أعلىٰ مرتبة من تصحيح الحاكم، وهو قريب من تصحيح الترمذي وأبي حاتم البستي ونحوهما».

وذكر شيخ الإسلام للحديث شاهدًا من حديث عبد الله بن نافع: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**». رواه أبو داود، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «حديث حسن، ورواته ثقات مشاهير».

الحديث الخامس: في [باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][(٤)]، بعد أن ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢، ٣) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٢).

(٤) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

المخرّج في صحيح مسلم، أضاف إلىٰ أصل هذا الحديث زيادة من مستخرج البرقاني علىٰ صحيح مسلم، حيث قال[1]: «ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**».

وأبو بكر البرقاني إمام محدّث كبير، من خاصة تلامذة الدارقطني، والمستخرج اشترط فيه الصحة، وقد نبّه الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مواضع تخريجه في الكتب الستة، فقال[2]: «هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه»، وابن ماجه، بالزيادة التي ذكرها المصنف، ورواه الترمذي مختصرًا ببعضها».

الحديث السادس: في باب [ما جاء في الكُهان ونحوهم][3]، أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر، أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**».

قال الإمام[4]: «رواه البزار بإسناد جيد»، وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقال

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٤، ٤٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٥٢).

(٣) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٥١).

السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إسناد جيد».

والحديث السابع: في الباب نفسه بعد أن أورد الإمام حديث عمران ابن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أردفه بحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حيث قال[2]: «ورواه الطبراني بإسناد حسن، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، دون قوله: «**ومن أتىٰ كاهنًا**»، إلىٰ آخره».

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «إسناد جيد قوي».

الحديث الثامن: في باب قول الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥][4]، ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**»[5].

قال العلامة الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[6]: «هذا الحديث رواه أبو نُعيم في «الحلية»، والبيهقي، وأعلَّهُ بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف. وفيه أيضًا عطية العوفي، أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين،

---

(١) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، ص (٣٧٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥١).

(٣) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، ص (٣٧٠).

(٤) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٢).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٦٢).

(٦) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٨٠، ٩٨١).

وقال: ضعَّفوه، وموسىٰ بن بلال، قال الأزدي: ساقط.

قلت: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح».

وفي الباب نفسه الحديث التاسع: حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضىٰ الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضىٰ الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان في صحيحه[1].

وهذا الحديث رواه الترمذي لكن موقوفًا: حدثنا محمد بن يحيىٰ: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها كتبت إلىٰ معاوية، قال الترمذي: فذكر الحديث بمعناه ولم يرفعه[2].

الحديث العاشر: في باب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]][3]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، قال النووي: حديث صحيح، رُوِّيناه في

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٢، ٦٣).

(٢) الجامع، كتاب الزهد، باب عاقبة من التمس رضا الناس بسخط الله ومن عكسه (ص٥٥٠، رقم ٢٤١٤).

(٣) الباب الثامن والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧١).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٧١، ٧٢).

كتاب الحجة بإسناد صحيح».

وهذا الحديث انتقد فيه العلماء نعيم بن حماد الخزاعي تفرده به وهو في طبقة متأخرة، فقد رواه عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان، عن محمد ابن سيرين، عن عقبة بن أوس، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ...الحديث. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي، وأصحاب هشام، وأصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتىٰ يتفرَّدَ به نعيم؟».

والحديث متنه عليه نور النبوة بلا ريب، فمعناه يشهد له القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويشهد لمعنىٰ حديث عبد الله بن عمرو ما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين**».

ومن متأخري الحفاظ الذين يصححون الحديث الحافظ الذهبي، فإنه قال عنه[2]: «إسناده صحيح».

الحديث الحادي عشر: في باب [من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٤).

(٢) الكبائر، ص(١٧١).

الرسول][1]، قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومحمد ابن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ، قد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، وما يلتفت إليه، وما يزيده عليه».

حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في سبب نزول الآية - رواه الطبري في جامع البيان[3]: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب: ثني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: فذكره. إسناد حسن.

الحديث الثاني عشر: في باب [ما جاء في كثرة الحلف][4]، ساق الإمام

---

(١) الباب السابع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨٣، ٨٤).

(٣) جامع البيان (١١/ ٥٤٣).

(٤) الباب الحادي والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٣).

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث سليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُكلِّمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**». وقال الإمام: «رواه الطبراني بسند صحيح»[(١)].

وقال المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «رواته محتج بهم في الصحيح».

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب له شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرَّات. قال أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل إزاره، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[(٣)].

الحديث الثالث عشر: في باب [ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]][(٤)]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «وقال ابن جرير: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما**

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠٤).

(٢) الترغيب والترهيب، ص (٣٥٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف (ص٥٩، رقم ٢٩٣).

(٤) الباب السادس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١١).

(٥) كتاب التوحيد، ص (١١٣، ١١٤).

السموات السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرْس»».

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف»، وحديث أبي ذر في إسناده إبراهيم بن هشام الغساني، قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إبراهيم ليس بشيء، وقد وُثق».

❊ ❊ ❊

---

(١) العلو، ص (٩١)، ط: دار الفكر - الطبعة الثانية.

(٢) العلو، ص (٩٥).



فقه الإمام في نقد المتون

سبق أن ذكرنا طريقة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياقة الأحاديث، وظهر لنا قوة معرفته بعلم الحديث، وجودة أحاديث كتابه، وتعويله علىٰ الصحيح المشهور، كما ظهرت لنا إمامته في تصحيح الأحاديث والحكم عليها.

ومع أن متن كتاب التوحيد مختصر إلا أنه قد ظهر فيه ما يدل علىٰ حسن معرفة الإمام بنقد متون الأحاديث، وما ذاك إلا لقوة استقرائه لمعاني الشريعة ومعرفة مقاصدها.

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب ما جاء في التطير[1]، فإنه لمّا ساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الطيرة شرك**»، وما منّا إلَّا! ولكن الله يُذهبه بالتوكل[2]، نبّه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ علّة في متن الحديث، حيث قال[3]: «رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة (ص٥٥٥- رقم ٣٩١٠)، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (ص٣٩٠- رقم ١٦١٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٥).

وهذا التنبيه يدل على أمرين:

الأول: أخذه للأحاديث من مصادره الأصلية حيث يوجد تعليق الترمذي علىٰ الحديث بعد روايته، فإن بعض المصادر الناقلة عن الأصلية يقع فيها اختصار وإعراض عما لا يعتقدونه مهمًّا أو لا يفقهونه.

الثاني: قوة فقهه لمعاني المتون، واستحالة وقوع التطير من النبي ﷺ؛ فإنه من أعظم الناس تحقيقًا للتوحيد.

قال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عيسىٰ بن عاصم، عن زر، عن عبد الله ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة من الشرك، وما منّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[1].

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «سمعت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - يقول: «**وما منّا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل**». قال سليمان[3]: هذا عندي قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما منا»».

وهذا الإدراج من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام البرهان عليه من الإسناد والمتن جميعًا، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[4]: «رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة، مثل حديث وكيع، ورواه علي بن الجعد وغندر، وحجاج ابن

(١) الجامع، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة (ص٣٩٠- رقم ١٦١٤).

(٢) الجامع (ص٣٩٠، ٣٩١).

(٣) **قال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ **في النكت (٢/ ٨٢٧)**: هو سليمان بن حرب.

(٤) النكت (٢/ ٨٢٧).

محمد، ووهب بن جرير، والنضر بن شميل، وجماعة عن شعبة، فلم يذكروا فيه: «وما منا إلا».

وهكذا رواه إسحاق بن راهويه عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري».

وأما البرهان من المتن، فقد قال الحافظ ابن حجر أيضًا[١]: «والحكم علىٰ هذه الجملة بالإدراج متعين، وهو يُشبه ما قدمناه في المدرك الأول للإدراج، وهو ما لا يجوز أن يضاف إلىٰ النبي ﷺ؛ لاستحالة أن يضاف إليه شيء من الشرك».

وقال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وهو المتعيّن؛ فإنه ﷺ معصوم من الشرك بالإجماع، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك، كما هو في أثر مرفوع: «**من ردته الطيرة فقد قارف الشرك**»».

ثم قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ حكم عبارة ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣]: «الطيرة تعم أنواعًا، منها ما لا إثم فيه، كما قال عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وما منّا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»، فإذا وقع في القلب شيء وكرهه ولم يعمل به، بل خالفه، وقال ذلك[٤] - لم يضره شيء».

---

(١) النكت (٢/ ٨٢٧).

(٢) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٢٠).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٢١).

(٤) ما جاء في الحديث: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».



الآثار في كتاب التوحيد

اشتمل كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مجموعة من الآثار عن الصحابة والتابعين، وقد كان من منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرها غير مسندة، إلا في مواضع يسيرة جدًّا.

ومن هنا كان لا بد من مدارسة هذه الآثار من جهة ثبوتها، وهذا جزء من إظهار قيمة «كتاب التوحيد»، فقيمته بموضوعه ومحتواه، فهو متن جامع لعامَّة أو أكثر – مسائل التوحيد، خصوصًا توحيد العبودية الذي وقع فيه إخلال كبير من بعض المسلمين.

وما تضمَّنه كتاب التوحيد من آثار عن الصَّحابة والتابعين؛ دالٌّ علىٰ منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تلقي عقيدة خير القرون.

ومقصود العلماء من رواية الآثار عن الصحابة والتابعين لمعاني النصوص بيان توارث العقيدة عن خير القرون؛ الذين تلقَّوا معانيها من النبيِّ ﷺ، وبهذا المنهج يتبيَّن الموافق لهم من المخالف والمشاق لهم، وبهذا حاجّ علماء أهل السُّنَّة من خالف عقيدة السَّابقين الأولَّين في المسائل

التي أحدث فيها المبتدعة القول بخلاف عقيدة السلف كالابتداع في تحريف نصوص أسماء الله وصفاته.

قال العلَّامة أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[١]: «ألفنا هذه الآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم، ليعلم من بقي من الناس أنَّ من مضىٰ من الأمَّة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، لا يعرفون له تأويلًا غير ما يتلىٰ من ظاهره».

ولزوم اعتقاد الصحابة والتابعين طمأنينة للمسلمين؛ فهم الذين أمر الله بلزوم سبيلهم، وتوعد بجهنَّم لمن خالفهم، فقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد حفظ الله عقيدة الصَّحابة والتابعين، ودوَّنها العلماء في المصنفات الخاصَّة بالآثار، والمصنفات المسندة في الاعتقاد، وكتب التفسير المسندة، فإذا كانت عقيدة المسلم مطابقة وموافقة لاعتقاد خير الناس؛ كان ذلك طمأنينة له بأنَّه صحيح الاعتقاد، ومن فارق اعتقاد خير القرون فواجبه تصحيح اعتقاده، فالتوحيد هو الأساس لصلاح الأعمال وقبولها.

قال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله القاضي فقلت له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث. قال: فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا. وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين

---

(١) الرد علىٰ الجهمية (ص ٩١)، ط: دار روائع الأثير، الرياض.

عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟![1].

فبعد أن تذاكرنا رتبة الأحاديث التي استدلَّ بها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التوحيد»، أُعرِّج هنا بتخريج الآثار الواردة فيه تتميمًا لبيان رتبتها وقيمة الكتاب العلميَّة والإصلاحيَّة.

❊ ❊ ❊

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٢٧٣- رقم ٥٠٩)، والدارقطني في الصفات (ص ١٢٠- رقم ٦٧)، بإسناد صحيح.

(١) [في المقدمة ساق الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]»[١].

ولم يذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخرجه][٢].

والأثر رواه الترمذي: حَدَّثنا الفضل بن الصَّبَّاح البغدادي، حَدَّثَنا محمد بن فضيل، عن داود الأودي، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «من سرَّه أن ينظر إلىٰ الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ الآية، إلىٰ قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾»[٣].

(١، ٢) كتاب التوحيد (ص ٤).

(٣) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام (ص٦٩١- رقم ٣٠٧٠).

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حديث حسن غريب»[١].

وقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استنباط لمعاني القرآن؛ فهو من أعلم الصحابة بالقرآن، فكأنه رأى أن هذه الآية من أجمع الآيات في معنى الأمر والنهي، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ جمعت الدين كله؛ فصراط الله هو الدِّين كلُّه.

وحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ وافق ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على معنى ما قال؛ فقال: «إن في الأنعام آيات محكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب» ثمَّ قرأ: ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ إلى آخر الآية[٢].

ولا يزال العلماء على هذا المنهج من الاستنباط في ذكر النصوص الجامعة لمعاني القرآن والسنَّة، ومن ذلك قول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القرآن كله مجموع في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال شيخنا العلَّامة الجهبذ المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» كلمة جامعة تشمل الدِّين كله»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) جامع الترمذي (ص ٦٩١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) التعليق على صحيح مسلم (٣/ ٣١٨).

(٢) [في باب [من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][١] **قال الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**ولابن أبي حاتم عن حذيفة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **أنَّه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمَّىٰ، فقطعه، وتلا قوله:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]»].

قال ابن أبي حاتم[٣]: حَدَّثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب، ثنا يونس بن محمد، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عزرة قال: دخل حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ مريض فرأىٰ في عضده سيرًا فقطعه، أو انتزعه، ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦][٤].

إسناده صحيح إلىٰ عزرة، وله متابعات وشواهد.

محمد بن الحسين هو ابن إبراهيم بن إشكاب، حدَّث عنه البخاري وأبو داود والنسائي، قال عنه الذهبي[٥]: «الحافظ الثِّقة».

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت منه مع أبي، وهو ثقة[٦].

ويونس بن محمد هو أبو محمد المؤدِّب البغدادي، ثقة ثبت، روىٰ له

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد (ص ١٥).

(٢) كتاب التوحيد (ص ١٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٧/ ٢٢٠٨- رقم ١٢٠٤٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧٢١)، ط: مؤسسة الرسالة.

(٥) سير أعلام النُّبلاء (١٢/ ٣٥٢).

(٦) الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٠).

الجماعة.

وحماد بن سلمة من أعلام السنَّة، جمع الله له الدِّين والنُّسُك والعلم، ثقة روىٰ له مسلم، يخطئ في حديثه عن بعض شيوخه.

وعاصم هو ابن سليمان الأحول، ثقة روىٰ له الجماعة.

وأما عزرة فهو ابن عبد الرَّحمن بن زرارة الخزاعي الكوفي، قال يحيىٰ بن معين وعليُّ بن المديني: ثقة(١). وقد روىٰ له مسلم.

ولا أعلم في سماع عزرة من حذيفة شيئًا محقَّقًا، والله أعلم.

ورواه ابن أبي شيبة(٢): حَدَّثنا عليُّ بن مسهر، عن يزيد، قال: أخبرني زيد بن وهب، قال: انطلق حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ رجل من النخع يعوده، فانطلق وانطلقت معه، فدخل عليه ودخلت معه، فلمس عضده فرأىٰ فيه خيطًا فأخذه فقطعه، ثم قال: لو متَّ وهذا في عضدك ما صليتُ عليك.

إسناده كوفي صحيح، عليُّ بن مسهر أبو الحسن الكوفي، الحافظ الفقيه المحدِّث الثقة، روىٰ له الجماعة.

وزيد بن وهب الجهني هو أبو سليمان الكوفي، ثقة، روىٰ له الجماعة.

وفي أثر آخر أخبر حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ هذا عمل أكابر الصحابة، قال ابن

---

(١) تهذيب الكمال (٥/ ١٦٣).

(٢) المصنف (١٢/ ٤١- رقم ٢٣٩٢٨).

أبي شيبة[1]: حَدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: دخل عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ رجل يعوده، فوجد في عضده خيطًا، قال: فقال: ما هذا؟ قال: خيط رُقي لي فيه. فقطعه ثم قال: لو متَّ ما صليتُ عليك.

وفقه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بقطع التمائم هو من إنكار المنكر الذي دل عليه قول النبيِّ ﷺ: «**لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قُطعت**»، رواه البخاري من حديث أبي بشير الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ورقبة الإنسان صيانتها من الشرك أولىٰ من رقبة البعير، وإذا كان المسلم منهيًّا عن الشِّرك وأسبابه في رقاب البهائم ففي رقبته أولىٰ.

وفقه إنكار المنكر بقطع تمائم من علَّقها علىٰ رقبته يتحرَّىٰ فيه المسلم ما يحصل به مقصود إزالة المنكر بالنَّصيحة لمن تعلَّقها، فمن خشي نفور المنكر عليه فينصحه بأن يزيلها بنفسه، لأنَّه ربَّما أعاد لبسها بنفسه بعد ذلك، فلم يحصل بذلك الخير المقصود للمنكر عليه، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ ضمَّن هذا الباب نصح النَّبي ﷺ عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأن يزيل بنفسه الحلقة من الصُّفْر، رواه أحمد وحسَّن إسناده الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

(١) المصنَّف (١٢/ ٤٢- رقم ٢٣٩٢٩)، وإسناده كوفي صحيح، أبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير الكوفي متقن في روايته عن الأعمش، وأبو ظبيان هو حُصين بن جندب الجَنْبي، ثقة روىٰ له الجماعة.

(٣) [وفي باب [ما جاء في الرقىٰ والتمائم][١]، ساق الإمام أثر سعيد بن جبير، قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»، وقال الإمام: «رواه وكيع»].

هذا الأثر رواه ابن أبي شيبة[٢]: حَدَّثنا حفص، عن ليث، عن سعيد بن جبير، قال: «من قطع تميمة عن إنسان، كان كعِدل رقبة».

إسناده لا بأس به.

حفص بن غياث ثقة روىٰ له الجماعة، وليث هو ابن أبي سُليم فيه ضعف لاضطراب حديثه، فإذا رواه مستقيمًا فلا بأس بحديثه خصوصًا في رواية الآثار، قال الحافظ ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «له من الحديث أحاديث صالحة غير ما ذكرت، وقد روىٰ عنه شعبة والثوري وغيرهما من ثقات الناس، ومع الضَّعف الَّذي فيه يُكتب حديثه».

فليث بن أبي سليم يُحتمل حديثه في الآثار إذا لم يُخلِّط أو يضطرب فيه.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ اسْمَ السِّتر والصِّدق وتعاطي العلم يشملهم كعطاء بن السَّائب، ويزيد بن أبي زياد، وليث بن أبي سُلَيْم،

---

(١) الباب السابع، كتاب التوحيد (ص ١٩).

(٢) المصنف (١٢/ ٤٣- رقم ٢٣٩٣٩).

(٣) الكامل في الضعفاء (٩/ ١٢).

(٤) مقدمة صحيح مسلم (ص٥).

وأضرابهم من حُمَّال الآثار ونُقَّال الأخبار».

وقال الحافظ أبو بكر البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ليث بن أبي سليم كوفي متعبد، وروىٰ عنه أهل الكوفة، واحتملوا حديثه».

وقال الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «حدَّث عنه شعبة، وابن عُلَيَّة، وأبو معاوية، والنَّاس».

❊ ❊ ❊

(١) مسند البزار (١١/ ١٤٤).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢١).

(٤) [وفي الباب نفسه ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»[(١)]].

وعزاه إلىٰ وكيع[(٢)].

وهذا الأثر رواه ابن أبي شيبة[(٣)]: حَدَّثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم والرُّقىٰ والنُّشَر».

إسناد كوفي صحيح، وسفيان هو الثوري، ومنصور هو ابن المعتمر، قال العلامة أحمد بن عبد الله العجلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «أحسن إسناد الكوفة: سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله».

ورواه أيضًا ابن أبي شيبة[(٥)]: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن.

إسناد صحيح، هشيم صرَّح بالتحديث، ومغيرة بن مقسم الضَّبيُّ ثقة فيما قال: حَدَّثنا عن إبراهيم، وقد توبع.

❊ ❊ ❊

(١، ٢) كتاب التوحيد (ص ١٩).

(٣) المصنَّف (١٢/ ٤٣- رقم ٢٣٩٣٣).

(٤) تهذيب الكمال (٣/ ٢٢٠).

(٥) المصنَّف (١٢/ ٤٢- رقم ٢٣٩٣٧).

(٥) [وفي باب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله][١]**، قال الإمام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]**: «ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم: ١٩] **قال: كان يَلُتُّ لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره»].**

(٦) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]**: «وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**: كان يَلُتُّ السويق للحاجِّ».**

أثر مجاهد رواه الطبري[٤]**، ومعلوم أنَّ مجاهدًا أخذ التفسير عن ابن عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**، وقد ورد هذا التفسير عن الحبر ترجمان القرآن.**

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: حَدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حَدَّثنا أبو الأشهب، حَدَّثنا أبو الجوزاء، عن ابن عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**، في قوله:** ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾**: كان اللَّات رجلًا يَلُتُّ سويق الحاجِّ**[٥]**].**

---

(١) الباب العشرون، كتاب التوحيد (ص ٤٠).

(٢) كتاب التوحيد (٤٠، ٤١).

(٣) كتاب التوحيد (ص ٤١).

(٤) جامع البيان (٢٢/ ١٩)، وسفيان عن منصور عن مجاهد؛ صحيح.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة (والنجم)، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾، (ص٨٦٠- رقم ٤٨٥٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «حُكي عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ومجاهد والربيع بن أنس؛ أنهم قرءوا ﴿**اللَّاتَّ**﴾ بتشديد التاء، وفسَّروه بأنه كان رجلًا يلتُّ للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا علىٰ قبره فعبدوه».

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٨٧).

(٧) [وفي باب [ما جاء في السحر][١] **قال الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**وقال جابر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **الطواغيت: كُهَّانٌ، كان ينْزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد**»].

ذكر البخاري تعليقًا مجزومًا به عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال:** «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليْها: في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهان ينزل عليهم الشيطان»[٣].

قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي ثنا الحسن بن الصَّبَّاح ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدَّثني إبراهيم بن عقيل، عن أبيه عقيل بن معقل بن وهب بن مُنبِّه، قال: سألت جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن الطواغيت؛ فذكره، وزاد: «وفي هلال واحد»[٤].

الحسن بن الصَّبَّاح هو البزار أبو علي الواسطي البغدادي، قال الإمام أحمد[٥]: «ثقة صاحب سنَّة»، وقد روىٰ له البخاريُّ.

وإسماعيل بن عبد الكريم هو ابن معقل بن منبه، وثقه ابن معين، وروىٰ

---

(١) الباب الثالث والعشرون، كتاب التوحيد (ص ٤٥).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٦).

(٣) كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، (ص ٧٨٣).

(٤) تغليق التعليق (٤/ ١٩٥، ١٩٦).

(٥) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٠).

عنه أحمد وإسحاق[١].

وإبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه الصنعاني، ثقة[٢].

وعقيل بن معقل بن مُنبِّه وثَّقَه أحمد وابن معين[٣].

وعقيل بن معقل قال في روايته: سألت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا يدل علىٰ سماعه منه، لكن روايته في «المسند» و«سنن أبي داود»؛ يروي عن وهب بن منبِّه يُحدِّث عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

وهذه هي الجادَّة لرواية عقيل عن جابر بواسطة وهب بن منبِّه، فلعله وقع خطأ في إخراج النصِّ من «تغليق التعليق»، ويدل لذلك كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه؛ فإنه قال[٥]: «علَّق البخاريُّ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير سورة النساء أثرًا في الكُهَّان، وقد جاء موصولًا من رواية عقيل هذا، عن وهب بن منبِّه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

فصواب النصِّ: «عقيل بن معقل، عن وهب بن منبِّه، قال: سألت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، وليس: «عقيل بن معقل بن وهب بن منبِّه، قال: سألت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، والله أعلم.

* * *

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٣١٥، ٣١٦).

(٢) تهذيب التهذيب (١/ ١٤٦).

(٣، ٤) تهذيب الكمال (٥/ ٢٠٥).

(٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٥).

(٨) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:
«وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»]**.

رواه البخاري مختصرًا، قال: حَدَّثنا عليُّ بن عبد الله، حَدَّثنا سفيان، قال: سمعت عَمْرًا، قال: كنت جالسًا مع جابر بن زيد، وعمرو بن أوس، فحدَّثهما بجالة سنة سبعين - عام حَجَّ مصعب بن الزُّبير بأهل البصرة - عند دَرَجِ زَمْزَمَ، قال: كنت كاتبًا لجزء بن معاوية - عم الأَحْنَفِ -، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبل موته بسنة: فرِّقوا بين كل ذي مَحْرَم من المجوس. ولم يكن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أخذ الجزية من المجوس، حتىٰ شهد عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هَجَر[(٢)].

هكذا اقتصر البخاري علىٰ بعض كتاب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ عادته وطريقته في اختصار المتون، وذكر الألفاظ التي تدل لفقه الكتاب والباب.

قال العلَّامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هذا الأثر رواه البخاريُّ كما قال المُصَنِّفُ، لكنَّهُ لم يذكر قَتْلَ السَّحَرَة».

وقال[(٤)]: «وعلىٰ هذا فعزو المُصَنِّف إلىٰ البخاري يحتمل أنه أراد أصله

(١) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذِّمَّة والحرب (ص ٥٢٥- رقم ٣١٥٦، ٣١٥٧).

(٣، ٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٧٩٤).

لا لفظه».

وأفادنا العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من روىٰ كتاب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تامًّا ومختصرًا، فقال[١]: «ورواه الترمذي والنسائي مختصرًا، ورواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والبيهقي مُطَوَّلًا.

ورواه القطيعيُّ في الجزء الثاني من «فوائده» بزيادة، فقال: حَدَّثنا أبو عليٍّ بشر بن موسىٰ الأسديُّ، ثنا هَوْذَةُ بن خليفة، ثنا عوف عن عمار مولىٰ بني هاشم، عن بجالة بن عبدة، قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن اعْرِضُوا علىٰ من كان قِبَلَكُمْ من المجوس أن يدعوا نكاح أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، ويأكلوا جميعًا كيما نلحقهم بأهل الكتاب، ثم اقتلوا كُلَّ كاهن وساحر.

قلت: وإسناده حسن».

ولا بأس هنا من ذكر مخرج كتاب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معزوًّا، وإن كان العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كفىٰ.

قال أبو داود الطيالسي: حَدَّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن بجالة، قال: لم يأخذ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجزية من المجوس حتىٰ شهد عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر[٢].

إسناده صحيح.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٩٤، ٧٩٥).

(٢) مسند الطيالسي (ص ٣١).

ورواه أحمد: ثنا سفيان؛ به[(١)].

وزاد أحمد: «قال بجالة: أتانا كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل موته بسنة: أن اقتلوا كل ساحر - وربما قال سفيان: وساحرة -، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاثة سواحر».

ورواه أبو داود: حَدَّثنا مُسَدَّدُ بن مُسَرْهَدٍ، حَدَّثنا سفيان؛ به[(٢)].

ومتنه كلفظ أحمد.

إسناده صحيح.

ورواه الترمذي: حدَّثنا ابن أبي عمر، حَدَّثنا سفيان؛ به.

رواه مختصرًا وقال: «وفي الحديث كلام أكثر من هذا»[(٣)]، وقال: هذا حديث حسن صحيح[(٤)].

وأيضًا المصنفات في الآثار روت كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد رواه عبد الرزاق[(٥)] عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار؛ به.

وروواه البيهقي من طريق سفيان عن عمرو بن دينار؛ به[(٦)].

---

(١) المسند (١/ ١٩٠، ١٩١).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية من المجوس (ص ٤٤٥- رقم ٣٠٤٣).

(٣، ٤) جامع الترمذي (ص ٣٨٥)، ورواه من طريق الحجَّاج بن أرطاة عن عمرو بن دينار؛ به. وحجَّاج وإن كان ليس بالقوي إلا أن روايته هذه موافقة لرواية الثقات.

(٥) مصنف عبد الرزاق (٦/ ٤٩- رقم ٩٩٧٢).

(٦) السنن الكبرىٰ (٩/ ١٨٩).

(٩) [وفي الباب نفسه أيضًا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]**: «وصحَّ عن حفصة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أنها أَمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت»].**

هذا الأثر رواه عبد الرزاق، عن عبد الله – أو عبيد الله – بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ جارية لحفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا سحرتها، واعترفت بذلك، فأَمَرتْ بها عبد الرحمن بن زيد – ابن الخطاب – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقتلها، فأنكر ذلك عليها عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما تنكر علىٰ أم المؤمنين من امرأة سحرت واعترفت. فسكت عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

إسناده صحيح جدًّا، عبيد الله بن عمر بن حفص العدوي؛ من أثبت الرواة في نافع.

ورواه ابن أبي شيبة: حَدَّثنا عبدة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع؛ بنحوه، وفي آخره قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: فكأن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إنَّما أنكر ذلك؛ لأنَّها قُتلت بغير إذنه[٣].

ورواه الطبراني: حَدَّثنا أبو عاصم الصوري، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع؛ بنحوه،

---

(١) كتاب التوحيد (ص٤٧).

(٢) المصنَّف (١٠/ ١٨٠، ١٨١- رقم ١٨٧٤٧).

(٣) المصنَّف (١٤/ ٣٠١- رقم ٢٨٤٩١).

وزاد: وكان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنكر عليها ما فعلت دون السلطان[١].

قال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عَيَّاش عن المدنيِّين، وهي ضعيفة، وبقية رجاله ثقات».

وتصحيح الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصوب؛ لأنَّ إسماعيل بن عياش تُوبع.

❊ ❊ ❊

---

(١) المعجم الكبير (٢٣/ ١٨٧- رقم ٣٠٣).

(٢) مجمع الزوائد (١٣/ ٧٢٢- رقم ١٠٧٣٦).

(١٠) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

«وكذا صحَّ عن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**»]**.

الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجَّح وقف حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنه ذكر هذا الترجيح بعد أن ذكر أن الحديث عنه ورد مرفوعًا[٢]، ويدلُّ لترجيحه وقفه أنَّه نقل حكم الترمذي علىٰ الحديث بالوقف[٣].

قال الترمذي: حدَّثنا أحمد بن منيع، حدَّثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جُنْدب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ»**[٤].

قال أبو عيسىٰ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلَّا من هذا الوجه، وإسماعيل بنُ مُسْلِم الْمَكِّيُّ يُضَعَّفُ في الحديث من قبل حفظه».

ثم قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «والصحيح عن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوف».

---

(١) كتاب التوحيد (ص٤٧).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٦).

(٣) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر (ص ٣٥٥- رقم ١٤٦٠).

(٥، ٦) جامع الترمذي (ص ٣٥٥).

والرواية الموقوفة أسندها الدارقطنيُّ: نا القاضي المحاملي، نا زياد بن أيوب، نا هشيم، أنا خالد، عن أبي عثمان النهدي، عن جندب البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنه قتل ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة، ثم قال: ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء: ٣][(١)].

ورواه البيهقي: أخبرنا أبو بكر ابن الحارث الأصبهاني، أخبرنا الدارقطني؛ به[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) سنن الدارقطني (٣/ ١١٤- رقم ١١٣).

(٢) السنن الكبرىٰ (١٦/ ٤٨٨- رقم ١٦٥٧٩).

(١١) [وفي باب [بيان شيءٍ من السِّحر][١]**، قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ**[٢]**: «قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطَّرْقُ: الخط يُخط بالأرض»].**

رواه أبو داود: حدَّثنا ابن بَشَّار، قال: قال محمد بن جعفر: قال عوف: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ في الأرض[٣].

إسناده صحيح.

محمد بن بشَّار بن عثمان العبدي، لقبه بندار، وكنيته أبو بكر، ثقة روىٰ له الجماعة[٤].

ومحمد بن جعفر أبو عبد الله البصري، ولقبه غندر، ثقة روىٰ له الجماعة، وهو من أثبت الناس في شعبة، لزمه عشرين عامًا[٥].

وعوف بن أبي جميلة البصري الأعرابي ثقة، روىٰ له الجماعة، وقال النسائي: ثقة ثبت، قال الحافظ الذهبي: ولم يكن أعرابيًّا، بل شُهر به، من صغار التابعين، قال الحافظ الذهبي: وما عنده شيء عن أحد له صحبة[٦].

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الرابع والعشرون (ص ٤٧).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٨).

(٣) كتاب الكهانة والتطير، باب في الخط وزجر الطير (ص ٥٥٥- رقم ٣٩٠٨).

(٤) تسمية شيوخ أبي داود السجستاني (ص٢٣٣- رقم ٢٩٠).

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٢٦٥).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٤).

قال ابن المبارك: فيه بدعتان: قدري، شيعي.

وقال الحافظ الذهبي: لكنه ثقة مكثر[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٤).

(١٢) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

«**وقوله:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **الجبت: السحر.**

والطاغوت: الشيطان».

وقد فسر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجبت بالطاغوت، وفسره بالسحر، وبالشيطان.

ذكر البخاري تعليقًا مجزومًا به عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** الجبت: السِّحرُ، والطاغوت: الشَّيطان[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن رسته في كتاب الإيمان، كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ مثله، **وإسناده قوي**، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان، وسماع حسان من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في رواية رسته».

* * *

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الثالث والعشرون، باب ما جاء في السحر، (ص ٤٦).

(٢) كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، (ص ٧٨٣).

(٣) فتح الباري (٨/ ٢٥٢).

(١٣) [وفي باب [ما جاء في الكهان ونحوهم][١]**، قال الإمام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]**:** **«ولأبي يعلىٰ – بسند جيد – عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ مثله موقوفًا»].**

قوله: «مثله» يعني: مثل الذي قبله: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من أتىٰ عرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ».

قال أبو يعلىٰ: حَدَّثنا عبد الرحمن بن سلام، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال؛ فذكره[٣].

قال الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «له شاهد في «مسند البزار» من حديث جابر وعمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا».

وقال الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه البزار ورجاله رجال الصَّحيح، خلا هبيرة بن يريم، وهو ثقة».

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه؛ أنه قال: «من أتىٰ كاهنًا أو عرافًا، وتَيَقَّنَ بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ».

قال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، إلا

---

(١) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد (ص ٤٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٥٠).

(٣) مسند أبي يعلىٰ (٩/ ٢٨٠- رقم ٥٤٠٨)، المطالب العالية (٣/ ١٠٣- رقم ٢٥٢٤).

(٤) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٤/ ٤٧٢).

(٥) مجمع الزوائد (١١/ ٣٦٩- رقم ٨٥٥٨).

(٦) مجمع الزوائد (١١/ ٣٦٧، ٣٦٨- رقم ٨٥٥٧).

أنه قال: «فصدَّقه».

وكذا رواية البزار، ورجال الكبير والبزار ثقات».

وقال أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»[1].

إسناده صحيح، فشعبة لا يروي عن شيوخه المدلسين إلا ما كان سماعًا، قال ابن حجر[2]: «موقوف، وحكمه الرفع».

وروىٰ ابن أبي شيبة: حَدَّثنا يحيىٰ بن آدم، ووكيع، قالا: حَدَّثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن هُبيرة، عن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ بمعناه، قال: من مشىٰ إلىٰ ساحر أو كاهن أو عرَّاف، فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل الله علىٰ محمد ﷺ[3].

إسناده لا بأس به؛ رواته كلهم ثقات مشهورون، سفيان هو الثوري، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي، وهبيرة هو ابن يريم الشيباني، أبو الحارث الكوفي، قال الإمام أحمد: لا بأس بحديثه[4].

❋ ❋ ❋

(١) مسند الطيالسي (ص ٥٠- رقم ٣٨٢).

(٢) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العَشرة (١٠/ ٥٠٠).

(٣) المصنَّف (١٢/ ٦٧- رقم ٢٣٩٩٤).

(٤) تهذيب الكمال (٧/ ٣٩٠).

(١٤) [وفي الباب نفسه قال الإمام المجدِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**قال ابن عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: ما أرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خلاق**»]، ولم يذكر مخرجه.

رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره[٢].

ورواه البيهقي من طريق عبد الرزاق به[٣].

إسناده صحيح.

وقال الحافظ أبو بكر البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن رواة هذا الإسناد**[٤]: «يستغنىٰ بشهرتهم وثقتهم عن تزكيتهم».

ورواه ابن أبي شيبة: حَدَّثنا زيد بن الحباب، قال: حدَّثني يحيىٰ بن أيوب، قال: حَدَّثنا عبد الله بن طاوس؛ به[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٥٢).

(٢) المصنَّف (١١/ ٢٦- رقم ١٩٨٠٥).

(٣) شعب الإيمان (٩/ ٤١٣)، ط - الدار السلفية - الهند، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٠هـ.

(٤) مسند البزار (١١/ ١٥٤).

(٥) المصنَّف (١٣/ ١٦٤- رقم ٢٦١٦١).

(١٥) [وفي باب [ما جاء في النشرة][١] قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنشر؟ قال: لا بأس به، إنَّما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنهَ عنه»].

رواه أبو بكر الأثرم، ثنا حفص بن عمر المقرئ، ثنا هشام، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب؛ فذكره.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إسناده صحيح».

ورواه الطبري في «تهذيب الآثار»: ثنا حميد بن مسعدة، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب؛ فذكره.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إسناده صحيح».

❊ ❊ ❊

---

(١) الباب السادس والعشرون، كتاب التوحيد (ص ٥٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٥٣).

(٣، ٤) تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(١٦) [وفي الباب نفسه قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وروي عن الحسن أنه قال: لا يَحُلُّ السحر إلَّا ساحر**»].

قال أبو جعفر الطبري: حَدَّثنا حميد بن مسعدة، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب؛ أنَّه كان لا يرىٰ بأسًا إذا كان الرجل به سحر أن يمشي إلىٰ من يُطْلِقُ ذلك عنه. قال: هو صلاح.

قال: وكان الحسن يكره ذلك، ويقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إسناده صحيح».

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٥٣).

(٢، ٣) تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(١٧) [وفي باب [ما جاء في التنجيم][١] قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها، فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به»].

رواه عبد بن حُمَيْد في «تفسيره»: ثنا يونس، ثنا شيبان، عن قتادة، قال؛ فذكره[٣].

إسناده صحيح.

يونس هو ابن محمد بن مسلم البغدادي، أبو محمد المؤدِّب، ثقة روىٰ له الجماعة[٤].

وشيبان هو ابن عبد الرحمن النحوي، أبو معاوية البصري، روىٰ له الجماعة، قال الإمام أحمد في رواية صالح: ثبت في كل المشايخ[٥]، وقال الدوري عن ابن معين: شيبان أحبُّ إليَّ من معمر في قتادة[٦].

❊ ❊ ❊

---

(١) الباب الثامن والعشرون، كتاب التوحيد (ص٥٦).

(٢) كتاب التوحيد (ص٥٦).

(٣) تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩).

(٤) تهذيب الكمال (٨/ ٢١٨، ٢١٩).

(٥، ٦) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٣).

(١٨) [وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]][١]، ساق الإمام – عفا الله عنه – أثر ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك.

ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتىٰ يكون كذلك؛ وقد صارت عامَّة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا[٢].

وقال مبيِّنًا مخرجه: رواه ابن جرير[٣]].

والأثر رواه أيضًا محمد بن نصر المروزي[٤]: حَدَّثنا يحيىٰ بن يحيىٰ، ثنا يحيىٰ بن زكريا، عن ليث عن مجاهد، قال: قال لي ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ فذكره.

إسناده لا بأس به، يحيىٰ بن يحيىٰ هو أبو زكريا النيسابوري، ثقة روىٰ له البخاري ومسلم.

ويحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة؛ هو الهَمْداني الوادعيُّ، أبو سعيد الكوفي،

---

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٥٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٦٠، ٦١).

(٣) كتاب التوحيد (ص ٦١).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (ص ٢٧١- رقم ٣٩٧).

ثقة ثبت، روىٰ له الجماعة.

وليث بن أبي سليم لا بأس بروايته للآثار إذا لم يُخلِّط أو يضطرب.

وبمعنىٰ كلام ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ولفظه ورد موقوفًا علىٰ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

عن مجاهد عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال:** قال لي: أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعادِ في الله؛ فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعْمَ الإيمان - وإن كثرت صلاته وصيامه - حتىٰ يكون كذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا.

قال الحافظ أبو الحسن عليُّ بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم، والأكثر علىٰ ضعفه».

ومعنىٰ كلام ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن الشأن في تحقيق الصلاة، لا كثرتها، فمن لم يُحقق التوحيد ما أغنت عنه صلاته شيئًا، فالتوحيد هو أساس صحة العمل.

وفي معنىٰ كلام ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا آثار عن كبار علماء وفقهاء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[2]: «لا يغرنَّكم صلاة

---

(١) مجمع الزوائد (١/ ٤٥٠- رقم ٣١٣).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص ٨٤، ٨٥)، وإسناده لا بأس به.

امرئ ولا صومه، ولكن انظروا من إذا حدث صدق، وإذا اؤتمن أدىٰ، وإذا أشفىٰ[١] ورع».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من لم تأمره صلاته بالمعروف، وتنهه عن المنكر، لم يزدد من الله إلَّا بُعدًا»[٢].

* * *

(١) **أشفىٰ**: أي أشرف علىٰ الدنيا وأقبلت عليه.

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٤٧ - رقم ١٣٤)، وإسناده صحيح.

(١٩) [وفي الباب نفسه قال الإمام - غفر الله له -[١]: «وقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦]، **قال: المودة**»].

رواه الطبري (٣/ ٢٧)، والحاكم (٤/ ٩٦-رقم٣١١٣)، كلاهما من طريق أبي عاصم، ثنا عيسىٰ بنُ أبي عيسىٰ، عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ به.

قال أبو عبد الله الحاكم رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخَرِّجاه»، ووافقه الذهبي[٣].

إسناده حسن.

عيسىٰ بن أبي عيسىٰ هو الحمصي المعروف بابن البرَّاد صدوق.

وقيس بن سعد المكي، ثقة روىٰ له مسلم، ووثقه أحمد وأبو زرعة الرازي، وابن معين.

وعطاء هو ابن أبي رباح الثقة الفقيه، روىٰ له الجماعة.

وقال مجاهد رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]: «قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾: الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا».

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٦١).

(٢، ٣) المستدرك وتلخيصه (٤/ ٩٦).

(٤) رواه سعيد بن منصور (٢/ ٦٤٢- رقم ٢٤٠)، وإسناده صحيح.

وقال مجاهد أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوصل الذي كان بينهم في الدنيا»[(١)].

ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن تلقىٰ التفسير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

والمودَّة المقصود بها: الخُلَّة التي كانت بين المتوادين في غير الله، وأسباب أعمالهم، فتتقطع بهم؛ لأنَّ ما لم يكن سببًا لدخول الجنة كان دركًا للنار إذا كان لغير الله وفي غير مرضاته.

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لا أغنَتْ عنهم أعمالهم، بل صارت عليهم حسرات، فكل أسباب الكفار منقطعة».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قوله: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]؛ أي: عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص، ولم يجدوا عن النار مَعْدِلًا ولا مَصْرِفًا.

قال عطاء عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾؛ قال: المودة، وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح».

❊ ❊ ❊

(١) رواه سعيد بن منصور (٢/ ٦٤٢- رقم ٢٤١)، وإسناده صحيح.

(٢) جامع البيان (٣/ ٣٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩٧).

(٢٠) [وفي باب [قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]][(١)]، **قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾** [آل عمران: ١٧٣]».

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «رواه البخاري»].

قال البخاريُّ: حَدَّثنا أحمد بن يونس، أُراهُ قال: حَدَّثنا أبو بكر، عن أبي حَصِينٍ، عن أبي الضُّحىٰ، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾**؛ قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: **﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾**[(٤)].

وقال البخاريُّ: حَدَّثنا مالك بن إسماعيل، حَدَّثنا إسرائيل، عن أبي حَصِينٍ، عن أبي الضُّحَىٰ، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل[(٥)].

---

(١) الباب الثاني والثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٦٣). (٢، ٣) كتاب التوحيد (ص٦٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾، (ص ٧٧٧- رقم ٤٥٦٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾، (ص ٧٧٧- رقم ٤٥٦٤).

(٢١) [وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩]][١] ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله.

وقال مبينًا مخرجه: رواه عبد الرزاق[٢]].

رواه عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر[٣]، عن أبي إسحاق، عن وبرة، عن عامر بن الطفيل، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ به.

قال العلامة الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إسناده صحيح».

وهو كما قال.

ورواه القاضي إسماعيل المالكي: حَدَّثنا حجاج بن المنهال قال: حَدَّثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ به[٥].

وإسناده صحيح.

---

(١) الباب الثالث والثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٦٤).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٦٥).

(٣) رواه عبد الرزاق عن معمر في كتابه «الجامع» المطبوع مع «المصنَّف» (١٠/ ٤٥٩، ٤٦٠- رقم ١٩٧٠١).

(٤) مجمع الزوائد (١/ ١٠٤).

(٥) أحكام القرآن (ص ٨٨- رقم ٤٧).

ورواه القاضي إسماعيل المالكي: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حَدَّثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة، قال حمَّادٌ: لا أَعْلَمُهُ إلا عن أبي وائل عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ به[(١)].

إسناده حسن، عاصم بن بهدلة صدوق.

وباقي رواته ثقات مشهورون، وأبو وائل هو شقيق بن سلمة.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «هذا الأثر رواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو صحيح إليه بلا شكٍّ».

ورجح إمام العلل وقف الأثر علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث قال أبو بكر البرقاني: وسُئل – الدارقطني – عن حديث أبي الطفيل عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «من الكبائر: الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله».

فقال[(٣)]: «يرويه عنه وبرة، وعبد الملك بن ميسرة، وعبد العزيز بن رُفيع وفرات القزاز، فوقفوه.

واختلف عن عبد العزيز بن رفيع، فرفعه عليُّ بن حكيم الأودي عن

---

(١) أحكام القرآن (ص ٨٩– رقم ٤٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠١).

(٣) العلل الواردة في الأحاديث النبوية (٥/ ٣٤٢– رقم ٩٣٧).

شريك عن عبد العزيز.

ووقفه الثوري وجرير عن عبد العزيز، وهو الصَّواب».

وذكر الحافظ ابن كثير ما رواه ابن أبي حاتم[١] والبزار[٢] الحديث مرفوعًا من رواية أبي عاصم النبيل عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من قول النبي ﷺ، ثم قال[٣]: «في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا».

* * *

(١) التفسير (٣/ ٩٣١- رقم ٥٢٠١).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٧١- رقم ١٠٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨٠).

(٢٢) [وفي باب [من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله][١]**، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله تعالى:** ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، **ثم أتبعه بتفسير عَلْقَمةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسَلِّم**»**]**.

وهذا الأثر ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

ورواه البرقاني عن علقمة، قال: شهدنا عنده - يعني: عند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عرض المصاحف، فأتى على هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال: هي المصيبات تصيب الرجل، فيعلم أنَّها من عند الله فيُسلِّم ويرضى[٤].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا أحمد بن بشير، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: كنا عند علقمة، فقُرِئ عنده هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيُسلِّم لذلك ويرضى[٥].

---

(١) الباب الرابع والثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٦٥).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٦٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة التغابن (ص ٨٧١).

(٤) فتح الباري (٨/ ٦٥٣)، تغليق التعليق (٤/ ٣٤٣).

(٥) جامع البيان (٢٣/ ١٢).

ورواه عبد الرزَّاق عن ابن عيينة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقطوعًا عليه[١].

إسناده صحيح.

ورواه عبد بن حميد: ثنا عمر بن سعد، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة؛ به[٢].

ورواه الفريابي في تفسيره عن سفيان الثَّوري عن الأعمش؛ به.

والذي يظهر أن علقمة تلقَّىٰ معنىٰ تفسير الآية من عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصار من علومه، فيذكره لمن حضره، وأحيانًا يُسنده إلىٰ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* * *

(١) فتح الباري (٨/ ٦٥٢).

(٢) تغليق التعليق (٤/ ٣٤٢).

(٢٣) [وفي باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][١]**، ساق أثر ابن عبَّاس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[٢]: **«يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول الله** ﷺ**. وتقولون: قال أبو بكر وعمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا**!»] ولم يذكر مخرجه]**.

هذا الأثر رُوي معناه عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو مروي أيضًا عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قال عبد الرزاق: حَدَّثنا معمر، عن أيوب، قال: قال عروة بن الزبير لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ألا تتقي الله؟! تُرخص في المتعة. فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: سل أمك – أسماء رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا – يا عُريَّة.

فقال عروة: أما أبو بكر، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ فلم يفعلا. فقال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: والله ما أراكم منتهين حتىٰ يُعذِّبكم الله، نُحدِّثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر، وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[٣].

رواته ثقات إلا أنَّه قد اختلف في إسناده؛ فرواه سليمان بن حرب: حَدَّثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، أن عروة بن الزبير قال؛ فذكره[٤].

---

(١) الباب السابع والثَّلاثون، كتاب التوحيد (ص٦٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٦٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (ص ٥٧٠)، ط: دار الكتب الإسلاميَّة – القاهرة.

(٤) حجة الوداع (ص ٣٥٣– رقم ٣٩٣).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، قال: سئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن متعة الحج، فأمر بها، فقيل له: إنك تخالف أباك. قال: إن أبي لم يقل الذي تقولون، إنما قال: أفردوا العمرة من الحج؛ أي: أن العمرة لا تتم في شهور الحج إلا بهدي، وأراد أن يزار البيت في غير شهور الحجِّ، فجعلتموها أنتم حرامًا، وعاقبتم الناس عليها، وقد أحلَّها الله عَزَّوَجَلَّ، وعمل بها رسول الله ﷺ. قال: فإذا أكثروا عليه قال: أفكتاب الله عَزَّوَجَلَّ أحَقُّ أن يُتَّبَع أَمْ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟[1].

إسناده صحيح.

ورواه أحمد[2]: ثنا روح، ثنا صالح بن أبي الأخضر، ثنا ابن شهاب؛ به.

وفيه أنَّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: «ويلكم! ألا تتقون الله؟! إن كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نهىٰ عن ذلك، فيبتغي فيه الخير، يلتمس به تمام العمرة، فلم تُحرِّمون ذلك؟!».

ورواه الترمذي[3]: حَدَّثنا عبد بن حميد، أخبرني يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدَّثنا أبي، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب؛ به.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح[4].

---

(١) بواسطة السنن الكبرىٰ للبيهقي (٩/ ٣٥٠- رقم ٨٩٤٤)، ولم أره في المصنَّف.

(٢) المسند (٢/ ٩٥).

(٣) كتاب الحجِّ، باب ما جاء في التمتع (ص ٢٠٥- رقم ٨٢٤).

(٤) جامع الترمذي (ص ٢٠٥).

والمروي عن ابن عبَّاس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ هو منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا في رد الأمور إلىٰ سنة النبي ﷺ، مع توقير الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والاستعانة بفهمهما للنُّصوص، والرد إلىٰ سنتهما فيما ليس فيه نصٌّ، وقد أبان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن هذا المنهج في جوابه المفصَّل.

وليس أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقصد مخالفة النبي ﷺ خصوصًا السابقين الأولين، فضلًا عن خاصتهم من ساداتهم كأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللَّذَيْن أمر النبي ﷺ بالردِّ إلىٰ سنَّتهما عند ظهور الاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا ضممنا كلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه إلىٰ كلام ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اتَّضح معنىٰ نهي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النسائي[1]: أخبرنا محمد بن عليِّ بن الحسن بن شقيق، قال: أنبأنا أبي، قال: أنبأنا أبو حمزة، عن مُطرِّف، عن سلمة بن كهيل، عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «والله إني لأنهاكم عن المُتْعة، وإنها لفي كتاب الله، ولقد فعلها رسول الله ﷺ» يعني العمرة في الحجِّ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إسناد جيد».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «إن الذي كان ينهىٰ عن متعة الحج

---

(١) السنن الصغرىٰ، كتاب الحجِّ، باب التمتع (٥/ ١٥٣- رقم ٢٧٣٦)، وكذلك رواه في الكبرىٰ (١/ ٥٧٣- رقم ٣٧٠٢).

(٢، ٣) البداية والنهاية (٧/ ٤٩٠).

إنما هو عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يكن نهيه عن ذلك على وجه التحريم ولا الحتم، كما قدَّمْنا، وإنما كان ينهىٰ عنها لتُفْرَد عن الحجِّ بسفر آخر؛ لتكثر زيارة البيت».

ومقصود الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الحث علىٰ تجريد الاتباع للنبي ﷺ، وبيان أن رتبة قول الصحابي بعد سنة النبي ﷺ فيما ليس فيه نص.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا الكلام قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لمن ناظره في متعة الحج. وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يأمر بها، فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أي: وهما أعلم منك وأحقُّ بالاتباع. فقال هذا الكلام الصادر عن محض الإيمان وتجريد المتابعة للرسول ﷺ وإن خالفه من خالفه كائنًا من كان، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء علىٰ أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد». فإذا كان هذا كلام ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لمن عارضه بأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهما هما، فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول ﷺ بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه، ويجعل قوله عيارًا علىٰ الكتاب والسنة، فما وافقه قبله، وما خالفه رده، أو تأوله؟! فالله المستعان».

* * *

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٨٣).

(٢٤) [وفي باب [قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾[النساء:٦٠]][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر الشَّعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال[٢]: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد ﷺ. عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود. لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه؛ فنَزلت: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ الآية»].

هذا الأثر رواه ابن المنذر في «تفسيره»: حَدَّثنا زكريا، حَدَّثنا عمرو، قال: أخبرنا إسماعيل، عن داود، عن الشعبي؛ فذكره[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «روىٰ إسحاق بن راهويه في «تفسيره» بإسناد صحيح عن الشعبي؛ به».

ومرسل الشَّعبي قال العجلي عنه: صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا.

والمتقدمون وإن كانوا يذكرون أن رواية الشعبي عن جماعة من

(١) الباب الثَّامن والثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٧١).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٧٢).

(٣) تفسير ابن المنذر (٢/ ٧٦٩- رقم ١٩٤٢).

(٤) فتح الباري (٥/ ٣٧).

الصحابة مرسلة، فإنه لقي طائفة كثيرة من الصحابة[١].

وقد أدرك الشَّعبي جمًّا كثيرًا من الصحابة، قال: أدركت خمس مئة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: عليٌّ وطلحة والزبير في الجنة[٢].

* * *

(١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص ٢٠٤).

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٢٩).

(٢٥) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]**:** «**وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي** ﷺ**. وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**. فذكر له أحدهما القصَّة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله** ﷺ**: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله**»**]**.

هذا الأثر من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا إسناد ضعيف جدًّا، قال الكلبي: كل ما حدثتكم عن أبي صالح، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فهو كذب.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفسير الكلبي كذب من أوله إلىٰ آخره، لا يحل النَّظر فيه»[٢].

ولا يظهر لذلك صواب اعتبار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الطريق برواية مجاهد[٣].

وذكر الحافظ ابن حجر في موضع آخر من كتبه إسنادًا أحسن لهذه القصَّة؛ حيث قال[٤]: «قال الحافظ ابن الحافظ إبراهيم بن دحيم في «مسنده»: نا شعيب بن شعيب، نا أبو المغيرة نا عتبة بن ضمرة، حدَّثني أبي

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٧٢، ٧٣).

(٢) المقصد الأرشد (٢/ ١٧٥).

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٨).

(٤) العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٩١٠، ٩١١).

أن رجلين اختصما إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقضىٰ للمحق علىٰ المبطل، فقال المقضي عليه: لا أرضىٰ حتىٰ ترضىٰ. فقال صاحبه: فما تريد؟ قال: أن نذهب إلىٰ أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكرا ذلك له؛ فقال الذي قضىٰ له النبي ﷺ: قد اختصمنا إلىٰ النبي ﷺ فقضىٰ لي عليه. فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأنتما علىٰ ما قضىٰ به النبي ﷺ، فأبىٰ صاحبه أن يرضىٰ. وفيه: أنه ردَّ به إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم ذكر قصة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قتله»[(١)].

إسناده منقطع، ضمرة بن حبيب الزُّبيديُّ لم يدرك النبي ﷺ.

وهذا أمثل أسانيد سبب النزول في التحاكم إلىٰ الخليفتين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بعد النبي ﷺ.

ورواه ابن دحيم أيضًا من طريق آخر، وفيه تحاكم الرجلين إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مباشرة بعد النبي ﷺ، ولم يذكر في المتن تحاكمهما إلىٰ الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد النبي ﷺ.

قال ابن دحيم: ثنا الجوزجاني، ثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود، قال: اختصم إلىٰ رسول الله ﷺ رجلان، فقضىٰ لأحدهما، فقال الذي قُضي عليه: ردَّنا إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. فقال رسول الله ﷺ: نعم، انطلقوا إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فانطلقا فلما أتيا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال الذي قُضي له: يا ابن الخطاب، إن رسول الله ﷺ قضىٰ لي، وإن هذا قال: ردَّنا إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٩١٠، ٩١١).

فردَّنا إليك رسول الله ﷺ، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أكذلك؟! للذي قُضي عليه، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مكانك حتىٰ أخرج فأقضي بينكما، فخرج مشتملًا علىٰ سيفه فضرب الذي قال: ردنّا إلىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقتله، وأدبر الآخر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! قتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صاحبي، ولولا ما أعجزه لقتلني! فقال رسول الله ﷺ: «**ما كنت أظن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **يجترئ علىٰ قتل مؤمن**»، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[النساء:٦٥]، فبَرَّأ الله عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من قتله[1].

وهذا الطريق منقطع، ومتنه مضطرب ومختلف، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «أثر غريب وهو مرسل، وابن لهيعة ضعيف».

* * *

(١) مسند الفاروق (٢/ ٥٠٦- رقم ٨١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٣٣).

(٢٦) [وفي باب [من جحد شيئًا من الأسماء والصِّفات][١]**، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**وفي «صحيح البخاري» قال عليٌّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟!»].**

هذا الأثر عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذكره البخاري عنه تعليقًا في كتاب العلم، باب [من خَصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألَّا يفهموا][٣]، ثم أسنده بعد أن ذكر متنه مباشرةً، فقال: حَدَّثنا عبيد الله بن موسىٰ عن معروف بن خرَّبوذ عن أبي الطُّفَيْلِ عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بذلك[٤].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «هذا الإسناد من عوالي البخاري؛ لأنه يلتحق بالثلاثيات من حيث إن الراوي الثالث منه صحابي، وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، آخر الصحابة موتًا، وليس له في البخاري غير هذا الموضع».

ثم قال الحافظ ابن حجر[٦]: «والمراد بقوله: «بما يعرفون»؛ أي: يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب «العلم» له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: «ودعوا ما يُنكرون»؛ أي يشتبه عليهم فهمه، وكذا

---

(١) الباب التاسع والثلاثون، كتاب التوحيد (ص ٧٣).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٧٣).

(٣) صحيح البخاري (ص ٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألَّا يفهموا (ص٢٧- رقم ١٢٧).

(٥، ٦) فتح الباري (١/ ٢٣٥).

رواه أبو نعيم في «المستخرج»، وفيه دليل علىٰ أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة»، رواه مسلم.

وممَّن كره التحديث ببعض دون بعض؛ أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج علىٰ السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- كما تقدم عنه في الجرابين -، وأنَّ المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعن الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ أنه أنكر تحديث أنس للحجَّاج بقصة العرنيين؛ لأنَّه اتخذها وسيلة إلىٰ ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي. وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث يقوِّي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد؛ فالإمساك عنه عند من يخشىٰ عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم».

وبيَّن عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما يجب علىٰ المستمع لحديث رسول الله ﷺ من وضعه في مواضعه، وفهمه بما يليق بمن لا ينطق عن الهوىٰ، فقال: «إذا حُدِّثْتُم عن رسول الله ﷺ فظُنُّوا به الذي هو أتقىٰ، والذي هو أهنأ، والذي هو أهدىٰ»، رواه الدَّارمي[1]، وإسناده صحيح.

وورد نحوه عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رواه الدَّارمي[2] كذلك.

---

(١) مسند الدارمي (١/ ١٤٥، ١٤٦).

(٢) مسند الدارمي (١/ ١٤٥).

(٢٧) [**وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:
«**وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **أنَّه رأى رجلًا انتفض لمَّا سمع حديثًا عن النبي** ﷺ **في الصفات، استنكارًا لذلك! فقال: ما فَرَق هؤلاء؟**

يجدون رِقَّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»].

وهذا الأثر إسناده في غاية الصحة، من أسانيد الصَّحيحين.

وورد هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الخوارج، فقد **روى القاضي إسماعيل المالكي في «أحكام القرآن»**: ثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان بن عيينة، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ذُكروا عند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الخوارج وما يَلقون عند القرآن فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه، وقرأ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٧][٢].

إسناده صحيح، وعليُّ بن عبد الله هو المديني.

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب التَّوحيد (ص ٧٣، ٧٤).

(٢) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف المسانيد العشرة (٧/ ٣٠١).

(٢٨) [وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]][(١)]، **قال الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «**قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي**»].

ذكر ابن أبي حاتم تعليقًا عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله:** ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قال: هي المساكن والأنعام وما ترزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش، ثم تُنكره بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورثونا إياه[(٣)].

ورواه آدم بن أبي إياس[(٤)]، من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ به.

وإسناده صحيح.

* * *

(١، ٢) كتاب التوحيد (ص ٧٤).

(٣) تفسير القرآن (٧/ ٢٢٩٦- رقم ١٢٦٢١).

(٤) تفسير آدم بن أبي إياس (ص ١٣٣- رقم ٧٨٤).

(٢٩) [وفي الباب نفسه ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول عون بن عبد الله[١]: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا».

ذكر ابن أبي حاتم تعليقًا عن عون بن عبد الله في قوله: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾، قال: إنكارهم إياها؛ أن يقول الرجل: لولا فلان أصابني كذا وكذا، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا [٢].

ورواه الطبري مسندًا: حدَّثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاوية، عن عمرو، عن أبي إسحاق الفَزَاريِّ، عن ليث، عن عون بن عبد الله بن عتبة ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: إنكارهم إياها؛ أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا[٣].

شيخ الطبري سفيان بن وكيع بن الجراح؛ ضعيف، ومعاوية بن عمرو الأزدي أبو عمرو البغدادي؛ ثقة، روىٰ له الجماعة.

وإخراج النص صوابه: «معاوية بن عمرو»، وليس: معاوية عن عمرو. لأن عمرو بن محمد الناقد يروي عن معاوية وليس العكس.

وأبو إسحاق هو إبراهيم بن محمد بن الحارث الفَزَاري، الإمام الثقة الحافظ، روىٰ له الجماعة.

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٩٦- رقم ١٢٦٢٢).

(٣) جامع البيان (١٤/ ٣٢٦).

وليث هو ابن أبي سليم، لا بأس به في رواية الآثار ما لم يضطرب أو يُخلِّط.

وعون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه الزاهد، روىٰ له مسلم والأربعة، ثقة.

والأثر مروي بإسناد أعلىٰ من هذا، فلا يضر الأثر ضعف شيخ الطبري.

قال سعيد بن منصور[1] في سننه (١٢٣٨): نا فضيل عن ليث بن أبي سليم، عن عون بن عبد الله في قوله: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]، يقولون: لولا فلان لكان كذا وكذا! لولا فلان لكان كذا وكذا! فذلك إنكارهم.

وفضيل هو ابن عياض الإمام الورع الذي أنطقه الله بالحكمة، ولا يزال وعظه حياةً للقلوب، ثقة، روىٰ له البخاري ومسلم.

فإسناد الأثر لا بأس به، لاحتمال رواية ليث بن أبي سليم للآثار.

❊ ❊ ❊

(١) استفدته من كتاب «أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان» (٢/ ٧٩٢)، للشيخ عبد العزيز المبْدل، جزاه الله خيرًا.

(٣٠) [وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢٢]][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه قال في الآية[٢]: «الأنداد: هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص.

وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كله به شرك».

ثم قال مبينًا مخرجه[٣]: «رواه ابن أبي حاتم»].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد، حدَّثني أبي عمرو، حدَّثني أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم، أنبأ شبيب بن بشر، ثنا عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا؛ فذكره[٤].

فهذا الإسناد من رواية أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن أبيه عن جده، عن شبيب بن بشر، ثنا عكرمة عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

---

(١) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد (ص ٧٦).

(٢، ٣) كتاب التوحيد (ص ٧٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين (١/ ٦٢- رقم ٢٢٩).

والضحاك بن مخلد النبيل أبو عاصم شيخ المحدثين الأثبات، من أجلِّ شيوخ البخاري، وابنه وحفيده من المحدثين العلماء الأجلَّاء.

وشَبيب بن بشر البجلي الكوفي صدوق يخطئ، وعكرمة ثقة؛ فالإسناد حسن.

❊ ❊ ❊

(٣١) [**وساق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا أثر ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١]: «**لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا**».

ولم يذكر مخرجه].

وهذا الأثر رواه ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن مِسْعر، عن وبرة، قال: قال عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لأنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره، وأنا صادق»[٢].

إسناده كوفِيٌّ صحيح جدًّا، وكيع بن الجراح الحافظ الثِّقة من أعلام المحدِّثين، ومِسْعَر بنُ كِدَام الهلالي الكوفي، ثقة ثبت روىٰ له الجماعة، كان شعبة يسميه المصحف لجودة حفظه، واتَّخذه أئمَّة الحديث ميزانًا لمعرفة صواب مرويَّاتِهم من خطئها، ووبرة هو ابن عبد الرَّحمن المسلي، الكوفي، ثقة، روىٰ له البخاريُّ ومسلم.

وروىٰ مالك بلاغًا عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أنَّه كان يقول:** لأنْ أَحْلِفَ فآثم أحبُّ إليَّ من أن أُضَاهِيَ[٣].

ورواه ابن المنذر: حدثنا عليٌّ، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدَّثني نُعيم، عن عبد العزيز بن محمد، عن ثور بن زيد، عن عكرمة عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٧٧).

(٢) المصنف (٨/ ٥٤٩- رقم ١٢٤١٤).

(٣) الموطَّأ (٢/ ٢١٨، ٢١٩- رقم ٢٢٢٤)، رواية أبي مصعب الزهري.

قال: لأن أحلف بالله فأحنث وأكفِّر؛ أحبُّ إليَّ من أن أضاهي بشيء[١].

وإسناده ليس بالقوي، نُعيم بن حماد الخزاعي صدوق يخطئ كثيرًا، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي صحيح الحديث إذا حدَّث من كتابه، سيئ إذا حدث من حفظه.

* * *

(١) الأوسط (١٢/ ١٤٦- رقم ٨٩٣٧).

(٣٢) [وفي الباب نفسه قال شيخ الإسلام – جزاه الله خيرًا –[١]: «وجاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثُمَّ بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان»].

هذا الأثر رواه عبد الرزاق عن معمر[٢]، عن مغيرة، عن إبراهيم؛ أنه كان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك. حتىٰ يقول: ثم بك.

رواته ثقات، ومغيرة بن مقسم الضَّبيُّ سمع من إبراهيم النخعي، وأحيانًا يرسل أو يُدلِّس عنه.

* * *

(١) كتاب التوحيد (ص ٧٧).

(٢) الجامع المطبوع مع المصنَّف (١١/ ٢٧- رقم ١٩٨١١).

(٣٣) [وفي باب [من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ][(١)]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، وقال بعده تمامًا[(٢)]: «عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق. قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥﴾ [التوبة: ٦٥]، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه».

ولم يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخرجه].

زيد بن أسلم روىٰ سبب النزول عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فالمعول في أسباب النزول علىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم حضروا وشاهدوا التَّنزيل.

---

(١) الباب السابع والأربعون، كتاب التوحيد (ص ٨٣).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٨٣- ٨٤).

وكذلك قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تابعي، ومحمد بن كعب القرظي تابعي، من أوعية العلم وأئمَّة التفسير.

وقتادة ذكر سخرية المنافقين برسول الله ﷺ أنَّهم قالوا: يظنُّ هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها، هيهات هيهات.

وأما محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فذكر نحوًا مما في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المسند.

قال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقد رواه الليث عن هشام بن سعد، بنحو من هذا».

ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ، أنبا عبد الله بن وهب عن هشام بن سعد به[٣].

إسناده حسن من أجل هشام بن سعد.

قال العلامة أبو عبد الرحمن مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «الحديث رجاله

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٣٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٣٧).

(٣) تفسير القرآن الْعظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (٦/ ١٨٢٩ - رقم ١٠٠٤٧).

(٤) الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٧٨).

رجال الصحيح، إلا هشام بن سعد فلم يُخرِّج له مسلم، إلا في الشَّواهد كما في «الميزان»، وأخرجه الطبري من طريقه (ج ١٠/ ص١٧٢)، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (ج٤/ ص٦٤)، من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

* * *

(٣٤) [وفي باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فُصِّلَت:٥٠][١]**، ساق الإمام – جزاه الله خيرًا – قول مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: **«هذا بعملي، وأنا محقوق به»].**

رواه آدم بن أبي إياس والطبري من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ فذكره[٣].

إسناده صحيح.

ورقاء هو ابن عمر اليشكري، أبو بشر الكوفي، ثقة، روىٰ له الجماعة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ورقاء؛ يقولون: لم يسمع «التفسير» كله من ابن أبي نجيح».

وقال عليٌّ بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن يحيىٰ بن سعيد، قال معاذ – ابن معاذ –: قال ورقاء: كتاب «التفسير» قرأت نصفه علىٰ ابن أبي نجيح، وقرأ عليَّ نصفه»[٥].

* * *

(١) الباب الثامن والأربعون، كتاب التَّوحيد (ص ٨٥).

(٢) كتاب التَّوحيد (ص ٨٥).

(٣) تفسير آدم بن أبي إياس (ص ٢٤٣- رقم ١٥٠١)، جامع الْبيان (٢٠/ ٤٥٨، ٤٥٩).

(٤، ٥) تهذيب الكمال (٧/ ٤٥٥).

(٣٥) [وكذلك في الباب نفسه ساق أثر ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١]: «يُريد: من عندي»، ولم يذكر مخرجه].

لم أقف علىٰ مخرجه مسندًا، والله أعلم.

* * *

(١) كتاب التوحيد (ص ٨٥).

(٣٦) [وفي الباب نفسه ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص:٧٨]، **وأتبعه بقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ**[١]**: «علىٰ علم مني بوجوه المكاسب»].**

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن يحيىٰ بن مالك السوسي، ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾؛ يقول: علىٰ خير عندي وعلم عندي[٢].

إسناده صحيح.

أحمد بن يحيىٰ بن مالك السوسي، شيخ عبد الرحمن بن أبي حاتم؛ صدوق؛ قاله أبو حاتم الرازي[٣].

وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف العجلي روىٰ له أحمد ومسلم، والأربعة، صدوق، إلا أنه في سعيد بن أبي عروبة ثقة؛ فهو من أعلم الناس بحديثه، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لزم سعيدًا وأخذ عنه التفسير، وعُرف بصحبته، وسماعه منه قديم[٤]؛ يعني: قبل اختلاط سعيد.

وسعيد ابن أبي عروبة، أبو النضر البصري، ثقة كثير الحديث، قال يحيىٰ

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٩/ ٣٠١٢- رقم ١٧١٢٣).

(٣) الجرح والتعديل (٢/ ٨٢).

(٤) تهذيب الكمال (٥/ ١٩، ٢٠).

بن معين: كان يرسل، وكان قدريًّا، إلا أنه لم يكن داعية لبدعته؛ قاله الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أثبت الرواة عن قتادة؛ كما قال أبو حاتم الرازي.

قال ابن عدي: كان ثبتًا عن كل من روىٰ عنه، إلا من دلس عنهم[١].

واختلاط سعيد متميِّز، قال أبو بكر البزار: إنَّه ابتدأ به الاختلاط سنة ١٣٣، ولم يستحكم ولم يطبق به، واستمرَّ علىٰ ذلك، ثم استحكم به أخيرًا، وعامَّة الرواة عنه سمعوا منه قبل الاستحكام[٢].

* * *

(١) الكامل في الضعفاء (٥/ ٥٢٣).

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٦).

(٣٧) [وفي باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾[الأعراف:١٩٠][١]**، قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ**[٢]**: «وعن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعنني، أو لأجعلنَّ له قرني أيْلٍ، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ – يخوِّفهما –، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميِّتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾».**

وقال الإمام مبينًا مخرجه[٣]**: «رواه ابن أبي حاتم»].**

قال ابن أبي حاتم: ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن حمزة، ثنا حبان، عن عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره[٤].

وشريك وخصيف لا يُحتمل منهما مثل هذه الرواية.

وابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله هذا مأخوذ عن أبيٍّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه ابن أبي حاتم[٥].

---

(١) الباب التاسع والأربعون، كتاب التوحيد (ص ٨٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٨٩، ٩٠).

(٣) كتاب التوحيد (ص ٩٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ١٦٣٤- رقم ٨٦٥٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ٨٦٥٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كأنَّه – والله أعلم – أصله مأخوذ من أهل الكتاب؛ فإن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رواه عن أبيٍّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما يخالف المروي عن أهل الكتاب، قال: ما أشرك آدم، أن ضربه – الله – لمن بعده[(٢)].

وهذه القصة وردت مرفوعة، قال الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لمَّا ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث؛ فإنه يعيش. فسمَّته عبد الحارث؛ فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**»[(٣)].

ورواه الترمذيُّ عن محمد بن المثنىٰ، عن عبد الصَّمد؛ به[(٤)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتجُّ به.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه، ليس مرفوعًا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣- رقم ٨٦٥٢).

(٣) المسند (٥/ ١١).

(٤) جامع الترمذي (ص٦٩٣- رقم ٣٠٧٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٤).

الثالث: أن الحسن نفسه فسَّر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا؛ لما عدل عنه.

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو عن الحسن ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم.

وحدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ، حدثنا محمد بن ثور عن معمر، قال: قال الحسن: عنىٰ بها ذريَّة آدم، ومن أشرك منهم بعده، يعني: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

وحدثنا بشر، ثنا يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود، والنصارىٰ؛ رزقهم الله أولادًا فهودَّوا ونصَّروا.

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولىٰ ما حُملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره».

وبيَّن شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ بتحقيق بالغ نكارة هذه القصَّة، من وجوه حيث قال(١):

الأول: أنَّه ليس في ذلك خبر صحيح، قال ابن حزم: إنَّها رواية مكذوبة.

الثاني: لو كانت القصة في آدم وحواء؛ فإن كانا تابا من الشرك؛ فلا يليق

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التَّوحيد (٣/ ٦٧، ٦٨)، باختصار.

بعدل الله ورحمته أن يذكر خطأهما، ولا يذكر توبتهما منه.

وإن قلنا: ماتا عليه من غير توبة. فمن جوز موت أحد من الأنبياء علىٰ الشرك فقد أعظم الفرية.

الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتِّفاق العلماء.

الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة: أنَّ الناس يأتون إلىٰ آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك؛ لكان اعتذاره به أعظم وأولىٰ وأحرىٰ.

الخامس: أنَّ في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: «أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة»، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء.

السَّادس: أن في قوله في هذه القصة: «لأجعلن له قرني أيل»: إما أن يصدِّقا أن ذلك ممكن في حقه، وهذا شرك في الربوبية؛ لأنَّه لا خالق إلا الله، أو لا يُصدِّقا؛ فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

السابع: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف:١٩٠]، بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عمَّا يشركان.

* * *

(٣٨) [وفي الباب نفسه قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]**: «وله - ابن أبي حاتم - بسند صحيح عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته»].**

قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا محمد بن يحيىٰ، أنبأ العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾: فكان شركًا في طاعته، ولم يكن شركًا في عبادته[٢].

إسناده صحيح.

محمد بن يحيىٰ هو الواسطي، نزيل بغداد، ثقة، كتب عنه أبو حاتم الرازي، وابنه عبد الرحمن[٣].

والعباس بن الوليد هو النَّرْسي، أبو الفضل البصري، ثقة، روىٰ عنه البخاري ومسلم.

ويزيد بن زريع البصري أبو معاوية، ثقة حافظ، روىٰ له الجماعة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إليه المنتهىٰ في التثبت بالبصرة[٤].

وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ نسخة صحيحة مشهورة في التفسير.

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٩٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ١٦٣٤- رقم ٨٦٥٩).

(٣) الجرح والتعديل (٨/ ١٢٥- رقم ٥٦٢).

(٤) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٣/ ٢٤٣- رقم ٦٤١٣).

(٣٩) [**وفي الباب نفسه قال الإمام أيضًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله:** ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] **قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا. وذُكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما**»[١]].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الأشج، ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ فذكره[٢].

إسناد صحيح، وهو نسخة مشهورة في التَّفسير.

فالأشج شيخ عبد الرحمن بن أبي حاتم، هو أبو سعيد عبد الله بن سعيد الكنديُّ الأشج الكوفي، ثقة روىٰ له الجماعة.

وابن يمان هو يحيىٰ بن يمان العجلي الكوفي، روىٰ له مسلم والأربعة، صدوق يخطئ كثيرًا؛ لأنَّه أكثر من حفظ الأحاديث في المجلس الواحد، حتىٰ قال وكيع: ما كان أحد أحفظ منه، يحفظ في المجلس الواحد خمسمائة حديث[٣].

وسفيان هو ابن سعيد الثوري، أبو عبد الله الكوفي، روىٰ له الجماعة، قال أبو بكر المَرُّوذِيُّ: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد قال: أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري[٤].

---

(١) كتاب التوحيد (ص ٩٠، ٩١).

(٢) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ١٦٣٣ –رقم ٨٦٤٨).

(٣) الكاشف (٣/ ٢٣٩– رقم ٦٣٨٦).

(٤) تهذيب الكمال (٣/ ٢٢١).

وقال عبد الله بن المبارك: كتبت عن ألف ومئة شيخ، ما كتبت عن أفضل من سفيان[١].

وهو بلا ريب من أعلام الدين فقهًا وحفظًا وورعًا.

وعبد الله بن أبي نجيح الثقة المفسر، قال عليٌّ بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أمَّا التفسير فهو فيه ثقة، يعلمه».

وقال يحيىٰ بن سعيد القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «لم يسمع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير كله، يدور علىٰ القاسم بن أبي بَزَّة».

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدركًا علىٰ القطان[٤]: «هو من أخص الناس بمجاهد».

وقال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «كان سفيان يُصحِّح تفسير ابن أبي نجيح».

❊ ❊ ❊

---

(١) تهذيب الكمال (٣/ ٢٢٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٦).

(٣) التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٢٣٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٦).

(٥) الجرح والتعديل (٥/ ٢٠٣).

(٤٠) [وفي باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠][(١)]، **قال الإمام المجدِّد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «**ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿**يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ**﴾: يشركون. وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعزَّىٰ من العزيز.

وعن الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يدخلون فيها ما ليس منها**»].

قال ابن أبي حاتم: أخبرنا محمد بن سعد العوفي، فيما كتب إليَّ، حدَّثني أبي، حدَّثني عمي الحسين، عن أبيه، عن جده، عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾؛ قال: الإلحاد، الملحدين أن دعوا اللات والعزىٰ في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ[(٣)].

ورواه الطبري: حدثنا محمد بن سعد؛ به[(٤)].

إسناده مسلسل بالضعفاء، سعد بن محمَّد العوفي جهمي، قال الإمام أحمد: لا يستأهل أن يُكتب عنه، ولا كان موضعًا لذلك[(٥)]. ومحمد بن الحسن لَيَّنُوه[(٦)]، والحسن بن عطيَّة العوفي؛ ضعَّفه أبو حاتم الرازي[(٧)].

---

(١) الباب الخمسون، كتاب التوحيد (ص٩١).

(٢) كتاب التوحيد (ص٩١).

(٣) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ١٦٢٣ –رقم ٨٥٨٤).

(٤) جامع البيان (١٠/ ٥٩٧).

(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٢٧).

(٦) الكاشف (٣/ ٣٠).

(٧) الكاشف (١/ ١٦٣).

ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عامر سعيد بن عمرو بن سعيد الحمصي السكوني، ثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، ثنا أبو عبد الملك عبد الواحد بن ميسرة القرشي الزيتوني، حدَّثني مبشر بن عبيد القرشي، قال: قال الأعمش: ﴿**يَلْحَدُونَ**﴾ بنصب الياء والحاء من اللحد، قال: وسألته عن تفسيرها، فقال: يدخلون فيها ما ليس منها[١].

إسناده ضعيف جدًّا، مبشر بن عبيد متروك.

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصَّحابة والتابعين (٥/ ١٦٢٣ - رقم ٨٥٨٧).

(٤١) [وفي باب [ما جاء في كثرة الحلف][١]، في خاتمته، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ أنه قال: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار»[٢]].

هذا الأثر ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال: أشهد بالله، أو شهدتُ بالله[٣]، ولفظه: «كان أصحابنا ينهونا ونحن غِلْمَانٌ أن نحلف بالشَّهادة والعهد».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «هو موصول بالسند المتقدِّم».

لأنَّ البخاري ذكر أثر إبراهيم في أثر حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مباشرةً، فيكون أثر إبراهيم صحيحًا.

قال البخاري: حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبيدةَ، عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سئل النبي ﷺ: أيُّ الناس خير؟ قال: «**قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم: تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»[٥].

قال إبراهيم: وكان أصحابنا ينهونا - ونحن غلمان - أن نحلف بالشهادة والعهد.

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الحادي والستون (ص ١٠٣).
(٢) كتاب التوحيد (ص ١٠٥).
(٣) صحيح البخاري (ص ١١٥٠).
(٤) فتح الباري (١١/ ٥٤٤).
(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال: أشهد بالله، أو شهدتُ بالله (ص١١٥٠ – رقم ٦٦٥٨).

(٤٢) [وفي خاتمة «كتاب التوحيد»، باب [ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر:٦٧]][1]، **قال الإمام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ورُوي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**».

ولم يبيِّن مخرجه].

وهذا الأثر رواه الطبري قال حدثنا ابن بشار، ثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال؛ فذكره[3].

إسناده حسن؛ شيخ الطبري هو الحافظ محمد بن بشار، المشهور بلقب «بندار»، ثقة روىٰ له الجماعة.

ومعاذ بن هشام الدَّسْتُوائيُّ وأبوه ثقتان.

وعمرو بن مالك النُّكْريُّ صدوق له أوهام، روىٰ له الأربعة.

وأبو الجوزاء أوس بن عبد الله الرَّبعي ثقة، وهو مشهور بالإرسال، إلا أن روايته عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سماع، قد روىٰ له البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

* * *

---

(١) الباب السادس والستون، كتاب التوحيد (ص ١١١).

(٢) كتاب التوحيد (ص ١١٣).

(٣) جامع البيان (٢٠/ ٢٤٦)، العلو للذَّهبي (ص٩١).

(٤٣) [وفي الباب نفسه قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]**:**
«وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زرٍّ عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: وله طرق»].

ورواه عثمان الدارمي: حدثنا حماد بن سلمة؛ به[٢].

وإسناده حسن.

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد»: ثنا أحمد بن سنان، ثنا يزيد بن هارون، أنا حماد عن عاصم عن المسيب بن رافع عن وائل بن ربيعة، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ به[٣].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «حديث عاصم عن زرٍّ بن حبيش عن

---

(١) كتاب التَّوحيد (ص ١١٤).

(٢) الرد علىٰ الجهمية (ص ٤٦- رقم ٨١).

(٣) كتاب التوحيد (١/ ٢٤٢- رقم ١٤٩)، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (١٠/ ٥٠٥ – رقم ١٣٢٩٦).

(٤) العلو (ص ٦٣، ٦٤).

ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم»، قد مرَّ بهذا الإسناد، رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» له، وأبو بكر ابن المنذر، وأبو أحمد العسال، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ، وأبو القاسم اللالكائي، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو بكر البيهقي، وأبو عمر ابن عبد البر؛ في تواليفهم، وإسناده صحيح».

ففي الجملة فإنَّ غالب الآثار في كتاب التَّوحيد صحيحة، وكثير منها في غاية الصِّحَّة، وبعضها من معلَّقات البخاري في صحيحه، والضَّعيف من الآثار قليل جدًّا، والله أعلم.

* * *

كتاب التوحيد شاهد بإمامة ابن عبد الوهاب في الحديث

شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام متفنن، جامع لصلب العلوم الشرعية كلها، فهو إمام في العقيدة بلا ريب، وكتبه في هذا الفن شاهدة بذلك، وإمام في التفسير له استنباطات وتعليقات ذكية جدًّا في مصنفه الخاص بالتفسير المطبوع ضمن مجموع مصنفاته، وكذلك في مصنفاته عامة حيث يستدل بالآيات لتقرير العقائد أو الأحكام، وإمامته في الفقه واضحة وذلك لشدة عنايته بأخذ هذا العلم عن أهله، ومن أبرز شيوخه في هذا الفن والده عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاضي العيينة، واختصاره للإنصاف شاهد بإمامته في الفقه.

أما علم الحديث وإمامته فيه فواضحة جدًّا، فمحتوىٰ كتبه خصوصًا كتاب التوحيد شاهد بذلك، وتلقيه عن أئمة الحديث في عصره برهان آخر علىٰ ذلك، فالشيخ يورّث تلميذه علومه.

فمن مشايخه الشيخ المحدّث عبد الله بن سالم بن محمد البصري المكي، الشافعي، مسند الحجاز، كانت له عناية شديدة بالكتب الستة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن مشايخه في الحديث العلامة عبد الله بن إبراهيم السيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء المجمعة، أخذ عنه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علمًا جمًّا لمّا

كان بالمدينة النبوية.

وقد أجاز المحدّث العلامة عبد الله السيف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل ما حواه ثبته من علم شيخه علامة الشام أبي المواهب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من «صحيح البخاري»، بسنده إلىٰ مؤلفه، و«صحيح مسلم» بسنده إلىٰ مؤلفه، وشروح كل منهما، و«سنن الترمذي» بسنده، و«سنن أبي داود» بسنده و«سنن ابن ماجه» بسنده، و«سنن النسائي الكبرىٰ» بسنده، و«سنن الدارمي» ومؤلفاته بالسند(١).

ومن شيوخه في الحديث العلامة الكبير المحدّث محمد حياة السندي المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من تلاميذ العلامة الشاه ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشيخ محمد حياة السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع إمامته في الحديث فإنه صاحب سنة، سلفي المعتقد، قال ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقف يومًا عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ، فرآه محمد حياة، فأتىٰ إليه، فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟

قال: إن هؤلاء مُتبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون»(٢).

ومن مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث - العلامة إسماعيل بن محمد العجلوني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء «عجلون» بالأردن،

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، للشيخ د: صالح العبود (١/ ١٥٥، ١٥٦).

(٢) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٥٩، ١٦٠).

وهو مؤلف كتاب: «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس»[١]، إلىٰ سائر مشايخه الذين أخذ عنهم علم الحديث وسائر أنواع العلوم.

ومصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوضح برهان علىٰ إمامته في الحديث؛ لما تحتويه من أدلة ساطعة تدل علىٰ ذلك، فالإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم في علل الأحاديث، ولا يقتصر كلامه عليها في العلل الظاهرة كضعف رواتها، وانقطاع أسانيدها، بل تجده يتكلم في عللها الخفية التي تقتضي جمع الطرق والأسانيد، فانظر مثلًا تعليقه علىٰ حديث عبد الرحمن بن بشر النيسابوري: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**». حيث قال[٢]: «تفرد به سفيان، ولا يصح عمن فوق سفيان».

وكان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم في لطائف الأسانيد، فإنه روىٰ حديثًا من طريق شيخه العلامة عبد الله بن إبراهيم السيف إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله؟ قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته**».

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٦١).

(٢) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٥٤).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيًّا للإمام أحمد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

ومن أقوىٰ البراهين علىٰ إمامة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث - منهجه في تأليف كتاب «التوحيد»، فهو كتاب اعتقاد علىٰ طريقة المحدثين في التصنيف، كأنما هو قطعة من صحيح البخاري، يبوّب ثم يضع فيه الأدلة من القرآن والسنة، وأحيانًا يضيف إليه بعض الآثار عن الصحابة والتابعين.

ومن منهجه المميّز الذي جعل قيمة كتاب التوحيد عليّة عنايته بأصح ما في الباب من الأحاديث، فأحاديث الصحيحين هي غالب مادة كتابه، ولا يصير إلىٰ أحاديث السنن والمسانيد إلا حيث لا يوجد في الباب حديث في الصحيحين أو أحدهما.

فنزوله إلىٰ أحاديث غير الصحيحين وقع اضطرارًا، ومع ذلك فإنه ينتخب أصح أحاديث السنن والمسانيد، وهذه طريقة حذّاق المحدثين، كما نصّ علىٰ ذلك أبو داود في وصف سننه.

ولم يستدل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما انفرد بروايته ابن ماجه إلا حديثًا واحدًا وهو صحيح.

وما هو خارج الموطأ والمسند والكتب الستة فقط ثلاثة عشر، منها أربعة

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٥٥).

أحاديث اشترط مؤلفوها الصحة كصحيح ابن حبان، ومستخرج البرقاني، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي.

والتسعة الباقية ثلاثة منها رواها الطبراني، واثنان البزار، وواحد البيهقي، وواحد أيضًا ابن أبي عاصم، واثنان لابن جرير الطبري، اضطره إليها تفسير بعض الآيات.

وما رواه الطبراني أحدها سكت عنه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو حديث حسن[١]، والثاني حسنه الإمام نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، والثالث صححه[٣]، والذي رواه البزار جوّد إسناد أحدها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] ، والثاني مختلف في رفعه ووقفه[٥].

---

(١) الباب الثالث عشر، باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، كتاب التوحيد، ص (٢٤، ٢٥)، وهو قول النبي ﷺ: «**لا يستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**».

(٢) الباب الخامس والعشرون، باب: ما جاء في الكهان ونحوهم، كتاب التوحيد ص (٤٩-٥١)، وهو قول النبي ﷺ: «**ليس منّا من تطيّر أو تُطيّر له**»، كتاب التوحيد، ص (٥١).

(٣) الباب الحادي والستون، باب: ما جاء في كثرة الحلف، كتاب التوحيد، ص (١٠٤)، وهو قول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**».

(٤) الباب الخامس والعشرون، باب: ما جاء في الكهان ونحوهم، حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منا من تكهن أو تُكهن له**»، كتاب التوحيد، ص (٥١)، وصححه الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها، ص(٥).

(٥) حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»، وعلىٰ القول بترجيح وقفه، فهو قول صحابي اعتضد بالقرآن فلا ريب في حجيته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ
=

وكذلك ما رواه ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنة من حديث النواس ابن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]، ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ متابعة واستشهادًا بعد أن ذكر قبله معناه مما هو مخرج في الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان ينفذهم ذلك،** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾». الحديث.

وما رواه البيهقي وإن كان معلولًا[٢] فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتبعه بحديث عائشة الذي يوافقه في المعنىٰ، رواه ابن حبان وهو صحيح.

وهذا إنما ذكرته ليعرف طالب العلم طرائق ومناهج العلماء في الاستدلال والتأليف حتىٰ لا يخطيء عليهم في النقد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وقد رأيت غير واحد من المصنفين في السنة علىٰ مذهب أهل الحديث من أصحاب مالك وأحمد والشافعي، وغيرهم من الصوفية وأهل الحديث وأهل الكلام منهم يحتجون في أصول الدين بأحاديث لا يجوز أن

=

مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾.

(١) الباب الخامس عشر، باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، كتاب التوحيد، ص (٢٨-٣٠).

(٢) **حديث أبي سعيد مرفوعًا**: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله».

(٣) الصفدية (١/ ٢٨٧).

يعتمد عليها في فضائل الأعمال، فضلًا عن مسألة فقه، فضلًا عن أصول الدين. والأئمة كانوا يروون ما في الباب من الأحاديث التي لم يُعلم أنها كذب من المرفوع والمسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين؛ لأن ذلك يُقوّي بعضه بعضًا كما تُذكر المسألة من أصول الدين، ويُذكر فيها مذاهب الأئمة والسلف.

فثم أمور تُذكر للاعتماد، وأمور تُذكر للاعتضاد، وأمور تُذكر لأنها لم يعلم أنها من نوع الفساد».

علىٰ كل حال الصناعة الحديثية في كتاب «التوحيد» واضحة جدًّا في منهج تأليف الكتاب، وفي سياقة أدلته وانتخاب أحاديثه، وكذلك في التعليق علىٰ الأحاديث تصحيحًا بما يقتضيه حالها، وشواهد ذلك كثيرة، نذكر منها:

١- حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[(١)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «رواه أحمد بسند لا بأس به».

٢- حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) الباب السادس، باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٦).

«أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[١].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما».

٣- حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»**[٣].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أحمد بسند جيد».

٤- حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه أبو داود بإسناد حسن».

٥- حديث قبيصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه سمع النبي** ﷺ **قال: «إن العيافة، والطَّرْق، والطيرة من الجبت»**[٦].

---

(١) الباب العاشر، باب: لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله، كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٣) الباب التاسع عشر، باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟! كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٥) الباب الحادي والعشرون، باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إسناده جيد».

٦- حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد»**[٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «رواه أبو داود وإسناده صحيح».

٧- حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر، أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ**»**[٤].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه البزَّار بإسناد جيد، ورواه الطبراني بإسناد حسن، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، دون قوله: «**ومن أتىٰ كاهنًا**». إلىٰ آخره».

٨- حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة، فقال: **«هي من عمل الشيطان»**[٦].

---

(١) الباب الرابع والعشرون، باب: بيان شيء من أنواع السحر، كتاب التوحيد، ص (٤٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٨).

(٣) الباب الرابع والعشرون، باب: بيان شيء من أنواع السحر، ص (٤٧).

(٤) الباب الخامس والعشرون، باب ما جاء في الكُهَّان ونحوهم، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٥١).

(٦) الباب السادس والعشرون، باب: ما جاء في النشرة، كتاب التوحيد، ص (٥٢).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «رواه أحمد بسند جيد».

٩- حديث عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تردُّ مسلمًا، فإذا رأىٰ أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(٢)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبو داود بسند صحيح»[(٣)].

١٠- حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **عن النبي** ﷺ **قال:** «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[(٤)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «رواه أبو داود بسند صحيح».

١١- حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلفَ بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**»[(٦)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٧)]: «رواه ابن ماجه بسند حسن».

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٥٢).

(٢) الباب السابع والعشرون، باب: ما جاء في التطيّر، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٤) الباب الحادي والأربعون، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، كتاب التوحيد، ص (٧٦).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٧٧).

(٦) الباب الثاني والأربعون، باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٧) كتاب التوحيد، ص (٧٨).

١٢ - أثر قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾، قال: «شركاء في طاعته»[١].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح».

١٣ - أثر مجاهد في تفسير الآية السابقة، قال[٣]: «أشفقا أن لا يكون إنسانًا».

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح».

١٤ - حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»[٥].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح».

---

(١) الباب التاسع والأربعون، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، كتاب التوحيد، ص (٨٩، ٩٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩٠).

(٣) الباب التاسع والأربعون، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، كتاب التوحيد، ص (٨٩، ٩٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٩٠).

(٥) الباب الرابع والخمسون، باب: لا يُرد من سأل بالله، كتاب التوحيد، ص (٩٣، ٩٤).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٩٣، ٩٤).

١٥- حديث ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي، فقال: «لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مِتَّ علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار. فقال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] «**في المسند والسنن:** حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه»[(٣)].

١٦- حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: أنت سيِّدنا، فقال: «**السيد الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينَّكم الشيطان**»[(٤)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)]: «رواه أبو داود بسند جيد».

١٧- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن ناسًا قالوا:** يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا. فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا**

---

(١) الباب التاسع والخمسون، باب: ما جاء في منكري القدر، كتاب التوحيد، ص (٩٩ -١٠١).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠٠).
(٣) كتاب التوحيد، ص (١٠١).
(٤) الباب الخامس والستون، باب: ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد، كتاب التوحيد، ص (١١٠).
(٥) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «رواه النسائي بسند جيد».

وظهور الصناعة الحديثية في كتاب «التوحيد» واضح أيضًا في تضمين الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تصحيحات أئمة الحديث للأحاديث التي استدل بها في كتابه، ومن أمثلة ذلك:

١- **حديث أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالىٰ: يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقُرابها مغفرة»**[(٣)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «الترمذي وحسنه».

٢- **حديث أبي واقد الليثي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **«الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:**

---

(١) الباب الخامس والستون، باب ماجاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد، ص (١١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١١١).

(٣) الباب الأول، باب: بيان فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب، كتاب التوحيد، ص (٥-٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٧).

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم**»[١].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه الترمذي وصححه».

٣- حديث جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربة بالسيف»[٣].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف».

٤- حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»**، وما منا إلَّا! ولكن الله يُذهبه بالتوكل»[٥].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «رواه أبو داود والترمذي، وجعل آخره من قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».

٥- قول النبي ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عِظم البلاء، وإن الله إذا أحبّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[٧].

---

(١) الباب الثامن، باب من تبرّك بشجرة أو حجر ونحوهما، كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٠).

(٣) الباب الثاني والعشرون، باب: ما جاء في السحر، كتاب التوحيد، ص (٤٥-٤٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٧).

(٥) الباب السابع والعشرون، باب: ما جاء في التطيّر، كتاب التوحيد، ص (٥٤، ٥٥).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٥٥).

(٧) الباب الرابع والثلاثون، باب: من الإيمان بالله الصبر علىٰ أقدار الله، كتاب التوحيد، ص (٦٥-٦٧).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسنه الترمذي»[١].

٦- حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»**[٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم»[٣].

٧- حديث قتيلة أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ، فقال: إنكم تُشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**وربِّ الكعبة**. وأن يقولوا: **ما شاء الله ثم شئت**»[٤].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «رواه النسائي وصححه»، وهكذا.

❊ ❊ ❊

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٢) الباب الحادي والأربعون، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، كتاب التوحيد، ص (٧٦، ٧٧).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٧٧).

(٤) الباب الثالث والأربعون، باب قول: ما شاء الله وشئت. كتاب التوحيد، ص (٧٨، ٧٩).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٧٩).

الفصل السادس

كشف الشبهات

في كتاب التوحيد



خبرة الإمام بمذهب القبوريين

تحقق الراد علىٰ أهل الباطل بالعلم ضروري، فكلما كان متمكنًا في العلم وحسن قصده، فإن ذلك من أسباب ظفره علىٰ المبطلين، ومن أسباب رد الناس إلىٰ الحق.

ومن أعظم نعم الله علىٰ عبده أن يرزقه الحكمة وفصل الخطاب، فإن هذا من أسباب نصرته للحق، ونصحه للخلق، قال الله تعالىٰ ممتدحًا داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من أكبر نعم الله علىٰ عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم بين الناس في المقالات، والمذاهب، وفي الخصومات، والمشاحنات».

ومعرفة شبهات المبطلين ومذاهبهم عدّة يدّخرها القائمون بنصرة الدين وحفظه إذا ناظروا أهل البدع، أو صنّفوا المصنفات في الرد عليهم، قال أبو حاتم ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والعاقل لا يقاتل من غير عدّة، ولا يُخاصم بغير حجة، ولا يُصارع بغير قوة».

---

(١) تيسير اللطيف المنان، ص (١٩٧).

(٢) روضة العقلاء، ص (٢٥).

وقال العلامة **يحيىٰ العمراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٨هـ)**[١]: «وكما قيل من لم يطّلع علىٰ دلائل خصمه لم يقدر علىٰ قطعه وقصمه».

وقد حثّنا نبينا ﷺ علىٰ استظهار مذهب المخالفين من الكفار والمبتدعين، فإنه ﷺ لمّا بعث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**»[٢]. قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب؛ حتىٰ يردّ عليهم بما جاءوا به».

وكل أئمة الإسلام الذين قاموا بنصرة السنة وقمع البدعة كانوا علماء بمذاهب المبتدعين وضلالاتهم وشبهاتهم علىٰ وجه الاستقصاء، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فُضِّل علىٰ أقرانه بخبرته بمذاهب المبتدعين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أحمد كان أعلم بمقالات الناس من غيره».

وشيخ الإسلام نفسه قام بالرد علىٰ المبتدعين ونصرة الدين؛ لأنه كما قال عن نفسه منصفًا ومتواضعًا[٥]: «أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها».

وخبرة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومعرفته بمذاهب المبتدعين عمومًا والقبوريين خصوصًا - واضحة تجدها في كتابه الخاص الذي صنّفه في دحض

---

(١) الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٩٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسىٰ ومعاذ (ص٧٣٦- رقم ٤٣٤٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلىٰ الشهادتين (ص٣١- رقم ١٢١).

(٣) شرح كشف الشبهات، ص (٦٦).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٨٧). (٥) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٨٤).

شبهات القبوريين «كشف الشبهات»، وفي المصنفات الخاصة التي صنّفها في الرد علىٰ الفرق، ككتاب «رسالة في الرد علىٰ الرافضة»[١]، وكتاب «التوحيد» أكبر شاهد وبرهان علىٰ ذلك؛ فإنه ضمّنه من الأبواب التفصيلية في دحض شبهات المبتدعين ما هو واضح وشاهد في خبرته في دحض شبهات القبوريين، وتمام معرفته بالمبتدعين.

فمن أدلة معرفته بمذاهب المبتدعين أنه في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][٢]، قال في مسائله في المسألة العشرين: «إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة»[٣].

وفي [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][٤]، قال في مسائله: «الحادية عشرة: وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنىٰ عليها المساجد»[٥].

وقد ذكر الإمام في [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][٦]، أن مبدأ الشرك من الشبهات، فقال في مسائل هذا

---

(١) مطبوعة بتحقيق د: ناصر بن سعد الرشيد.

(٢) كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر، ص (٢٨).

(٣) القول السديد، ص (٥٩).

(٤) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٥) القول السديد، ص (٧١).

(٦) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

الباب: «المسألة الثانية[١]: أول شرك حدث في الأرض أنه كان بشبهة الصالحين».

وقد ضمّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبوابًا خاصة في الرد علىٰ شبهات القبوريين، من أهم تلك الأبواب [باب الشفاعة][٢]، قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أي بيان الشفاعة وإيضاحها، وبيان حكمها وحقيقتها، وبيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، ولما كان المشركون في قديم الدهر وحديثه إنما وقعوا في الشرك؛ لتعلقهم بأذيال الشفاعة، كما أخبر الله عنهم، حتىٰ أنه ﷺ لما ألقىٰ الشيطان في تلاوته: «وإن شفاعتهن لترتجىٰ» - رضي المشركون عنه، وسجدوا معه، ظنوا أنه ﷺ قاله، وأنه وافقهم علىٰ دينهم، من دعاء الملائكة والأصنام للشفاعة. **أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب إقامة الحجج علىٰ أن ذلك هو عين الشرك**، وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله أنه يشفع كما يشفع الوزير عند الملك - منفية دنيا وأخرىٰ، وإنما الله الذي يأذن للشافع ابتداءً، لا يشفع الشافع ابتداءً، كما يظنه أعداء الله».

وفي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][٤]، قال الإمام في مسائله مبينًا دلالة الآية في رد شبهات القبوريين[٥]: «المسألة الثانية: ما فيها من الحجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلَّق علىٰ الصالحين، وهي

(١) القول السديد، ص (٦٧).
(٢) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).
(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٣٣).
(٤) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).
(٥) القول السديد، ص (٥٩).

الآية التي قيل: إنها تقطع عروق الشرك من القلب».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ هذه المسألة[١]: «لأن الإنسان إذا عرف عظمة الرب سبحانه حيث ترتجف السموات ويصعق أهلها بمجرد تكلمه بالوحي، فكيف يمكن للإنسان أن يشرك بالله شيئًا؟!».

ومن أوضح الأدلة علىٰ خبرة الإمام بمذهب القبوريين - ما نبّه عليه في [باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][٢]، فإنه أودع فيه من الأدلة ما يدفع شرك القبوريين من أهل زماننا مما يدّعون أنه ليس بشرك، فإنه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧]، وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢][٣].

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فثبت بهذا أن **الدعاء عبادة** من أجلِّ العبادات، بل هو أكرمها علىٰ الله، كما تقدَّم، **فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء** أولىٰ أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في

(١) القول المفيد، ص (٢٠٦).

(٢) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٤، ٢٥).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٧٩).

الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ؛ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقرَّبون إليهم؛ ليشفعوا لهم عند الله».

وقال الحفيد متممًا[1]: «وبالجملة ففي كل بلد في الغالب أناس يدعونهم ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بل بلغ الأمر أن سألوهم مغفرة الذنوب، وترجيح الميزان، ودخول الجنة والنجاة من النار، والتثبيت عند الموت والسؤال، وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله».

❊ ❊ ❊

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٨٠).



منهج الإمام في إزالة الشبه

نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواضع من كتاب التوحيد علىٰ كيفية كشف الشبهات، وبيانه في هذه المواضع دال علىٰ لزومه المنهج القرآني في إزالة الاشتباه عن المواضع المشكلة في العقيدة خصوصًا، والشريعة عمومًا، وأبان عن صفاء منهجه فلم يكن صاحب كلام، ولا مبتغي نصرة مذهبه ولو في الباطل.

ففي باب [الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله](١)، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ثم ساق حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في بعث النبي ﷺ معاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، حيث قال له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». أخرجاه في الصحيحين، وختم الباب بحديث إعطاء الراية لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «**انفذ علىٰ رسلك، حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، فلأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٢).

وقال الإمام في مسائل هذا الباب(٣): «الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١١- ١٣).
(٣) القول السديد، ص (٢٧).

عن المتعلم».

وفي باب [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][1]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، ثم أردفه بحديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا نذر أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**». رواه أبو داود وإسناده علىٰ شرطهما[2].

وفي مسائل هذا الباب قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «المسألة الثالثة: رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البيّنة».

وفي باب [ما جاء في منكري القدر][4]، صدّر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الباب بحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**». رواه مسلم، ثم ساق حديث عبادة ابن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في روايات مختلفة أن الله كتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة، ثم ختم الباب بالمناظرة بين ابن الديلمي وأبيّ بن كعب، وفيه أن ابن الديلمي قال: أتيت أبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثني بشيء لعل الله يُذهبه من قلبي. فقال: **لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله**

---

(١) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

(٣) القول السديد، ص (٤٧).

(٤) الباب التاسع والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٩).

الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مِتَّ علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار. فقال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح في المسند والسنن، ورواه الحاكم في مستدركه[١].

وقال الإمام في مسائله[٢]: «المسألة الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء».

فهذه المواضع الثلاث تدل علىٰ أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التزم المنهج القرآني في كشف الشبهات، الذي دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فهذه الآية فيها بيان طريقي المهتدين والضالين في المتشابه، فالمهتدون يردون المتشابه إلىٰ المحكم، ويؤمنون به متبعين الراسخين في العلم.

والضالون الذين في قلوبهم زيغ يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فهذا هو الحد الفاصل بين المهتدين والزائغين في المتشابه، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من شأن المتّبع للمتشابه أن يجادل فيه ويقيم النزاع علىٰ الإيمان،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠٠، ١٠١).
(٢) القول السديد ص(١٥٥).
(٣) الاعتصام (٢/ ٢٣٦).

وسبب ذلك أن الزائغ المتّبع لما تشابه من الدليل لا يزال في ريب وشك؛ إذ المتشابه لا يُعطي بيانًا شافيًا، ولا يقف منه متبعه علىٰ حقيقة، فاتباع الهوىٰ يلجئه إلىٰ التمسك به، والنظر فيه لا يتخلص له، فهو علىٰ شك أبدًا، وبذلك يفارق الراسخ في العلم؛ لأن جداله إن افتقر إليه فهو في مواقع الإشكال العارض طلبًا لإزالته، فسرعان ما يزول إذا بُيّن له موضع النظر، وأما ذو الزيغ فإن هواه لا يخليه إلىٰ طرح المتشابه، فلا يزال في جدال عليه وطلب لتأويله».

وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، فإنه ظاهر الدلالة في فساد سرائرهم وسوء بواطنهم، وإن أظهروا تحري الحق، وأن عدم اهتدائهم إلىٰ الحق ليس لخفائه، وإنما لسلوكهم غير سبيل المؤمنين في طلب الحق.

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت:** تلا رسول الله ﷺ يومًا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، إلىٰ آخر الآية، فقال: «**فإذا رأيت الذين يجادلون فيه أو به، فهم الذين عنىٰ الله تعالىٰ فاحذروهم**»(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: هم أصحاب الخصومات والمراء في الدين(٢).

وينبغي ملاحظة أن الاشتباه في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، اشتباه نسبي، أي: بالنسبة لمن لم يعرفها، من أجل هذا كان جواب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، (ص ٧٧٣- رقم ٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (ص ١١٦١- رقم ٢٦٦٥).

(٢) ذم الكلام للهروي (١/ ١٨٥- رقم ١٥٣).

علاج المتشابه برده إلىٰ الراسخين في العلم، حيث قال: «كشف العالم الشبهة عن المتعلم». وقال أيضًا: «عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنما هي مشتبهة علىٰ من لم يعلمها، وليست مشتبهة في نفس الأمر».

والأمر الثاني الذي نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعامل مع النصوص المشتبهة بردها إلىٰ النصوص المحكمة لرفع الاشتباه، حيث قال: «رد المسألة المشكلة إلىٰ المسألة البيّنة». وهذا معلوم؛ لأن المحققين يعلمون أن القرآن كله محكم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والقرآن كله محكم بمعنىٰ الإتقان، فقد سماه الله حكيمًا: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، فالحكيم بمعنىٰ الحاكم».

وفي كتاب «كشف الشبهات» للإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ - جمل مفيدة يتحقق فيها طالب العلم بحقيقة الشرك مهما اختلفت صوره، ويتعلم كيفية إزالة شبه المشركين ودحضها، حسبنا هنا أن ننقل بعض ما فيها من جميل المناظرة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مناظرًا مشركي أهل هذا الزمان**[٣]:

«فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

فقيل له: ما معنىٰ عبادة الأصنام، أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٧٢).

(٢) الرسالة التدمرية، ص (١٠٣).

(٣) مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٢٢-١٢٤).

والأحجار تخلق وترزق وتدبّر أمر من دعاها، فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرًا أو بنية علىٰ قبر أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلىٰ الله زلفىٰ، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت؛ وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي علىٰ القبور وغيرها.

فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولك: الشرك عبادة الأصنام. هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد علىٰ الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق علىٰ الملائكة أو عيسىٰ أو الصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنىٰ عبادة الأصنام، فسرها لي؟

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنىٰ عبادة الله وحده، فسرها لي؟

فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئًا

وهو لا يعرفه؟!

وإن فسَّر ذلك بغير معناه، بيّنت له الآيات الواضحات في معنىٰ الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله. فإنا لم نقل: عبد القادر ابن الله، ولا غيره.

فالجواب: أن نسبة الولد إلىٰ الله كفر مستقل، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

والأحد: الذي لا نظير له.

والصمد: المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة، وقال الله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففرّق بين النوعين، وجعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا، وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ففرّق بين كفرين.

والدليل علىٰ هذا أيضًا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب «حكم المرتد» أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا

في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدون.

ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبّهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين الطرفين، وهدًى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا «كبير الاعتقاد»، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه - فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم

مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم - تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان».

❊ ❊ ❊

كشف أم الشبهات

صحيح أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ له مصنف خاص «كشف الشبهات»، دحض فيه شبهات القبوريين المشركين، إلا أنّه ضمّن ذلك أيضًا في كتاب التوحيد، وهذا ضرورة في تحقيق التوحيد؛ لأن ركني التوحيد الإثبات والنفي، فلا بد مع ذلك من معرفة ضلال المشركين، ودفع شبهاتهم.

فالقبوريون يقولون: نحن نعبد الله وما نفعله ليس شركًا. والموحّدون يقولون: ما أنتم عليه وما تعتذرون به هو ما اعتذر به المشركون الأولون، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقد قام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد بكشف زيف هذا الضلال بوضوح، ونبّه عليه في أول الأبواب؛ لتكون معالم التوحيد واضحة من البداية، وحقائقه صريحة، لا يجادل فيها إلا من كبر عليه أن يُنعت بما دلّ عليه القرآن والسنة.

ففي باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وساق ما هو مخرّج في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله** عَزَّوَجَلَّ»[١].

وفي باب [من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][٢]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦][٣]؛ ليبرهن علىٰ أن من دعا غير الله أو استغاث بميت أو بحي فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك؛ لأن الظلم المراد بالآية هو الشرك.

وفي باب [الشفاعة][٤]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٤][٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ ليبرهن علىٰ أن الشفاعة الشركية باطلة، وأن الوسائط التي اتخذها القبوريون شفعاء في أدعيتهم - لا تملك لهم مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأن الشفاعة لله وحده لا شريك له.

وساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب نفسه علىٰ غير

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٤، ١٥).

(٢) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٤) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٣١).

المعهود في غالب الأبواب - من الاكتفاء بآية وحديث -؛ لأهميته، ما يوضح ذلك الأمر ويبيّنه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه قال[١]: «نفىٰ الله عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره ملكٌ أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، ولا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقُل يُسمع، وسل تعط، واشفع تُشفَّع».

وفي [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله][٢]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر مجاهد في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، وهو أن رجلًا كان يطعم الحجاج السويق، فمات فعكفوا علىٰ قبره[٣]، وهذا هو حقيقة شرك الضالين في هذا الزمان، عكوفهم علىٰ قبور الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم، وزاد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيان بأن أورد ما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[٤].

وفي [باب: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما][٥]، زاد الأمر وضوحًا في بيان حقيقة الشرك، وأن من الشرك التبرك بالحجر أو الشجر أو القبر، فإنه

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٢).
(2) الباب العشرون - كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٠، ٤١).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٥) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

صدّر هذا الباب بقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، وأتبعه بحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه[1].

فهذا الحديث دلالته صريحة في أن من تبرك بشجر أو حجر أو قبر فقد اتخذه إلهًا، وهذا هو حقيقة شرك أهل هذا الزمان.

وفي باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][2]، ساق البرهان علىٰ أن اتخاذ القبور مساجد من الشرك، حيث احتج بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١][3].

وأنت إذا ضممت هذا الباب إلىٰ الأبوب الثلاثة قبله: باب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله][4]، وباب [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][5]، وباب [ما جاء في التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح، فيكف إذا

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠). (٢) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٣). (٤) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٥) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

عبده؟][1]، وما فيه من أدلة - اتضح لك البيان، فقد ساق - الإمام قول النبي ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[2]، رواه مالك.

وساق أيضًا لعن النبي ﷺ المتخذين القبور مساجد، وخشية النبي ﷺ أن يتخذ قبره مسجدًا[3].

وبعض الجهال المبتدعين من الرافضة عكس دلالة قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، وزعم أنها دليل علىٰ جواز اتخاذ القبور مساجد، وبئس ما قال! وهذا من التعلق بما ليس له فيه حجة. قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «اعلم أن ما يزعمه بعض من لا علم عنده: من أن الكتاب والسنة دلَّا علىٰ اتخاذ القبور مساجد، يعني بالكتاب قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، ويعني بالسنة ما ثبت في الصحيح من أن موضع مسجد النبي ﷺ كان فيه قبور المشركين - في غاية السقوط، وقائله من أجهل خلق الله.

أما الجواب عن الاستدلال بالآية فهو أن تقول: من هؤلاء القوم الذين قالوا: لنتخذن عليهم مسجدًا؟ أهم ممن يقتدىٰ به! أم هم كفرة لا يجوز الاقتداء بهم؟ وقد قال أبو جعفر ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هؤلاء القوم ما

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) الباب التاسع عشر، باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟! كتاب التوحيد، ص (٣٧، ٣٨).

(٤) أضواء البيان (٢/ ٩٦-٩٧).

نصه: «وقد اختلف في قائل هذه المقالة، أهم الرهط المسلمون أم هم الكفار؟ فإذا علمت ذلك فاعلم أنهم علىٰ القول بأنهم كفار، فلا إشكال في أن فعلهم ليس بحجة؛ إذ لم يقل أحد بالاحتجاج بأفعال الكفار كما هو ضروري.

وعلىٰ القول بأنهم مسلمون كما يدل له ذكر المسجد؛ لأن اتخاذ المساجد من صفات المسلمين، فلا يخفىٰ علىٰ أدنىٰ عاقل أن قول قوم من المسلمين في القرون الماضية: إنهم سيفعلون كذا، لا يعارض به النصوص الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ إلا من طمس الله بصيرته، فقابل قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ بقوله ﷺ في مرض موته قبل انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ بخمس: **«لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** الحديث، يظهر لك أن من اتّبع هؤلاء في اتخاذهم المساجد علىٰ القبور ملعون علىٰ لسان الصادق المصدوق ﷺ كما هو واضح، ومن كان ملعونًا علىٰ لسانه ﷺ فهو ملعون في كتاب الله، كما صحّ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، الآية.

ولهذا صرّح ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن الواصلة والواشمة ومن ذكر معهما في الحديث، كل واحدة منهن ملعونة في كتاب الله.

وقال للمرأة التي قالت له: قرأت ما بين الدفتين فلم أجد: «إن كنت قرأته فقد وجدته». ثم تلا الآية الكريمة، وحديثه مشهور في الصحيحين وغيرهما، وبه تعلم أن من اتخذ المساجد علىٰ القبور ملعون في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا علىٰ لسان رسوله ﷺ، وأنه لا دليل في آية: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

وأما الاستدلال بأن مسجد النبي ﷺ بالمدينة مبني في محل مقابر المشركين،

فسقوطه ظاهر؛ لأن النبي ﷺ أمر بها فنُبشت وأُزيل ما فيها، ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فكان فيه ما أقول لكم: قبور المشركين، وفيه خرب، وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقُطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة» الحديث، هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم قريب منه بمعناه. فقبور المشركين لا حرمة لها، ولذلك أمر ﷺ بنبشها وإزالة ما فيها، فصار الموضع كأن لم يكن فيه قبر أصلًا لإزالته بالكلية، وهو واضح كما ترىٰ.

والتحقيق الذي لا شك فيه: أنه لا يجوز البناء علىٰ القبور ولا تجصيصها، كما رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الأسدي أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته. ولما ثبت في صحيح مسلم وغيره أيضًا عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نهىٰ رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه، فهذا النهي ثابت عنه ﷺ، وقد قال: «**وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]».

وبهذا يتبين لك أن عُبّاد القبور متبعون لأهوائهم بغير هدًىٰ من الله، مخالفون لما جاء في القرآن والسنة، مضادون للشرع الذي بُعث به النبيون عليهم السلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **داحضًا اعتراضات وشبهات المشركين عبّاد القبور**[١]: «فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة علىٰ

(١) كشف الشبهات، ص (٧٣- ٧٥).

دين الرسل، يصدّون بها الناس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبّر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضّحه، فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقرّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرّق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآية، ويدعون عيسىٰ ابن مريم، وأمه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦].

واذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ

يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فقل له: أعرفت أن الله كفَّرَ من قصد الأصنام، وكفَّر أيضًا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبّر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم».

فأئمة الدعوة أئمة هدىٰ، علماء محققون، متقنون لمعاني النصوص، عارفون بحقائق الشرك وإن اختلفت صوره وأشكاله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لمّا وقع في آخر هذه الأمة ما أخبر به نبيها ﷺ، من اتباع سنن من كان قبلها من أهل الكتاب، وفارس والروم، وتزايدت تلك السنن، حتىٰ وقع الغلو في الدين،

---

(١) عيون الرسائل (١/ ٢٨٨-٢٩٢).

وعُبدت قبور الأولياء والصالحين، وجُعلت أوثانًا تُقصد من دون الله رب العالمين، عظَّمها قوم لم يعرفوا حقيقة الإسلام، ولم يشمّوا رائحة العلم، ولم يحصلوا علىٰ شيء من نور النبوَّة، ولم يفقهوا شيئًا من أخبار الأمم قبلهم، وكيف كان بدء شركهم، ومنتهىٰ نحلتهم، وحقيقة طريقتهم، وما هذا الذي عابه القرآن عليهم وذمّه، وتلطّف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دسَّ عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية، فسمّوا الشرك وعبادة الصالحين توسلًا ونداءً، وحُسن اعتقاد في الأولياء، وتشفُّعًا بهم، واستظهارًا بأرواحهم الشريفة، **فاستجاب لهم صبيان العقول، وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء، ولم يقفوا مع الحقائق، فعادت عبادة الأولياء والصالحين، ودعاء الأوثان والشياطين، كما كانت قبل النبوة**، وفي زمان الفترة، حذو النعل بالنعل، وحذو القذّة بالقذّة، وهذا من أعلام النبوة كما ذكره غير واحد، ولم يزل ذلك في ظهور وازدياد حتىٰ عمَّ ضرره، وبلغ شرره الحاضر والباد، ففي كل إقليم ومدينة وقرية ممن ينتسب إلىٰ الإسلام - ولائج يدعونهم مع الله، ويلتمسون بدعائهم قرب الربّ ورضاه، ويفزعون إليهم في المهمات والشدائد، ويلوذون به في النوائب والحاجات، وبعضهم لا يرد علىٰ خاطره، ولا يلم بباله دعاء الله تعالىٰ في شيء من ذلك؛ لاستشعاره حصول مقصوده، ونجاح مطلوبه من جهة الأولياء والأنداد.

وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يعز حصره واستقصاؤه، ولو كان يخفىٰ لعرّجنا علىٰ ذكره وتفصيله، ولكنه أشهر من الشمس في نحر الظهيرة.

إذا عُرف هذه وتحقق، فاعلموا أن الله تعالىٰ أطلع شمس الإيمان به وتوحيده،

في آخر هذه الأزمان، علىٰ يد من أقامه الله في هذه البلاد النجدية، داعيًا إليه علىٰ بصيرة، فذكَّر به آمرًا بتوحيده، وإخلاص الدين له، وردِّ العباد إلىٰ فاطرهم وباريهم، وإلههم الحق، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ينهىٰ عن الشرك به، وصرف شيء من العبادات إلىٰ غيره، وابتداع دين لم يأذن به، لا سلطان ولا حجة علىٰ مشروعيته.

واستدلَّ علىٰ ذلك، وألَّف وقرّر، وصنّف وحرّر، وناظر المبطلين، ونازع الغلاة والمارقين، حتىٰ ظهر دين الله علىٰ كل دين، فتنازع المخالفون أمره، وجحدوا برهان صدقه، فقوم قالوا: هذا مذهب الخوارج المارقين. وطائفة قالت: هو مذهب خامس لا أصل له في الدين. وآخرون قالوا: هو يكفِّر أهل الإسلام، وصِنْف نسبوه إلىٰ استحلال الدماء والأموال الحرام، ومنهم من عابه بوطنه، وأنه دار مسيلمة الكذاب.

وكل هذه الأقاويل لا تروج علىٰ من عرف أصل الإسلام، وحقيقة الشرك، وعبادة الأصنام، وإنما يحتج بها قوم عزبت عنهم الأصول والحقائق، ووقفوا مع الرسوم والعادات، في تلك المناهج والطرائق، و﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، فهم من شأنه في أمر مريج، وما ذاك إلا أنه أشرقت له شموس النبوّة فقصدها، وظهرت له حقائق الوحي والتنزيل، فآمن بها واعتقدها، وترك رسوم الخلق لم يعبأ بها، ورفض تلك العوائد والطرائق الضالة لأهلها».

* * *

مبدأ الشرك شبهة

ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبدأ الشرك في الأرض، وكيف راج علىٰ أهل الأرض، فإنه في [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](١) ساق قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣](٢)، وأثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في تفسير الآية أنه قال(٣): «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم؛ عُبدت». ثم ذكر في مسائل هذا الباب تنبيهًا مهمًّا في المسألة الثانية، فقال(٤): «أول شرك حدث في الأرض أنه كان بشبهة الصالحين».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(٥): «إذا عرف ما جاءت به الرسل، وعرف ما في القرآن من التوحيد العظيم، والعناية العظيمة

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٤) القول السديد، ص (٦٧).

(٥) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (١٣٨-١٤٠).

بذلك، ومذمة الشرك على اختلاف أنواعه - عرف بعض قدر ما جاء به الرسول ﷺ وتبين له كثرة الشرك في بني آدم، الذين لا يعرفون، بل يظنون أن العرب كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شاركت الله في الخلق، وهذا من غاية الجهل والكذب بمن يظنه بهم، وذلك لأن الشرك الذي كانوا فيه قد وقع هو وأمثاله في نوع منه، وهو لا يعرف أنه الشرك، يعتقد أن التوحيد هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، لم يشاركه في الخلق أحد، فهذا عنده غاية التوحيد، كما تجد ذلك في كلام كثير من الناس، من متكلميهم، وعبّادهم، فإذا رأى هذا هو التوحيد؛ كان الشرك عنده ما يناقض ذلك.

وقد عُلم بالتواتر، وإجماع المسلمين، ونص القرآن - أن العرب كانوا مشركين، وأن النبي ﷺ دعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، وكان هذا من أعظم أسباب معاداتهم له، ولمن آمن به، فيظن هذا الذي لم يعرف حقيقة الأمر، أن ذلك الشرك، أنهم جعلوا آلهتهم شركاء لله في خلق السموات والأرض، وإنزال المطر، وخلق النبات، ونحو ذلك.

ولو كان هذا يفهم القرآن، ويعرف ما كانت عليه العرب، ويعرف التوحيد، والشرك - لتبيّن له أن ما يقرُّ به من التوحيد كان المشركون يقرّون به أيضًا، **وهم مع هذا مشركون؛ حيث أحبّوا غير الله كما يحبّون الله، وحيث دعوا غير الله، وجعلوه شفيعًا لهم، وحيث عبدوا غير الله يتقربون بعبادته إلى الله، فهذا وأمثاله كان شركهم، مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق غيره**، ولهذا قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

فمعرفة المسلم بدين الجاهلية هو مما يعرفه بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويعرف الفرق بين دين المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخلاص، أتباع الأنبياء، ودين غيرهم، ومن لم يميّز بين هذا وهذا فهو في جاهلية، وضلال، وشرك، وجهل، ولهذا ينكر هؤلاء ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، من إخلاص الدين لله؛ إذ ليست لهم به خبرة من جهة النقل، ولا لهم فهم في القرآن، يعرفون به توحيد القرآن، ولا لهم معرفة بحقيقة الإيمان والتوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فليس لهم علم لا بالقرآن، ولا بالإيمان، ولا بأحوال الناس، وما نقل من أخبارهم، ومعرفة هذا من أهم الأمور، وأنفعها، وأوجبها، وهذه جملة لها بسط، مضمونها: معرفة ما بعث الله به الرسول ﷺ، وما جاء به الكتاب والسنة».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظرًا لأن هذه الشبهة هي أساس ضلال المشركين - أفرد مصنفًا خاصًّا في الرد عليها ونقضها في رسالته الموسومة بـ«كشف الشبهات»، قال فيها[1]: «وعرفت أن إقرارهم - أهل الجاهلية - بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلىٰ الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبىٰ عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو قولك: لا إله إلا الله.

فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًّا.

(١) كشف الشبهات، ص (٤٠-٤٤).

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرزاق المدبِّر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا «السيد».

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلىٰ كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها».

لذلك ينبغي علىٰ طالب العلم التمييز بين معدن الحقائق، ومعدن الباطل، قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يجب علىٰ طالب العلم(١): «يسعىٰ في التمييز بين معدن الحجج، ومعدن الشبهات؛ فإنه إذا تمَّ له ذلك هان عليه الخطب، فإنه لا يأتيه من معدن الحق إلا الحق، فلا يحتاج إن كان راغبًا في الحق قانعًا به إلىٰ الإعراض عن شيء جاء من معدن الحق، ولا إلىٰ أن يتعرض لشيء جاء من معدن الشبهات، لكن أهل الأهواء قد حاولوا التشبيه والتمويه، فالواجب علىٰ الراغب في الحق أن لا ينظر إلىٰ ما يجيئه من معدن الحق من وراء زجاجاتهم الملونة، بل ينظر إليه كما ينظر إليه أهل الحق».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ميّز بين معدن الحقائق ومعدن الباطل فإنه في [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](٢)، ساق حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**». أخرجاه(٣).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «والناس في معاملة الصالحين

(١) التنكيل (٢/ ٢١٧).
(٢) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد ص (٣٥).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٦).
(٤) القول السديد، ص (٦٨، ٦٩).

ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء: الذين يهضمون حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو: الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

وأهل الحق: الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرءون من الغلو فيهم، وادِّعاء عصمتهم، والصالحون أيضًا يتبرءون من أن يدعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حقٌّ خالص لله: لا يشاركه فيه مشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًّا وخوفًا ورجاءً.

وحق خالص للرسل: وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك: وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلًا، وللرسل تبعًا لحقِّ الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدِّين له، ويقومون بحقِّ رسله وأوليائه علىٰ اختلاف منازلهم ومراتبهم».

❊ ❊ ❊

تنبيه الإمام إلى التمييز بين الأئمة المهتدين والأئمة المضلين

الناس يتوارثون ما عليه أسلافهم من الدين، هذا غالب أحوال الناس، وكل بلد فيه أئمة مهديون، وأئمة مضلون.

فالأئمة المهديون يرشدون الناس إلىٰ ما فيه خيرهم وسعادتهم وينصحونهم، ويبينون لهم حق الله الخالص، ويحذرونهم من كل ما يضر بأديانهم خصوصًا ما يتعلق بالتوحيد؛ لأنه الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فأئمة الهدىٰ ربانيون يُعلِّمون الناس التوحيد الذي بُعث به الرسل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.
[آل عمران: ٧٩]

وأما أئمة الضلال فهم كما نعتهم النبي ﷺ: «**دعاة علىٰ أبواب جهنم**». ومع إفسادهم لتوحيد المؤمنين، وإيقاعهم في الشرك الموجب للخلود في النار، فإنهم جمعوا إلىٰ ذلك أكل أموالهم بالباطل، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٤]. فهم يصدون عن سبيل الله حقًّا من جهتين، من جهة إفساد أديان الناس بإيقاعهم في الشرك، ومن جهة طعنهم في أئمة الهدىٰ وسبهم

وتزييف حقيقة دعوتهم، حتىٰ يبقىٰ الجهال منقادين لهم يسلمونهم رقابهم إلىٰ النار، ويدفعون إليهم نفائس أموالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أبصر الناس بحقيقة الأئمة المضلين؛ فإنه لما صدع بالحق قام أئمة الضلال بالكذب عليه وعلىٰ دعوته، فدفع بهتانهم وبيَّن حقيقة دعوته، وبصبره ويقينه مكّن الله لدعوته وارتفع الشرك عن جزيرة العرب، وذهب نور دعوته كل أصقاع الدنيا، وكتبه ورسائله وشروحاتها اقتناها وتديّن بها من في بلاد الكفر فضلًا عمن في بلاد الإسلام؛ وذلك لأن دعوته دعوة حق، ولإخلاصه لله، وصبره، وصدقه، فكتب الله لدعوته القبول، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين».

ومن أوضح الأدلة علىٰ صحة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - محتواها، فهي العقيدة التي بُعث بها النبيون، والتي فطر الله عليها خلقه، فلا يقرؤها عاقل متجرد عن الهوىٰ، مستهدٍ بالله، ممعن في محتواها، إلا أذعن أنها دعوة المرسلين، وكتاب التوحيد ليس فيه إلا أدلة القرآن والسنة، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾.

وكذلك من أوضح الأدلة علىٰ صحة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ استمراريتها لأكثر من قرنين من الزمان، فالباطل يضمحل كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

ولأهمية التمييز بين أئمة الهدىٰ والضلال نجد الإمام محمد ابن عبد الوهاب نبّه علىٰ هذا الأمر، فإنه في [باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][١] - أشاد بالأئمة المهتدين، وحذّر من الأئمة المضلين، وانتقىٰ الرواية النبوية الجامعة للفريقين، الفارقة في ذكر أوصافهما، وهذا من حسن تصنيفه، وكمال نصحه.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «رواه البرقاني[٣] في صحيحه، وزاد: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبُدَ فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٥).

(٣) **روىٰ في مستخرجه ما رواه مسلم من حديث ثوبان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها».**

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله: «**إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**». أي: الأمراء، والعلماء، والعبَّاد، الذين يقتدي بهم الناس، ويحكمون فيهم بغير علم فيضلون ويُضلون، فهم ضالون عن الحق، مُضلُّون لغيرهم، كما قال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابًا ضِعۡفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ولشدَّة الضرورة إلىٰ اتِّباع أئمة الهدىٰ، ومعرفتهم، والتفريق بينهم وبين أئمة الضّلال المغضوب عليهم والضالين، أمرنا الله أن نسأله الهداية إلىٰ سلوك أئمة الهدىٰ، وهم المنعم عليهم من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: الذين يعلمون الحقَّ ولا يعملون به، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: الذين يعملون علىٰ غير شرع من الله، بل بما تهوىٰ أنفسهم.

فصراط المنعم عليهم هو الجامع بين العلم بالهدىٰ والعمل به، وقد وصف النبي ﷺ أئمة الهدىٰ - لمَّا ذكر التفرُّق من بعده - بأنهم الذين كانوا علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، كما رواه أبو داود، وغيره، فمن كان علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فهو من الأئمة المهديين، ومن خالفهم فهو من الضالين».

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٥٩، ٧٦٠).

وقال متممًا لكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والضابط في الفرق بين أئمة المُتَّقين وبين الأئمة المضلين - قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

فافهم عن ربِّك، وكن علىٰ بصيرة، ولا يغرُّك جلالة شخص أو عظمته في النفوس، فربُّك أعظم، واتباعك لكلامه وكلام رسوله ﷺ هو الفرض، والعصمة منتفية عن غير الرسول ﷺ، وربك أدرىٰ بما في الضمائر، فرُبَّ من تعتقده إمام هدًىٰ ليس كذلك، وقد قال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صفة الطائفة المنصورة**[(٢)]: «يمتنع أن تكون الطائفة المنصورة لا تعرف الحديث، ولا سنن رسول الله ﷺ، بل لا يكون منصورًا علىٰ الحق إلا من عمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم أهل الحديث من العرب وغيرهم».

وقد حذّر الأئمة والعلماء الناصحون العامة والولاة من أحبار السوء، والأئمة المضلين، والدعاة المبطلين الذين يزيفون الحقائق لأغراضهم الشريرة الفاسدة، وما ذاك إلا لخطورة هذا الأمر، فرب حاكم اتخذ بطانة من الأئمة المضلين، أو استمع إلىٰ وشاية مبطلين، فحمله ذلك علىٰ نصرة الباطل وأهله،

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٦١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٦٧).

وعقوبة أهل الحق ومضارتهم، وبعض الوشايات الكاذبة أسقطت دولًا، وأقامت أركان البدع، وكادت السنة وأهلها، كما حصل للدولة العباسية لما اتخذت المعتزلة بطانة لها.

قال أبو محمد ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)[(١)]: «فالكذب أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء، وجالبٌ لمقت الله عَزَّوَجَلَّ، وعن أبي بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كل الخلال يُطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه كان منافقًا: من إذا وعد أخلف، وإذا حدّث كذب، وإذا اؤتمن خان**».

وهل الكفر إلا كذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والله الحق وهو يحب الحق، وبالحق قامت السموات والأرض، وما رأيت أخزىٰ من كذّاب، وما هلكت الدول ولا هلكت الممالك ولا سفكت الدماء ظلمًا ولا هتكت الأستار بغير النمائم والكذب، ولا أُكدّت البغضاء والإحن المردية إلا بنمائم لا يحظىٰ صاحبها إلا بالمقت والخزي والذل، وأن ينظر منه الذي ينقل إليه فضلًا عن غيره بالعين التي ينظر بها من الكلب.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ويقول جل مِنْ قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾. فسمىٰ النقل باسم الفسوق، ويقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠-١٣]. والرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: «**لا**

---

(١) طوق الحمامة، ص (٥٧).

يدخل الجنة قتات». ويقول: «**إياكم وقاتل الثلاثة** - يعني المنقِّل، والمنقول إليه، والمنقول عنه -». والأحنف يقول: الثقة لا يُبلِّغ، وحق لذي الوجهين ألا يكون عند الله وجيهًا، وهو ما يجعله من أخس الطبائع وأرذلها».

وبيّن ابن حزم الفرق بين الوشاية والنصيحة، فقال[1]: «وليس من نبّه غافلًا، أو نصح صديقًا، أو حفظ مسلمًا، أو حكىٰ عن فاسق، وحدّث عن عدو ما لم يكن يكذب ولا يكذب، ولا تعمد الضغائن، متنقلًا.

وهل هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من النمّام؟ وهما صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن، إحداهما داء والأخرىٰ دواء، والثاقب القريحة لا يخفىٰ عليه أمرهما، لكن الناقل من كان تنقيله غير مرضي في الديانة، ونوىٰ به التشتيت بين الأولياء، والتضريب بين الإخوان، والتحريش والتوبيش والترقيش.

فمن خاف إن سلك طريق النصيحة أن يقع في طريق النميمة، ولم يثق لنفاذ تمييزه ومضاء تقديره ما يرده من أمور دنياه، ومعاملة أهل زمانه؛ فليجعل دينه دليلًا له وسراجًا يستضيء به، فحيثما سلك به سلك، وحيثما أوقفه وقف، فشارع الشريعة وباعث الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومرتب الأوامر والنواهي أعلم بطريق الحق، وأدرىٰ بعواقب السلامة ومغبات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه، وباحث بقياسه في ظنه».

فالفرق بين النصيحة والنميمة قالة السوء واضح، وقد نبّه الإمام محمد ابن

---

(١) طوق الحمامة، ص (٥٩).

عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ فرق ما بينهما في [باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول][(١)]، وساق حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال مستهزئًا بالقراء من الصحابة: «ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء». فقال له عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «كذبت، ولكنَّك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ»[(٢)].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قوله: «لأخبرن رسول الله ﷺ»، فيه أن هذا وما أشبهه لا يكون غيبةً ولا نميمة، بل من النصح لله ورسوله ﷺ، فينبغي الفرق بين الغيبة والنميمة، وبين النصيحة لله ورسوله، فذكر أفعال المنافقين والفسَّاق لولاة الأمور؛ ليزجروهم، ويُقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من الغيبة والنميمة في شيء».

وقال علامة الجزائر مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أهمية الأئمة المصلحين، ومحذرًا من الأئمة المضلين[(٤)]: «إن الأمة متىٰ فقدت العالم البصير، والدليل الناصح، والمرشد المهتدي - تراكمت علىٰ عقولها سحائب الجهالات، وران علىٰ بصائرها قبائح العادات، وسهل عليها الإيمان بالخيالات، فانقادت لعالم طمّاع، وجاهل خدَّاع، ومرشد دجال، ودليل محتال، وزادت بها حيرتها، واختلَّت سيرتها، والتبست عليها الطرائق، وانعكست لديها الحقائق، فتتَّهم

(١) الباب السابع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٣٥).

(٤) الشرك ومظاهره، ص (١٠٦، ١٠٧).

العقل، وتقبل المحال، وتشرد من الصواب، وتأنس بالسراب، هذا يتقدم إليها بما له أسباب خفية؛ فترىٰ له تصرفًا في الكون، وذلك يُلقي إليها بأقوال مجملة ينزلها كل سامع علىٰ ما في نفسه؛ فتراه من علم الغيب، وتقول: «سيدي فلان جاء بالخبر». ثم نجد من تسميه عالمًا يثبت قدمها في هذا الخبال، ويزعم لها أن الحقيقة في هذا الخيال.

وفي مثل هذه الحالة جاء حديث الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يُبق عالمًا اتَّخذ الناس رؤساء جهالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلُّوا وأضلُّوا**»».

ولم يقتصر تضليل دعاة الشرك بالدعوة إليه، والدفاع عنه، والتكسب به، والعدوان علىٰ دعاة التوحيد، بل جاوزوه إلىٰ مخادعة الأغرار باصطناع أمور من قبل أنفسهم ينسبونها للموتىٰ، الذين لا يملكون لأنفسهم موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ١٢٥٠هـ)**[١]: «وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهونون عليهم الأمر، يصنعون أمورًا من أنفسهم وينسبونها إلىٰ الميت علىٰ وجه لا يفطن له من كان من المغفلين، وقد يصنعون

---

(١) شرح الصدور في تحريم رفع القبور، ص (١٠، ١١)، مطبوع ضمن مجموع رسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية للشوكاني.

أكاذيب مشتملة علىٰ أجزاء يسمونها كرامات لذلك الميت، ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يُحسّن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يرویٰ عنهم من الأكاذيب، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد، وينذرون علىٰ ذلك للميت بكرائم أموالهم، ويحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلىٰ قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا، وأجرًا بليغًا، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة؛ فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم علىٰ ذلك القبر، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علىٰ الناس بتلك التهاويل، وكذبوا بتلك الأكاذيب؛ لينالوا جانبًا من الحطام من أموال الطغام الأعتام، وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف علىٰ القبور، وبلغت مبلغًا عظيمًا، حتىٰ بلغت غلّات ما يوقف علىٰ المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرىٰ المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنىٰ الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية الله**»[1]. وهي أيضًا من النذر الذي لا يبتغىٰ به وجه الله، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها في الغالب إلىٰ ما يفضي به الاعتقاد في الأموات من تزلزل قدم الدين، إذ لا

---

(١) رواه مسلم، كتاب النذر، باب: لا نذر في معصية الله، (ص٧٢٠- رقم ٤٢٤٥)، بلفظ: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**».

يسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر، وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد، فيه ما لا يعود به إلىٰ الإسلام سالمًا، نعوذ بالله من الخذلان.

ولا شك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طلب منهم طالب أن ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت علىٰ ما هو طاعة من الطاعات وقربة من القربات - لم يفعل ولا كاد».



موقف أئمة الدعوة من عثمان بن منصور

لا يخفىٰ علىٰ العارف بمقالات المبتدعة أثرها السيء في إفساد أديان المسلمين، ولأجل هذا الكل يعرف موقف علماء أهل السنة في رد البدع من حين ما ينجم ناجمها؛ حفظًا للشريعة من التغيير والتبديل، ونصيحة للمسلمين من أن يتعبدوا بما هو مردود عليهم، أو ينتحلوا اعتقادًا يفسد إيمانهم وعقيدتهم.

قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا صفة سلف الأمة من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان في رد البدع**[1]: «وكان كل واحد منهم يرىٰ أنه مستحفظ علىٰ كتاب الله، ومؤتمن علىٰ سنة رسوله ﷺ، في العمل بها كما هي، وحارس لهما أن يحرِّفهما الغالون أو يزيغ بهما عن حقيقته المبطلون، أو يعبث بهما المبتدعة، فكل واحد منهم حذر أن يؤتىٰ الإسلام من قبله، فهو لذلك يقظ الضمير، متأجج الشعور، مضبوط الأنفاس، دقيق الوزن، مرهف الحس، متتبع لما يأتي الناس، وما يذرون من قول وعمل، سريع الاستجابة للحق إذا دعا داعيه، وإلىٰ نجدته إذا ريع سرْبه أو طرق بالسر حماه.

وكانوا يأخذون أنفسهم بالفزع لحرب الباطل لأول ما تنجم ناجمته، فلا

(١) الآثار (٤/ ١١٠-١١١).

يهدأ لهم خاطر حتىٰ يوسعوه إبطالًا ومحوًا، ولا يسكتون عليه حتىٰ يستشري شره، ويستفحل أمره، فتستغلظ جذوره، ويتبوَّأ من نفوس العامة مكانًا مطمئنًّا».

ولذلك صاح علماء السلف بمن سكت عن الباطل؛ لأنه شيطان أخرس، ولأنه غير ناصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ولأنه راضٍ بأن يقوىٰ الباطل ويُحرَّف الدين ويبدَّل، ولأنه غير قائم بميثاق الله الذي أخذه علىٰ العلماء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وإنَّما يقوىٰ الباطل بالسكوت عنه».

وقال ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعوَّد البشر ما شاهدوا وأنكروا ما لم يشاهدوا، فمتىٰ رام المتدين إحياء سنة أنكرها الناس وظنُّوها بدعة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وكلَّما ضعف من يقوم بنور النبوَّة قويت البدعة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ومعلوم أنَّه إذا ازدوج التكلُّم بالباطل والسكوت عن بيان الحق، تولّد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق».

---

(١) الاختلاف في اللفظ والرد علىٰ الجهمية، ص (٦٠).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، ص (١٤٧).

(٣) الرسالة التدمرية، ص (١٩٤).

(٤) الصواعق المرسلة (١/ ٣١٥).

وانظر إلىٰ كلام السلف في نقد بل وتبديع الساكت عن رد البدع والأهواء.

فهذا الحسن بن علي الهذليُّ الحلواني، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: ما أعرفه بطلب الحديث، ولا رأيته يطلب الحديث. قلت: إنه يذكر أنه كان ملازمًا ليزيد بن هارون. فقال: ما أعرفه، إلا أنه جاءني إلىٰ هاهنا يُسَلِّم عليَّ. ولم يحمده أبي، ثم قال: تبلغني عنه أشياء أكرهها، ولم أر أبي يستحفه، وقال أبي مرة أخرىٰ: أهل الثغر عنه غير راضين. أو كلامًا هذا معناه[1].

والسبب الذي من أجله كره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحسن الحلواني - سكوته عن تكفير من توقف في القرآن، قال داود بن الحسين البيهقي: بلغني أن الحسن بن علي الحلواني قال: إني لا أُكفِّر من وقف في القرآن، فتركوا علمه[2].

وعثمان بن منصور التميمي ركن إلىٰ داود بن جرجيس، وابن سند في الزبير وتلوّن وتذبذب في عقيدته، واعترض علىٰ تقريرات الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقام أئمة الدعوة بواجب رد باطله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حال عثمان بن منصور**[3]: «من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلىٰ جناب الأخ

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٢٦٢).

(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) عيون الرسائل (٢/ ٦٣٣-٦٣٥).

المكرم عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد اللطيف - سلَّمه الله -، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، والخط وصل، وسرَّنا سلامتك وعافيتك، جعلنا الله وإياك من أهل العافية في الدنيا والآخرة.

وتذكر أنَّ بعض الناس عندكم يُنكر ما نُسب إلىٰ ابن منصور من عداوة الدين وموالاة المشركين، ومسبَّة أئمة المسلمين، وجعلهم من الخوارج المارقين.

وهذا أظهر شيء وأبينه عند من عرف حال هذا الرجل، وجالسه ونظر في كلامه، فإنه يبديه كثيرًا لجلسائه، ويذكره في رسائله ومصنفاته وهوامشه التي يعلقها، والرجل فيه رعونة تمنعه من المداراة والتقية، حتىٰ كتابه الذي زعم أنه شرح علىٰ التوحيد، رأيت فيه من الدواهي والمنكرات ما لا يحصيه إلا الله.

من ذلك قوله في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أنَّ ابن العربي المالكي قال: العبادة هي موافقة القضاء والقدر.

وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يقول:** كفر الكافر تسبيح[١]. وهذا رأيته بخط ابن نصر الله من أهل ديرته في كلامه علىٰ كتاب التوحيد، ولهذا نظائر وأخوات لا يعرفها إلَّا من وقف علىٰ كلامه من طلبة العلم، ونبرأ إلىٰ الله أن نبهت مسلمًا، وأن نفتري عليه ونؤذيه بغير ما اكتسب. وإنما يظن بنا هذا حزب الشيطان وجنده من الجاهلية الذين لم يستضيئوا بنور العلم، **وكتابه الذي وقفنا عليه**

---

(١) نعوذ بالله من الكذب علىٰ ابن عم رسول الله ﷺ.

في هذه الأيام بخط يده، نظر فيه من يعرفه يقينًا من أهل سدير عبد العزيز ابن عيبان وغيره، وعلي بن عيسىٰ من أهل الوشم، وكثير من طلبة العلم والعامة شهدوا بأن هذا خطه بيده، ومسبَّته فيه للتوحيد، ومن جاء به حشو بالزنبيل، وتصريحه بتزكية أهل الأمصار، ممن عبد القباب والصالحين، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، والشيخ وأتباعه علىٰ إفراد الله بالعبادة عنده خوارج من أهل النهروان، ويصرِّح بأنَّ الشيخ ضال مضل، وأنه أجهل من أبي جهل بمعنىٰ لا إله إلا الله، وأنه ضلَّ في تخطئة صاحب البردة، وأن دعاء الرسول ﷺ وطلب الشفاعة منه بعد موته جائز، وأن الله ابتلىٰ أهل نجد بهذا الرجل، بل ابتلىٰ به جزيرة العرب، وأنه لم يتخرج علىٰ العلماء، وأن أهل الأمصار يبنون المساجد والمنار، وأنه أخذ بلدان المسلمين بيت مال له ولعياله، وأنه أتىٰ الأمة من الباب الضيِّق، وهو تكفيرها، ولم يأتها من الباب الواسع، ورد مسائل في كشف الشبهات، ومسائل في كتاب التوحيد، ومن الستة المواضع التي تكلم الشيخ عليها من السيرة، وأتىٰ بجهالات وضلالات ووقاحة، ومسبة لا تصدر ممن يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن كذَّب بهذا الفعل فهو مكابر معاند، جاحد للحسِّيَّات والمتواترات، والغالب أن هذه المكابرة لا تقع من محب لما جاء به الشيخ، من توحيد الله ودينه، وإنما يذهب من في قلبه مرض، يتوصل بهذه المكابرة والمباهتة إلىٰ ردِّ التوحيد وبغضه، وبغض أهله.

وأكثر هذا الصنف ليس لهم التفات إلىٰ ما جاءت به الرسل، والغالب عليهم هو الغفلة عن ذلك والإعراض عنه، وقد قال تعالىٰ: ﴿**فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن**

سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم ٢٩، ٣٠]، واقرأ هذه الرسالة علىٰ من ارتاب في أمره وماحل وجادل في دين الله، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم».

وقال العلامة المجدد الثاني عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حقيقة عثمان بن منصور ورادًّا عليه[1]: «وقد ابتلي أهل الجدل بقلب الحقائق، من ذلك قوله: إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يعرف من معنىٰ لا إله إلا الله ما عرفه أبو جهل.

قلت: وهذا هو وصف القائل - كما في المثل: رمتني بدائها وانسلت -، ومن المعلوم عند القريب والبعيد، والموافق والمخالف أن شيخ الإسلام هو الذي بيَّن للناس ما جهلوه من معنىٰ لا إله إلا الله، فأرشدهم إلىٰ أن هذه الكلمة دلَّت علىٰ أمرين: **الأول**: نفي الإلهية عن كل ما سوىٰ الله نفيًا عامًّا، بقوله: لا إله. وأوجبت الإلهية لله وحده، بقوله: إلا الله. وهذا الثاني دلالتها عليه دلالة مطابقة، وهذا هو الإخلاص الذي هو دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية، فكل ما تعبد الله به عبادة من الأعمال الباطنة، والظاهرة فهو من الدين، فأوجب الله علىٰ عباده أن تكون أقوالهم وأعمالهم لله وحده، وحرّم عليهم أن يصرفوا منها شيئًا لغيره، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾، فالذي لم يعرف معنىٰ لا إله إلا الله هو الذي يعتقد أن عبادة أرباب القبور دين يدان الله به، والله لم يشرع ذلك بل

(١) الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور، ص (١٧، ١٨).

حرّمه أشد التحريم، ونهىٰ عنه بقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، فحرم الشرك ونهىٰ عنه، فسبحان من طبع علىٰ قلوب المشركين، نسأل الله تعالىٰ أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلىٰ به هؤلاء الجهلة الضلال الذين صادموا الحق بالزور والمحال، والله المستعان».

وقال أيضًا العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حقيقة عثمان بن منصور[1]: «فإنا قد اطلعنا علىٰ أشياء وجدناها في كتب عثمان ابن منصور بعد وفاته، فمن ذلك **منظومة أنشأها في مدح داود بن جرجيس، وتعظيمه بما تصدىٰ له من الرد علىٰ المسلمين الموحدين، فاتفقا علىٰ تأييد الشرك، ونصرته والإنكار علىٰ من دعا إلىٰ توحيد الله بالعبادة** التي دلَّت عليه الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، واعتقد إسلام عبدة الأوثان الذين بنوا المساجد والمشاهد علىٰ القبور وعبدوها بأنواع العبادة، فزعما وغيرهما من الدعاة إلىٰ الشرك أن هذا الشرك لا يخرج مَن فعله عن ملة الإسلام، **ووجدنا في كتبه ردًّا علىٰ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا استدل علىٰ تحريم موادة المشركين** بقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، فقال في رده: من هم هؤلاء الذين تقول: إن موادتهم تحرم؟ يعني أنه لا وجود لهم، وأن الأمة ليس فيها مَن تحرم موادّته، وشنَّع علىٰ شيخنا في دعوته الناس إلىٰ أن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة ما سواه، فبنىٰ أمره علىٰ هذا الأصل الفاسد.

---

(١) الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور، ص (٧، ٨).

وكلام هؤلاء يدور علىٰ أن هذا الشرك الذي وقع في الأمة إما جائز، أو مستحب، ومن طالبهم بتركه فقد أخطأ وشقّ عليهم، وعرّضهم لما يكرهونه، **وزعم أن شيخنا** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ **شقّ علىٰ الناس فيما نهاهم عنه من الشرك**، وأمرهم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وعرَّضهم لحرب الدول، وذكر هذا في رده الذي وجدناه بعد وفاته بخطه في بريده أتىٰ فيه من السب والشتم والكذب والزور علىٰ شيخنا ما يطول عدّه، ولا تنبغي حكايته».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رده علىٰ فرية عثمان بن منصور - أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه خوارج - ما نصه**[١]: «وأما أهل هذه الدعوة الإسلامية التي أظهرها الله بنجد، وانتشرت واعترف بصحتها كثير من العلماء والعقلاء، وأدحض الله حجة من نازعهم بالشهادة - فهم بحمد الله أبعد الناس عن مشابهة الخوارج وغيرهم من أهل البدع، ودينهم هو الحق، يدعون إلىٰ ما بعث الله به رسله من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وينهون عن دعوة الأموات والغائبين، وطلب الشفاعة منهم، وأنكروا ما يعتقده المشركون من أن الأموات والغائبين يملكون الضر والنفع، والتصرف والتدبير فإن جماع الدين ألا يعبد إلا الله وألا يعبد إلا بما شرع، فخالفوا من خرج عن هذا الدين، وجاهدوا من قدروا علىٰ جهاده حتىٰ أظهر الله هذا الدين، وأبطل كيد الكائدين، وشبه المشبّهين، ولم يكفروا أحدًا من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بل أحبوهم ووالوهم، وأعرضوا عما شجر بينهم، وعلموا أن لهم حسنات

---

(١) الدر المنثور في الرد علىٰ عثمان بن منصور، ص (٢٠، ٢١).

عظيمة، يمحو الله بها السيئات، وتضاعف بها الحسنات.

وهذه الطائفة بحمد الله علىٰ منهج الصحابة في أصول الدين وفروعه، والحجة عندهم فيما قاله الله ورسوله وما كان عليه الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام، وفارقوا أهل الشرك وعبادة الأوثان، وأظهروا عداوتهم في الجملة، وخالفوا أهل كل بدعة في بدعتهم كالجهمية والمعتزلة والمرجئة، وغيرهم من أهل البدع كالباطنية، والفلاسفة وغيرهم فما ناظرهم صاحب بدعة إلا وألجئوه المضائق، وأدحضوا حجته بالكتاب والسنة، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ولكن السبب في تنزيله لهم منزلة الخوارج أنهم ينهون عن دعوة غير الله، وعبادته من الأموات والغائبين، ويقولون: العبادة حق الله لا يصلح منها شيء لملك مقرّب ولا نبي مرسل. وينكرون ما وقع في كثير من البلاد من دعوة أرباب القبور، والتذلل لهم والرغبة إليهم، وإنزال الحوائج بهم، والتقرب إليهم بالنحر والذبح لهم، وغير ذلك مما يطول عده، فمن أنكر هذا الشرك سماه خارجيًّا؛ لاعتقاده أن هذا الشرك لا يضر، ولا يناقض الإسلام، والإسلام عنده بناء المساجد والمدارس، والنداء إلىٰ الصلاة وفعلها والصدقة، وغير ذلك، فهذا عنده هو الدين الذي لا يضر معه اعتقاد ولا عمل».

* * *

دحض دعوى انتقاص الأنبياء والأولياء والصالحين



الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصير بشبهات القبوريين، ومن أعظم ما يجادل به القبوريون أهل التوحيد إذا نصحوهم وزجروهم عن الغلو في الأنبياء والأولياء والصالحين، وأنكروا عليهم اتخاذهم وسائط في الاستغاثة بهم، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء الأسقام، والنصر علىٰ الأعداء، وتفريج الكربات، وطلب الرزق والذرية، قالوا: هؤلاء لهم جاه عند الله، وأنتم تنتقصون الأولياء والصالحين!!

فمن أجل رفع هذه الشبهة من نفوس المشركين وإزالتها من قلوبهم عقد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ [باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد، وسدّه طرق الشرك][1]، وقال[2]: «عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدُنا. فقال: **السيِّدُ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: **قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينَّكم الشيطان**. رواه أبو داود بسند جيد».

فهذا من أقوىٰ الأدلة في دحض دعوىٰ القبوريين أن تحقيق التوحيد انتقاص للأنبياء والأولياء، فالنبي ﷺ الذي أنزل الله عليه القرآن، وفيه الأمر بتوقيره

---

(١) الباب الخامس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

- نهىٰ عن الغلو فيه، وأرشد الناس إلىٰ تعظيم الله وتوقيره، وأخبرهم أنه هو السيد، مع أن النبي ﷺ سيد ولد آدم كما قال ذلك هو بنفسه، إلا أنه لحماية جناب التوحيد خشي أن يتدرج الناس بذلك إلىٰ الغلو الممنوع، فقال ﷺ: «**ولا يستجرينكم الشيطان**».

ثم أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النبي ﷺ نفسه ما كان يرضىٰ أن يُنزّل فوق منزلته، حيث قال[1]: «وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيدنا. فقال: **يأيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ**. رواه النسائي بسند جيد».

فالنبي ﷺ **الذي قال لعمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لا، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**». لم يرضَ أن يُنزل فوق منزلته، وبيّن أن هذا غلو، وأنه من استدراج الشيطان، حيث قال: «**ولا يستهوينكم الشيطان**». فأهل الأهواء استهواهم الشيطان واستدرجهم بغلوهم في الأنبياء والأولياء والصالحين، وأوقعهم في الشرك، وأنزلوا النبي ﷺ فوق منزلته.

فالنبي ﷺ أفصح في الحديث نفسه عن منزلته ومقامه، فقال: «**أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ**». فمقام النبي ﷺ مقام العبودية لله، الخلق كلهم عبيد الله، والله ربهم وخالقهم ورازقهم، وقد أمرهم أن يعبدوه وحده لا شريك له.

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١١٠، ١١١).

والنبي ﷺ قال لأصحابه: «إنه لا يستغاث بي». فالنبي ﷺ علّمنا توقير الله وحبه وتعظيمه، وأن نعبده ولا نشرك به شيئًا، فالموقر للنبي ﷺ والمحب له هو الذي أطاعه فيما أمره الله به من توحيده وحده لا شريك له.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: «**أنا محمد عبد الله ورسوله**»، «**محمد**»: اسمه العلم، و«**عبد الله ورسوله**» وصفان له، وهذان الوصفان أحسن وأبلغ وصف يتصف به الرسول ﷺ، ولذلك وصفه الله تعالىٰ بالعبودية في أعظم المقامات، فوصفه بها في مقام إنزال القرآن عليه، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، ووصفه بها في مقام الإسراء، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ووصفه بها في مقام الدفاع عنه والتحدي، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، وكذلك بالنسبة للأنبياء، كقوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وهذه العبودية خاصة، وهي أعلىٰ أنواع الخاصة.

والعبودية لله من أجلِّ أوصاف الإنسان؛ لأن الإنسان إما أن يعبد الله أو الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هربوا من الرق الذي خُلقوا له ... فبُلُوا برق النفس والشيطان

---

(١) القول المفيد، ص (٧٠٠، ٧٠١).

وقال الشاعر:

لا تـــدعُني إلا بيـــا عبـــدها فإنـــــــه أشرف أســــــمائي

و«**رسوله**»: أي: المُرسل من عنده إلىٰ جميع الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ورسول الله ﷺ في قمة الطبقات الصالحة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، والنبيون فيهم الرسول ﷺ، بل هو أفضلهم، ومن عبارة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسول ﷺ: «عبدٌ لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب».

وقد تطرّف في الرسول ﷺ طائفتان:

طائفة غلت فيه حتىٰ عبدته، وأعدته للسراء والضراء، وصارت تعبده وتدعوه من دون الله، وطائفة كذّبته، وزعمت أنه كذاب، ساحر، شاعر، مجنون، كاهن، ونحو ذلك»

ولا أحد يشك في أن حبّ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لرسول الله ﷺ، وحب رسول الله ﷺ لها فوق كل حب، لا يبلغه أحد من المخلوقين بشهادة النبي ﷺ نفسه، فقد قال عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للنبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**»، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وسمىٰ رجالًا[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب (ص٦١٤- رقم ٣٦٦٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصدّيق (ص١٠٥- رقم ٦١٧٧).

فهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي بهذه المنزلة لما نزلت براءتها من الإفك من فوق سبع سموات، قالت لها أمّها: قومي إلىٰ رسول الله ﷺ. فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: والله لا أحمد إلا الله عَزَّوَجَلَّ[1].

فالنبي ﷺ قال مقرًّا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحقيق التوحيد، وإنزال زوجها رسول الله ﷺ منزلته اللائقة به بشرًا رسولًا: «**ولّت الحمد أهله**».

والأنبياء عليهم السلام كلهم علىٰ هذا المنهج، لا يرضون أن يُصرف حق الله لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

فعيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتبرأ ممن غلا فيه، وممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، وذكر بوضوح أن الألوهية «حق الله»، وأنه «ليس له بحق»، وأنه وسائر الخلق مربوبون لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن طاوس عن أبي

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ (ص٨٣١- رقم ٤٧٥٠).

(٢) تفسير القرآن، ص (٤٦٦).

هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يُلَقّىٰ عيسىٰ حجته، ولقّاه الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: فلقاه الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، إلىٰ آخر الآية، وقد رواه الثوري عن معمر، عن ابن طاوس، عن طاوس بنحوه».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، أي: ما ينبغي لي ولا يليق أن أقول شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم - له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية، وإنما الجميع عبادٌ مدبَّرون، وخلق مسخَّرون، وفقراء عاجزون».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الآية**[2]: «اعتراف عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما لا يستحق، لقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، وهكذا إخوانه من الرسل، فإن النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال له: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**». فكل الرسل يعرفون قدر أنفسهم، فلا يمكن أن يقروا ما لا يستحقونه».

والنبيون جميعًا عليهم السلام مقرون بافتقارهم إلىٰ الله، وأن مقامهم مقام العبودية لله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا حياة ولا نشورًا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٢٦٥).

(٢) تفسير سورة المائدة (٢/ ٥٤٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١)﴾ [الشعراء: ٦٩-٨١]، فخليل الرحمن سيد الحنفاء مفتقر إلىٰ الله الذي يطعمه ويسقيه، ويهديه، وإذا مرض يشفيه، فمن دونه من الأولياء والصالحين كذلك ليس لهم حق في الألوهية، فمقام الخلق جميعًا العبودية لله وحده لا شريك له.

وكذلك نبينا محمد ﷺ قال مقررًا قومه بمقامه وأنه بشر كسائر البشر، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠]، فاعترف ببشريته، وذكر الحد الفاصل بينه وبين سائر البشرية بالوحي، ثم نزّه الله عن الشرك خصوصًا في العبادة، وقال كذلك صلوات الله وسلامه عليه نافيًا أن يكون بيده جلب المنفعة أو دفع المضرة: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا (٢١) قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا (٢٢)﴾[1].

والنبي ﷺ في غزوة أحد شُجَّ وجهه وكسرت رباعيته، فالنافع الضار هو الله وحده، فينبغي علىٰ الخلق جميعًا التأله له وسؤاله وحده لا شريك له.

---

(١) الجن: (٢١، ٢٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولم يكن أحدٌ من الأنبياء والصالحين عُبد في حياته بحضرته، فإنه كان ينهىٰ من يفعل ما هو دون ذلك من المعاصي، فكيف بالشرك؟!

كما نهىٰ الذين سجدوا له، والذين صلوا خلفه قيامًا، وقال: «**إن كدتم أن تفعلوا فعل فارس والروم، فلا تفعلوا**». رواه مسلم.

وفي المسند بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له؛ لما يعلمون من كراهته لذلك، وفي الصحيح أن جاريةً قالت عنده:

وفينـــا نبـــي يعلـــم مـــا فـــي غـــــد

فقال: «**دعي هذا، وقولي الذي كنت تقولين**». ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر بحضرته، فكل من رآه في حياته لم يتمكن أن يفعل بحضرته منكرًا يُقر عليه.

وأما الذين يزورون القبور فيفعلون عندها من أنواع المنكرات ما لا يضبط، كما يفعل المشركون والنصارىٰ وأهل البدع عند قبر من يعظمونه من أنواع الشرك والغلو، وبحسبك أنه ﷺ لعن اليهود والنصارىٰ لأجل اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فإذا اتُّخذ القبر مسجدًا فقد لعن صاحبه».

خشي علىٰ أمته بعد موته من الغلو في قبره كما فعل اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم - فسأل ربه وهو مجاب الدعاء صلوات الله

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي ص (١٤٣)، ط: الإفتاء - ١٤٠٤هـ.

وسلامه عليه، فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وإن كان كثير من الناس يريدون أن يجعلوه وثنًا ويعتقدون أن ذلك تعظيم له، كما يريدون ذلك ويعتقدونه في قبر غيره - فهم لا يتمكنون من ذلك، بل هذا القصد والاعتقاد خيال في أنفسهم لا حقيقة له في الخارج، بخلاف القبر الذي جُعل وثنًا، وإن كان الميت وليًّا لله لا إثم عليه من فعل من أشرك به، كما لا إثم علىٰ المسيح من فعل من أشرك به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾. إلىٰ قوله: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[(٣)].

فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء - كالملائكة والأنبياء والصالحين - أو كانوا أوثانًا قد تبرءوا ممن عبدهم، وبيّنوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدهم ولا أن يواليهم من عبدهم، فالمسيح وغيره كانوا برآء من

---

(١) رواه مالك.

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٠٣).

(٣) الفرقان: (١٧-١٩).

الشرك بهم ومن إثمه».

وتأمل ما في كتاب الله القرآن الكريم من التمييز الواضح بين حق الله الخاص، وبين حق النبي ﷺ الذي يليق به كعبد وبشر ورسول كريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والله سبحانه قد أمرنا أن نطيع رسوله ﷺ، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وأمرنا أن نتبعه، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

أمرنا أن نعزره، ونوقره، وننصره، وجعل له من الحقوق ما بيّنه في كتابه، وسنة رسوله، والله أوجب علينا أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]».

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**». وقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «**لا يا عمر، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**»، قال: فأنت أحب إليّ من نفسي. قال: «الآن يا عمر». وقال: «**ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله،**

---

(١) اللمعة في الأجوبة السبعة، ص (٨١-٨٥).

ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار».

وقد بيّن في كتابه حقوقه التي لا تصلح إلا له، وحقوق رسوله، وحقوق المؤمنين بعضهم علىٰ بعض، كما بسطنا الكلام علىٰ ذلك في غير هذا الموضع، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور: ٥٢]، فالطاعة لله والرسول، والخشية والتقوىٰ لله وحده، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩].

فالإيتاء لله والرسول، والرغبة لله وحده، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]؛ لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، وأما الحسب فهو لله وحده كما قال: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٥٩]، ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي يكفيك الله، ويكفي من اتبعك من المؤمنين. وهذا هو الصواب المقطوع به في معنىٰ هذه الآية، ولهذا كانت كلمة إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من خصائص، فلا يشرك

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٠٠، ٣٠١).

بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يستغاث بهم كما يُستغاث بالله، ولا يُقسم علىٰ الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم، وإنما يتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم، وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم، وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا، وتحليل ما حللوه، وتحريم ما حرّموه، والتوسل بذلك علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يتوسل بذلك إلىٰ إجابة الدعاء وإعطاء السؤال، كحديث الثلاثة الذين آووا إلىٰ الغار، فإنهم توسلوا بأعمالهم الصالحة؛ ليجيب دعاءهم، ويفرج كربتهم، وقد تقدم بيان ذلك.

والثاني: التوسل بذلك إلىٰ حصول ثواب الله وجنته ورضوانه؛ فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فإنهم قدّموا ذكر الإيمان قبل الدعاء، ومثل ذلك ما حكاه الله سبحانه عن المؤمنين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، وأمثال ذلك كثير».

وهؤلاء المشركون القبوريون قلبوا الحقائق، وانتقصوا الأنبياء فخالفوا ما بُعثوا به من الدعوة إلىٰ التوحيد، وآذوا الله عَزَّوَجَلَّ بالاستغاثة بالمخلوقين، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، فالمحبون لله ورسوله حقًّا هم الذين اتبعوا وحي الله، وأقاموا التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فأعظم أحوال الناس مع الأنبياء وأفضلها وأكملها - هو حال الصحابة مع الرسول ﷺ لا سيما أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو تصديقه في كل ما يخبر به من الغيب، وطاعته وامتثال أمره في كل ما يوجبه ويأمر به، وأن يكون أحب إلىٰ المؤمن من نفسه وأهله وماله، وأن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، وأن يتحرىٰ متابعة الرسول ﷺ، فيعبد الله بما شرعه وسنّه من واجب ومستحب، لا يعبده بعبادة نهىٰ عنها، وببدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وإن ظن أن في ذلك تعظيمًا للرسول ﷺ، وتعظيمًا لقدره كما ظنه النصارىٰ في المسيح، وكما ظنوه في اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وكما ظن الذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، فإن الأمر بالعكس، بل كل عبد صالح من الملائكة والأنبياء فإنما يُحب ما أحبه الله من عبادته وحده وإخلاص الدين له، ويوالي من كان كذلك، ويعادي من أشرك، ولو كان المشرك معظمًا له غاليًا فيه، فإن هذا يضره ولا ينفعه عند الله، ولا عند الذي غلا فيه وأشرك به، واتخذه ندًّا لله، يحبه كحب الله، واتخذه شفيعًا يظن أنه إذا استشفع به يشفع له بغير إذن، أو اتخذه قربانًا يظن أنه إذا عبده قرّبه إلىٰ الله، فهذه كلها ظنون المشركين، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]».

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٧٣، ٧٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلىٰ التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذنبهم إلا أن قالوا: إنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وإنهم لا يشفعون لعابديهم أبدًا، بل قد حرَّم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له سبحانه، والولاية له، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اعلم أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين، المدفونين - يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة، كما أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكره ما يفعل النصارىٰ به، وكما كان أنبياء بني إسرائيل يكرهون ما يفعله الأتباع، فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا وأوثانًا فيه غض من أصحابها، بل هو من باب إكرامهم، وذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع، أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين علىٰ القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه.

ومن كرامة الأنبياء والصالحين: أن يتّبع ما دعوا إليه من العمل الصالح؛ ليكثر أجرهم بكثرة أجور من اتّبعهم، كما قال النبي ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»».

علىٰ كل حال اعتراض القبوريين خصوصًا علىٰ أهل التوحيد إذا أمروهم

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٨، ١٢٩).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٩).

بتجريد التوحيد لله شنشة معروفة، قصدهم بها دفع الشناعة عن أنفسهم، والمحافظة علىٰ الأموال المحرمة التي يأخذونها من العوام الجهال بما يوقعونهم فيه من الشرك، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال علامة المغرب محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أثر دعوة التوحيد في بلاد المغرب(١): «كان أحد الأخوة الموحّدين واقفًا أمام دكان، فقال صاحب الدكان: يا مولاي إدريس! فقال له الموحّد: قل: يا الله! فإن المخلوق لا ينفع ولا يضر. فاستمع صاحب الدكان لقول الحق واعترف.

وكان هناك سادن يعيش علىٰ النذور التي تُقدم للأوثان، فغضب علىٰ الموحّد غضبًا شديدًا، وقال: كيف تسب مولاي إدريس؟! فقال: أنا ما سببته، ولكن أنكرت الاستغاثة به. وأخذ يصيح لتجتمع الناس، ظانًّا أنهم إذا اجتمعوا سينصرونه، فاجتمعوا ولكنهم لم ينصروه، بل نصروا الموحّد علىٰ السادن.

ومدينة مكناس هذه كانت قبل خمس عشرة سنة هي مركز الشرك والبدع، ولكنّ الله الكريم بارك في دعوتي التي بدأتها وحدي، فاستجاب إليها كثير من الناس، فأينما ذهبت في أنحاء المدينة تجد أنصار التوحيد، إخوان من وحّد الله، ولا تزال دعوة التوحيد تنتشر وتنتصر يومًا بعد يوم».

وقال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ولا تحسب - أيها المنعم عليه

---

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (٢/ ٢١٦).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (١٤٤، ١٤٥).

باتباع صراط الله المستقيم - أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد وأعيادًا، وعن إيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها، ونحو ذلك غض من قدر أصحابها، ولا تنقُّص لهم كما يحسبه الضُّلّال، بل ذلك من إكرامهم ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليُّهم ومحبُّهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلىٰ هديهم ومناهجهم.

وهؤلاء المشركون من أعصىٰ الناس لله ولرسوله، وأغضبهم له، وأبعدهم من هديه، كالنصارىٰ مع المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والروافض مع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فأهل الحق أولىٰ بأهل الحق من أهل الباطل، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين علىٰ القبور مُعْرضين عن طريقة من فيها وسننه، مشتغلين بقبره عما دعا إليه وأمر به من إخلاص الدين والعبادة لله وحده.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم: إنما هو باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها عيدًا، فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟».

وهؤلاء القبوريون تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ عند القبر بدعي بل شركي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأهل البدع والجهل يفعلون ما هو من جنس الأذىٰ لله ورسوله، ويَدَعون ما أمر الله به من حقوقه

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٢، ٥٣).

وهم يظنون أنهم يعظمونه، كما تفعل النصارىٰ بالمسيح، فيضلهم الشيطان كما أضل النصارىٰ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون، وهم إذا قالوا: نحن نحبهم. فهم إن كانوا صادقين هم يحبونهم مع الله، لا يحبونهم لله، كمحبة أهل الشرك للأنداد، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ٣١]، والحب لله أن يكون الله هو المحبوب لذاته، ويحب أنبياءه؛ لأنه يحبهم، وعلامة محبتهم متابعتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فمن اتّبع الرسول ﷺ فهو الذي يحبه الله، وأما من قال إنه يحبه – وإن غلا فيه وأشرك به – إذا لم يتبعه، فإن الله لا يحبه، بل إذا خالفه أبغضه بحب ذلك، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]».

وهؤلاء أصحاب التعظيم والتوقير الشركي عند قبر النبي ﷺ – مضيعون لحق الله في توقيره وتعظيمه في الألوهية، فأشركوا به، وكذلك هم مضيعون لحق الرسول ﷺ في سائر الأماكن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والله سبحانه خصّ رسوله ﷺ بما خصّه به تفضيلًا له وتكريمًا لما يجب من حقه علىٰ كل مسلم في كل موضع، فإن الله أوجب الإيمان به ومحبته وموالاته

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٤٩، ٥٠).

ونصره وطاعته واتباعه علىٰ كل أحد في كل مكان، وأمر من الصلاة عليه والسلام عليه في كل مكان، ومن سؤال الوسيلة له عند كل أذان، ومن ذكر فضائله ومناقبه وما يعرف به قدر نعمة الله به علىٰ أهل الأرض، وأن الله لم ينعم علىٰ أهل الأرض نعمة أعظم من إرسال محمد ﷺ إليهم، وأنه هو أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لا يؤمن العبد حتىٰ يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، بل حتىٰ يكون أحب إليه من نفسه، إلىٰ غير ذلك من حقوقه المبسوطة في غير هذا الموضع.

وكل هذه مشروعة في جميع البقاع ليس منها شيء يختص بالقبر ولا بما هو قريب من القبر، ولا شرع للناس أن يكون قيامهم بهذه الحقوق عند القبر أفضل من قيامهم بها في بلادهم، بل المشروع أن يقوموا بها في كل مكان.

ومن قام بها عند القبر، وفتر عن القيام بها في بلده، كما يوجد في بعض الناس، يوجد من محبته وتعظيمه وثنائه ودعائه للرسول عند قبره أعظم مما يوجد في بلده، مثل ما إذا كان بالمدينة عند قبره أو أعظم - فهذه هي الحالة المحمودة المشروعة، وهي حال الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة، ولا يُعرف عن أحد منهم أنه كان يزيد حبه وتعظيمه ودعاؤه وثناؤه عند القبر، ولهذا لم يكونوا يأتونه؛ لأن قيامهم بما يجب من حقوق الرسول في جميع الأمكنة سواء.

وقد نهىٰ عن تخصيص القبر بذلك وأن يتخذوه عيدًا ومسجدًا؛ لأنه مظنة أن يتخذ وثنًا، ويفضي إلىٰ الشرك، ومظنة أن ينقص قيامهم بحقه في سائر البقاع إذا خصوا تلك البقعة بمزيد القيام، كما أن المشاعر لما خُصت بالعبادات فالمؤمن تجد إيمانه فيها أعظم من إيمانه في غيرها.

والرسول ﷺ حقه في جميع البقاع سواء، ولكن تتنوع حقوقه بحسب الأحوال، ولهذا إذا اعتبرت أحوال الناس؛ كان من يعظم الميت عند قبره مقصرًا في حقوقه التي أمر بها في سائر البقاع بحسب ما زاد عند القبر، وهذا أمر مطرد معروف من جميع أحوال الناس، **ولما كان السابقون الأولون أقوم بحقوقه في جميع المواضع كانوا أبعد الناس عن تخصيص القبر بشيء**، والخلفاء الراشدون ونحوهم لما كانوا أقوم بحقوقه من غيرهم لم يفعلوا ما فعله ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ونحوه، فأبوه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أقومَ بحقه ﷺ منه، وكان ينهىٰ أن يقصد الصلاة في موضع صلىٰ فيه، خلاف ما فعله ابنه عبد الله - مع فضله ودينه - رضي الله عنهم أجمعين».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[١]: «فمن يجد قلبه عند قبر الرسول أكثر محبةً له وتعظيمًا، ولسانه أكثر صلاة عليه وتسليمًا مما يجده في سائر المواضع - كان ذلك دليلًا علىٰ أنه ناقص الحظ مبخوس النصيب من كمال المحبة والتعظيم، وكان فيه من نقص الإيمان وانخفاض الدرجة بحسب هذا التفاوت، بل المأمور به أن تكون محبته وتعظيمه وصلاته وتسليمه عند غير القبر أعظم، فإن القبر قد حيل بين الناس وبينه، وقد نُهي أن يتخذ عيدًا، ودعا الله أن لا يجعل قبره وثنًا، فإن لم يجد إيمانه به ومحبته له وتعظيمه له وصلاته عليه وتسليمه عليه إذا كان في بلده أعظم مما يكون لو كان في نفس الحجرة من داخل، لكان ناقص الحظ من الدين، وكمال الإيمان واليقين، فكيف إذا لم يكن من داخل، بل من خارج؟ فهذا هذا، والله أعلم».

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٦٣، ٦٤).

براءة الإمام من التكفير بالعموم والظن واللازم



أحوال المسلمين قربًا وبعدًا من الإسلام تتفاوت بحسب قيامهم بشرع الله وأمره فيهم، والكلام في ذلك الغرض منه هداية المسلمين، ودلالتهم إلىٰ صراط الله المستقيم، وإبراء الذمة أمام الله في تبليغ الشرع ونصح الخلق، قال تعالىٰ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

لذلك حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ بيان هذا الأمر بيانًا واضحًا جليًّا، وأوضحه في الأبواب الأولىٰ من كتاب التوحيد في باب [الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][1]، وساق فيه قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في بعث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن وقول النبي ﷺ له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله**». وساق كذلك حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**». رواه مسلم[2].

وكان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد ناصحًا للخلق غير غاشٍّ لهم،

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).
(٢) كتاب التوحيد، ص (١١-١٣).

فهو يحذرهم من الشرك، ويذكر سوء عاقبته ليبتعد الناس عما يوجب سوء العاقبة في الدار الآخرة، فذكر عاقبة الشرك، فساق حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا، دخل النار**». رواه البخاري، وذكر قبل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨][١]، فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ مبلغ عن الله أحكامه، ما افترىٰ علىٰ الله كذبًا، ولا قال ما لم يقله الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، بل حذّرهم مما يوجب هلاكهم وعطبهم، وكان في ذلك ملازمًا لسنة المصطفىٰ ﷺ الرءوف الرحيم، لذلك ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»، رواه أحمد بسند لا بأس به[٢].

وكان الإمام في دعوته متأسيًا بأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أعلم الناس بمراد الله ورسوله، لذلك ساق أثر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمىٰ، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، رواه ابن أبي حاتم[٣].

والواقعون في المخالفات الشركية ثقلت عليهم أحكام الله، وسدنة القبور الذين يأكلون بإفساد أديان الناس - مالوا طعنًا في الإمام محمد ابن

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠-١١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٦).

عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورميه بالتكفير تنفيرًا للناس عن الحق، وهذا الافتراء دفعه الإمام نفسه، حيث قال[١]: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ من قدر علىٰ إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل. ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي علىٰ قبر عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم - فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]».

وقد نقل الشيخ عبد الله بن محمد المطوع جزاه الله خيرًا نقولًا جميلة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تورعه عن تكفير المسلمين بغير مكفر، قال الشيخ المطوع[٢]: «فيرد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك كله بأقوال واضحة، لا غموض فيها، منها قوله: «ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»[٣]، ويقول أيضًا: «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ﷺ، ثم بعد ما عرفه سبه ونهىٰ الناس عنه وعادىٰ من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك»[٤].

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤). (٢) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد وما حولها، ص (١٣٣).

(٣) رسالته لأهل القصيم، مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية، ص (١١).

(٤) الدرر السنية (١/ ٨٢، ٨٣).

ويرد الشيخ في موضع آخر التهم كلها حول التكفير أو طلبه من الناس الهجرة إليه، وغير ذلك، فيقول: «وأما ما ذكره الأعداء عني أني أكفر بالظن والموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة - فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»(١).

ويقول: «وأما القول بأنا نكفر بالعموم فذلكم من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»(٢).

ويقول في نفيه لما اتُّهم به من شبه وضلالات: «إني أقول: من اتّبع دين الله ورسوله ﷺ وهو ساكن في بلده لا يكفيه ذلك حتىٰ يأتي عندي. فهذا أيضًا من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله ﷺ في أي أرض كانت»(٣).

فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والشناعة علىٰ المحقين تهويشة معلومة لا يلين لها العلماء فيكتمون لأجلها أحكام الله في الشرك والمشركين، بل يبينون للناس الحق كما أخذ الله الميثاق علىٰ أهل العلم بيانه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ومناوئة المبطلين والمشركين للمحقين أمر متوقع، ومن لم يعرف هذا فهو لا يعرف شرع الله، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية، ص (٢٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية، ص (١٠١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية، ص (٥٨).

قال فضيلة الشيخ عبد الله المعتاز حفظه الله[١]: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾، أي: الصبر علىٰ ما يلاقيه الداعي في سبيل الله من المشاق والأذىٰ؛ لأن طريق الدعوة شاق محفوف بالمكاره والمخاطر، فقد واجه الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ما واجهوا من الأذىٰ والسخرية من أقوامهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾، لقد دعا نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهو صابر محتسب، ولقي الرسول ﷺ من الأذىٰ والعناد من قومه ما لاقىٰ وهو صابر لم يمنعه ذلك من دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن حتىٰ نصره الله وأعلىٰ كلمته، فجاء الحق وزهق الباطل، ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دافعًا فرية المبطلين علىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب[٢]: «وهذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوىٰ - معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به، وتقسيمهم للشرك إلىٰ أكبر وأصغر، والحكم علىٰ المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلىٰ الله، ص (٤٣، ٤٤).

(٢) مصباح الظلام، ص (٢٢، ٢٣).

أمر دينهم، وما جاءت به الرسل.

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكىٰ الإجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام كما ذكره تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتوىٰ البزازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد ابن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وغيرهم من أهل العلم.

وأما قوله[١]: «وجعل بلاد المسلمين كفارًا أصليين»، فهذا كذب وبهت، ما صدر ولا قيل، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلًا عن أهل العلم والدين، بل كلهم مجمعون علىٰ أن بلاد المسلمين لها حكم الإسلام في كل زمان ومكان.

وإنما تكلم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أندادًا لله رب العالمين، أو يسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم - أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردة، ولم يجعلوه كافرًا أصليًّا».

وقال العلامة عبد اللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وما رأيت شيخ الإسلام أطلق علىٰ بلد من بلاد المنتسبين إلىٰ الإسلام أنها بلد كفر، ولكنه قرر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل، علىٰ

---

(١) المفتري هو عثمان بن منصور التميمي.

(٢) مصباح الظلام، ص (٢٣).

أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات - هو دين المشركين وفعل الجاهليين الضالين من الأميين والكتابيين، فظن هذا أن لازم قوله أنه يحكم علىٰ هذه البلاد أنها بلاد كفر، وليس هذا بلازم، ولو لزم فلازم المذهب ليس بمذهب، ونحن نطالب الناقل بتصحيح نقله. نعم، ذكر الحنابلة وغيرهم أن البلدة التي تجري عليها أحكام الكفر، ولا تظهر فيها أحكام الإسلام بلدة كفر، وما ظهر فيها هذا وهذا فقد أفتىٰ فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يراعىٰ فيها الجانبان فلا تعطىٰ حكم الإسلام من كل وجه، ولا حكم الكفر من كل وجه كما نقله عنه ابن مفلح وغيره».



فرق ما بين السلام على النبي ﷺ حال حياته وبعد موته

نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][1] إلىٰ فرق ما بين السلام علىٰ النبي ﷺ حال حياته وبعد موته بفهم السلف، حيث ساق أثر علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم**»، رواه في المختارة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «وأما السلام عند القبر فقد عُرف أن الصحابة والتابعين المقيمين بالمدينة لم يكونوا يفعلونه إذا دخلوا المسجد وخرجوا منه، ولو كان هذا كالسلام عليه لو كان حيًّا لكانوا يفعلونه كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه كما لو دخلوا المسجد في حياته وهو فيه، فإنه مشروع لهم كلما رأوه أن يسلموا عليه، بل السنة لمن جاء إلىٰ قوم أن يسلم عليهم إذا قدم وإذا قام كما أمر النبي ﷺ بذلك، وقال: «**ليست الأولىٰ بأحق**

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٢).
(٣) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٠٢، ١٠٣).

من الآخرة»، فهو حين كان حيًّا كان أحدهم إذا أتىٰ يسلم وإذا قام يسلم، ومثل هذا لا يشرع عند القبر باتفاق المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من عادة الصحابة، ولو كان سلام التحية خارج الحجرة مستحبًّا لكان مستحبًّا لكل أحد، ولهذا كان أكثر السلف لا يفرِّقون بين الغرباء وأهل المدينة، ولا بين حال السفر وغيره، فإن استحباب هذا لهؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعي يفتقر إلىٰ دليل شرعي، ولا يمكن أحدًا أن ينقل عن النبي ﷺ أنه شرع لأهل المدينة الإتيان عند الوداع للقبر، وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر، وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه، ولم يشرع ذلك لأهل المدينة، فمثل هذه الشريعة ليس منقولًا عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه، ولا هو معروف من عمل الصحابة، وإنما نقل عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا السلام عند القدوم من السفر، **وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة**، كما كان ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يتحرىٰ الصلاة والنزول والمرور حيث حلَّ ونزل وعبر في السفر، **وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك**، بل أبوه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان ينهىٰ عن مثل ذلك.

روىٰ **سعيد بن منصور في سننه**: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: خرجنا معه في حجة حجها، فقرأ بنا في صلاة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾، و: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾، في الثانية، فلما رجع من حجه رأىٰ الناس ابتدروا المسجد فقال: **ما هذا؟** فقالوا: مسجد صلىٰ فيه رسول الله ﷺ، فقال: «**هذا**

ملة أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعًا، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصلّ، ومن لم تعرض له فليمض»، وما اتفق عليه الصحابة - عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره - من أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا بل يكره ذلك، فتبين ضعف حجة من احتج بقوله: «**ما من رجل يسلم علي إلا ردّ الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»، **فإن هذا لو دلّ علىٰ استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة علىٰ ترك ذلك**، ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره، فلما اتفقوا علىٰ ترك ذلك مع تيسره عُلم أنه غير مستحب، بل لو كان جائزًا لفعله بعضهم، فدلّ علىٰ أنه كان عندهم من المنهي عنه كما دلت عليه سائر الأحاديث».

ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والمقصود أن هذا كله يُبيّن ضعف حجة المفرِّق بين الصادر من المدينة والوارد عليها، والوارد علىٰ مسجده من الغرباء والصادر عنه، وذلك أنه يمتنع أن يقال: إنه يرد علىٰ هؤلاء ولا يرد علىٰ أحد من أهل المدينة المقيمين فيها، فإن أولئك هم أفضل منه وخواصها، وهم الذين خاطبهم بهذا فيمتنع أن يكون المعنىٰ: من سلّم منكم يا أهل المدينة لم أردَّ عليه ما دمتم مقيمين بها. فإن المقام بها هو غالب أوقاتهم، وليس في الحديث تخصيص، ولا رُوي عن النبي ﷺ ما يدل علىٰ ذلك.

يبيّن هذا أن الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون علىٰ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لبعض الأمور ويسلمون عليه إنما كان يردُّ عليهم إذا سلموا.

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١١٢، ١١٣).

إن قيل: إنه لم يكن يردُّ عليهم. فهذا تعطيل للحديث، وإن قيل: كان يردّ عليهم من هناك ولا يردُّ إذا سلموا من خارج. فقد ظهر الفرق.

وإن قيل: بل هو يرد علىٰ الجميع. فحينئذ إن كان رده لا يقتضي استحباب هذا السلام بطل الاستدلال به، وإن كان رده يقتضي الاستحباب وهو من سلّم من خارج لزم أن يستحب لأهل المدينة السلام كلما دخلوا المسجد وخرجوا، وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وخلاف قول المفرقين.

ومن أهل المدينة من قد لا يسافر منها أو لا يسافر إلا للحج، والقادم قد يقيم بالمدينة العشر والشهر، فهذا يرد عليه في اليوم والليلة عشر مرات وأكثر كلما دخل وكلما خرج، وذاك المدني المقيم لا يرد عليه قط، أو لا يرد عليه في عمره إلا مرة.

وأيضًا فاستحباب هذا للوارد والصادر تشبيه له بالطواف الذي يُشرع للحاج عند الورود إلىٰ مكة، وهو الذي يُسمىٰ طواف القدوم، وطواف التحية، وطواف الورود، وعند الصدور، وهو الذي يُسمىٰ طواف الوداع. وهذا تشبيه لبيت المخلوق ببيت الخالق، ولهذا لا يجوز الطواف بالحجرة بالإجماع، بل ولا الصلاة إليها؛ لما ثبت عنه في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي أنه قال ﷺ: «**لا تجلسوا علىٰ القبور ولا تصلوا إليها**»، وأيضًا فالطواف بالبيت يُشرع لأهل مكة وغيرهم كلما دخلوا المسجد، والوقوف عند القبر كلما دخل المدني لا يشرع بالاتفاق، فلم يبق الفرق بين المدني وغير

المدني له أصل في السنة ولا نظير في الشريعة، ولا هو مما سنه الخلفاء الراشدون وعمل به عامة الصحابة، فلا يجوز أن يجعل هذا من شريعته وسنته».

* * *

الفصل السابع

أصول الاستدلال والمناظرة في كتاب التوحيد

الاستدلال بالقرآن وصحيح السنة وآثار الصحابة والتابعين

من أعظم ما يميّز كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هو أن متنه في كل باب آية أو آيتان، وحديث أو حديثان أو ثلاثة، وقول صحابي أحيانًا في بعض الأبواب، وفي بعضها أحيانًا قول لأحد التابعين.

والصفة الغالبة في الأبواب هي الاقتصار على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وأحيانًا أقوال التابعين، وهو قليل أيضًا، ومنه ما ينقله التابعي عن هدي الصحابة.

وأكثر الأحيان ينقل الإمام محمد بن عبد الوهاب الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين في تفسير نصوص القرآن والسنة، كتفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]، كما في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][١]، وكتفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، في باب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله][٢]، وكذلك تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾[٣]، وتفسير علقمة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).
(٢) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٦١).

قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١][(١)]، وقول مجاهد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣][(٢)]، وتفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للأنداد في قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢][(٣)]، وتفسير مجاهد لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠][(٤)]، وهكذا.

وينقل أقوال الصحابة في تفسير ألفاظ الأحاديث النبوية، كما نقل تفسير عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للجبت، والطاغوت، وكذلك تفسير جابر ابن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للطواغيت والكهان، كما في باب [ما جاء في السحر][(٥)].

والأهم من ذلك نقله أحكام الصحابة، كما نقل حكم الصحابة في الساحر[(٦)]، وحكم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيمن يكتب أبا جاد[(٧)]، وحكم التابعين كابن المسيب، والحسن في النشرة[(٨)]، وكذلك حكم قتادة في التنجيم[(٩)]، وحكم إبراهيم النخعي في قول الرجل: أعوذ بالله وبك[(١٠)].

وفوق هذا نقل حكاية التابعين لسلوك الصحابة معهم وتربيتهم، فقد نقل عن إبراهيم النخعي قوله عن الصحابة: كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٥).
(2) كتاب التوحيد، ص (٧٤).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٧٦).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٨٥).
(٥) كتاب التوحيد، ص (٤٦).
(٦) كتاب التوحيد، ص (٤٧).
(٧) كتاب التوحيد، ص (٥٣).
(٨) كتاب التوحيد، ص (٥٢)، ص (٥٣).
(٩) كتاب التوحيد، ص (٥٦).
(١٠) كتاب التوحيد، ص (٧٧).

والعهد، ونحن صغار[١].

ونقل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحيان نادرة عمن بعد التابعين، ولكن في مواضع نادرة جدًّا، كتفسير سفيان لـ«ملك الأملاك»[٢].

ومن نقل عنهم من العلماء من بعد القرون الثلاثة من هو مشهور فلخصوصية الفائدة المنقولة عنه، كما نقل عن ابن حزم الإجماع علىٰ تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله[٣].

فالحاصل: أن جمل الاعتقاد في كتاب التوحيد لإمام الدعوة محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي عقيدة القرون المفضلة، ومتن الكتاب رصين محكم متقن ليس فيه إلا قرآن، وسنة، وقول صحابي أو تابعي، ومن ورثه عنهم بإجماع.

قال أبو زكريا السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠ هـ)**[٤]: «جمل الاعتقاد المجمع عليها نقلها الخلف عن السلف، أجمع عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الأمصار من الفقهاء وأصحاب الحديث وأرباب الورع والتقوىٰ المصنفين في علم الكتاب والسنة، حجازًا، ويمنًا، وشامًا، وعراقًا، وفارس، وخراسان، وما وراء النهر، وثغور الشام، وأذربيجان، واران، وديار ربيعة، ومضر».

فمقام الاختصار لا يتسع لبسط كل المنقولات عن السلف من الصحابة

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٠٥).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٨١).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٨٩).
(٤) منازل الأئمة الأربعة، ص (١٠٣، ١٠٤).

والتابعين، وأئمة الأمصار في كل الأعصار، فهذه الآثار اعتنىٰ بها جماعة من الأئمة ودونوها في مصنفات خاصة كشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والشريعة للآجري، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة أبي القاسم الأصبهاني، والإبانة لابن بطة، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد، والسنة للخلال. ومعرفة هذه الآثار ضرورة؛ ليتبين الجميع أن عقيدتنا متصلة بالصحابة والتابعين موروثة عنهم، فبمعرفة أقوال السابقين الأولين يهتدي المسلم للعقيدة الصحيحة ويأتم بالسلف، قال شريك بن عبد الله القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «نحن أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟!».

وإذا تعرّف المسلم علىٰ عقيدة السلف، حاذر وجانب ما يخالفها، قال أبو عبد الله محمد بن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «احتجت إلىٰ الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين، خوفًا من الوقوع في جملة أقاويل المبتدعة التي حذّر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له حتىٰ حذّرهم».

فاحذر مناهج المبتدعين الذين انتحلوا المذاهب المبتدعة، وخالفوا الصحابة والتابعين، ومن أخذ عنهم من الأئمة المشهورين.

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق النقول الكثيرة في الاعتقاد عن السلف[٣]: «وقد طوّلنا في هذا المكان، ولو ذكرنا قول كل من له كلام في

---

(١) الصفات للدارقطني (ص١٢٠ - رقم ٦٧). (٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٧).

(٣) الأربعون في صفات رب العالمين، ص (٩٥).

إثبات الصفات من الأئمة لاتَّسَعَ الخرق، وإذا كان المخالف لا يهتدي بمن ذكرنا أنه يقول الإجماع علىٰ إثباتها من غير تأويل، أو لا يصدقه في نقله - فلا هداه الله.

ولا خير والله فيمن ردّ علىٰ مثل: الزهري، ومكحول، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، ومالك، وابن عيينة، وابن المبارك، ومحمد ابن الحسن، والشافعي، والحميدي، وأبي عبيد، وأحمد بن حنبل، وأبي عيسىٰ الترمذي، وابن سريج، وابن جرير الطبري، وابن خزيمة، وزكريا الساجي، وأبي الحسن الأشعري».

فالسني ينقل أقوال الصحابة والتابعين خصوصًا في الاعتقاد؛ لأنهم أعلم بمعاني أدلة القرآن والسنة، وقد أخذوا ذلك عن النبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «التفاسير الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان - تبين أنهم إنما كانوا يفهمون منها - آيات الصفات - الإثبات، بل والنقول المتواترة المستفيضة عن الصحابة والتابعين في غير التفسير موافقة للإثبات، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة والتابعين حرف واحد يوافق قول النفاة، ومن تدبَّر الكتب المصنَّفة في آثار الصحابة والتابعين، بل المصنَّفة في السنة، من «كتاب السنة والرد علىٰ الجهمية» للأثرم، ولعبد الله بن أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي داود السجستاني، وعبد الله بن محمد الجعفي، والحكم بن معبد الخزاعي، وحشيش بن أصرم

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٠٨، ١٠٩).

النسائي، وحرب بن إسماعيل الكرماني، وأبي بكر الخلَّال، ومحمد ابن إسحاق بن خزيمة، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأصبهاني، وأبي أحمد العسَّال، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي حفص ابن شاهين، ومحمد بن إسحاق بن منده، وأبي عبد الله ابن بطة، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي ذر الهروي، وأبي محمد الخلَّال، والبيهقي، وأبي عثمان الصابوني، وأبي نصر السجزي، وأبي عمر ابن عبد البر، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي إسماعيل الأنصاري، وأبي القاسم التيمي، وأضعاف هؤلاء - رأىٰ في ذلك من الآثار الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين ما يُعلم معه بالاضطرار أن الصحابة والتابعين كانوا يقولون بما يوافق مقتضىٰ هذه النصوص ومدلولها».

❊ ❊ ❊

استفتاح الكتاب بالآية الدالة على مقصود الخلق



استفتح الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كتاب التوحيد بقول الله تعالىٰ:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا غاية ما يكون في بيان أن أبواب الكتاب كله في التنبيه علىٰ هذا الأمر العظيم الذي من أجله أرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وأُقيم سوق الجهاد، فالغفلة عن هذا المقصود الأعظم جهل وسفه.

قال الحفيد سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ناقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والآية دالة علىٰ وجوب اختصاص الخالق تعالىٰ بالعبادة؛ لأنه سبحانه هو الذي ابتدأك بخلقك، والإنعام عليك بقدرته ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلًا، وما فعله بك لا يقدر عليه غيره، ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضرٍّ فهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره، وهو الذي يدفع الضُّرَّ لا يدفعه غيره، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١﴾ [الملك: ٢٠، ٢١]، وهو سبحانه يُنعم عليك، ويُحسن إليك بنفسه، فإن ذلك موجب ما تسمَّىٰ به، ووصف به نفسه إذ هو الرَّحمن الرحيم، الودود المجيد، وهو قادر بنفسه، وقدرته من لوازم ذاته، وكذلك رحمته وعلمه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٧، ٣٨)، تيسير العزيز الحميد (١/ ١٦٣، ١٦٤).

وحكمته، لا يحتاج إلىٰ خلقه بوجه من الوجوه، بل هو الغني عن العالمين، فمن ﴿شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: ٤٠]، فالرب سبحانه غنيٌّ بنفسه، وما يستحقه من صفات الكمال ثابت له بنفسه، واجب له من لوازم ذاته، لا يفتقر في شيء من ذلك إلىٰ غيره. ففعله وإحسانه وجوده من كماله، لا يفعلُ شيئًا لحاجة إلىٰ غيره بوجه من الوجوه، بل كل ما يريد فعله فإنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦]، وهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه، ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شيء من أموره إلىٰ معين، وما له من المخلوقين من ظهير، وليس له ولي من الذُّلِّ».

وقال العلامة مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في عناية القرآن بالتوحيد والتحذير من الشرك**[1]: «فاقرأ وتدبّر تجد السور مكيها ومدنيها تفيض القول في حديث المشركين الغابرين والمعاصرين، ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث، ولا تكاد تجد غيره في سور كثيرة، وأول ما نزل الآيات الخمس الأول من سورة العلق، فلم تخل من الإشارة إلىٰ التوحيد والتعريض بالوثنية، للأمر فيها بالقراءة باسم الرب والتذكير بنعمه في الخلق والتعليم.

وآخر ما نزل آية المائدة في إكمال الدين، فسدت باب الابتداع، ومن أسلوبه الحكيم جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه، وإيضاح الشرك ودناياه، وبضدها تتميز الأشياء، وهذه أطوار البعثة من حين الأمر بالإنذار المطلق في سورة المدّثر، إلىٰ الأمر بإنذار العشيرة، إلىٰ الأمر بالصدع بالدعوة، إلىٰ الأمر

(١) الشرك ومظاهره، ص (٣٩، ٤٠).

بالهجرة، إلىٰ الإذن بالقتال، إلىٰ فتح مكة، إلىٰ الإعلام بدنو الوفاة - لم تخل من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك ومظاهره، ويكاد ينحصر غرض البعثة أولًا في ذلك، فلا ترك النبي ﷺ التنديد بالأصنام وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ثلاث سنوات، ولا نسيه وهو مختف في هجرته والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر بمدينته بين أنصاره، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة، ولا شغل عنه وهو مجاهد وينتصر ويكر ولا يفر، ولا اكتفىٰ بطلب البيعة علىٰ القتال عن تكرير عرض البيعة علىٰ التوحيد ونبذ الشرك، وهذه سيرته المدونة، وأحاديثه المصححة تتبعها تجد تصديق ما ادّعينا وتفصيل ما أجملنا.

وهذه أركان الإسلام الخمس، إنما شُرعت كسائر العبادات للاحتفاظ بالتوحيد، والابتعاد من الوثنية، فلم يكتف بالشهادتين بالتوحيد المجرد حتىٰ صرّح بنفي التعدد وحصر التشريع في شخص المرسل بالتبليغ، ولم يقتصر في الصلاة علىٰ افتتاحها بالتكبير الذي فيه تعريض باطراح الأوثان حتىٰ خُللت به، وكُرر فيها مخاطبة رب العالمين إياك نعبد وإياك نستعين، وزكاة المرء شعار غناه، ودليل اعترافه للرب بجليل نعماه، وأن لا دخل فيها للأصنام وكل ما سواه.

والصوم يذر فيه الصائم شهوته وطعامه وشرابه من أجل مولاه ويراقبه وهو صائم ولو انفرد بمحل سكناه.

والحج فاتحته الإحرام المصحوب بالتلبية المتكررة في كل حال، وهي صريحة في حياطة التوحيد نكران الشريك، قال أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نحن نعلم أن النطق بالشهادتين الصلاة وغيرهما من العبادات، إنما شرعت

للتقرب بها إلىٰ الله والرجوع إليه، وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح في الطاعة والانقياد»».

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[١]: «التوحيد هو الأصل الذي بُنيت عليه الملة الحنيفية، فالاهتمام به اهتمام بالأصل، وإذا تدبّرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بيَّن التوحيد بيانًا كاملًا، حتىٰ إنه لا تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها تناول التوحيد، وبيان له، ونهي عن ضده.

وقد قرَّر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القرآن كله في التوحيد، لأنه إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا التوحيد العلمي الذي هو توحيد الربوبية، وإما أمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهي عن الشرك، وهذا هو التوحيد العملي الطلبي، وهو توحيد الألوهية، وإما أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، ونهي عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته».

❊ ❊ ❊

(١) دروس من القرآن الكريم، ص (٥، ٦).



محاجة المشركين بإقراراتهم

الإمام قوي الحجة في مجادلة المشركين، ومن أعظم أنواع إقامة الحجة علىٰ أهل الضلال أخذهم بإقراراتهم علىٰ بطلان عقائدهم وفساد توحيدهم، ففي [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه](١) ساق الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨](٢).

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وهذا في القرآن كثير، يقيم تعالىٰ الحجة علىٰ المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به، علىٰ ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها علىٰ معنىٰ أنها وسائط وشفعاء عند الله؛ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، لا علىٰ أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

قال مقاتل: سألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٥)، الباب السادس.

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٧٥).

ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر، وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من أنواع التعلقات بغير الله عَزَّوَجَلَّ».

وكذلك فعل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][1]، ساق الإمام قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٢][2]، ثم قال الإمام في المسائل منبهًا على محاجة عباد الأوثان بإقراراتهم: «السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على عبارة الإمام في المسائل[3]: «وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا موجود الآن، فمن الناس من يسجد للأصنام التي صنعوها بأنفسهم تعظيمًا، فإذا وقعوا في الشدة دعوا الله مخلصين له الدين، وكان عليهم أن يلجئوا للأصنام لو كانت عبادتها حقًّا، إلا أن من المشركين اليوم من هو أشد شركًا من المشركين السابقين، فإذا وقعوا

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٤)، الباب الثالث عشر.

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

(٣) القول المفيد، ص (١٨٠-١٨١).

في الشدة دعوا أولياءهم كعليّ والحسين، وإذا كان الأمر سهلًا دعوا الله، وإذا حلفوا حلفًا هم فيه صادقون حلفوا بعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أو غيره من أوليائهم، وإذا حلفوا حلفًا هم فيه كاذبون حلفوا بالله ولم يبالوا».

وقد استعمل أئمة الدعوة هذا المنهج في شرحهم لكتاب التوحيد وسائر مصنفاتهم، فقال العلامة عبد الله بن سليمان آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «فإن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظنٍّ برب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [الفتح: ٦]. فإنهم ظنوا به ظن السوء حتىٰ أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حقَّ توحيده.

ولهذا أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن المشركين أنهم ما قدروه حقَّ قدره، وكيف يقدره حقَّ قدره من اتَّخذ من دونه ندًّا، أو شفيعًا، يُحبُّه، ويخافه، ويرجوه، ويذلُّ له، ويخضع له، ويهرب من سخطه، ويُؤْثر مرضاته، ويدعوه، ويذبح له، وينذر له، وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم، وعرفوا وهم في النار أنها كانت باطلًا وضلالًا، فيقولون - وهم في النار-: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]. ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا: إن آلهتهم خلقت السموات والأرض، وإنها تحيي وتميت. وإنما ساووهم به في المحبة والتعظيم والعبادة، كما ترىٰ عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، وإنما كان هذا هضمًا لحق الربوبية، وتنقُّصًا لعظمة الإلهية، وسوء ظن بربِّ العالمين».

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٧٥، ٥٧٦).

الاستدلال على المبتدعين بالمنقول عن أئمتهم

الرافضة ينتسبون إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآل بيته المطهر، وهم من أبعد الناس عن اعتقادهم، قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٧هـ)[١]: «فهم من أبعد الناس عن هدي أهل البيت والعترة، وإن تشبعوا بزخارف الانتماء والانتساب، وأظهروا تشيعًا بزخارف الانتماء والانتساب، وأظهروا تشيعًا لذلك الجناب، فإنهم في ميزان الصدق والتحقيق من تصحيح تلك الأماني - بمكان سحيق».

وبهذا يتبين زيف انتساب الرافضة لآل البيت، قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣هـ)[٢]: «وينتمون إلىٰ مذهب تسميةً ثم يخرجون منه معنىً».

ومن أحسن ما يكون في محاجة الرافضة ذكر عقيدة سيد آل البيت نبينا محمد ﷺ، واعتقاد المتقدمين من آل البيت من القرون الثلاثة، قال أبو الحسن الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة علىٰ كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يُضلِّل صاحبه أو

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (٣٥).

(٢) الفنون (١/ ٦٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٧٥-١٧٧).

يبدّعه أو يكفره، فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر والله شرعًا وطبعًا».

وأما أئمة السنة فهم مؤتمون بالسنة حقًّا، وهذا الحد الفاصل بين السني والبدعي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فأئمة السنة ليسوا مثل أئمة البدعة، فإن أئمة السنة تضاف السنة إليهم؛ لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تضاف إليهم؛ لأنهم مصادر عنهم صدرت».

والرافضة كما هو معلوم هم الأساس في شرك القبور، وهذا ما نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟]، حيث قال في مسائله، في المسألة الحادية عشرة[2]: «**وبسبب الرافضة حدث الشرك، وعبادة القبور، وهم أول من بنىٰ عليها المساجد**».

وقد حاجّهم الإمام بذكر عقيدة رسول الله ﷺ، وهو سيد البيت المطهر، وكذلك بما هو ثابت عن سادات آل البيت المتقدمين، فإنه في [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك] - قال[3]: «وعن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٧١).

(٣) كتاب التوحيد (٤٢).

أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإنَّ تسليمكم ليبلغني أين كنتم**». رواه في المختارة».

وهكذا فعل الأئمة من قبله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وفي سنن سعيد بن منصور أن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب - وهو أجل الشرفاء الحسنيين في زمن تابعي التابعين - أنه رأىٰ رجلًا ينتاب قبر النبي ﷺ، فقال: يا هذا! إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا وصلُّوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**». فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء».

وعلىٰ هذا مضىٰ العلماء في محاجة من ينتسب إلىٰ آل البيت بالصحيح المنقول عنهم، قال يحيىٰ بن أكثم: كان المأمون قد أطلق نكاح المتعة في بعض أيامه، واشتد ذلك عليَّ، وقلت: يأمر بما قد نهىٰ عنه كل من كان قبله. فبينا أنا في منزلي إذ دخل عليَّ عبد الرحمن بن إسحاق القاضي، وآخر سمّاه، فقلت لهما: إن أمير المؤمنين أمر كذا وكذا، فإذا دخلتما عليه فكلماه فيه. فوعدا بذلك، فلما دخلا عليه هاباه، ولم يكلماه بشيء، ثم دخلا عليَّ، فقلت: ما وراءكما؟ فقالا: لم يتهيأ لنا كلامه فيه. فدخلت عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تقول في ابن شهاب الزهري - وكنت أعلم أن رأيه فيه حسن -؟ فقال أحسن القول، قلت: فما تقول في عبد الله بن محمد بن الحنفية نفسه؟ فقال: ما عسىٰ أن أقول في أبي هاشم، أقول: إنه الثقة المأمون. قلت: ما تقول في أبيه محمد

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٣٨).

ابن الحنفية نفسه؟ فقال لي: ما هذه السؤالات التي لم يكن من سؤالك فيما قبل؟ هو الثقة الرضا. فقلت له: قد بلغني أمرك بكذا وكذا، الزهري الذي قلت فيه من حسن القول ما قلت - هو الذي روىٰ عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن المتعة يوم خيبر، فقال: ما علمت هذا. فقلت: قد أمرت بخلافه. قال: فقال: إنما أمرت بخلافه إذ لم أعلم، فأما الآن فأنا أنهىٰ عنه[1].

وهذا منهج استعمله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاجة الرافضة، فإنه في كتاب النكاح، باب: لا يتزوج أكثر من أربع؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] - ساق أثرًا عن آل البيت، فقال[2]: «وقال علي بن الحسين عليهما السلام: يعني مثنىٰ أو ثلاث أو رباع».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «وهذا من أحسن الأدلة في الرد علىٰ الرافضة؛ لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلىٰ قولهم ويعتقدون عصمتهم».

وروىٰ البخاري في صحيحه أيضًا أن أبا جحيفة قال: سألت عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل عندكم شيء ما ليس في القرآن؟ وقال مرَّةً: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يُعطىٰ رجل في

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يتزوج أكثر من أربع، ص (٩١١، ٩١٢).

(٣) فتح الباري، (٩/ ١٣٩).

كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلم بكافر[(١)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فيه إبطال ما يخترعه الرافضة والشيعة من قولهم: إن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أوصىٰ إليه النبي ﷺ بأسرار العلم، وقواعده، وعلم الغيب ما لم يطّلع عليه غيره، وإنه ﷺ خصّ أهل البيت بما لم يطّلع عليه غيرهم. وهي دعاوىٰ باطلة واختراعات فاسدة لا أصل لها».

وهذا كله يدل علىٰ أن الرافضة في مكان سحيق بعيد عن اعتقاد وهدي آل البيت، فأقوام يكذبون القرآن، ويسبون سيد آل البيت سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ، هؤلاء من أفجر خلق الله لا خلاق لهم، قال ابن أبي مُليكة: استأذن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قبل موتها علىٰ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وهي مغلوبة، قالت: أخشىٰ أن يُثني عليَّ. فقيل: ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين؟ قالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتّقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء[(٣)].

فهذا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من سادات آل البيت لا يعتقد في أم المؤمنين إلا خيرًا، والرافضة بضد عقيدته.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الديات، باب العاقلة (ص (١١٩٠) - رقم ٦٩٠٣).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٥٦١).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة النور، باب: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]، (ص (٨٣٠) - رقم ٤٧٥٣).

معرفة الحق بأدلته لا بكثرة من ينتحل الباطل

هذه المسألة من أعظم حجج المشركين والمبتدعين من قبل ومن بعد، قال فرعون في محاجته لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤هـ)[١]: «إن فرعون لما أخبره موسىٰ بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق، وقدّر فهدىٰ - شرع يحتج بالقرون الأولىٰ، أي الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذ كان الأمر كذلك، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره. فقال له موسىٰ في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن علمهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال».

وهذا شأن القبوري من أهل زماننا، يحتج بمشروعية شركه من دعائه غير الله، واستغاثته به بأن أكثر أهل بلده علىٰ هذا، وبمثل هذا ضل من ضل من المشركين والمبتدعين، فأراد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبرهن علىٰ أن التوحيد هو ما بُعثت به الرسل، لا ما ضادت به الدهماء الأنبياء، فساق في [باب من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][٢]، حديث حصين بن عبد الرحمن، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**عُرضت عليَّ الأمم،**

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (٨٧٤).

(٢) الباب الثاني، كتاب التوحيد، ص (٧).

فرأيت النبي ومعه الرُّهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد»[١]، ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل[٢]: «المسألة الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة».

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فيه دليل علىٰ أن الناجي من الأمم هم القليل«قديمًا وحديثًا»، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾، وقال: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم، فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا.

فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة، وقد اغتر بهم كثيرون حتىٰ بعض من يدّعي العلم، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال، ولم يلتفتوا إلىٰ ما قاله الله ورسوله».

فالشأن في لزوم جماعة الحق، وأهل الهدىٰ، وسؤال العلماء الربانيين، لا الأئمة المضلين، قال الموفَّق أبو محمد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ومن العجب أن

(١) كتاب التوحيد، ص (٨، ٩).

(٢) القول السديد، ص (٢١).

(٣) قرة عيون الموحدين، ص (٣٩).

(٤) حكاية المناظرة في القرآن، ص (٥٧، ٥٨).

أهل البدع يستدلون علىٰ كونهم أهل الحقّ بكثرتهم، وكثرة أموالهم، وجاههم، وظهورهم، ويستدلون علىٰ بطلان السنة بقلّة أهلها وغربتهم وضعفهم، فيجعلون ما جعله النبي ﷺ دليلًا علىٰ الحق وعلامة علىٰ السنة - دليلًا علىٰ الباطل!

فإن النبي ﷺ أخبرنا بقلّة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم، وظهور أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم علىٰ أنبيائهم بكثرة أموالهم وأولادهم، وضعف أهل الحق».

والحق أنواره جلية، والقبوريون يعلمون ذلك من أنفسهم، وإقراراتهم أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه، ولا يكشف السوء إلا الله - دليل علىٰ أن احتجاجهم بالكثرة مكابرة، وأنه لدفع الشناعة عنهم لا غير.

فالأمر كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اعرف الحق تعرف أهله»، ولا يضر أهل الحق قلة أتباعهم، فالعبرة بلزوم الوحي المعصوم. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فالمؤمنون قليل في الناس، والعلماء قليل في المؤمنين، وهؤلاء قليل في العلماء، وإيّاك أن تغترّ بما يغترّ به الجاهلون؛ فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء علىٰ حق لم يكونوا أقل الناس عددًا، والناس علىٰ خلافهم!

فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمشبّهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق، وإن كانوا أقلّهم عددًا».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧).

الفصل الثامن

تحقق كتاب التوحيد بمقصود تأليفه

تقرير كلمة التوحيد تقريرًا واضحًا
ثم تكميلها والتحذير مما يضادها

من جودة كتاب التوحيد أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب الأولىٰ قرّر معنىٰ كلمة التوحيد تقريرًا واضحًا، ثم قام بتعزيز ذلك بكل ما يقوي مادة التوحيد ويحفظها، ثم بيّن في سائر الأبواب التالية ما يضاد أصل التوحيد أو كماله؛ ليحاذره الإنسان، ويحفظ عقيدته من أي شائبة تفسده أو تضره، والناس إنما أتوا في عقيدتهم خصوصًا في الأزمنة المتأخرة من جهلهم بحقيقة لا إله إلا الله، فترىٰ من ضل منهم ينذر لغير الله، ويستغيث بالموتىٰ، ويطوف بالقبور.

وهذه طريقة القرآن حفظ التوحيد وتكميله وصيانته وتقويته، ومنع أن تشوبه شائبة تفسده، قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]: «إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنىٰ تأتيه».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وعلىٰ العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق تألهًا، وإنابةً وخوفًا

---

(١) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام، ص (٢١١).

(٢) القول السديد ص (٢٥).

ورجاءً وطمعًا وقصدًا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا جودة كتاب التوحيد في بيان حقيقته وأسباب حفظ التوحيد، وتحذيره من كل ما يضاده أو يدفع مادته[(١)]: «وقد استوفىٰ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان جنس العبادة التي يجب إخلاصها لله بالتنبيه علىٰ بعض أنواعها، وبيان ما يضادها من الشرك بالله تعالىٰ في العبادات والإرادات والألفاظ، كما سيمُرُّ بك - إن شاء الله تعالىٰ - مفصَّلًا في هذا الكتاب، فالله تعالىٰ يرحمه، ويرضىٰ عنه».

وقد نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب الأولىٰ إلىٰ أنه لا يتحقق التوحيد إلا بالكفر بما يُعبد من دون الله، والبراء من هؤلاء المشركين الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

فانظر في أول أبواب الكتاب ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ القدوة خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تحقيق التوحيد والبراءة من المشركين في [باب من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][(٢)]، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]، ونبّه علىٰ ضرورة البراءة من الشرك والكفر به، والبراءة من المشركين في [باب

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) الباب الثاني، كتاب التوحيد ص (٧).

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][١]، وذكر فيه القدوة سيد الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تحقيقه التوحيد، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وزاد ذلك بيانًا بذكر قول النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ**»[٢].

قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٧ هـ) مبينًا فوائد قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه[٣]: «**الأول**: الإخلاص هو تصحيح القصد وإرادة وجه الله تعالىٰ في كل ما نقوله ونعتقده ونفعله وندعو الناس إليه.

الثاني: الثقة بالله تعالىٰ، والاعتماد عليه، وعدم الخوف من المشركين والمنافقين.

الثالث: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

الرابع: وهو شرط في صحة ما تقدم، وقليل من يتفطن له في هذا الزمان، وهو التبرؤ من الشرك وأهله، قال تعالىٰ في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالىٰ في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالىٰ

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد ص (١٤).

(٢) كتاب التوحيد ص (١٤، ١٥).

(٣) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (٢/ ١١٧، ١١٨).

في سورة مريم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، وقال في هذه السورة: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]، إلىٰ آخر ما تقدم.

فنحن نقول لعباد القبور والأضرحة والقباب: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]، ولا يتم توحيدنا إلا بذلك، هذا **بعد أن نتلطف معهم، ونقيم لهم الحجج علىٰ أن ما يفعلونه هو الشرك الأكبر**، ثم يصرون علىٰ عملهم، ولا نستثني من ذلك أحدًا، لا أبًا، ولا أمًّا، ولا أخًا، ولا عمًّا، ولا صديقًا، وقد عسر هذا علىٰ بعض الموحدين، وعدّوه من التشدد والخروج من الحكمة، وهم محجوبون بما تقدم وبغيره.

إن تماثيل الصالحين، وهي الأصنام والأوثان، وهي قبورهم وقبابهم والأحجار التي جلسوا عندها والأماكن التي مروا بها، وسائر آثارهم - إذا دعاها الداعي لا تسمع دعاءه ولا تراه، وكذلك أرواحهم؛ لأن السعيد من المعبودين تكون روحه في الجنة، فهي مشغولة بالنعيم عن سماع دعاء من دعاها، ولنفرض أنها سمعته فإنها تكرهه وتمقت ذلك الداعي؛ لأنه أشرك بالله، ولا تجيبه أبدًا إلىٰ يوم القيامة، قال تعالىٰ في سورة فاطر: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وإن كانت أرواح المعبودين شقيّة، فإنها لا تسمع دعاء العابدين؛ لأنها مشغولة بالعذاب».

* * *



تحقيق التوحيد لا صورته

ومن أهم ما حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه في كتابه - هو تحقيق حقيقة التوحيد لا صورته، وهو التحذير من الرياء، والتحذير من تحسين العمل في الظاهر والباطن فيه شوب من الشرك لغير الله كالتصنع للخلق وطلب محمدتهم؛ وقد ذكر أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من صفات الموحدين القائمين بمنازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، الفرار من الرسوم إلىٰ الأصول، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا معناه[١]: «ظواهر العلم والعمل، وبالأصول: حقائق الإيمان، ومعاملات القلوب، وأذواق الإيمان وارداته، فيفر من إحكام العلم والعمل إلىٰ خشوع السر للعرفان، فإن أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها، ولا يَعْتَدُّون إلا بأرواحها وحقائقها، وما يثبته لهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الأمر.

والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الأمر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية، بل يستخرج منهم حقائق الأمر، وأسرار العبودية، وروح المعاملة، فحظهم من الأمر حظ العالم بمراد المتكلم من كلامه، تصريحًا وإيماءً، وتنبيهًا وإشارة، وحظ غيرهم منه حظ التالي له حفظًا، بلا فهم ولا معرفة لمراده، وهؤلاء أحوج شيء إلىٰ الأمر؛ لأنهم لم يصلوا إلىٰ تلك التعرفات والحقائق إلا

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٩، ٣٨٠).

به، فالمحافظة عليه لهم علمًا ومعرفة وعملًا وحالًا - ضرورية، لا عوض لهم عنه البتة.

وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة، وقطاع الطريق من المنتسبين إلىٰ طريقة القوم، فإنهم لما علموا أن حقائق هذه الأوامر هي المطلوبة أرواحها، لا صورها وأشباحها ورسومها - قالوا: نجمع هممنا علىٰ مقاصدها وحقائقها، ولا حاجة لنا إلىٰ رسومها وظواهرها، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره، وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الأعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وأرواحها، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك، وهممهم أعلىٰ، وأنهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر، فتركب من تقصير هؤلاء وعدوان هؤلاء تعطيل.

وجملة الأمر: أن هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته، فظنوا أنهم يصلون إلىٰ حقيقته، من غير رسمه وظاهره، فلم يصلوا إلا إلىٰ الكفر والزندقة، وجحدوا ما عُلم بالضرورة مجيء الرسل به، فهؤلاء كفار زنادقة منافقون.

وأولئك مقصرون غير كاملين، والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الأمر متوجه إلىٰ قلوبهم قبل جوارحهم، وأن علىٰ القلب عبودية في الأمر كما علىٰ الجوارح، وأن تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح، وأن كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده بعبوديته، فهؤلاء خواص أهل الإيمان وأهل العلم والعرفان».

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتنىٰ بحقيقة التوحيد وصلاح القلب الذي هو أصل صلاح الظاهر عناية خاصة، وأولاه عناية كبيرة، فعقد لذلك أبوابًا وليس بابًا، وأبدىٰ وأعاد في تصحيح الباطن؛ لأنه هو الأصل، ليزكوا القلب، ويُحسِّن العبد الظاهر إخلاصًا لله وطلبًا لمحمدته لا محمدة غيره.

فانظر إلىٰ [باب ما جاء في الرياء][1]، حيث ساق فيه حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**». رواه مسلم[2].

وهذا الشرك الذي أشرك فيه العبد غير الله في عمله - عام لكل شرك، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا شرك الإرادات والقصد.

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «وذلك أنه لما كان المرائي قاصدًا بعمله الله وغيره، كان قد جعل لله شريكًا، فإذا كان كذلك فالله هو الغني علىٰ الإطلاق، وجميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل الذي جُعل له فيه شريك، فإن كماله وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك».

وقال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «قوله: «**أنا أغنىٰ**

(١) الباب الخامس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٦٥).

(٤) القول المفيد، ص (٤٥٢).

الشركاء عن الشرك»، «**أغنىٰ**»: اسم تفضيل، وليست فعلًا ماضيًا، ولهذا أضيفت إلىٰ الشركاء، يعني: إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع غيره، فالله أغنىٰ الشركاء عن المشاركة.

فالله لا يقبل عملًا له فيه شرك أبدًا، ولا يقبل إلا العمل الخالص له وحده، فكما أنه الخالق وحده، فكيف تصرف شيئًا من حقه إلىٰ غيره؟!

فهذا ليس عدلًا، ولهذا قال الله عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فالله الذي خلقك وأعدَّك إعدادًا كاملًا بكل مصالحك وأمدَّك بما تحتاج إليه، ثم تذهب وتصرف شيئًا من حقه إلىٰ غيره؟! فلا شك أن هذا من أظلم الظلم.

قوله: «**عملًا**»: نكرة في سياق الشرط، فتعم أي عمل من صلاة، أو صيام، أو حج، أو جهاد، أو غيره.

قوله: «**تركته وشركه**»، أي: لم أثبه علىٰ عمله الذي أشرك فيه.

وقد يصل هذا الشرك إلىٰ حد الكفر، فيترك الله جميع أعماله؛ لأن الشرك يحبط الأعمال إذا مات عليه.

والمراد بشركه: عمله الذي أشرك فيه، وليس المراد شريكه؛ لأن الشريك الذي أشرك به مع الله قد لا يتركه، كمن أشرك نبيًّا أو وليًّا، فإن الله لا يترك ذلك النبي والولي».

❊ ❊ ❊

تنبيه الإمام إلى حق كلمة التوحيد

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول باب في كتاب التوحيد في باب [بيان فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب][(١)]، وفي أول حديث احتجَّ به، وهو حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - بيّن معنىٰ كلمة التوحيد وحقيقتها، وأنها عقيدة راسخة وليست مجرد كلمة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق - أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه».

فقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله». دال علىٰ ذلك، فالشهادة لا تكون إلا عن علم، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦]، وفي خاتمة الحديث بيان أن اعتقاد القلب مقتضٍ ولازم للعمل الذي هو حق كلمة التوحيد، حيث جاء فيه قول النبي ﷺ: «**أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». فانتخاب هذا الحديث واستفتاح الكتاب به هو غاية في حسن التصنيف، وكمال النصيحة؛ حتىٰ لا يظن من بعض النصوص الأخرىٰ

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥، ٦).

المجملة أن مجرد قول اللسان بكلمة التوحيد كافٍ في حصول الإيمان، فإنه من المعلوم من قواعد الأصول وجوب رد المجمل إلىٰ المبيّن.

وفي مسائل هذا الباب أيضًا، نبّه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ذلك، حيث قال في المسألة الثامنة عشرة[١]: «معرفة قوله: «**علىٰ ما كان من العمل**»».

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والإيمان بالله هو باللسان والقلب وتصديق ذلك العمل، **فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه**».

وقال الحافظ أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[٣]: «اعلموا – رحمنا الله وإياكم – يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقّههم الله تعالىٰ في الدين، بعلم الحلال والحرام، أنكم إن تدبّرتم القرآن، كما أمركم الله تعالىٰ، علمتم أن الله تعالىٰ أوجب علىٰ المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله ﷺ العمل، وأنه تعالىٰ لم يثنِ علىٰ المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدخول إلىٰ الجنة، والنجاة من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتىٰ ضم إليه العمل الصالح، الذي وفقهم له، فصار **الإيمان لا يتم لأحد حتىٰ يكون مصدّقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه**، لا يخفىٰ علىٰ من تدّبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت».

---

(١) القول السديد، ص (١٦).

(٢) أصول السنة، ص (٢٠٧).

(٣) الشريعة (١/ ٢٧٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «الإيمان إذا أُطلق دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول ﷺ، وكذلك قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٧]، وإذا أُطلق الإيمان بالله في حق أمة محمد ﷺ دخل فيه الإيمان بالرسول، وكذلك قوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وإذا أُطلق الإيمان بالله دخل فيه الإيمان بهذه التوابع».

فالدين الذي بعث الله به رسله، وأمر الله بإقامته - الاعتقاد والقول والعمل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة: ٤، ٥].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ليس عليهم أحج من هذه الآية».

وقال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾[٣].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فوصف الله عَزَّوَجَلَّ الدين قولًا وعملًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إن دين الله أن تعبده وحده لا

---

(١) الإيمان، ص (١٥٦).

(٢) السنة للخلال (١٠٣٨).

(٣) التوبة: (١١).

(٤) السنة للخلال (١٠٢٥).

(٥) المجموعة العليَّة من كتب ورسائل وفتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، ص (٧٦، ٧٧).

شريك له، وهذا حقيقة: لا إله إلا الله، وبه بُعثت الرسل جميعًا، ومن عبادته وحده أن لا نشرك به، ولا نتكبر عن أمره، فلا بد من الإيمان بجميع كتبه، وجميع رسله، وإلا لم يكن العبد مسلمًا له، ولا مسلمًا وجهه له، إذا امتنع عن الإيمان بشيء من كتبه ورسله، وهذا هو الإسلام العام الذي دخل فيه جميع الأنبياء والمرسلين، وأممهم المتبعين غير المبدلين.

ثم إن الإسلام في كل ملة قد يكون نوع من الشرع والمناهج والوجه والمناسك، فلما بعث الله محمدًا ﷺ، وختم به الرسل، كان الإسلام لله لا يتم إلا بالدخول فيما جاء به من الشرع والمناهج والمناسك، وهو الإسلام الخالص، ولهذا قال ﷺ: «**بُني الإسلام علىٰ خمس**»، الحديث.

فإن الإسلام الذي في القلب لا يتم إلا بعمل الجوارح، فهُنَّ مباني له ينبني عليها، فالمباني الظاهرة تحمل الإسلام الذي في القلب كما يحمل الجسد الروح، وكما تحمل العُمُدُ السقف، والقبة والأركان، فالإسلام الذي هو دين الله بُني بمبعث محمد رسول الله ﷺ علىٰ هذه الأركان، وإن كان بُني بمبعث غيره علىٰ أركان أخرىٰ؛ إذ الإسلام الخاص المستلزم للإسلام العام الذي بُعث به محمد ﷺ بُني علىٰ هذه الخمسة».

فالتوحيد تحقيقه في إخلاص العمل لله وحده لا شريك له، ومن لم يأت بالعمل كيف يُقال في حقه أنه أخلص العمل لله.

قال شقيق بن مسلمة: يا أبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قال: بلىٰ، سمعته يقول: يُحبس الناس يوم القيامة في صعيد واحد، فينادىٰ: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم، ولا يستتر.

قلت: من المتقون؟

قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة، فيمرون إلىٰ الجنة؟[(١)].

وسأل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ عن الإيمان، فقرأ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧][(٢)].

فالعبودية لله هي العمل والتأله له وحده لا شريك له، فحيث فُقد العمل فأين العبودية؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذا مقصود خلق الخلق، العبودية والعمل لله، فإذا قلنا لا عمل. فقد عطّلنا الخلق عن مقصود خلقهم، فالتوحيد هو العمل لله، لذلك فسر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ بـ«يوحدون».

والعجيب أن المرجئة عطلوا قول النبي ﷺ: «أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل» - رواه البخاري ومسلم - مع أن هذا النص بيان للمجمل في

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٥٣).

(٢) صححه الحافظ ابن رجب في فتح الباري (١/ ١٧).

الأحاديث الواردة في إثبات دخول الجنة بقول: لا إله إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وأما الذين لم يكفروا بترك الصلاة ونحوها، فليست لهم حجة إلا وهي متناولة للجاحد كتناولها للتارك، فما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابًا لهم عن التارك، مع أن النصوص علّقت الكفر بالتولي كما تقدم.

وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التي يحتج بها المرجئة، كقوله: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، أدخله الله الجنة**»، ونحو ذلك من النصوص».

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[(٢)]: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله - تعالىٰ - في الدين، بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبّرتم كما أمركم الله تعالىٰ علمتم أن الله تعالىٰ أوجب علىٰ المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالىٰ لم يثن علىٰ المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم علىٰ ذلك الدخول إلىٰ الجنة، والنجاة من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتىٰ ضم إليه العمل الصالح، الذي قد وفقهم له، فصار

---

(١) شرح حديث جبريل، ص (٥٦٢، ٥٦٣).

(٢) الشريعة ص (٩٨)، ط: دار الحديث - القاهرة.

الإيمان لا يتم لأحد حتىٰ يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه، لا يخفىٰ من تدبّر القرآن وتصفّحه وجده كما ذكرت.

واعلموا - رحمنا الله تعالىٰ وإياكم - أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرت في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح، وهذا رد علىٰ من قال: الإيمان: المعرفة؛ ورد علىٰ من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا».

ومن أوضح الأدلة علىٰ أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن حق كلمة التوحيد العمل - هو أمر النبي ﷺ للأعراب بالعمل، وإلزامهم بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «**الأعراب وغيرهم كانوا إذا أسلموا علىٰ عهد النبي ﷺ أُلزموا بالأعمال الظاهرة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ولم يكن أحد يُترك بمجرد الكلمة**، بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها».

فالشرائع وشعب الإيمان وأركان الإسلام ما فرضها الله عَزَّوَجَلَّ إلا لتحقيق الإيمان وإخلاص التوحيد لله، قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «وجدنا أعمال البر وصناعات الأيدي والمساكن كلها تشهد علىٰ اجتماع الاسم وتفاضل الدرجات فيها، هذا في التشبيه والنظر، مع ما احتججنا به من الكتاب والسنة، فهكذا الإيمان هو درجات ومنازل، وإن

---

(١) الإيمان، ص (٢٤٥).

(٢) الإيمان، ص (٧٦).

سُمي أهله اسمًا واحدًا، وإنما هو عمل من أعمال تعبَّدَ الله به عباده، وفرضه علىٰ جوارحهم، وجعل أصله في معرفة القلب، ثم جعل المنطق شاهدًا عليه، ثم الأعمال مصدقة له».

وقال هشام بن عمّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وهو من شيوخ البخاري**[1]: «ومما يبيّن لأهل العقل أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ما جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث: أن الحياء من الإيمان، وأن حسن العهد من الإيمان، وأن للإيمان عُرًىٰ، وأوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله، والبغض في الله.

قالوا: وإن للإيمان أركانًا، ودعائم، وذروة، وحقيقة، ومحبة، وصدقًا، وبرًّا، وحلاوة، وزينة، ولباسًا، وطهرًا».

فلا إسلام بلا عمل، قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ حديث جبريل: «قد جعل النبي ﷺ الإسلام اسمًا لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال ﷺ: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم». والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإسلام والإيمان جميعًا يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فبيّن أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، **ولا يكون الدين في محل الرضا**

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٥٣-١٥٥).

والقبول إلا بانضمام التصديق إلىٰ العمل».

وقال الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ حديث جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام في الظاهر، يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الإسلام ومعظمها، **وبقيامه بها يتم استسلامه**، وتركه لها يُشعر بحل قيد انقياده أو انحلاله»[١].

فحيث لا يوجد عمل فإنه دال علىٰ عدم الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**والقرآن والسنة مملوءان بما يدل علىٰ أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق**، وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنىٰ الصلاة والزكاة، فإن ذلك إنما فسّرتها السنة، والإيمان بيّن معناه الكتاب والسنة، وإجماع السلف».

ولا تتوهم من ذكر بعض أركان الإسلام كالصلاة في بعض الأحاديث أن هذا كافٍ في تحقيق الإيمان، فالنبي ﷺ أراد في مثل هذه الأحاديث ذكر أفضلها، والأحاديث يفسر بعضها بعضًا، فإنه ذكر في سائر الأحاديث أركان الإسلام، وحقوق كلمة التوحيد.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وحيث أجاب النبي ﷺ

---

(١) الإيمان لشيخ الإسلام، ص (٣٤٨، ٣٤٩).

(٢) الإيمان، ص (١٢٢).

(٣) فتح الباري (٤/ ٢١٤).

بذكر الإيمان أو بذكر الصلاة، فإنما مقصوده التمثيل بأفضل مباني الإسلام.

ومراده المباني بجملتها، فإن المباني الخمس كالشيء الواحد، وكل من دخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، أو بالصلاة علىٰ رأي من يرىٰ فعلها إسلامًا، **فإنه يؤمر ببقية المباني، ويُلزم بذلك، ويُقاتل علىٰ تركه**».

وقال ابن رجب أيضًا[١]: «ومراده في كلا الجوابين سائر المباني، لكنه خصّ بالذكر أشرفها، فكأنه قال: الشهادتان وتوابعهما، والصلاة وتوابعها، ولوازمها، وهو بقية المباني الخمس، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**»، فتوهم طائفة من الصحابة أن مراده أن مجرّد هذه الكلمة يعصم الدم حتىٰ توقفوا في قتال من منع الزكاة حتىٰ بيَّن لهم أبو بكر، ورجع الصحابة إلىٰ قوله، **إن المراد الكلمتان بحقوقهما ولوازمهما، وهو الإتيان ببقية مباني الإسلام**، وقد تبيّن صحة قولهم بروايات أُخر تُصرح بإضافة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلىٰ الشهادتين في شرط عصمة الدم، وكذلك قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله لم تمسه النار** – أو: **دخل الجنة** –»، **إنما أراد الشهادتين بلوازمهما، وتوابعهما، وهو الإتيان ببقية أركان الإسلام، ومبانيه**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وإذا كانت الشهادتان هي أصل الدين، وفرعه، وسائر دعائمه، وشعبه داخلة فيهما، فالعبادة متعلقة

---

(١) فتح الباري (٤/ ٢١٥، ٢١٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤١، ٣٤٢).

بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال في الآية المشروعة في خطبة الحاجة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1].

وفي **الخطبة**: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا»، قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وكذلك علّق الأمور بمحبة الله ورسوله، كقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، ورضا الله ورسوله، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وتحكيم الله ورسوله كقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٦١]، وأمر عند التنازع بالرد إلىٰ الله والرسول، فقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وجعل المغانم لله والرسول، فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفال: ١]، ونظائر هذا متعددة».

---

(١) الأحزاب: (٧٠، ٧١).

هذه عقيدة السلف جميعهم يقولون: الإيمان اعتقاد في الجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان تارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون: قول، وعمل، ونية، واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول وعمل. فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعًا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أُطلق».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٢]: «والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل. أراد قول القلب واللسان وعمل الجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأىٰ أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول، وعمل، ونية. قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية. فزاد ذلك، ومن زاد اتّباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة؛ وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد علىٰ المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول، وعمل، ونية، وسنة، الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا

---

(١) الإيمان، ص (١٧١).

(٢) الإيمان، ص (١٧٢).

ونية بلا سنة فهو بدعة».

وترك العمل هو التولي الذي ذكر الله في القرآن أنه صفة الكافرين والمنافقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «نفى الله الإيمان عمن قال بلسانه وقلبه إذا لم يعمل، كما قال تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فنفى الإيمان عمن سوى هؤلاء، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]، والتولي هو التولي عن الطاعة كما قال تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل: ١٥، ١٦]، وكذلك موسى وهارون: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨]، **فعُلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول ﷺ فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي**، فلهذا قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

---

(١) الإيمان.

فنفىٰ الإيمان عمن تولىٰ عن العمل وإن كان قد أتىٰ بالقول، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل - مواضع كثيرة، كما نفىٰ فيها الإيمان عن المنافق، وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة فهذا لم يُسم قط مؤمنًا».

فمن ظن أن الإيمان يتحقق بدون العمل، فهو ضال عن معنىٰ التوحيد، وعن حقيقة التأله لله عَزَّوَجَلَّ، فعن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يؤمن بأربع: حتىٰ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتىٰ يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتىٰ يؤمن بالقدر**»[(١)].

قال الحافظ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٩٠٩هـ)**[(٢)]: «فكل من لم يؤمن بالنبي ﷺ وبما بُعث به فليس بمؤمن، ولا ينفعه قول لا إله إلا الله، فإن بعض اليهود والنصارىٰ يقول: لا إله إلا الله، فدّل ذلك علىٰ أن التوحيد أن يوحّد الله بالعبودية، **ومن وحّده بالعبودية أطاع أمره، واجتنب نهيه، واتّبع ما جاء منه، واتّبع رسوله، فإن طاعة الرسول** ﷺ **من طاعة الله**».

والأحاديث يفسر بعضها بعضًا، فمن ترك العمل لا يُقال في حقه: إنه عبد الله؛ والنبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**هل تدري ما حقُّ الله علىٰ**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٩٧)، والترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره (ص٤٩٣- رقم ٢١٤٥)، وابن ماجه كتاب السنة (ص١٤- رقم ٨١).

(٢) مسألة في التوحيد، ص (٥٩).

العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم! قال: **حق الله علىٰ العباد أن لا يشركوا به شيئًا**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «لما كان الإقرار بالصانع فطريًّا، كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**»، الحديث، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يُعرف ويُعبد، وقد بسطت هذا المعنىٰ في غير هذا الموضع.

وكان المقصود بالدعوة وصول العباد إلىٰ ما خُلقوا له من عبادة ربهم وحده لا شريك له، **والعبادة أصلها عبادة القلب، المستتبع للجوارح**، فإن القلب هو الملك، والأعضاء جنوده، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، وإنما ذلك بعلمه، وحاله كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته، ومحبته، هو أصل الدعوة في القرآن، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾».

فالتلازم بين الإيمان في الباطن والظاهر معلوم، كما قال النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»، فمتىٰ وُجد إيمان في القلب انبعثت الجوارح إلىٰ العمل، وضلت الجهمية والمرجئة في هذا الباب، وظنوا أن الكفر انتفاء التصديق بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (ص٤٧٢- رقم ٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (ص٣٦- رقم١٤٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٦، ٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**متىٰ وُجد الإيمان الباطن وُجدت الطاعات، هذا مذهب السلف وأهل السنة،** والمرجئة الجهمية تقول: قد يكون الإيمان الباطن تامًّا كاملًا والطاعات لم توجد.

وغلط المرجئة في ثلاثة أوجه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون العمل الذي في القلب كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، والتوكل، والشوق إلىٰ لقائه.

والثاني: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون العمل الظاهر، وهذا يقول به جميع المرجئة.

الثالث: قولهم: كل من كفّره الشارع فإنما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكثير من المتأخرين لا يميّزون بين مذاهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية؛ لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو باطنه يرىٰ رأي الجهمية والمرجئة في الإيمان، وهو مُعظّم للسلف والحديث، فيظن أنه يجمع بينهما، أو يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف».

علىٰ كل حال التلازم بين الظاهر والباطن في الإيمان معلوم، ولا يصح الإيمان بدون عمل، ولكن هناك عمومات فُهمت علىٰ غير الوجه الصحيح، وهذه العمومات ثلاثة أقسام:

الأول: النصوص الواردة في ذكر الإيمان بالشهادتين دون ذكر شرائع الإسلام والأعمال.

---

(١) الإيمان، ص(٣٥١، ٣٥٢).

الثاني: النصوص الواردة في عدم خلود من لم يعمل خيرًا قط، وإخراجه من النار.

الثالث: النصوص الواردة في رجحان الشهادتين في مقابل كل السيئات، وإدخالها صاحبها الجنة.

فالجواب عن هذا كالآتي:

أولًا: الأحاديث الواردة في أن من أتىٰ بالشهادتين دخل الجنة، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رديفه علىٰ الرحل، فقال: «**يا معاذ!**».

قال: لبيك رسول الله وسعديك!

قال: **يا معاذ!**.

قال: لبيك رسول الله وسعديك!

قال: يا معاذ!

قال: لبيك رسول الله وسعديك!

قال: **ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا عبده ورسوله إلا حرّمه الله علىٰ النار.**

قال: يا رسول الله، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا؟

قال: **إذًا يتكلوا!**

فأخبر بها معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند موته تأثمًا[(١)].

فهذا الحديث مجمل، والمجمل يجب رده إلىٰ المبيّن، والنصوص الكثيرة تدل علىٰ أنه لا إيمان لمن أسقط أركان الإسلام ولم يعمل، فهذا متولي وليس بمؤمن، لأن حقيقة الإيمان الإقرار والانقياد. فيجب أن يُفهم هذا الحديث ونحوه في ضوء النصوص الأخرىٰ من القرآن والسنة حيث رُتِّب فيها دخول الجنة علىٰ الأعمال الصالحة، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٣]، وقوله: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

ولذلك لما قيل لوهب بن منبّه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟

قال: نعم، ولكن ليس مفتاح إلّا له أسنان، فمن جاء به بأسنانه فُتح، وإلا لم يُفتح[(٣)].

وقال الحسن بن عميرة: قيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. قال: من قال: لا إله إلا الله. فأدّىٰ حقها وفرضها، دخل الجنة[(٤)].

ووجّه هذا الحديث الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[(٥)]: «إنما كان هذا في أول

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا (ص٢٨- رقم ١٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (ص٣٧- رقم ١٤٨).

(٢) السجدة: (١٧).

(٣) علّقه البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (ص١٩٨).

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٥٢).

(٥) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ص(٥٩٩).

الإسلام، قبل نزول الفرائض والأمر والنهي».

وقال الحافظ الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإن احتجّ محتجّ بالأحاديث التي رويت «**من قال: لا إله إلا الله. دخل الجنة**»، قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض، علىٰ ما تقدّم ذكرنا له، وهذا قول علماء المسلمين، ممن نفعهم الله تعالىٰ بالعلم، وكانوا أئمة يقتدىٰ بهم، سوىٰ المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم في كل بلد».

وقال الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وجائز أن يكون اختصارًا من رسول الله ﷺ فيما خاطب به كفار العرب عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مضمونًا بسائر ما يتوقف عليه الإسلام، ومستلزمًا له.

والكافر إذا كان لا يقر بالوحدانية كالوثني والثنوي، فقال: لا إله إلا الله. وحاله الحال التي حكيناها حُكم بإسلامه.

ولا نقول والحال هذه ما قاله بعض أصحابنا: من أن من قال: لا إله إلا الله. يُحكم بإسلامه، ثم يُجبر علىٰ قبول سائر الأحكام؛ فإن حاصله راجع إلىٰ أنه يُجبر حينئذ علىٰ إتمام الإسلام، ويُجعل حكمه حُكم المرتد، إن لم يفعل من غير أن يصير بذلك مسلمًا في نفس الأمر، وفي أحكام الآخرة».

فالمقصود بالأحاديث التي جاء فيها أن من قال: لا إله إلا الله. فهو

(١) الشريعة (١/ ٢٤٧).

(٢) صيانة صحيح مسلم، ص (١٧٣، ١٧٤).

مؤمن، أو دخل الجنة - بيان مفتاح الإسلام وبابه الذي يدخل منه إلى الجنة وبيان ما يتميز به المسلم ظاهرًا في الدنيا عن أهل الملل كاليهود والنصارىٰ، ولم يرد بذلك أن صاحبها يدخل الجنة بمجرد هذا الإقرار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولما كان كل من أتىٰ بالشهادتين صار مسلمًا متميزًا عن اليهود والنصارىٰ، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري علىٰ المسلمين».

ثم قال موضحًا أكثر[٢]: «قوله: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، فإنما أريد من أظهر الإسلام، فإن الإيمان الذي عُلقت به أحكام الدنيا، هو الإيمان الظاهر، وهو الإسلام، فالمسمىٰ واحد في الأحكام الظاهرة، ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**»، أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة، لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار».

وقد سُئل الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»، هل هو منسوخ؟

فأجاب: «بل هو محكم ثابت، لكن زيد فيه، وضُم إليه شروط أخر، وفرائض فرضها الله علىٰ عباده»[٣].

---

(١) الإيمان، ص (٣٩٧).

(٢) الإيمان، ص (٣٩٨).

(٣) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣).

وبمثل قول الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجاب الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث قال[1]: «المراد من هذه الأحاديث: **أن لا إله إلا الله سببٌ لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه**، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن، ووهب ابن منبه، وهو الأظهر».

ثانيا: حديث: «**لم يعمل خيرًا قط**»، فهذا الجواب عنه يأتي بتحقيق معنىٰ «الخير»، المنفي في الحديث، فإذا حقّقت المنفي زال الإشكال واتضح المقال.

وهنا لا بد من ذكر قاعدة الشريعة في الأسماء الشرعية في النصوص حتىٰ يتضح المراد، وهذه القاعدة مأخوذة من استقراء نصوص الشرع كقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[2]، وقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ليس المسكين بهذا الطوّاف**»[3]، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات كالجبال، وقد ضرب هذا وشتم هذا، وأخذ مال هذا**»[4]، وقوله عليه أتم الصلاة والسلام: «**ليس الشديد بالصرعة**»[5]،

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (ص٥- رقم ١٠) ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، (ص٤٠- رقم ١٦١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ (ص٢٤٠- رقم ١٤٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (ص١١٢٩- رقم ٦٥٧٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب (ص١٠٦٦- رقم ٦١١٤)، ومسلم، =

وقوله ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن الشارع لا ينفي مسمىٰ اسم شرعي إلا لانتفاء كماله الواجب».

فهذا الذي قال فيه النبي ﷺ: «**لم يعمل خيرًا قط**»، المراد: أنه فاته الكمال الواجب من الأعمال، لا أركان الإسلام.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هذه اللفظة: «**لم يعملوا خيرًا قط**». من الجنس الذي يقول العرب: ينفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنىٰ هذه اللفظة علىٰ هذا الأصل، لم يعملوا خيرًا قط علىٰ التمام والكمال، لا علىٰ ما أوجب عليه وأمر به».

ثالثًا: النصوص الواردة في رجحان الشهادتين في مقابل كل السيئات:

فهؤلاء مؤمنون من أعمالهم الشهادتان ولوازمها وحقوقها ومن أعظمها الصلاة، **ولا يُراد بالشهادتين التلفظ بهما مجردتين عن حقوقهما**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «والحسنة الواحدة قد يقترن بها من الصدق واليقين ما يجعلها تُكفِّر الكبائر، كالحديث الذي في صاحب

=

كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، (ص١١٣٩ - رقم ٦٦٤٣).

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٥)، وأبو يعلىٰ (٥/ ٢٤٦)، وصححه ابن حبان (١/ ٢٠٨)، وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن تيمية، ص (١١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٨١).

(٣) التوحيد (٢/ ٧٣٢).

(٤) مختصر الفتاوىٰ المصرية، ص (٥٧٧).

البطاقة الذي يُنشر له تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل منها مد البصر، ويؤتىٰ ببطاقة فيها كلمة لا إله إلا الله، فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة، وطاشت السجلات، وذلك لعظم ما في قلبه من الإيمان واليقين، وإلا فلو كان كل من نطق بهذه الكلمة تكفر خطاياه لم يدخل النار من أهل الكبائر المؤمنين، بل والمنافقين أحد، وهذا خلاف ما تواترت به الآيات والسنن، وكذا حديث البغي».

وأما خروج من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فهذا فيه دليل علىٰ ذهاب بعض الإيمان، وهو الذي من أجله دخل النار، وبقاء بعضه وهو الذي من أجله يخرج من النار إلىٰ الجنة، وهذا فصل ما بين أهل السنة وسائر الفرق المبتدعة الذين جعلوا الإيمان قطعة واحدة، إمَّا أن يبقىٰ كله أو يذهب كلُّه!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبطلًا عقيدة فرق الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية[١]: «وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان**»، فأخبر أنه يتبعض ويبقىٰ بعضه، وأن ذاك من الإيمان، فعُلم أن بعض الإيمان يزول ويبقىٰ بعضه».

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس في معنىٰ حديث البطاقة، حيث قال[٢]: «التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلىٰ بجميع الأقوال والأعمال، والمنع،

(١) شرح حديث جبريل، ص (٣٩٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٠-٣٣٢).

والعطاء، والحب، والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلىٰ المعاصي، والإصرار عليها.

ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: «**إن الله حرّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»، وقوله: «**لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله**»، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت علىٰ كثير من الناس، حتىٰ ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي، واستقرار الشرع، وحملها بعضهم علىٰ نار المشركين والكفار، وأوّل بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنىٰ لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة.

والشارع - صلوات الله وسلامه عليه - لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرّد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد من قول القلب، وقول اللسان؛ وقول القلب: يتضمن من معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنىٰ بالقلب علمًا، ومعرفة، ويقينًا، وحالًا، ما يوجب تحريم قائلها علىٰ النار.

وكل قول رتّب الشارع ما رتّب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام كقوله ﷺ: «**من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حُطت عنه خطاياه**

- **أو: غفرت ذنوبه - ولو كانت مثل زبد البحر**»[١]، وليس هذا مرتبًا علىٰ مجرّد قول اللسان.

نعم من قالها بلسانه، غافلًا عن معناها، معرضًا عن تدبّرها، ولم يواطيء قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيًا مع ذلك ثوابها، حَطَّت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التي تُوضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل منها مَدُّ البصر، فتثقل البطاقة و تطيش السجلات، فلا يُعذب.

ومعلوم أن كل مُوحّد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثَقَّلَ بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة».

قال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على حديث البطاقة[٢]: «وحديث البطاقة من هذا الباب؛ فإن صاحب البطاقة لم يعذَّب؛

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (ص١١٢- رقم ٦٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ص١١٧١- رقم٦٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) شرح تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٣٤-٣٣٥).

لأنه أتى بهذه الشهادة على وجه أدى فيه حقوقها، فصارت هذه الشهادة محرقة لسيئاته، متضمنة لتوبته منها، وإقلاعه عنها، بصدقه في هذه الكلمة وعنايته بها، حتى صارت هذه الكلمة راجحة لسيئاته الكثيرة؛ لأنه أداها آخر حياته، وعند موته عن صدق وعن إخلاص، وعن ندم وعن إقلاع، وعن توبة من سيئاته التي بلغت تسعة وتسعين سجلًّا. والنصوص تفسر بعضها بعضًا، ويوضح بعضها بعضًا، ويؤيد بعضها بعضًا، ومن أخطأ هذا الطريق، وترك هذا السبيل الذي سلكه أهل العلم، لم يستقم له فهم النصوص، ولم يعرف مراد الله مما أمر الله به عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد يفضي به ذلك إلى سوء الظن بالله، وإلى الحكم بتناقض الأدلة فيهلك بهذا، نسأل الله العافية».

فمعرفة حقيقة التوحيد هو الذي يعصم الإنسان من توهم أن الإيمان مجرد قول اللسان، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فالدين كله توحيد؛ لأن التوحيد إفراد الله بالعبادة، وأن تعبده مخلصًا له الدين، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فيدخل في ذلك قول القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح. وترك المحظورات والمنهيات داخل في مسمَّىٰ العبادة، ولذلك فسِّر قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، بالتوحيد في العبادة؛ لأنَّ الخصومة فيه، وهو تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا».

(١) عيون الرسائل (٢/ ٥٧٥).

فالتوحيد حقيقته تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، وهو انقياد وإقرار وإذعان لأمر الله ونهيه، قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠هـ)[١]: «إن المعنىٰ الذي يستحق به اسم مؤمن بالإطلاق، هو الجامع لمعاني الإيمان، وذلك أداء جميع فرائض الله - تعالىٰ ذكره - من معرفة وإقرار وعمل.

وذلك أن العارف المعتقد صحَّة ما عرف من توحيد الله - تعالىٰ ذكره - وأسمائه وصفاته، فكذلك العارف بنبوة نبي الله ﷺ، المعتقد صحة ذلك، وصحة ما جاء به من فرائض الله.

وذلك أن معارف القلوب عندنا اكتساب العباد وأفعالهم، وكذلك الإقرار باللسان بعد ثبوته، وكذلك العمل بفرائض الله التي فرضها علىٰ عباده، تصديق من العامل بعمله ذلك لله - جل ثناؤه - ورسوله ﷺ.

كما إقراره بوجوب فرض ذلك عليه، تصديق منه لله ورسوله بإقراره أن ذلك له لازم فإذ كل هذه المعاني يستحق علىٰ كلٍّ واحد منهما علىٰ انفراده اسم الإيمان.

وكان العبد مأمورًا بالقيام بجميعها كما هو مأمور ببعضها، وإن كانت العقوبة علىٰ تضييع بعضها أغلظ، وفي تضييع بعضها أخف، كان بيِّنًا أنه غير جائز تسمية أحد مؤمنًا ووصفه به مطلقًا من غير وصل إلا لمن استكمل معاني التصديق الذي هو جماع أداء جميع فرائض الله».

(١) التبصير في معالم الدين، ص (١٩٠، ١٩١).

تنبيه الإمام إلى مراتب الناس في التوحيد

كان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحًا وحاذقًا في تصنيف كتاب التوحيد، فإنه قصد حفظ أديان الناس، وصيانة توحيدهم من أي خلل؛ مما يوجب سعادتهم في الدارين، ولذلك جاءت كل الأبواب في بيان حق الله الخالص، والتحذير مما يضاده، ولم يكتف بهذا فقط، بل دلَّهم علىٰ أعلىٰ مراتب التوحيد التي من حققها دخل الجنة بغير حساب.

والملاحظ أنه نبّه علىٰ هذا في بداية الكتاب حتىٰ تزكو نفوس الموحدين، وتسمو إلىٰ طلب الأعلىٰ، فإنه في الباب الثاني [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][1] ساق قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبهًا في المسائل في المسألة الأولىٰ[2]: «**معرفة مراتب الناس في التوحيد**»، فإبراهيم أمة، يعني: إمام، فهو إمام الموحدين وقدوتهم، وأمر نبينا ﷺ باتباع ملته: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وإبراهيم كما نعته الله: ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، فقام في كل ما أمره الله من المقامات العظيمة من تحقيق كمال التوحيد وبناء الكعبة، والوقوف في

(١) كتاب التوحيد، ص (٧).

(٢) القول السديد، ص (٢١).

المشاعر، والأذان في الناس في الحج، وفي قرىٰ الضيف، وفي الهجرة، وفي قصد ذبح ابنه، فشرع الله بسبب ذلك الأضحية إلىٰ يوم القيامة، إلىٰ غير ذلك من المقامات العظيمة.

الدليل الثاني من الباب نفسه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩][١]. وهذا دليل واضح علىٰ فضل كمال التوحيد، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته علىٰ الحقيقة، ومحبته، وقبوله، والدعوة إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]. وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه».

والدليل الثالث: حديث حصين بن عبد الرحمن في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون، وعلىٰ ربهم يتوكَّلون[٣].

فهؤلاء استحقوا هذا الفضل وهو دخول الجنة بغير حساب؛ لعظم توكلهم علىٰ الله، وذلك لكمال توحيدهم.

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فتركوا الشرك رأسًا، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألوه الرقية، فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يُراد للشفاء؛ والحامل لهم علىٰ ذلك قوة توكلهم علىٰ الله، وتفويض

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٧).
(٢) قرة عيون الموحدين، ص (٣٧).
(٣) كتاب التوحيد، ص (١٠).
(٤) حاشية كتاب التوحيد، ص (٤٦، ٤٧).

أمورهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وصدق الالتجاء إليه، وإنزال حوائجهم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاعتماد بالقلب الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، وهو الأصل الجامع، الذي تفرعت عنه تلك الأفعال والخصال، وعطفه علىٰ تلك من عطف العام علىٰ الخاص؛ لأن كل واحدة منها صفة خاصة من التوكل وهو أعم من ذلك، والحديث لا يدل علىٰ أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلًا علىٰ الله، كالاكتواء والاسترقاء، وأما مباشرة الأسباب والتداوي علىٰ وجه لا كراهية فيه - فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا، لما في الصحيحين: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**». وأخرج أحمد: «**يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد**. قالوا: ما هو؟ قال: **الهرم**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، وتعطيلها يقدح في التوكل، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا أوصاف الكمل من الموحدين**[1]: «فإنَّ تحقيق التوحيد وتهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر،

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٢٢).

ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تُكدِّر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره.

فمن حقَّق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدّقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلىٰ الله، ولم يجرح ذلك بالإصرار علىٰ شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلىٰ دخولها وإلىٰ تبوُّء المنازل منها.

ومن أخص ما يدل علىٰ تحقيقه كمال القنوت لله وقوة التوكُّل علىٰ الله بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودًا بها وجه الله، متبعًا فيها رسول الله ﷺ.

والناس في هذا المقام درجات، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾، وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوي الخالية من الحقائق، ولا بالحلىٰ العاطلة، وإنَّما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدَّقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد علىٰ هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها، والله أعلم».

ومن تنبيه الإمام إلىٰ مراتب الناس في تحقيق التوحيد تمييزه بين من حقّق

التوحيد، ومن عبد الله علىٰ حرف، فإنه في باب [ما جاء في الذبح لغير الله][1] ساق حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجلٌ في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتىٰ يُقرِّب له شيئًا، قالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرِّب. قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلّوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ. **فضربوا عنقه، فدخل الجنة**». رواه أحمد[2].

فهذا من أوضح الأدلة التي أقامها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ للتمييز بين المحقق للتوحيد، وبين من عبد الله علىٰ حرف، فمن عبد الله علىٰ حرف يُسارع إلىٰ الشرك، ولأدنىٰ وعيد وتهديد، ولو لم يحصل له إكراه، والمتحقق بالتوحيد يثبت علىٰ عقيدته، ويلزم توحيده مهما أراد أهل الشر إيقاعه في الشرك.

* * *

(١) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢١، ٢٢).

تبشير الإمام بنصرة الله للمحقين

الإنسان المحق إذا كان مؤتمًّا بالقرآن والسنة بفهم السلف فهو علىٰ بصيرة من أمره، يسير بخطىٰ ثابتة في سبيل الله، يدعو إلىٰ توحيد الله وإقامة شرعه؛ لأن هذا حق الله، ولأن الله تعبَّدنا بدينه وشرعه، ولأن هذا صلاح للبشرية، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والمؤمن يعلم أن أهل الباطل يضادون أهل الحق، ويعارضونهم ويتواصون علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]. فهذا يوجب علىٰ طالب العلم والداعية إلىٰ السنة الاستعداد النفسي لذلك، والتسلح بالعلم لنصرة العقيدة والسنة، والاجتهاد في الطاعة؛ فإنه خير زاد في الثبات علىٰ أمر الله وشرعه، فإذا حضر الصف سواء في المناظرات أو في الجهاد الشرعي ثبت وقام بما فرض الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وليبشر أهل السنة بالظفر إذا صدقوا الله، وبذلوا أسباب تحصيل القوة، وحسن تدبيرهم للأمور، وصبروا، ولزموا طاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟

ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وأهل السنة إذا تقابلوا هم وأهل البدعة فلهم نصيب من تقابل المؤمنين والكفار، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٥٩، ٦٠]».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يسير بخطىٰ ثابتة وهو صابر في دعوته، الناس من حوله يضادونه ويعادونه، ويسبونه، بل ومنهم من قصد قتله، وهو ثابت ماضٍ في شأنه، يستشعر معية الله، ونصره لأوليائه، ويحقق توحيد الله في حياته العلمية والعملية، فمن يعرف ما في نصوص القرآن والسنة من نصرة الحق لا يرتاب في ذلك، ولا يتنكر لدعوته وعقيدته ودينه لتهويش الجاهلين، والمبتدعين.

وهذا ما نصح به الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل الحق في السير عليه في كتاب التوحيد.

ففي باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][(٣)]، أورد ما رواه البرقاني في مستخرجه علىٰ صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال[(٤)]: «**لا تقوم الساعة**

---

(١) محمد: (٧). (٢) الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٩٩).

(٣) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد ص (٤٢).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٥).

حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبُدَ فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

وفي مسائل هذا الباب قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضىٰ، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم».

ولمّا كان هذا الأمر بهذه الأهمية عقد له بابًا خاصًّا، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤][2]. وساق فيه قول الله تعالىٰ: ﴿**ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ**﴾ [الفتح: ٦]. ثم قال[3]: «قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية الأولىٰ: فُسِّر هذا الظنُّ بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ﷺ، وأن أمره سيضمحلُّ، وفُسر بأنَّ ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، وأن يُظهره الله علىٰ الدين كله.

وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما

---

(١) القول السديد، ص (٧٩، ٨٠).

(٢) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٩٦-٩٨).

كان هذا ظنَّ السوء، لأنه ظنٌّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديل الباطل علىٰ الحق إدالةً مستقرة يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرَّدة - فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا من عرَف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتًا علىٰ القدر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتّش نفسك: هل أنت سالم؟!

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيًا»

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» - ساق أحاديث غربة الإسلام، وفي خاتمتها ساق الرواية المفسرة للغرباء، وهم الذين يصلحون إذا فسد الناس[1].

وساق كذلك في خاتمة رسالته «مفيد المستفيد» رسالة كتبها شيخ الإسلام

---

(١) مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٢٢٢).

ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في السجن؛ جوابًا لمن كتب له ناصحًا بالرفق بخصومه، ولجمالها واستلهام معانيها نوردها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما بعد فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين، أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه، وكتب في قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق، وأخرجهم مخرج صدق، وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان، وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا الصبر والإيقان، والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن، لكن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يُميّز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان؛ إذ قد دلّ كتابه علىٰ أنه لا بد من الفتنة لكل من ادّعىٰ الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان، فقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ١-٤].

فأنكر سبحانه علىٰ من ظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب، وأن مُدَّعي الإيمان يُتركون بلا فتنة تَميز بين الصادق والكاذب، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله، فقال تعالىٰ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ

(١) مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٢٢٣-٢٢٤).

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٤-١٥]. وأخبر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بخسران المتقلب علىٰ وجهه عند الفتنة، الذي يعبد الله فيها علىٰ حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت علىٰ الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون علىٰ الامتحان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، إلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٨].

فإذا أنعم الله علىٰ الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يُقضىٰ له من القضاء خيرًا له، كما قال النبي ﷺ: «**لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته ضراء فصبر فكان خيرًا له**». والصبّار الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه،

ومن لم يُنعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشرِّ حال، وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي به إلىٰ قبيح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان؟ فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما يحب ربنا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله».

فالذي يعبد الله علىٰ حرف إذا رأىٰ معارضة أهل الباطل للحق زلت قدمه خصوصًا إذا كان للمعارضين شوكة وقوة، فإذا انضاف إلىٰ ذلك ظهور الباطل هلك وارتاب في دينه، ولم يعرف حكمة الله في قدره وتدبيره.

والمؤمنون الموحدون يعلمون أن لو يشاء الله لم يأذن في الكفر والبدع ابتداءً، وأن لو يشاء كذلك لانتصر من الكافرين، فإن الله إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن. فيكون، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قضىٰ كونًا بوقوع الكفر وظهور البدع، وذلك ليبتلي المحقين بالمبطلين، وليصطفي المحقين، ويديل الحق علىٰ الباطل بالأسباب التي قدّرها سبحانه من تحقيق التوحيد والعمل الصالح، وبذل الأسباب التي توجب الظفر علىٰ العدو، من تحصيل العلم وطلبه، وكذلك من إعداد القوة، فالعلم يُدحض به جدال المبطلين، والقوة المادية يدفع بها صولة الكافرين والمبتدعين.

فالمقصود أن الموحّد يعرف حكمة الله في معارضة الكافرين والمبتدعين للحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن أعظم أسباب ظهور

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٣).

الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين - ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وذلك أن الحق إذا جُحد وعُورض بالشبهات أقام الله تعالىٰ له مما يُحق به الحق ويُبطل به الباطل من الآيات والبينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة».

فابتلاء المحقين بالمبطلين تمحيص للمؤمنين، ومن أسباب ظهور الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فالحق كالذهب الخالص، كلما امتُحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المغشي، إذا امتحن ظهر فساده، فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر؛ ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين، والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل؛ أقام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من يقذف بالحق علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».

وأراد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما ذكره في« مفيد المستفيد» التأسي بالنبي ﷺ، فالعلماء ورثة الأنبياء يبتلون بالمعارضين للحق، ثم تكون لهم العاقبة، قال العلامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ولعل لم يبل أحد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ١٥).

(٣) دعوة التوحيد، ص (٢٣٤).

من الرسل عليهم الصلاة والسلام في سبيل التوحيد، ويبلغ الغاية القصوىٰ في تقريره والدعوة إليه ويجاهد في ذلك بكل ممكن، كما فعل نبي الإسلام صلوات الله عليه وسلامه، ولا غرو فهو الذي اختارته العناية الإلهية لحمل أعظم رسالة، رسالة الكمال والتمام التي جاءت بالصور النهائية الكاملة لدين الله وتوحيده، بعد أن شوّهها أهل الأديان، وجعلوها مزقًا، وخرقوا سياجها بما أحدثوا في أديانهم من ألوان الشرك والابتداع، وإن المتأمل في سيرته ﷺ بعد البعثة ليجدها سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الدائب لإعلاء كلمة التوحيد، وتقويض دعائم الشرك ومحاربة الوثنية في كل صورها ومظاهرها».

ثم ذكر العلامة هرّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهاد النبي ﷺ وصبره ثلاثة عشر عامًا في مكة في دعوته إلىٰ التوحيد، ثم هجرته إلىٰ مكة، ثم جهاده في المدينة في غزواته كلها إلىٰ أن فتح الله عليه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، قال العلامة محمد هرّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهكذا كانت حياته كلها ﷺ جهادًا دائبًا لا يفتر ولا يني حتىٰ جاءه نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وهكذا بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه من السمو في الدعوة والجهاد الغاية التي تتضاءل دونها كل همّة، وتتضامن عندها جميع الرقاب».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مبينًا فضل التوحيد، وأنه الموجب للظفر علىٰ المبطلين[2]: «ومن فضائل التوحيد أن الله تكفَّلَ لأهله

---

(١) دعوة التوحيد، ص (٢٣٧).

(٢) القول السديد، ص (١٩).

بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية والتيسير لليسرىٰ، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

ومنها أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة».

وهذا الذي ذكره العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلوم، فأساس النصر هو تحقيق التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. فـ«الذين آمنوا»، هم الذين حققوا التوحيد ولم يشركوا بالله شيئًا.

ومن حقق التوحيد كان أقوىٰ قلبًا من المشركين، والمبتدعين، فحياة قلبه مادتها التوكل علىٰ الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وانظر إلىٰ مقامات أئمة التوحيد كادهم أهل الشر، فتوكلوا علىٰ الله حق توكله، ونصرهم الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[1].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن هذه الكلمة قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ - يعني: وأصحابه - حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم.

---

(١) آل عمران: (١٧٣، ١٧٤).

وأهل السنة ولله الحمد هم الظاهرون في غالب أقطار الدنيا، مكّن الله لهم، ومن كان مستضعفًا في بلاد البدع المكفرة سيجعل الله له فرجًا.

قال العلامة يحيىٰ العمراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٨ هـ)**[1]: «فلينظر الآن في الظاهر من مذاهب فرق الأمة، ولا شكَّ عند من أنصف في النظر أن الظاهر منها في الأقطار والأمصار هو مذهب أصحاب الحديث وأهل السنّة، دون مذهب القدريّة وغيرهم من أهل الأهواء، فيعلم أنه دين الحق الذي وعد الله بظهوره.

فإن قيل: فبأي شيء استدللتم علىٰ ظهوره؟

قلنا: ظهوره بأمور: إن نظرت إلىٰ الكثرة بالعدد وجدت الدهماء في الآفاق من بلاد الإسلام جمع الله همّهم علىٰ اتّباع أئمّة مشهورين بالعلم أفنوا أعمارهم بجمع أقوال الصحابة والتابعين، وعلموا أدلتهم من الكتاب والسنة والقياس، واجتهدوا فيما اختلفوا فيه، فما أدّىٰ اجتهاد كلّ واحد إليه اختاره مذهبًا ونصره، وهم: الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد، وداود؛ فتتبعهم الخلق لما أبانوه من طرق الاجتهاد، ولم يشذَّ عنهم إلا من لا علم عنده بذلك، وإنما أفنىٰ عمره بعلم الفلاسفة والمتكلمين وهم القدرية، والزيدية، وغيرهم من أهل الأهواء، ولا يعتدّ بخلافهم؛ إذ لا نظر لهم بها».

وأوضح شيء وأظهره علىٰ أن الله مكَّن لأهل السنة دينهم الذي ارتضىٰ لهم، هو أن القرآن حُفظ بواسطتهم، وتوارثوه منذ عهد النبوة إلىٰ يومنا هذا، فأسانيد القراء محفوظة كلها بواسطة أهل السنة.

---

(١) الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ١٥٩، ١٦٠).

فالصحابة قلوبهم كانت أوعية لكتاب الله، وفي قتال أهل الردة لما استحرّ القتل في القراء قال عمر لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إني أخشىٰ أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن»[١].

وهذا دال بلا ريب علىٰ أن قلوب الصحابة هي التي حفظت القرآن، ومن صدورهم كُتب المصحف، وأن أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لهم المنّة علىٰ جميع الأمة في جمع القرآن وحفظه للأمة.

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «القرآن - ولله الحمد - وصل إلينا بالإسناد الصحيح المتواتر المجمع عليه بنقل الوسائط الثقات الضابطين، عن أمثالهم كذلك، حتىٰ إلىٰ النبي ﷺ، والنبي ﷺ تلقىٰ القرآن عن جبريل عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، عن رب العالمين عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وهي القرآن، تلقاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصحابة خير القرون، وأخذه عنهم التابعون، وهلمَّ جرًّا، حتىٰ انتهىٰ علم ذلك إلينا، وحصلت بركاته لدينا، وفاضت أنواره علينا، وأعلىٰ الوسائط في ذلك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ».

وكذلك السنة النبوية فأهلها وحملتها هم أهل السنة والجماعة فالكتب التي نقلت للأمة أحاديث النبي ﷺ هي مسانيد وصحاح وسنن أهل السنة والجماعة، كمسند أحمد، وأبي يعلىٰ الموصلي، وصحيح البخاري ومسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود،

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (ص٨٩٤- رقم ٤٩٨٦).

(٢) مجالس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾، ص (٢٧٩).

وجامع الترمذي، وموطأ مالك، وصحيح ابن خزيمة، وغيرها.

وأما فرق المبتدعة فكتبهم محصورة معدودة، وهي مجمع الموضوعات، والضعاف، وبعض هذه الفرق ليس لها إلا كتاب واحد.

وخير شاهد علىٰ أن أحاديث النبي ﷺ حملتها وحفظتها هم أئمة السنة، والجماعة، وأن مرد أهل القبلة جميعًا إلىٰ أهل السنة وأنهم هم الشهداء علىٰ الأمة جميعًا - هو أن أئمة الجرح والتعديل هم أهل السنة فقط، لا يشركهم فيه أحد.

قال أبو القاسم الطبري اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المبتدعة[(١)]: «لا ارتفعت لأحد منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلت من الأيام».

فأئمة الجرح والتعديل المعتمد قولهم في تعديل الرواة وتجريحهم كلهم أئمة السنة كشعبة، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن المديني، وأبي حاتم الرازي، وأبي زرعة الرازي، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وسائر إخوانهم.

قال إسحاق بن موسىٰ الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ما مُكّن لأحد من هذه الأمة ما مكّن لأصحاب الحديث، يعني لأئمة أهل الحديث العالمين النقاد لآثار رسول الله ﷺ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال في كتابه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾. فالذي ارتضاه الله عَزَّوَجَلَّ قد مكّن لأهله فيه، فيقبل منهم - يعني قولهم - في رواة حديث رسول الله ﷺ وحديث أصحابه إن كان منهم رجل أحدث بدعة سقط حديثه، وإن كان أصدق الناس، ولم يكن لأصحاب

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٥).
(٢) الجرح والتعديل (٢/ ١٩).

الأهواء أن يقبل - يعني قولهم - في روايتهم حديثًا واحدًا عن رسول الله ﷺ؛ لأن أصحاب الأهواء ليس هم علىٰ الدين الذي ارتضاه الله عَزَّوَجَلَّ».

فعلىٰ طالب العلم أن يكون واثقًا بربه ملازمًا لصحيح الاعتقاد، مقبلًا علىٰ طاعة ربه، مجتنبًا لمساخطه ونواهيه، عارفًا بسنة الله في خلقه من ابتلاء الحق بالباطل، والعاقبة للمتقين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن

الباطل قد يرتفع أحيانًا، وارتفاعه بسبب ذنوبنا، أما الغلبة والظهور التام فهو للحق، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وانظر إلىٰ سيرة النبي ﷺ فإن فيها العبرة، فالصحابة في غزوة أحد عصوا أمر الرسول ﷺ، فتركوا جبل الرماة فظهر عليهم الكفار، ثم لازموا طاعة الرسول ﷺ بعد ذلك فأزالوا دولة المشركين الكافرين، وفتحوا مكة وأزالوا الأصنام من حول الكعبة، وأقاموا التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وإن كان الصحابة عصوا الرسول ﷺ بنزولهم من الجبل، فنحن اليوم تركنا وضيّعنا وفرّطنا في جبال من التكاليف، وهذا لا شك أنه من أسباب تسلط العدو، والذنوب تضعف قوة القلب، والتوبة تصقلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما يوقع النفوس في المحرمات: الجهل، أو الحاجة، فأما العالم بقبح الشيء، والنهي عنه، فكيف يفعله، والذين

يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد.

وقد تكون بهم حاجة إليها، مثل الشهوة إليها، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة، ولا يعلمون ذلك، لجهلهم، أو تغلبهم أهواؤهم حتىٰ يفعلوها، والهوىٰ الغالب يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئًا، فإن «حبك الشيء يعمي ويصم»، ولهذا كان العالم من يخشىٰ الله. وقال أبو العالية: سألت أصحاب محمد ﷺ عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧]، فقالوا: كل من عصىٰ الله فهو جاهل، وكل من تاب فقد تاب من قريب»[(١)].

* * *

(١) اللمعة في الأجوبة السبعة (٥٩، ٦٠).



لزوم الجماعة في التوحيد

كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو عقيدة أهل السنة والجماعة، فأهل السنة اجتمعوا علىٰ العمل بالقرآن والسنة وفهمهما بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، قال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الحجة إذا كانت من كتاب الله تعالىٰ، ومن سنة رسول الله ﷺ، فليس لمخالف حجة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فإن معرفة مراد الرسول ﷺ، ومراد الصحابة هو أصل العلم، وينبوع الهدىٰ».

هذا منهج أهل السنة في تدوين عقيدتهم، فلهذا لما سُئل عبد الرزاق عن الإيمان قال[3]: «أدركت أصحابنا: سفيان الثوري، وابن جريج، وعبد الله ابن عمر، ومالك بن أنس، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. فقال له بعض القوم: فما تقول أنت يا أبا بكر؟ قال: **إن خالفتهم فقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين**».

هذه طريقة المتقدمين والمتأخرين من أئمة السنة في التدليل لصحة عقيدتهم

(١) الشريعة (١/ ٣٣٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤١٣).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٥٣).

بالاستدلال بسلف الأمة، وهذا هو الحد الفاصل بين السني والبدعي، فالسني يقول: قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال الصحابة أولوا العرفان. أما المبتدع فترىٰ مصنفاته في العقيدة غير مبنية علىٰ عقيدة السلف، قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولكل مخالف للسنة وطريقة أهل الأثر ما يفتضح به عند التأمل، وأهل الأثر لا فضيحة عليهم عند محصل؛ لأنهم لم يحدثوا شيئًا، وإنما تبعوا الأثر، ومن ادّعىٰ في الأثر فضيحة بعد الحكم بصحته؛ لم يكن مسلمًا».

والعلامة عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ) بعد أن ساق آثار السلف في الرؤية قال**[2]: «أتشكون أنها مروية عن السلف، مأثورة عنهم، مستفيضة فيهم، يتوارثونها عن أعلام الناس وفقهائهم قرنًا بعد قرن؟ قالوا: نعم. قلنا: فحسبنا إقراركم بها عليكم حجة لدعوانا أنها مشهورة مروية، تداولتها العلماء والفقهاء، فهاتوا عنهم مثلها حجة لدعواكم التي كذبتها الآثار كلها، فلا تقدرون أن تأتوا فيها بخبر ولا أثر، وقد علمتم - إن شاء الله - أنه لا تستدرك سنن رسول الله ﷺ وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلا بهذه الآثار والأسانيد علىٰ ما فيها من الاختلاف، وهي السبب إلىٰ ذلك، والنهج الذي درج عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، منها يقتبسون العلم، وبها يقضون، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون، يورّثها الأول الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب؛ احتجاجًا بها واحتسابًا في أدائها إلىٰ من لم يسمعها، يسمونها السنن والآثار والفقه والعلم،

---

(١) الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت، ص (١٩٦).

(٢) الرد علىٰ الجهمية، ص (٦٥، ٦٦).

ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يحلون بها حلال الله، ويحرمون بها حرامه، ويميّزون بها بين الحق والباطل، والسنن والبدع، ويستدلون بها علىٰ تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بإضلال من ضل عن الهدىٰ، فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه، وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عنىٰ الله به.

فإن كنتم من المؤمنين، وعلىٰ منهاج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدىٰ في سبيله، وارضوا بهذه الآثار كما رضي بها القوم لأنفسهم إمامًا.

فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار علىٰ ما تروىٰ، فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتّبع غير سبيل المؤمنين، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]».

وقال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «العلم عندنا ما كان عن الله تعالىٰ من كتاب ناطق غير منسوخ، وما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مما لا معارض له، وما جاء عن الألبّاء من الصحابة مما اتفقوا عليه، فإذا لم يوجد عن التابعين، فعن أئمة الهدىٰ من أتباعهم، مثل: أيوب السختياني، وحماد ابن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان، ومالك، والأوزاعي، والحسن بن صالح، ثم ما لم يوجد عن أمثالهم، فعن مثل: عبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله ابن المبارك، وعبد الله بن إدريس، ويحيىٰ بن آدم، وابن عيينة، ووكيع بن الجراح،

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٢٩).

وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي عبيد القاسم بن سلّام».

فالحاصل أنه لا يسع مسلمًا أن يخرج عن اعتقاد السابقين الأولين من الصحابة والتابعين، وفاعل ذلك كما أنه مبتدع ضال فهو متوعد بوعيد شديد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١].

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والأساس الذي تبنىٰ عليه الجماعة، هم أصحاب محمد ﷺ، ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم؛ فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار».

فسلوك هذا المنهج بملازمة أقوال واعتقادات السابقين الأولين هو موجب الصواب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولم يستوعب الحق إلا من اتبع المهاجرين والأنصار».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وكما أنه لم يكن في القرون أكمل من قرن الصحابة، فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع - كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولىٰ بالاجتماع، والهدىٰ، والاعتصام بحبل الله، وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بعد عن ذلك - كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة».

(١) شرح السنة، ص (٦٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ١٣٠).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٦٨).

وقال العلامة الصدّيق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٠٧ هـ) بعد أن ذكر عقيدة السلف**[١]: «هذه جملة مختصرة من الكتاب والسنة، وآثار السلف، فالزمها وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله ﷺ وصالح سلف الأمة بما حصل من الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من عداهم محقورًا مهجورًا، مبعدًا مدحورًا، مذمومًا ملومًا، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلىٰ اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وقال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ فطوبىٰ للغرباء**»، رواه مسلم.

ولنعم ما قيل:

إن القلـوب يـد البـاري تقلبهـا	**فلتســأل الله توفيقًــا وتثبيتًــا**
مـن يضـلل الله لا تهديـه موعظـة	**وإن هــديت فبالأخبــار أنبيتــا**
فهــذه غربــة الإســلام أنــت بهــا	**فكــن صـبورًا ولــو في الله أوذيتــا**

فهذه الأقاويل التي وصفت، مذاهب أهل السنة والأثر، وأصحاب الرواة، وحملة العلم النبوي، فمن خالف شيئًا من هذه، أو طعن فيهم، أو عاب قائلها - فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدته وتقريراته هي إجماع السابقين الأولين، فليس في كتبه إلا أدلة القرآن والسنة مدعمة بفهم السلف،

---

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص (١٧٠، ١٧١).

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يُعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم.**

وجميع أقواله في هذا الباب - أعني ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات - مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم، وعدل عن منهاجهم، كالجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور، بل قوله مما أجمعت عليه الرسل واتفقت عليه الكتب، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاءوا به وتصوره».

❊ ❊ ❊

---

(١) مصباح الظلام، ص (٢١، ٢٢).

قطع عروق شجرة الشرك وإقامة التوحيد

الشرك له شبهاته وله أئمة يدعون إليه، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]، وأقام الله إمام الدعوة شيخ الإسلام المجدد؛ لاقتلاع شجرة الشرك وإقامة الشجرة الطيبة، فاستعمله الله في رد باطل المشركين، ودفع شبهات الأئمة المضلين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبّه قراء كتابه إلىٰ غالب أو كل شبهات المشركين القبوريين ودحضها، وهذه الشبهات أنواع متفاوتة، وبعضها شبهات كبرىٰ وهي أمهات لما تفرع عليها من أعمال الشرك، فأتىٰ عليها الإمام واقتلعها.

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ [باب قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾][1]، ثم قال في مسائله[2]: «**المسألة الثانية:** ما فيها من الحجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلّق علىٰ الصالحين، **وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب**».

---

(١) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

(٢) القول السديد، ص (٥٩).

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٨ هـ)[1]:

«أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوىٰ وأعظم من عبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله، وهذه هيبتهم وخوفهم منه وخشيتهم له، فكيف يدعون من دون الله؟! وإذا كانوا - مع ما هم عليه من جلالة القدر - لا يجوز أن يدعوا من دون الله، فغيرهم ممن لا يقدر علىٰ شيء من الأموات والأصنام أولىٰ أن لا يدعا، ولا يعبد من دون الله، قال المصنف: وفيها من الحجة علىٰ إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق علىٰ الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب».

ومن أقوىٰ الأدلة التي ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاقتلاع الشرك - قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣][2]، فمن لا يملك القطمير - وهو اللفافة التي علىٰ نواة التمرة - وهذا أدنىٰ شيء، لا يملك قطعًا أن يهب الذرية، أو يشفي الأسقام، أو يرزق المال والجاه.

وتمام الآية متمم لهذا المعنىٰ ومؤكد له، بل وفيه انعكاس الأمور ضد مقصود المشركين، حيث قال تعالىٰ: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]،

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٢٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٦)، الباب الرابع عشر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾، أي: لا يقدرون على شيء مما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: يتبرءون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**[(٢)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء - كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (١١٣١، ١١٣٢).

(٢) بدائع التفسير (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦).

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٧٤، ٧٥]، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، فهذه أربعة في القرآن تدل علىٰ أن من اتخذ من دون الله وليًّا يتعزز به ويتكبر به ويستنصر به - لم يحصل له به إلا ضد مقصوده.

وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها علىٰ بطلان الشرك وخسارة صاحبه، وحصوله ضد مقصوده».

ومن أقوىٰ عروق الشرك التي اقتلعها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ - التقليد الباطل للآباء والأسلاف، كما قال تعالىٰ عن الحجة التي أدلىٰ بها المشركون في معارضة التوحيد الذي جاءهم به النبيون عليهم السلام، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف:٢١-٢٣]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوىٰ تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا علىٰ أمة، والمراد بها الدين ههنا»، ثم قال[(٢)]: «ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به، لما انقادوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (١٢٣١). (٢) تفسير القرآن العظيم، ص (١٢٣١).

لذلك لسوء قصدهم، ومكابرتهم للحق وأهله». وقال قوم عاد ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧]، قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦١ هـ)[١]: «أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين والاعتقاد إلا عادة الأولين، كما قال كفار قريش: إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة».

وهذا السبب هو الذي يزيل عجبك كيف سُلب المشركون عقولهم وانسلخوا من فطرهم فركعوا وسجدوا للأصنام وأنزلوا حاجاتهم من جلب المنفعة ودفع المضرة بهم؟

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «المقلّد راضٍ أن يغبن عقله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فإن التقليد لا يورث إلا بلادة».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فإن من اعتاد الجري علىٰ أقوال لا يُبالي دلّ عليها دليل صحيح أو ضعيف، أو لم يدلّ - يخمد ذهنه، ولا ينهض بطلب الرقي والاستزادة في قوّة الفكر والذّهن».

ومن عجائب القبوريين أن بلادتهم بسبب التقليد أعمتهم عن ملاحظة أوضح الحقائق أن الموتىٰ الذين يسألونهم جلب المنفعة ودفع المضرة موتىٰ، فهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً

---

(١) رموز الكنوز (٥/ ٤٠٩).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٣٣).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٣٨١).

(٤) المناظرات الفقهية، ص (٣٧).

وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ [الفرقان: ٣]، فكيف يسألونهم الرزق، والذرية، وشفاء الأسقام؟!

فالقبوريون أوثانهم متعددة، تقليدهم الأعمىٰ وتألههم للمخلوقين، ظلمات بعضها فوق بعض، قال الوزير ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من مكايد الشيطان أنه يقيم أوثانًا في المعنىٰ تُعبد من دون الله، مثل أن يتبيّن له الحق، فيقول: هذا ليس بمذهبنا. تقليدًا لمعظَّم عنده، قد قدّمه علىٰ الحق».

والتقليد الأعمىٰ خطر عظيم علىٰ صاحبه، فهو كما أنه يوقعه في الضلال، فهو أيضًا من أسباب زيادة الإيغال في الضلالة وزيغ القلب، والعياذ بالله، وصاحبه متوعد بوعيد شديد، وهذا ما حذّر منه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ساق في باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرّم الله - فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][٢]، قول الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟

الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»[٣].

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٤]: «فمن ردّ قول الرسول ﷺ

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٤٦٥).

(٢) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٦٩، ٧٠).

(٤) إعانة المستفيد (٢/ ١١٥).

متعمدًا تبعًا لهواه، أو تعصُّبًا لشيخه الذي يقلِّده - فإنه مهدّد بعقوبتين:
العقوبة الأولىٰ: الزيغ في قلبه؛ لأنه إذا ترك الحق ابتُلي بالباطل، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، لما انصرفوا عن تلقي القرآن عند نزوله وتعلُّمه صرف الله قلوبهم عن الحق؛ عقوبة لهم، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾، لمّا رفضوه أول الأمر، عند ذلك ابتلاهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم، فلا تقبل الحق بعد ذلك، وهذا خطر شديد، بخلاف الذي يقبل الحق ويرغب فيه، فإن الله يهديه ويزيده علمًا وبصيرة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، فالمؤمن يتبع الدليل ويفرح به إذا حصل عليه، والحق ضالّة المؤمن أنَّىٰ وجده أخذه، أما الذي في قلبه زيغ أو نفاق فهذا إنما يتبع هواه ولا يتّبع الدليل، وهذا يصاب بالزيغ والانحراف في العقيدة، والانحراف في الدين، والانحراف في الأخلاق، وفي كل شيء؛ عقوبةً له من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

والعقوبة الثانية: ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] في أبدانهم، بالقتل في الدنيا، بأن يسلط الله عليهم من يستأصل شأفتهم ويقتلهم، إما من المؤمنين، وإما من غير المؤمنين؛ عقوبةً لهم، ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن ماتوا ولم يقتلوا بأن يعذبوا في النار.

فهذا وعيد شديد علىٰ مخالفة أمر الرسول ﷺ.

فترك أمر الرسول ﷺ والأخذ بأقوال العلماء والأمراء المخالفة لما قاله الرسول ﷺ في التحليل والتحريم - يسبب الفتنة أو العذاب الأليم».

ومن أقوىٰ الأدلة التي أودعها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد - في التحذير من التقليد ما ذكره في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]][1]، من حديث ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله ابن أبي أمية، وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمةً أحاج لك بها عند الله**».

فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»[2].

ثم ذكر الإمام في مسائله[3]: «مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر».

من أعظم ما قرره الإمام في كتابه مما يوجب قلع شجرة الشرك من نفس

---

(١) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

(٣) القول السديد، ص (٦٥).

كل ضال زائغ عن تجريد التوحيد لله وحده لا شريك له - ما أودعه من أدلة في [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][(١)]، فإنه ساق قوله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦][(٢)]، فقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، هذا القيد ليس شرطًا، فلا مفهوم له. قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «بل هو لبيان الواقع؛ لأن المدعو من دون الله لا يحصل منه نفع ولا ضرر، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]».

وكذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧]، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «هذا في حق المستغيث، أخبر تعالىٰ أنه: «لا يكشف ضره إلا الله وحده دون ما سواه مطلقًا»، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وهذا في حق كل طالب وراغب، أخبر تعالىٰ أنه هو الذي يتفضل علىٰ من سأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئًا من فضل الله عليه، فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، وفي هذا المعنىٰ ما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه:

---

(١) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (١٧٠).

(٤) قرة عيون الموحدين، ص (٩١، ٩٢).

«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»، فمن تدبّر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفره الله، وأنهم قد أثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

والدين هو طاعة الله فيما أمر به، وشرعه، ونهىٰ عنه، وحرَّمه، وأعظم ما أمر به التوحيد والإخلاص، وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوىٰ الله تعالىٰ الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته».

وفي هذا الباب أيضًا استدل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما يدل علىٰ حصر المطلوب عند الله، وهو من أقوىٰ البراهين والحجج في اقتلاع شجرة الشرك، فقد ساق قوله تعالىٰ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[1] [العنكبوت: ١٧]. قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فهم يعبدون هذه الأوثان من شجر، وحجر، وغيرها، وهي لا تملك لهم رزقًا أبدًا، لو دعوها إلىٰ يوم القيامة ما أحضرت لهم ولا حبَّة برٍّ، ولا دفعت عنهم أدنىٰ مرض أو فقر، فإذا كانت لا تملك الرزق، فالذي يملكه هو الله، ولهذا قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾، أي: اطلبوا عند الله الرزق؛ لأنه سبحانه هو الذي لا ينقضي ما عنده، ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النحل: ٩٦]، والرزق هو

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٥).
(٢) القول المفيد، ص (١٧٢، ١٧٣).

العطاء كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ [النساء: ٨].

وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: عند الله: حال من الرزق، وقدّم الحال مع أنَّ موضعها التأخير عن صاحبها؛ لإفادة الحصر؛ إذ إنَّ تقديم ما حقُّه التأخير يفيد الحصر، أي: فابتغوا الرزق حال كونه عند الله لا عند غيره.

قوله ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾، أي: تذلَّلوا له بالطَّاعة؛ لأن العبادة مأخوذة من التعبيد، وهو التذليل، ومنه قولهم: طريق معبَّد، أي: مذلَّل للسالكين، قد أزيل عنه الأحجار والأشجار المؤذية؛ لأنكم إذا تذلَّلتم له بالطاعة، فهو من أسباب الرزق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فأمر أن نطلب الرزق عنده، ثم أعقبه بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾؛ إشارةً إلىٰ أنَّ تحقيق العبادة من طلب الرزق؛ لأن العابد ما دام يؤمن أن من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، فعبادته تتضمن طلب الرزق بلسان الحال».

وفي الباب نفسه ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥][1]، قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦١هـ)[2]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾، أي: أشد ضلالًا ﴿مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا﴾، وقرأ ابن مسعود (مَا لَا)، ﴿يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾، يريد: الأصنام؛ لأن «ما»

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

(٢) رموز الكنوز (٧/ ٢٠٤).

لمن لا يعقل، ويجوز أن يراد - علىٰ قراءة العامة -: كل من عُبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام، فغلب ما يعقل.

وقيل: ويجوز أن يُراد الأصنام وحدها، فأجريت مجرىٰ من يعقل لوصفهم إياها بذلك. **والجائز الثاني**: أظهر وأشهر في التفسير، علىٰ أن «ما»، و«من» يتعاقبان.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ في محل الحال، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يتبرءون منهم، ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ جاحدين».

وكذلك ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قوله تعالىٰ**: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، قال الوالد العلامة صالح الفوزان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا استفهام من الله تعالىٰ للمشركين، يقول: أنتم تشركون بالله عَزَّوَجَلَّ في حالة الرخاء، ولكن إذا وقعتم في الشدة والاضطرار دعوتم الله مخلصين له الدين فأنقذكم، فلماذا تُشركون به في حالة الرخاء؟! كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: إذا كان لا ينقذكم من الشدائد إلا الله باعترافكم، فكيف تُشركون به في حالة الرخاء؟! هل هذا إلا التناقض؟!

وقوله: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، أي: لا أحد يكشف السوء سواه، والمشركون يعرفون أنه لا أحد يكشف السوء إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلماذا يعبدون غيره؟».

ومن أوضح الأدلة وأقواها التي ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٩٩).

في هذا الباب - ما رواه الطبراني أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وحقيقة قوله: «**لا يستغاث بي**»، وإن كان مراده الاستغاثة الكلية، كما يقال: لا يستغاث بي، ولا يتوكل علي، ولا أُدعىٰ، ولا أسأل، ونحو ذلك، فمراده النهي عن الطلب الذي لا يفعله إلا الله، كما نهىٰ عن السجود له، وكما نهىٰ أن يقال: ما شاء الله وشاء محمد. وقال لمن قال: ما شاء الله وشاء محمد. ما روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «**أجعلتني لله ندًا، قل: ما شاء الله وحده**»، رواه النسائي وابن ماجه، ورواه الإمام أحمد، ولفظه: «**أجعلتني لله عدلًا، بل ما شاء الله وحده**»».

وقال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «حكم سبحانه أنه لا أضل ممن يدعو من دون الله، أي مدعو كان، من وثن أو ولي أو غير ذلك، وأن ذلك المدعو لا يستجيب له ما طلب منه إلىٰ يوم القيامة، فصارت دعوته له هي الغاية في الضلال والخسار ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾، فالداعي لمن هو غافل عنه لا أضل منه، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾، يتبرءون منهم،

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٥).

(٢) الرد علىٰ البكري (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (١١٥).

كما قال الله عنهم: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾، ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾، أي جاحدين لها، فلا أضل ممن لا يحصل له إلا نقيض قصده، يتبرأ منه معبوده، ويجحد عبادته له، وأثبت تعالىٰ أن دعاء غير الله عبادة له، وأنه في غاية الضلال، وأكثر ما يستعمل في السؤال والطلب، وذكر المصنف فيها خمسة أمور: أنه لا أضل ممن دعا غير الله، وأنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه، وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له، وأن تلك الدعوة عبادة للمدعو، وكفر المدعو بتلك العبادة، وأن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس».

ومن أقوىٰ الأدلة التي ذكرها الإمام لاقتلاع شجرة الشرك - آية الوسيلة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧][(١)]، وسبحان من وفقه لذكرها في أبواب التوحيد الأولىٰ[(٢)]! وسبحان من وفقه لجعلها في [باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][(٣)] !.

ومن عجائب القبوريين - وعجائبهم كثيرة -: أنهم عمدوا إلىٰ أعظم الآيات القرآنية دلالةً في اقتلاع الشرك وتجريد التوحيد لله وحده، فاستدلوا بنقيضها علىٰ تقرير الشرك، والعياذ بالله!! وهذا لا يكون إلا مع الجهل وسوء القصد.

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) الباب الخامس.

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٤).

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ت: ١٢٩٢هـ)[١]: «فانظر هذه الآية، وما دلّت عليه، وما سيقت له، وانظر حقيقة دعوىٰ العراقي داود بن جرجيس وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين - تعرف أنه استدل بالآية الكريمة التي هي نص علىٰ إبطال دعاء الصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم، علىٰ إبطال دعواه أيضًا في التوسل الشركي بالصالحين، ودعائهم ومسألتهم، وبهذا تعرف أنه مشاق لله ورسوله، **ويستدل بالآية الكريمة علىٰ نقيض ما دلّت عليه**، ويفهم منها عكس ما دعت إليه، وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء علىٰ خلاف ما هي عليه.

وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية علىٰ إبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين، والعراقي داود بن جرجيس استدل بها علىٰ جوازه واستحبابه، فبعدًا للقوم الظالمين!».

فالوسيلة التي يتقرب بها إلىٰ الله هو ما يرضاه سبحانه من التوحيد والعمل الصالح، وأما الشرك فإن الله لا يرضاه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه: هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات.

فهذه الوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم

---

(١) منهاج التأسيس، ص (٣٥١).
(٢) التوسل والوسيلة، ص (١٢٥، ١٢٦).

يبتغونها إليه: هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات.

فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا.

فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول ﷺ، فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ﷺ، لا وسيلة لأحد إلىٰ ذلك إلا ذلك».

وآية الوسيلة لا يمكن أن تدل إلا علىٰ تجريد التوحيد والرغبة والرهبة لله لا للمخلوق، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، فإذا ضممت إلىٰ آية الوسيلة الآيات الصريحة الدالة علىٰ أن كل من سوىٰ الله لا يملك لكائن من كان مثقال ذرة من نفع أو ضر - تيقنت أن الوسيلة الشرعية التي أمر الله بها هي التوسل إلىٰ الله بأعمالنا الصالحة من صلاة، وصيام، وصدقة، نتوسل بها إلىٰ الله بلسان الحال والمقال لتقربنا إلىٰ الله زلفىٰ، فيرحمنا في الدنيا، ويفرج كرباتنا، ويرزقنا وينصرنا، ويعفو عنا في الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وسبب نزول آية الوسيلة وألفاظها كلها دالة دلالة صريحة علىٰ أن الوسيلة الشرعية المرادة بالآية - هي تحقيق التوحيد لله وحده، ودعاؤه وحده لا شريك له، والرغبة إليه بالأعمال الصالحة، لا باتخاذ المخلوقين وسائط بين الله وخلقه.

وسبب نزول الآية كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك ناس بعبادتهم، فنزلت: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧][١].

وألفاظ الآية كلها دالة علىٰ أن من سوىٰ الله لا يملك جلب المنفعة ولا دفع المضرة، وهذا تجده صريحًا في أول الآية: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وكذلك خاتمة الآية، حيث ذكر الله أن المدعوين من المخلوقين أنفسهم يرغبون إلىٰ الله كشف الضر وتحويله.

ومن أقوىٰ ما وقع في كتاب التوحيد من قلع الشرك وتأسيس التوحيد في قلوب المؤمنين - ما جاء في باب [الشفاعة][٢]، حيث ساق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله:

---

(١) رواه مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالىٰ: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (ص١٣١٠- رقم ٧٥٥٥).

(٢) الباب السادس عشر.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٍ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢][١].

ثم ذكر مدلول هذه الآيات بما ساقه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه قال**[٢]: «نفى الله عمّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملكٌ أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]».

قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فإذا انتفت هذه الأمور الثلاثة، لم يبق إلا الشفاعة، وقد أبطلها الله بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فلا تنفع عند الله الشفاعة لهؤلاء؛ لأن هذه الأصنام لا يأذن الله لها، فانقطعت كل الوسائل والأسباب للمشركين، **وهذا من أكبر الآيات الدالة على بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لا تنفع عابديها لا استقلالًا، ولا مشاركةً، ولا مساعدةً، ولا شفاعةً، فتكون عبادتها باطلة**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، حتىٰ ولو كان المدعو عاقلًا؛ لقوله: ﴿مَن﴾، ولم يقل: «ما»، ثم

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٢).

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ص (٢١٦).

قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وكل هذه الآيات تدل علىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان قطع جميع تعلقاته إلا بالله عبادةً، وخوفًا، ورجاءً، واستعانةً، ومحبةً، وتعظيمًا؛ حتىٰ يكون عبدًا لله حقيقة، يكون هواه، وإرادته، وحبه، وبغضه، وولاؤه، ومعاداته - لله وفي الله؛ لأنه مخلوق للعبادة فقط».

ومن أقوىٰ الأدلة التي أقامها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاقتلاع شجرة - الشرك موعظته للناس بما حصل لأسلافهم السابقين من العرب من انتقاض مقصودهم بالتعلق بغير الله، فإنه في باب [من الشرك الاستعاذة بغير الله]، ساق قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: هـ)**[١]: «كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا، وإرهابًا، وذعرًا، حتىٰ بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذًا بهم».

ومن أقوىٰ الأدلة التي ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاقتلاع الشرك - قوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩٠-١٩٢][٢]،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (١٤٢٤).

(٢) الباب التاسع والأربعون، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

ودلالة ذلك ظاهرة فمن لا يخلق كيف يكون إلهًا وهو بهذا النقص.

قال العلامة محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[(١)]: «الاستفهام للإنكار والتجهيل، أي: يشركون به سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ - وهو الخالق لهم ولأولادهم ولكل شيء - ما لا يخلق شيئًا من الأشياء مهما يكن حقيرًا، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾، وليس قصارىٰ أمرهم أن الخلق لا يقع منهم، بل هو يقع عليهم، فهم يُخلقون آناً بعد آن، ولا يليق بسليم العقل أن يجعل المخلوق العاجز شريكًا للخالق القادر!!

والآية وما بعدها حكاية لشرك عبّاد الأصنام والتماثيل كافة، ومنهم مشركو مكة وأمثالهم ممن نزل القرآن في عهدهم، ومن يجيء بعدهم».

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٨هـ)**[(٢)]: «أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الترجمة الرد علىٰ كل مشرك كائنًا من كان، وبيان حال المدعوين من دون الله، أنهم لا ينفعون ولا يضرون، سواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم، وقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله من لا يخلق شيئًا، وليس فيه ما يستحق به العبادة، فإنه إذا كان معبودهم لا يخلق شيئًا، بطلت عبادتهم له، وتقرر أن الخالق سبحانه هو المستحق للعبادة وحده، وقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: ومن أشركوه مع الله في عبادته مخلوق، والمخلوق لا يستحق أن يكون شريكًا

---

(١) تفسير المنار (٩/ ٥٢٥).

(٢) حاشية كتاب التوحيد، ص (١١٨).

للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وأخبر أنهم مع ذلك: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: لمن سألهم النصرة، ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، وهاتان الصفتان أبلغ مما قبلهما، أي: فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه، ولا نصر نفسه، وذلك برهان ظاهر قاطع ببطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، فإنه إذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه، فلأن لا ينصر غيره من باب الأولىٰ، بل مَن هذه حاله فهو في غاية العجز، فكيف يكون إلهًا معبودًا، فبطل تعلق المشركين بهذه البراهين، وهي كونهم لا يخلقون بل يُخلقون، عبيد لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبودًا، ولا قدرة لهم علىٰ نفع عابدهم، ولا علىٰ نفع أنفسهم، وخاب سعيهم، وظهر أنهم أخسر الناس صفقة».

فعجز آلهة المشركين - التي ينزلون بها حاجاتهم - عن نصرهم من أقوىٰ الأدلة علىٰ اقتلاع شجرة الشرك، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وتقديم المفعول في ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾؛ للاهتمام بنفي هذا النصر عنهم؛ لأنه أدل علىٰ عجز تلك الآلهة؛ لأن من يقصّر في نصر غيره، لا يقصِّر في نصر نفسه لو قدر.

والمعنىٰ: أن الأصنام لا ينصرون من يعبدونهم إذا احتاجوا لنصرهم، ولا ينصرون أنفسهم إن رام أحد الاعتداء عليها.

والظاهر أن تخصيص النصر من بين الأعمال التي يتخيلون أن تقوم بها الأصنام مقصود منه تنبيه المشركين علىٰ انتفاء مقدرة الأصنام علىٰ نفعهم؛ إذ

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٢١٧).

كان النصر أشد مرغوب لهم؛ لأن العرب كانوا أهل غارات وقتال وثارات، فالانتصار من أهم الأمور لديهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [يس: ٧٤، ٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]. قال أبو سفيان يوم أحد: «اعْلُ هبل»، وقال أيضًا: «لنا العُزّىٰ، ولا عزّىٰ لكم»، وأن الله أعلم المسلمين بذلك تعريضًا بالبشارة بأن المشركين سيغلبون، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]، وأنهم سيمحقون الأصنام، ولا يستطيع أحد الذَّب عنها».

ومن أقوىٰ الأدلة التي ساقها الإمام في اقتلاع شجرة الشرك وتأسيس التوحيد - ما أورده في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]][1]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمةً نحوها -، **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**». **رواه في الصحيح**»[2].

فهذا من أقوىٰ الأدلة في اقتلاع شجرة الشرك، فالمشركون يستغيثون بالأنبياء والأولياء والصالحين؛ بدعوىٰ أن لهم جاهًا عند الله، فإذا كان النبي ﷺ

(١) الباب الرابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٧، ٢٨).

وهو أعظم الخلق جاهًا عند الله لا يملك لقرابته شيئًا فضلًا عن سائر الناس، فسائر الأولياء من باب أولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فإذا كان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وقد أمره أن يقول ذلك - فهو أحرىٰ أن لا يملك لغيره، وقد قال: ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، فأخبر أنه لا يملك من الله لا ضرهم ولا رشدهم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

فهذا تخصيص له بنفي ذلك، وهو من أصدق الرسل، ومن صدّق الرسول فيما قاله فهو مؤمن ليس بكافر، فإذا قال القائل: الرسول لا يغني عن بنته ولا عمه ولا عمته من الله شيئًا، فكيف من دونهم؟!! كان هذا من أحسن الكلام وأصدقه».

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله معلقًا علىٰ قول النبي ﷺ لقرابته: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»[(٢)]: «وفي هذا دليل علىٰ بطلان التعلق بالأشخاص، والتعلق بالأولياء والصالحين، واعتقاد أنهم يقربون إلىٰ الله زلفىٰ، كما يفعله المشركون قديمًا وحديثًا، الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين، ويعتقدون أنهم يشفعون لهم عند الله، وأنهم يتوسّطون لهم عند الله، ويتقرّبون

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٤٨).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٢١٦).

إلىٰ الأولياء والصالحين بالذبح، والنذر، والاستغاثة، والاستعاذة، والدعاء، كما قال الله سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، هذا زعمهم.

ولا يزال هذا عند بعض الناس إلىٰ اليوم، هناك طوائف كثيرة من عُبّاد القبور والصوفية، وغيرهم يعتقدون أن الأولياء والسادة أنهم يَكْفونهم المؤنة، ويذهبون إلىٰ أضرحتهم، ويتمسحون بها، ويذبحون عندها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائهم، ويظنون أن هذا ينفعهم عند الله تعالىٰ، وفي هذا الحديث وغيره ردٌّ علىٰ هؤلاء؛ لأنه إذا كان الرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، وأقرب الخلق إلىٰ الله، وأكرمهم علىٰ الله - يقول لعشيرته وأقاربه: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**»، فكيف يتعلق الناس بالمخلوقين؟

فالواجب أن يتعلق الناس بربهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن يتقربوا إليه بالطاعة والعبادة، ويُخلصوا له التوحيد، هذا هو طريق النجاة، أما التعلق بالمخلوقين ولو كانوا أنبياء أو صالحين أو أولياء، فإنهم لا ينفعون من تعلق بهم، وتوسل بهم، أو بجاههم أو بحقهم، هذا كله باطل».

وقال العلامة عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإذا كان سيد المرسلين صرّح بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، فمن نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم - تبين له ضياع التوحيد وغربة الدين.

---

(١) مجموعة رسائل العلامة عبد الله بن حميد، ص (٤٣، ٤٤)، ط: وزارة الأوقاف السعودية -١٤٢٢ هـ.

وفي الحديث رد علىٰ من تعلق بالأنبياء والصالحين ورغب إليهم؛ ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه.

كما أن فيه دلالة صريحة علىٰ أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ - فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالىٰ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته، إلا ذلك، فغيرهم أولىٰ وأحرىٰ، وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

فانظر إلىٰ الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلىٰ الأموات، والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا، ولا نفعًا، فضلًا عن غيرهم - تبين لك أنهم ليسوا علىٰ شيء، وأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، ويحسبون أنهم مهتدون، أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلىٰ الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

ومن الأدلة الصريحة الواضحة التي أقامها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لاقتلاع الشرك وتأسيس التوحيد - ما أورده في [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][1]، فإنه ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الثالث عشر، ص (٢٤).

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «في الآية تنبيه علىٰ أن المدعوَّ لا بُدَّ أن يكون مالكًا للنفع والضر؛ حتىٰ يُعطي من دعاه أو يبطش بمن عصاه، وليس ذلك إلا لله وحده، فتعيَّن أن يكون هو المدعُوَّ دون ما سواه، والآية شاملة لنوعي الدعاء.

قوله: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين، وهذا كقوله: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله في الأنبياء: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، فإذا كان هذا الأمر لو يصدر من الأنبياء - وحاشاهم من ذلك - لم يفُكُّوا أنفسهم من عذاب الله فما ظنُّك بغيرهم؟!

فلم يبق شيء يقرِّب إلىٰ الله ويُباعد من سخطه إلا توحيده والعمل بما يرضاه، لا الاعتماد علىٰ شخص أو قبر، أو صنم، أو وثن، أو مال، أو غير ذلك من الأسباب ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر، ولهذا قال: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧]؛ لأنه المتفرِّد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية؛ لأنهما متلازمان، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير؛

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٠٤-٥٠٦).

لأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يجلب الخير إلا هو ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، فتعيَّن أنه لا يُدْعىٰ لذلك إلا هو، وبطل دعاء ما سواه ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن غيره، وهذا ضد ما عليه عبَّاد القبور».

فمنطوق الآية هو أن كل من دون الله لا يملك لمن توجه إليه نفعًا ولا ضرًّا، وأن الله لو أراد بعبد ضرًّا فلا كاشف له إلا هو، ومنطوق الآية التي استدل بها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧]، نطق به النبي ﷺ وهو يُعلّم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أصول العقيدة وهو غلام، حيث قال له ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأنهم لو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعًا علىٰ خلاف المقدور غير مفيد شيئًا البتة - علم حينئذ أن الله تعالىٰ

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حديث حنظلة (ص ٥٧٢- رقم ٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وحسنه ابن رجب في نور الاقتباس ص (٣٢).

(٢) نور الاقتباس، ص (٧٨، ٧٩).

وحده هو الضار والنافع، والمعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال، وإفراده أيضًا بالعبادة والطاعة؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذمّ الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا».

ومن تأسيس الإمام لأصل التوحيد وحقيقته وقلعه لعروق الشرك - البراءة مما يعبد من دون الله والمشركين، وهذا من أول الأبواب التي دوّنها الإمام في كتاب التوحيد، [باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

فهذه الآية دالة علىٰ حسن اختيار الإمام الأدلة المطابقة لتبويبه، فلفظها مطابق تمامًا للتبويب، فكلمة التوحيد ركناها الإثبات والنفي، الإثبات في [إلا الله]، فنثبت الألوهية الحقة لله، والنفي في [لا إله]، فننفي الألوهية الباطلة لكل ما يعبد من دون الله، وهو ما نطق به سيد الحنفاء الذي أمرنا باتباع ملته، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وهذا الأصل هو حقيقة التوحيد وأصل الملة، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإثبات الألوهية لله لا يكفي؛ لأن مجرد الإثبات لا ينفي المشاركة، فإذا اجتمع مع إفراد الألوهية لله وحده نفي الألوهية عن كل من سواه - تحقق التوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وهو ما بعثت به جميع الرسل ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾[1].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الكلمة هي لا إله إلا الله بإجماع أهل العلم، وقد عبّر عنها الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بمعناها الذي أريد بها ووضعت له، فعبّر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾، وعبّر عما أثبته بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، فقصر العبادة علىٰ الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه!».

وهذه الكلمة كلمة التوحيد والتدين بها - وهي حقيقة الدين - كلمة باقية في عقب إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «يقول

---

(١) المؤمنون: (٣٢).

(٢) قرة عيون الموحدين، ص (٥٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ص (١٢٣١).

تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بُعث بعده من الأنبياء، **الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها**، أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالىٰ من ذرية إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾، يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها، وروي نحوه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وقال ابن زيد: كلمة الإسلام وهو يرجع إلىٰ ما قاله الجماعة».

وقال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٦١هـ)**[١]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا﴾، أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها - وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾... ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، أي: في ذريته، **فلا يزال فيهم من يُوحِّد الله تعالىٰ، ويدعو إلىٰ التوحيد.**

وقيل: وجعل الوصية التي أوصىٰ بها بنيه - وهي الوصية المذكورة في البقرة -: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

(١) رموز الكنوز (٧/ ١١٤).

﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إلىٰ التوحيد إذا علموا أن أباهم تبرَّأ من كل معبود سوىٰ الله تعالىٰ».

وتحقيق التوحيد لا يتحقق بمجرد البراءة مما يُعبد من دون الله، بل لا بد من البراءة من أهل الشرك، فإنهم شر البرية، ما قدروا الله حق قدره، وهذا ما نبّه عليه إمام الدعوة في مسائل هذا الباب حيث قال[1]: «وهذا من أعظم ما يبيّن معنىٰ «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شكَّ أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلَّها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ كلام الإمام[2]: «فتبين بذلك أنه **لا بدَّ من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقًا، ولا بدَّ من القيام بعبادة الله وحده طاعةً لله وانقيادًا، ولا بدَّ من البراءة مما ينافي ذلك عقدًا وقولًا وفعلًا.**

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٣).

الدعاوىٰ الخالية من الحقيقة، بل لا بدَّ أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل؛ **فإنَّ هذه الأشياء متلازمة، متىٰ تخلَّف واحد منها تخلفت البقية**».

ومن الأدلة المهمة التي ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقلع الشرك وتأسيس التوحيد في [باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما][1] - قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم ١٩، ٢٠]، يعني: أخبروني ما شأنها[2]، وهي لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا، ولا نصرًا، ولا رزقًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، كيف تكون هذه آلهة؟!!

وكيف ينزل الإنسان بها حاجته؟!!

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[3]: «هذه الآيات في تقرير التوحيد، وتثبيت العقيدة في قلوب المؤمنين، والرد علىٰ المشركين.

يقول الله تعالىٰ للمشركين الذين يعبدون الأصنام، وفي مقدمتها الأصنام الثلاثة المشهورة عند العرب: اللات، والعُزَّىٰ، ومناة، هل تنفع هذه الأصنام أو تضر؟!

فيقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، هل نفعتكم؟ هل دفعت عنكم الضرر؟ هل جلبت لكم شيئًا من الرزق؟ فلا يستطيعون الجواب بأنها تضر أو تنفع، لم تنفعهم في بدر وغيرها من الغزوات، ولم تدفع عنهم ما أوقع الله بهم من

---

(١) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

(٢) ذكره شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القول المفيد، ص(١٢٧).

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٥٦-١٥٨).

الهزائم، ما أجابوا عن هذا السؤال العظيم، فدلّ علىٰ انقطاع حجتهم.

وهكذا في كل أسئلة القرآن الكريم التي هي من باب التحدِّي والتعجيز، لم يصدر لها جواب من قبل المشركين، ولن يصدر لها جواب إلىٰ أن تقوم الساعة.

و﴿ٱللَّٰتَ﴾: صنم في الطائف لبني ثقيف، وفي تفسيرها قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنها بالتخفيف، وهو اسم حجر كبير أملس عليه نقوش، كانوا يتبرّكون به، ويطلبون منه قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم.

والقول الثاني: أنه بالتشديد اسم فاعل من لتَّ يَلُتُّ: وهو في الأصل رجل صالح، كان يَلُتُّ السويق للحاج، وكان يُطعم الحجّاج من هذا الطعام تقرّبًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلما مات عكفوا علىٰ قبره يتبرّكون به، كما حصل لقوم نوح لما غَلَوْا في الصالحين.

فالغلو في الصالحين قديم، ولا يزال مستمرًّا، وهو سنّة جاهلية من قديم الزمان، من عهد قوم نوح، ولا تزال.

فعلىٰ التفسير الأول: هو تبرّك بالأحجار، **وعلىٰ التفسير الثاني**: هو تبرك بالقبور، وكلا التفسيرين حق؛ فالآية تدل علىٰ منع التبرّك بالأحجار، ومنع التبرك بالقبور، وما زال هذا الصنم يُعبد من دون الله إلىٰ أن فتح النبي ﷺ مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وأمر بهدم هذا الصنم كغيره من الأصنام التي هُدمت أما ﴿وَٱلۡعُزَّىٰ﴾، فكانت صنمًا لأهل مكة، وهي عبارة عن شجرات ثلاث من السَّمْر، وعندها بَنِيَّة عليها أستار، وكانت لقريش ولأهل مكة يعبدونها من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا قال أبو سفيان في يوم أحد بعد أن انتهت المعركة: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم.

فقال النبي ﷺ: «أجيبوه، قولوا: الله مولانا، ولا مولىٰ لكم».

هذا هو الرد الشافي، وفيما بعد منّ الله علىٰ أبي سفيان بالإسلام فأسلم، والإسلام يَجُبُّ ما قبله.

والشاهد من هذا: أن العُزَّىٰ كانت لأهل مكة، فلما فتح النبي ﷺ مكة أرسل إليها خالد بن الوليد فهدمها وقطَع الأشجار، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فأخبره، قال: «**لم تفعل شيئًا**». فرجع خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليها مرّة ثانية فوجد عندها السَّدَنة، فلما رأوه هربوا إلىٰ الجبال، فجاء فإذا بامرأة عريانة ناشرة شعرها، فعلاها بالسيف وقتلها، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ وأخبره، قال: «**تلك العزىٰ**».

والواقع أن المشركين ليست عبادتهم لهذه الأصنام، وإنما عبادتهم للشياطين، فالشياطين هي التي تغريهم، وتدعوهم إلىٰ عبادتها، وهي التي تكلِّمهم أحيانًا، ويظنون أن الصنم هو الذي يتكلم، أو أن الميت هو الذي يتكلم.

أما (مناة)، فهي صنم قريب من المدينة، وكانت لقبائل من العرب، وكانوا يُحرِمون من عندها للحج والعمرة.

ولما فتح النبي ﷺ مكة أرسل إلىٰ مناة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهدمها فأين ذهبت هذه الأصنام؟ لو كانت آلهة لدفعت عن نفسها.

والشاهد من الآية الكريمة: بُطلان التبرك بالأشجار والأحجار؛ لأن هذه أشجار وأحجار، ولم تدفع عن نفسها فضلًا أن تدفع عن غيرها.

ففي هذا بُطلان التبرك بالأحجار والأشجار، وفيه: أن من تبرّك بقبر أو بحجر أو شجر يعتقد فيه أنه ينفع ويضر من دون الله، أو أنه سبب لحصول البركة، أو تقرب إليه بشيء من العبادة، فهو مثل من عبد اللات والعُزَّىٰ سواء، ولا فرق، بل من غلا في قبر من القبور فهو كمن عبد اللات؛ لأن اللات - علىٰ التفسير الثاني - هو رجل صالح، غلوا في قبره بعد موته، فالذين يعبدون القبور اليوم مثل الذين يعبدون اللاتّ سواء بسواء، والقرآن واضح في هذا، لكن يحتاج إلىٰ التدبّر، ونبذ للتقاليد والعادات والبيئات الفاسدة، والتحرر من الخرافات والأباطيل، والرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففيهما الشفاء للقلوب».

ومن أقوىٰ الأدلة التي أقامها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تأسيس التوحيد واقتلاع الشرك - ما ساقه في [باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه](١) - حديث عمران بن حُصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقةً من صُفْرٍ، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به(٢).

فتأمل كيف حال من تعلق بغير الله، وكيف زاد ضعف ومرض من لبس الحلقة لرفع البلاء، زاد مرضه وضعفه، بل تضاعف مرضه خصوصًا قلبه،

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

فإن القلب إذا تعلّق بالأوهام ولم يتعلق بسبب حقيقي كالتوكل علىٰ الله وحسن الظن به - فإنه يضعف عن مقاومة الأسقام، ويعاقبه الله: بنقيض قصده، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أمره النبي ﷺ بنزعها لذلك، وأخبر أنها لا تزيده إلا وهنًا، فإن المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لأنه علّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، فإذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطمُّ وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها، كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مسكة من عقل».

وقال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قوله: «**إنها لا تزيدك إلا وهنًا**»، أي: وهنًا في النفس لا في الجسم، وربما تزيده وهنًا في الجسم. **أما وهن النفس**: فلأن الإنسان إذا تعلقت نفسه بهذه الأمور ضعفت واعتمدت عليها، ونسيت الاعتماد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان، فأحيانًا يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحيانًا يتناسىٰ الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحًا، فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتىٰ يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا، فيزداد عليه الوهم حتىٰ يصبح الموهوم حقيقة.

---

(١) قرة عيون الموحدين، ص (٦٥).

(٢) القول المفيد، ص (١١٠).

فهذا الذي لبس الحلقة من الواهنة لا تزيده إلا وهنًا؛ لأنه سوف يعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم، فإذا نزعها عاد إليه الوهن، وهذا بلا شك ضعف في النفس.

فالأسباب التي لا أثر لها بمقتضىٰ الشرع أو العادة أو التجربة - لا ينتفع بها الإنسان».

وقد تكلم العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وجه كون لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه من الشرك، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله - فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تألَّه لذلك، وعلَّق به قلبه طمعًا ورجاءً لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدَّافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم، وكذب علىٰ الشرع وعلىٰ القدر.

أما الشرع: فإنه ينهىٰ عن ذلك أشد النهي، وما نهىٰ عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة، ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وكذلك هو من جملة

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٦).

وسائل الشرك، فإنَّه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه».

ومن تعلّق التمائم ولبس الحلقة والخيط ونحوها لدفع البلاء أو رفعه - فإنه قد عرّض نفسه لسخط الله، وأوقع نفسه في موجب إجابة دعاء الرسول ﷺ عليه، فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أتبعه بحديث عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من تعلّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلّق ودعةً فلا ودَع الله له**»، وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»[1].

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[2]: «قوله: «**من تعلّق**» أي: من علّق هذا الشيء علىٰ جسمه، أو علّق قلبه به، واعتقد فيه أنه ينفعه أو يضره من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

«**تميمة**» **التميمة**: خرزات تعلّق علىٰ الأولاد يتقون بها العين، وكذلك ما شابهها من كل ما يُعلّق من الخرزات وغيرها من الحُرُوز والحُجُب، فهذا ليس بخاص بالخرز، وإنما هذا التفسير لبيان نوع من أنواع المعلّقات، ومنهم من يعلّق النعل علىٰ الباب، ويجعل وجه النعل مقابلًا للشخص الآتي، أو علىٰ السيارة، ويظنون أن هذه الأشياء تدفع عنهم شر الحسد، وكل هذا من أمور الجاهلية.

وقوله: «**فلا أتم الله له**»، هذا دعاء من النبي ﷺ بأن الله لا يتمّ له أموره،

(١) كتاب التوحيد، ص (١٦).
(٢) إعانة المستفيد (١/ ١٤١، ١٤٢).

ويعكس مقصوده عليه، والرسول ﷺ مجاب الدعوة، فهذه الدعوة تتناول كل من علّق علىٰ نفسه أو علىٰ غيره شيئًا من الحُجُب، والحُرُوز والتمائم يريد بها كفّ الشر عنه إلىٰ يوم القيامة، إلا أن يتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فمن تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب «**فلا أتمّ الله له**»، يعني: لا أتم الله له أمره ومقصوده، بل أصابه بعكس ما يريد من الضرر والشر والخوف والقلق، ولهذا تجدون من يعلِّقون هذه الأشياء من أكثر الناس خوفًا وهمًّا وحزنًا وضعفًا وخورًا، بعكس الموحّدين المعتمدين علىٰ الله، فتجدونهم أقوىٰ الناس عزيمة وأقوىٰ الناس عملًا، وتجدونهم - أيضًا - في أمن واستقرار وانشراح الصدور؛ لأنهم يؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ وحده، ويعلّقون آمالهم بالله عَزَّوَجَلَّ، والله يكفيهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

وقوله: «**ومن تعلق وَدْعَة، فلا ودع الله له**»، الوَدْع: شيء يُستخرج من البحر، يشبه الصّدف، يعلقونه علىٰ صدورهم أو علىٰ أعناقهم أو علىٰ دوابهم، يتّقون به العين.

«**فلا ودع الله له**»، أي: لا تركه في دَعَة وسُكُون وراحة، بل سلّط عليه الهموم، والأحزان، والوساوس، والأعداء، حتىٰ يُصبح في قلق، وهمّ، وغمّ دائم، وهذا دعاء من الرسول ﷺ بأن يسلب الله راحته واستقراره وأمنه، ويصبح في خوف، وهمّ، وقلق دائم، يخاف من كل شيء، إلا أن يتوب إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا ظاهر في كل من يتعاطون هذه الأشياء، تجدونهم من

أشد الناس قلقًا وهمًّا وخوفًا وتوقُّعًا للمكروه في كل لحظة، ومن كل شخص.

قال: «وفي رواية»، يعني للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من تعلّق تميمة فقد أشرك**».
هذه فيها زيادة علىٰ دعاء الرسول ﷺ عليه، بأنه قد أشرك، فهذا تصيبه مصيبتان: مصيبة دعوة الرسول ﷺ عليه، والمصيبة الثانية في عقيدته، وهي أنه قد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ باتخاذ هذا الشيء».



جمع الإمام بين الترغيب في التوحيد والترهيب من الشرك

من محاسن كتاب التوحيد أنه جمع بين الترغيب في التوحيد، والترهيب من الشرك، وهذه طريقة القرآن، فإنه مثاني، إذا ذُكرت الجنة ذُكرت النار، وإذا ذكر الوعد ذُكر الوعيد، وإذا ذُكرت عاقبة التقوىٰ والإيمان والتوحيد، ذُكرت عاقبة الكفر والشرك، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]. والإيمان بالخوف وحده يكون كالإكراه، والإيمان بالرجاء وحده يقطع عن العمل، والإيمان بالحب لله وخوفه ورجائه هو حقيقة التوحيد، قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن».

والملاحظ أن أول باب استفتح به الإمام كتابه هو باب [بيان فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب][1]، وساق فضائل التوحيد، ثم أتبعه بما يؤكده وهو من فضائل التوحيد أيضًا، وهو باب [من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][2].

ومن أعظم ما ذكره الإمام من الأدلة في الترغيب في التوحيد - الإغراء

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) الباب الثاني، كتاب التوحيد، ص (٧).

بحب الله، فما أعظمه من دليل! وما أحسنه من ترغيب! فإنه عقد بابًا لذلك، حيث قال: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]][١]، فلا إله إلا الله ما أعظمه من دليل، أن تسارع إلىٰ حب الله، وأن يكون حبك الله الغاية! فلذلك أتبع الإمام هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فمحبة الله كلما عظمت في قلب المؤمن نفت الإرادات الفاسدة وقصد غير الله، وجرّدت العمل خالصًا لله، وأوجبت موافقة أمر الله ومحاذرة مخالفته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن حقيقة المحبة أن يحبّ المحبوب ما أحبه، ويكره ما يكرهه، ومن صحت محبته امتنعت مخالفته؛ لأن المخالفة إنما تقع لنقص المتابعة، ويدل علىٰ نقص المحبة قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ [آل عمران: ٣١]».

وفي الترهيب من الشرك ذكر باب [الخوف من الشرك][٣]، وجعله تلو بابي [بيان فضل التوحيد]، و[من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب]، وساق فيه من الأدلة ما يُنفّر كل عاقل عن الشرك لمن فقه عن الله ورسوله، فقد ابتدأ باب الخوف من الشرك بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا

(١) كتاب التوحيد، الباب الثلاثون، ص (٥٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٩٣).

(٣) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فالذنب الذي لا يغفره الله يفر منه المؤمنون أشد الفرار، والشرك افتراء علىٰ الله، وإثمه عظيم، فويل لمن يقارفه.

وذكر من الأدلة في الترهيب من الشرك ما يوجب الابتعاد عنه غاية الابتعاد، وأنه الموجب للخلود في النار، فقد ساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**». رواه البخاري[١].

والعارف بأبواب التوحيد يدرك أن كل باب جعله الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التحذير من أنواع الشرك - فيه من الوعيد والترهيب من الشرك، فانظر مثلًا باب [من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][٢]، فإن الإمام أورد حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر من الواهنة، فقال له: «**لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[٣].

وساق كذلك حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا:** «**من تعلّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له**». رواه أحمد[٤].

وكذلك في باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١٦).

فكيف إذا عبده؟!][١]، ساق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال فيمن بنى المساجد على القبور: «**أولئك شرار الخلق عند الله**». متفق عليه[٢]. وهذا غاية ما يكون في الترهيب من الشرك، وفي الباب نفسه ساق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا مرفوعًا: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣]، وكفى بذلك زجرًا عن الشرك، فاللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

وكذلك في باب [ما جاء في الكُهان ونحوهم][٤] ساق الإمام قول النبي ﷺ: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**». رواه مسلم[٥]، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ». رواه أبو داود[٦]، وكذلك ساق حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تكهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد[٧]، فهذا كله ترهيب شديد من الشرك.

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

(٤) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٥٠).

(٧) كتاب التوحيد، ص (٥٠، ٥١).

وكذلك في باب [ما جاء في النشرة][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة، فقال: «**هي من عمل الشيطان**». رواه أحمد بسند جيد[٢]، وهذا ترهيب واضح من الشرك، فخطوات وأعمال الشيطان فحشاء وشرك ومنكر.

وفي باب [ما جاء في الرياء][٣]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**». رواه مسلم[٤]. فعمل مردود علىٰ صاحبه تركه الله - لا خير فيه، وهو غاية في التحذير من الشرك.

وفي باب [من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][٥]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦][٦]، وكفىٰ بعمل حابط عمل صاحبه مخلد في النار زجرًا عن الشرك، وهكذا سائر الأبواب.

---

(١) الباب السادس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٢).

(٣) الباب الخامس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٦٧).

(٥) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨).

(٦) كتاب التوحيد، ص (٦٨).

مقارنة الإمام بين شرك السابقين والمعاصرين

من أنفع ما يكون وأحسن النصح في كتاب التوحيد وعامة كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأئمة الدعوة - المقارنة بين شرك السابقين والمعاصرين؛ ليتحقق الإنسان أن نصوص القرآن التي حرّمت الشرك بالله وذكرت أنواعه، محكمة إلىٰ يوم القيامة، وليست لأقوام مضوا فقط، فكل من وقع منه الشرك مهما اختلفت صوره - فقد أصابته الآيات في ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكنَّ **أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمُّنه له، ويظنُّه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا**، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم وشرٌّ منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكنَّ الأمر كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنما تُنقض عُرىٰ الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمَّه - وقع فيه وأقرَّه، ودعا إليه وصوَّبه وحسَّنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه الجاهلية، أو

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٩٤).

نظيره أو شرًّا منه أو دونه، فتنتقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفَّرُ الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حيٌّ يرىٰ ذلك عيانًا، فالله المستعان».

قال شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] مقارنًا بين شرك السابقين والمعاصرين: «اعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٧، ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالىٰ، ويدعون غيره في الرَّخاء، وأما في الضُّرِّ والشدَّة، فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم

---

(١) كشف الشبهات، ص (٩٣، ٩٤)، ط: دار الصميعي.

- تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقرَّبين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، ويدعون أشجارًا أو أحجارًا، مطيعةً لله وليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي، مثل: الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به».

وانظر إلىٰ تنبيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المقارنة بين المشركين السابقين والمشركين المعاصرين، في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]][1] فإنه ساق حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل، فقال له: «**يا عم: قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاج لك بها عند الله**». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

(١) كتاب التوحيد، الباب السابع عشر، ص (٣٤).

يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]»[1].

ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائله[2]: «الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ؛ إذ قال للرجل: «**قل: لا إله إلا الله**». **فقبَّح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام**».

فمراد الإمام من استدلاله واضح، فإن أبا جهل كان عارفًا بمعنىٰ ما دعا إليه النبي ﷺ أبا طالب والناس كافة، فلذلك ما زال يحمل أبا طالب علىٰ الكفر بكلمة التوحيد؛ لأن حقيقتها الكفر بكل ما يعبد من دون الله وتجريد العبادة وحق الله الخالص له وحده، وهذا حال المشركين نبذ التوحيد والثبوت علىٰ الشرك: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]، وبعض الجهال لا يعرف حقيقة التوحيد، فيصرف لغير الله أنواعًا من العبادات، ويستغيث بالأموات.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[3]: «هذه المسألة عظيمة جدًّا: تفسير «لا إله إلا الله» كما يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن معناها: ترك عبادة غير الله؛ لأن أبا جهل وزميله فهمَا أنه إذا قال: لا إله إلا الله، فقد ترك ملّة عبد المطلب، وأن لا إله إلا الله ليست مجرّد كلمة تقال، وإنما هي كفر بالطاغوت وإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف ما يعتقده كثير من الخرافيين في هذا الزمان، يقولون: لا إله إلا الله. ويقولون: يا حسين! ويا فلان! ويذبحون للموتىٰ، ويستغيثون بهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله!! بل لهم أوراد صباحية ومسائية يقولونها بالمئات،

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٦٤).

(٣) إعانة المستفيد (١/ ٢٦٠).

ثم يذبحون للضريح ويطوفون به، ويستغيثون به.

فدلّ علىٰ أن أبا جهل أفهم منهم بمعنىٰ لا إله إلا الله؛ لأن أبا جهل فهم أن معنىٰ لا إله إلا الله: ترك عبادة الأوثان، وهؤلاء ما فهموا هذا، ما فهموا أن «لا إله إلا الله» معناها ترك عبادة القبور، وهذا من الفقه العظيم، وهذه هي العقيدة الصحيحة، والداعي إلىٰ الله يجب أن يفهم هذا الفقه؛ لأن هذا هو فقه الدعوة».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٢هـ)**[(١)]:

«إذا تقرر عندك أن المشركين - مشركي قريش - لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم الأنداد من المخلوقين معه في العبادة، ولا أغنىٰ عنهم من الله شيئًا، وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون، وأنهم يقربونهم إلىٰ الله زلفىٰ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالىٰ، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم، وسجدوا لهم، ومع هذا كله **فهم مقرّون لله بالربوبية، وأنه الخالق، ولكنهم لمّا أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين، ولم يعتدّ بإقرارهم هذا**؛ لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية - فمن شأن من أقر لله تعالىٰ بتوحيد الربوبية، أن يفرده بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك، فالإقرار الأول باطل.

وقد عرفوا ذلك وهم طبقات في النار، فقالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه، لا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنّهم علموا وهم في قعر جهنم أن

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (١٧، ١٨).

خلطهم الإقرار بذرة من ذرّات الشرك في توحيد العبادة - صيَّرهم كمن سوَّىٰ بين الأصنام وبين ربِّ الأنام.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، أي: ما يقرُّ أكثرهم في إقراره بالله، وبأنه خلقه، وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإذا كان اتخاذ الملائكة شفعاء من دون الله شركًا، فكيف باتِّخاذ الأموات كما يفعله عُبَّاد القبور؟!

أم كيف باتخاذ الفجار والفسَّاق إخوان الشياطين من المجاذيب الذين جذبهم إبليس إلىٰ جانبه وطاعته شفعاء؟!

وأعظم من ذلك اعتقاد الربوبية في هؤلاء الملاعين مع ما يشاهده الناس منهم من الفجور، وأنواع الفسق، وترك الصلوات، وفعل المنكرات».

وقال الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم، ويسمونهم بالأقطاب، والأوتاد، والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم.

وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٩٦).

(٢) العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام المطبوع مع شرحه الإتمام، ص (١٦٧-١٧٠).

لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين:

إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية.

والثانية: شركهم في الرخاء والشدة، كما يعلم ذلك من خالطهم، وسبر أحوالهم، ورأىٰ ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة، وصرفوا لها الكثير من حق الله عَزَّوَجَلَّ.

وقلَّ من ينكر عليهم ذلك ويبيّن لهم حقيقة التوحيد الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، ومن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وقال **العلامة مبارك الميلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولقد سادت هذه الحالة العالم الإسلامي، فانتهوا إلىٰ جاهلية كجاهلية العرب في الدين لا في اللِّسان والبيان، فقد ارتقىٰ العرب أيام جاهليتهم في معرفة معاني الكلام والإبانة عما في أنفسهم بالألفاظ المؤدية لأصل المعنىٰ، ولكن المسلمين شمل انحطاطهم هذه الناحية أيضًا، فلم يكونوا مثل أولئك العرب في فصاحة اللسان، ووضع الأسماء علىٰ مسمياتها، فتراهم يعتقدون في الغوث والقطب وصاحب الكشف، والتصريف معنىٰ الألوهية، ولكن لا يسمونهم آلهة، ويخضعون لأوليائهم ويخشونهم كخشية الله أو أشد، ولا يسمون ذلك عبادة.

ويفرقون بينهم وبين من سماهم القرآن مشركين بأنهم لم يعبدوا غير الله، ولم يتخذوا معه إلهًا آخر كأولئك المشركين، وربما مازوا أنفسهم من الجاهلية الأولىٰ بأن وصفهم بالشرك جاء من قبل اعتقادهم في الجماد وغير الصالحين من العباد، أو أن أحدًا غير الله يماثله في الخلق والإيجاد، ويقولون: نحن إنما نعتقد في الصالحين الأخيار أن الله جعل لهم النَّفع والضر في هذه الدار وتلك الدار، فهم يعطون أو يمنعون وبأيديهم مفاتح غيبه، وتحت قبضتهم خزائن فضله، يُنزلون الأمطار متىٰ شاءوا، ويعافون من أحبوا، ويبتلون من أبغضوا، ويهبون لمن أرادوا ذكورًا أو إناثًا، أو يزوجونهم ذكرانًا وإناثًا، ويجعلون من غضبوا عليه عقيمًا.

وقد قدّمنا بيان معنىٰ الألوهية والعبادة فتذكّره، ثم أجدِ النظر في حال مسلمي اليوم تجد منهم من ألّهوا المخلوق وعبدوه، وتبرُّؤهم من اللفظ إنما

(١) الشرك ومظاهره، ص (١٠٧، ١٠٨).

هو لضرورة حكمه الشرعي وجهلهم بالمعنىٰ اللغوي. وما مازوا به أنفسهم عن الجاهلية الأولىٰ؛ فرارًا أيضًا من حكم الشرك، الذي هو ضروري وجهل بمدلوله في الشرع والوضع».

وقال الميلي أيضًا[1]: «فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلىٰ جهالة المشركين - فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

ألست ترىٰ في أوساطهم قبابًا تُبذل في شيدها الأموال، وتشد لزيارتها الرحال؟ أم لم تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟!».

❊ ❊ ❊

(١) الشرك ومظاهره، ص (١٠٨).

تنبيه الإمام على حقائق الشرك

من تمام نصح الإمام في مصنفه كتاب «التوحيد» تنبيهه علىٰ حقائق الشرك، وتحذيره من اعتقاد أن الشرك فقط منحصر في السجود للأصنام، فهذا جهل وهو غاية ما يريده أحبار السوء الذين زينوا لغيرهم الشرك بالله وسموه تبركًا، وتوسلًا، وشفاعة، ونحو ذلك، فانظر إلىٰ باب [من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما](١)، فإنه من نصحه أولًا أنه بدأ بالتنبيه علىٰ حقائق الشرك في بدايات الكتاب، حيث يكون هذا الأمر واضحًا لدىٰ قاريء الكتاب لما يأتي في سائر أبواب الكتاب من التحذير من أنواع وصور الشرك.

وبدأ الإمام في الاستدلال علىٰ حقائق الشرك بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]. ثم أتبعه مباشرة بحديث أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تسمية النبي ﷺ التبرك بالشجرة شركًا، فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدْرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول لله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو**

(١) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**(٢): «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها - اتخاذ إله مع الله تعالىٰ، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه، والدعاء عنده؟!

فأي نسبة للفتن بشجرة إلىٰ الفتنة بالقبر؟!

لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون!

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك(٣): «فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجعون البراء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخِرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها»».

وقال الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «الاعتبار بالحقائق والمعنىٰ لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم. لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلًا أو تبركًا، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

(٣) هو أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحوادث والبدع، ص (١٠٤، ١٠٥).

(٤) مجموع الفتاوىٰ البازية (٣/ ١٣٩).

والصالحين، والذبح لهم، أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك؛ لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء، كما تقدم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلىٰ حنين لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم علىٰ سدرة، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة**». فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط. فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل؛ لأن العبرة بالمعنىٰ والحقائق لا بالألفاظ».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من زعم أن من قال: لا إله إلا الله. وتسمَّىٰ بالإسلام أنه يبقىٰ علىٰ إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمَّىٰ ذلك توسلًا لا عبادة، فإنَّ هذا باطل.

فإنَّ الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله، لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع - وهو العبادة - فإنَّها حقّ الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنًا، وخرج بذلك عن الدِّين، ولم ينفعه انتسابه إلىٰ الإسلام، فكم انتسب إلىٰ الإسلام من مشرك، وملحد، وكافر، ومنافق.

والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها».

وما ذكره العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح تمامًا؛ فعباد

(١) القول السديد، ص (٨٠، ٨١).

القبور كعباد الأصنام والتماثيل تمامًا، قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أصل عبادة الأصنام أنهم عظَّموا الأموات تعظيمًا مبتدعًا، فصوروا صورهم، وتبركوا بها، فآل الأمر إلىٰ أن عُبدت الصور ومن صورته، وهذا أول شرك حدث في الأرض، وهو الذي أوحاه الشيطان إلىٰ عباد القبور في هذه الأزمان، فإنه ألقىٰ إليهم أن البناء علىٰ القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم، وأن الدعاء عندها أرجىٰ في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد؛ فاعتادوها لذلك، فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلىٰ الدعاء به والإقسام علىٰ الله به».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٢]: «والقبور قد اتخذت أوثانًا، وأصل الشرك هو من تعظيم القبور، وقد قال ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»**».

وقال علامة الجزائر مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وإذا قيل للناس: إن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان. قالوا: إنكم تسبُّون الصالحين!

يا إخواننا، افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن علىٰ الأولياء؛ فإن كل ما نُصب ليعبد من دون الله فهو وثن، أو صنم، وكل من عبده فهو هالك، وليس كل معبود من دون الله هالكًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) تيسير العزيز الحميد، ص (٣١٠).

(٢) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (١٠٢، ١٠٣).

(٣) الشرك ومظاهره، ص (٢٢٨).

ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠١]، فتلك المزارات والضرائح من الأوثان، وإن كانت منسوبة إلىٰ ولي صالح».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٢هـ)**[1]:

«والنذر بالمال للميت ونحوه، والنَّحر علىٰ القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمُّونه وثنًا وصنمًا، وفعله القبوريون لما يسمونه وليًّا وقبرًا ومشهدًا، والأسماء لا أثر لها، ولا تغيِّر المعاني ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر، وسمَّاها ماءً - ما شرب إلا خمرًا، وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعلَّه يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية».

وقال الصنعاني أيضًا مبينًا ما يفعله القبوريون من نقض حقيقة التوحيد[2]:

«فإذا تبيَّن لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها، ولذلك لم تنفع اليهود، ولا نفعت الخوارج مع ما انضمَّ إليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلىٰ جنبها، بل أمر ﷺ بقتلهم، وقال: **«لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»**. وذلك لمَّا خالفوا بعض الشريعة، وكانوا شرَّ القتلىٰ تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث.

فثبت أن مجرَّد قول كلمة التوحيد - غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله.

---

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٧٢، ٧٣).

فإن قلت: القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء، يقولون: نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا نحجُّ لهم.

قلت: هذا جهل بمعنىٰ العبادة، فإنها ليست منحصرةً فيما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمُّونه معتقدًا، ويصنعون له ما سمعته مما تفرَّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم، والتوسل بهم، والاستغاثة بهم، والاستعانة، والحلف، والنذر، وغير ذلك».

وقال العلامة عبد القادر بن بدران الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٤٦هـ) مبينًا حقيقة الشرك في استغاثة المستغيثين بغير الله**(١): «**إن كان ذلك القائل يعتقد أن سيده فلان هو الذي يغيثه**، ويفرج كربه، ويشفي ولده، ويمدّه بالمدد من عنده؛ **فقد كفر باتفاق المؤمنين العارفين** بشرع سيد المرسلين، إلا من عند من هو علىٰ شاكلة ذلك القائل ممن يجعل ما سوّله له الشيطان دينًا؟ فاتخذ له أربابًا يعبدهم من دون الله، مقلدًا قول القائل: «اعل هبل». فليس غياث المستغيثين، ومفرج الكروب، والشافي من الأسقام والأمراض، وممدّ العوالم كلها إلا الله وحده لا شريك له في أفعاله وفي ذاته وفي صفاته، فمن وصف مخلوقًا ونسب إليه شيئًا من أفعال الربوبية وصفاتها؛ فقد جعل لله شريكًا، وكان سبيله سبيل المشركين الذين كانوا يقولون في التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»(٢). وتلك الفرقة أصعب

---

(١) الأجوبة عن الأسئلة المصرية، ص (٢٤١).

(٢) وهو من الشرك الأكبر أيضًا.

شيء إرجاعها إلىٰ الحق، وإذا خاطبت أحدًا منهم تأول، وتمحّل، وأرغىٰ، وأزبد، ورمىٰ الناصح بكل نقيصة، زورًا وبهتانًا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [البقرة: ١٧٠]».

وقد نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حقيقة الشرك وحذّر منه في ألصق أبواب التوحيد [باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره](١)، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [يونس: ١٠٦](٢). فمن اعتقد في ميت أنه ينفعه أو يضره فقد اتخذه ربًّا.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٥٠هـ)(٣): «لا شك أن من اعتقد في ميّت من الأموات، أو حيّ من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالًا أو مع الله تعالىٰ، أو ناداه أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق، فلم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة - إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة - ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه، حجرًا، أو شجرًا، أو ملكًا، أو شيطانًا، كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم يعلم هذا ويقر به، فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله، وتشريك غيره معه

---

(١) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص (١٨، ١٩).

يكون للحيوان، كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت.

فمن زعم أن ثمَّ فرقًا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع، أو يقدر علىٰ أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ - فقد غلط غلطًا بيّنًا، وأقر علىٰ نفسه بجهل كثير، فإن الشرك هو دعاء غير الله فيما يختص لله، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلىٰ غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بالصنم والوثن والآلة لغير الله زيادة علىٰ التسمية بالولي، والقبر، والمشهد، كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي، والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء علىٰ بعض المسميات، **بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئًا يختص به سبحانه،** سواء أطلق علىٰ ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسمًا آخر، فلا اعتبار بالاسم قط، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يُخاطب بما يُخاطب به أهل العلم، وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلىٰ حد لا يكون إلا لله سبحانه».

وقد بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما قام به نبينا ﷺ من إزالة أوثان الجاهلية الأولىٰ، وما أوجبه الله علينا من إزالة ما يضاهيها مما أقامه ونصبه وتوجه إليه واتخذه لرغبته ورهبته القبوريون في زماننا، ففي باب [ما جاء في المصورين][1]،

---

(١) الباب الستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٢).

روىٰ عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبرًا مُشرفًا إلا سوَّيته»[(١)]؛ قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ومن الأنصاب التي هي رجس من عمل الشيطان، ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة، أو وثن، أو عمود، أو قبر، أو خشبة، أو حجارة، أو غيرها، فالواجب هدمه ومحو أثره كما أمر رسول الله ﷺ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلىٰ اليمن بهدم القبور المشرفة، وتسويتها بالأرض، وهو في صحيح مسلم».

وكذلك ذكر الإمام في باب [قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]][(٣)]، تفسير اتخاذ الأنداد، وساق قول الصحابي الجليل حبر الأمة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(٤)]، قال: «هو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي. وتقول: لولا كليبة هذا لآتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لآتانا اللصوص.

وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك».

وفي [باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][(٥)]، ساق حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (ص٣٨٩- رقم ٢٢٤٣).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (١٤٣).

(٣) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد ص (٧٦).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٧٦). (٥) الباب السابع والثلاثون.

أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه؟**». **فقلت:** بلىٰ. **قال:** «**فتلك عبادتهم**»[(١)].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الأحبار والرهبان أُطيعوا فيما أَمروا ونَهوا من تحريم الشيء وتحليله، فنسبهم إلىٰ أنهم اتخذوهم أربابًا».

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩هـ)**[(٣)]: «فإن قال قائل: إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان، فأيش معنىٰ قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

قلنا: معناه أنهم استحلوا ما أحلوا، وحرّموا ما حرموا، فهذا معنىٰ عبادتهم لهم، وقد صح هذا المعنىٰ برواية عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي ﷺ».

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله[(٤)]: «هذا ما يسمىٰ بشرك الطاعة؛ لأن العبادة معناها طاعة الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بفعل أوامره وترك نواهيه، ومن ذلك مسألة التحليل والتحريم، فهي داخلة في العبادة، بدليل قوله تعالىٰ لَمّا ذكر ما يفعله المشركون من استباحة ما حرّمه الله من الميتة التي حرّمها وهم يستحلُّونها ويقولون: هي أولىٰ بالأكل من المُذكّاة؛ لأن المذكّاة أنتم ذبحتموها،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٧٠).

(٢) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٥٢١).

(٣) تفسير القرآن (٢/ ٣٠٣).

(٤) إعانة المستفيد (٢/ ١٠٧).

وأمّا الميتة فإن الله هو الذي ذبحها، وكانوا تلقّوا هذه المقالة من المجوس، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. أي: إن أطعتموهم في استباحة الميتة وخالفتم أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتركها ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مع الله في التحليل والتحريم».

ومن سخافة عقول بعض الجاهلين اعتقادهم أن الشرك فقط هو السجود لغير الله أو الصلاة له، وهذا لا يقوله إلا من جعل معنىٰ التوحيد وما يضاده من الشرك فقط الصلاة لغير الله.

وتنبيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أنواع الشرك، هذا من تمام نصحه حتىٰ لا يقع مسلم فيه، فتكون عاقبته النار - والعياذ بالله - إلا أن يتوب من ذلك، فإن الإمام عقد [باب من الشرك الاستعاذة بغير الله][1].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٣٣هـ)**[2]:

«فإذا كان تعالىٰ هو ربُّنا ومالكنا وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعىٰ ولا يخاف ولا يُرجىٰ ولا يُحبُّ غيره، ولا يذَلَّ ولا يخضع لغيره، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من تخافه وترجوه وتدعوه وتتوكَّلُ عليه، إما أن يكون مُربِّيك والقيِّم بأمورك، ومتولِّي شأنك، فهو ربك، فلا رب لك سواه، أو تكون مملوكه وعبده

---

(١) الباب الثاني عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٤٦٢).

الحق، فهو ملك الناس حقًّا، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلىٰ حياتك وروحك، فهو الإله الحقُّ، إلهُ الناس، فمن كان ربَّهم ومَلِكَهُم وإلههم - فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجئوا إلىٰ غير رحماه، فهو كافيهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليُّهم، ومتولي أمورهم جميعًا، بربوبيته، وملكه، وإلهيَّته لهم، فكيف لا يلتجيء العبدعند النوازل ونزول عدوِّه به إلىٰ ربِّه، وملكِه وإلهه، وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد علىٰ توحيد الإلهية، هذا معنىٰ كلام ابن القيم.

فإذا تحقَّق العبد بهذه الصفات: الرَّبِّ والملك والإله، وامتثل أمر الله، واستعاذ به؛ فلا ريب أن هذا عبادة من أجل العبادات، بل هو من حقائق توحيد الإلهية، **فإن استعاذ بغيره فهو عابدٌ لذلك الغير، كما أن من صلَّىٰ لله وصلَّىٰ لغيره؛ يكون عابدًا لغير الله، كذلك في الاستعاذة، ولا فرق، إلا أن المخلوق يُطلب منه ما يقدر عليه، ويُستعاذ به فيه، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يستعاذ فيه إلا بالله، كالدعاء، فإن الاستعاذة من أنواعه**».

ومن تنبيهه علىٰ حقائق الشرك في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، أنه صدّر الباب بقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]. فإنه أراد بذلك إيقاظ الخلق إلىٰ حقيقة الشرك، وأنه لا يختص بأصنام الحجارة التي عبدها مشركو قريش، فكل من جعل بينه وبين الله

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

وسائط مخلوقة سواء شجر أو حجر أو بشر ميت، سأله من دون الله، أو سأل به وجعله شفيعًا بينه وبين الله - فقد أشرك، وهذه شبهة مشركي قريش تمامًا، قال تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، قال العلامة محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وقد يظن من أشرك بعض الأولياء مع الله تعالىٰ هذا النوع من الإشراك أن هذا التوبيخ لا يوجه إليه، وأن هذه الحجة لا تقوم عليه؛ لأن أولئك كانوا يدعون جمادًا أو شجرًا لا يعقل، وهم يدعون أولياء وصلحاء، لأمواتهم حكم الشهداء في الحياة، وهم يقصدون قبورهم ويعظمونها؛ لأن لأرواحهم اتصالًا بها، وإنما جاءت هذه التفرقة من جهلهم بأن أكثر هذه الأصنام لم تنصب إلا للتذكير بأناس من الأولياء الصالحين، كما رواه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في أصنام قوم نوح التي انتقلت إلىٰ العرب، وقد كانت اللات صخرة لرجل يلتّ عليها السويق ويطعمه الناس.

فالأصنام والتماثيل والقبور التي تُعظّم تعظيمًا دينيًّا لم يأذن به الله - كلها سواء في كونها وُضعت للتذكير بأناس عُرفوا بالصلاح، وكانوا هم المقصودين بالدعاء لما تخيلوا فيهم من التأثير في إرادة الله، أو التصرف الغيبي في ملك الله، وهو أفحش الشرك بالله، علىٰ أنه لا فرق في المسألة بين إشراك الصنم والوثن، وإشراك الولي، أو النبي، أو الملك».

ومن أقوىٰ الأدلة التي ساقها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تبيين حقيقة الشرك - ما ذكره في باب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين

(١) تفسير المنار (٩/ ٥٢٦، ٥٢٧).

يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله][١]، حيث صدّر هذا الباب بما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢]. فتأمل خوف النبي ﷺ من غلو أمته في قبره حيث قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**».

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٢هـ)**[٣]: «وكذلك تسمية القبر مشهدًا، ومن يعتقدون فيه وليًّا لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن؛ إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: علىٰ الله وعليك. ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد، ونحوها».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حقيقة الشرك في دعاء غير الله**[٤]: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]». رواه ابن المنذر والحاكم وصححه».

ثم قال معلقًا[٥]: «فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو

(١) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٦٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٧٨).

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٧٩).

أكرمها علىٰ الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شِرْكًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولىٰ أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقرَّبون إليهم ليشفعوا لهم عند الله».

وقال أيضًا[١]: «إذا تبيَّن ذلك فاعلم أن العلماء أجمعوا علىٰ أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله - فهو مشرك، ولو قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وصلَّىٰ، وصام؛ إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين: أن لا يعبد إلا الله، فمن أتىٰ بالشهادتين وعبد غير الله، فما أتىٰ بهما حقيقة وإن تلفَّظ بهما، كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله. وهم مشركون، ومجرد التلفظ بها لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعًا».

وكما أن الإمام حذر من رواسب الشرك مَن هُدي للتوحيد، فإنه من تمام نصحه حذّر من الجاهلية مَن لا يعرفها، ففي باب [من تبرّك بشجرة أو حجر ونحوهما][٢] ساق حديث أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٩٠).

(٢) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

«**الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ**: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. **لتركبنَّ سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه[١].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مسائل هذا الباب**[٢]: «الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر»»، فاحذر عبد الله من ترسبات الجاهلية، ومن وُلد في الإسلام فليحذر الجاهلية، فإنه يوشك أن ينقض عرىٰ الإسلام من وُلد في الإسلام ولا يعرف الجاهلية، كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وليكن علىٰ بصيرة منها لمحاذرتها لا للوقوع فيها.

❊ ❊ ❊

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢) القول السديد، ص (٤٢).

تمييز الإمام بين الشرك الأكبر والأصغر

التمييز بين مراتب الشرك وأنواعه مهم جدًّا، وإتقان الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الأمر وعنايته به - واضح جدًّا في كتاب التوحيد، فلذلك تجده في تبويب الكتاب يطلق الشرك علىٰ الأفعال المضادة للتوحيد أحيانًا وذلك للتفصيل في حكم من أتىٰ الفعل الشركي حسب اعتقاده، وينبّه في المسائل علىٰ أحكام هذه الأفعال، ويميّز بين الشرك الأكبر والأصغر.

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٢هـ)**[١]: «والمصنف - إمام الدعوة - قدّس الله روحه ابتدأ في تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فإن الضد لا يعرف إلا بضده، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء، فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد، وبالعكس».

وفي الباب الثالث [باب الخوف من الشرك][٢]، ساق الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسُئل عنه، فقال: **الرياء**»[٣].

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٧٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٠، ١١).

وفي المسائل قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**المسألة الثانية**: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر»[١].

فهنا ينبغي علىٰ طالب العلم أن يتأمل هذا الباب في ضوء سائر أبواب كتاب التوحيد، خصوصًا الأبواب ذات الصلة بموضوع الرياء، وتجريد القصد لله وحده لا شريك له؛ فإن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يفهم من كلامه أنه يرىٰ أن الرياء شرك أصغر مطلقًا، وهذا واضح لأمور:

١- أن أبواب التوحيد كلها تتعاضد في تحقيق التوحيد، وقد أوضح أنواع الشرك الأكبر، وحذّر منها.

٢- أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل وافق منطوق قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسئل عنه، فقال: **الرياء**». فلا يقال: إن النبي ﷺ حكم بأن الرياء كله شرك أصغر، فإن مجموع الأدلة من القرآن والسنة دالة علىٰ أن الرياء منه أصغر وأكبر، وهكذا بيان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا بد أن يؤخذ مجموع كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته ويعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلّم به، وتُعرف المعاني التي عُرف أنه أرادها في موضع

---

(١) القول السديد، ص (٢٣).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٨٨).

آخر، فإذا عُرف عُرْفُه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يُستعان به علىٰ معرفة مراده». وأنت إذا تأملت أبواب التوحيد وجمعت كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضه ببعض؛ ظهر لك ظهورًا جليًّا واضحًا أنه لم يرد أن مطلق الرياء شرك أصغر؛ فإنه عقد [باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][1] ، وأقام الدليل علىٰ أن من قام في ابتداء عمله رياء وسمعة - فهو شرك أكبر، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥، ١٦]، فمن ليس له في الآخرة إلا النار، وحبط عمله فهذا شركه أكبر وليس بأصغر قطعًا.

٤- أئمة الدعوة وتلاميذ الإمام خصوصًا المجددون للدعوة، كالعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بصراء بهذ الأمر توارثوا أخذ العلم عن الجد الإمام، ودوّنوه في شروحاتهم لمتن كتاب التوحيد، ففي باب [الخوف من الشرك]، الذي دوّن فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول تعليقه علىٰ توصيف نوع شرك الرياء، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا[2]: «أما الشرك الأكبر فلا عمل معه، ويوجب الخلود في النار، كما تقدم في معنىٰ الآيات، وأما الأصغر كيسير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت. وقول: ما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك».

فتأمل قول الشيخ عبد الرحمن: «الأصغر كيسير الرياء»، فيسير الرياء هو الأصغر لا كثيره.

---

(١) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨). (2) قرة عيون الموحدين، ص (٤٦).

وفي ذكره فضل التوحيد وأهله في أول أبواب كتابه، وذكر أهل الشرك وما يصدق عليهم هذا الوصف - تمييز بين عاقبة الموحدين والمشركين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «فأهل التوحيد المخلصون لله هم أحق الناس بشفاعته ﷺ، فمن كان لا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يدعو مخلوقًا، لا ملكًا، ولا بشرًا، ولا نبيًّا، ولا صالحًا، ولا غيرهم - كان أحق بشفاعته ممن يدعوه، أو يدعو غيره من المخلوقين، فإن هؤلاء مشركون، والشفاعة إنما هي لأهل التوحيد.

وإذا كان كذلك فالذين يدعون المخلوقين، ويطلبون من الموتىٰ، والغائبين، من الملائكة، والبشر، الدعاء، والشفاعة - هم أبعد عن الشفاعة فيهم، والذين لا يدعون إلا الله هم أحق بالشفاعة لهم، والله تعالىٰ قد جعل الملائكة يدعون، ويستغفرون لأهل التوحيد، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٧، ٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٥].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. ما لم يحدث».

---

(١) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (١٢٨، ١٢٩).

وقد قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون علىٰ معلم الناس الخير**». وفي حديث آخر: «**إنه ليستغفر له كل شيء حتىٰ حيتان البحر**».

فالناس إذا فعلوا ما أمروا به فتح الله عليهم أبواب رحمته».

ونجد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][1]، ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفر، فقال: «**ما هذه؟** قال: من الواهنة. فقال: **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهْنًا، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[2]، ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائده في المسائل، في المسألة الثانية[3]: «أن الصحابي لو مات وهو عليه ما أفلح، ففيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر».

ولا يريد الإمام وسائر العلماء التهوين من بعض أنواع الشرك بوصفه بـ«الأصغر»، وإنما قصد إعطائه حكمه الشرعي الذي يقتضيه الدليل، وإلا فالشرك الأصغر بريد الأكبر، وكونه شرك كاف في التنفير عنه.

قال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله معلقًا علىٰ قوله ﷺ: «**فإنك**

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٣) القول السديد، ص (٣٤).

لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا»[١]: «فهذا فيه دليل علىٰ أن الشرك لا يُغفر ولو كان شركًا أصغر، يُعذّب به، وإن كان لا يعذّب تعذيب المشرك الشرك الأكبر، فلا يخلد في النار، لكن يعذّب بها بقدره.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مسائله:** «فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر». فالشرك الأصغر أكبر من الكبائر؛ لأن المعاصي وإن كانت كبائر إذا لم تكن شركًا؛ فلا تخل بالعقيدة، وأما الشرك الأصغر فإنه يخلّ بالعقيدة، وأيضًا لا يُغفر علىٰ الصحيح، والمعاصي الكبائر التي دونه مظنّة المغفرة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾».

ومن أعجب ما قصد الإمام التنبيه عليه في التمييز بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر - إقامته الدليل علىٰ معرفة اليهود به؛ ليستدل به علىٰ أمرين:

١ - اتفاق الملل بعقيدتها غير المبدّلة علىٰ عقيدة التوحيد.

٢ - أن عدم التمييز بين نوعي الشرك - لا يقع إلا بسبب الجهل ودروس العلم، وإلا فكيف يجهله مسلم، ويعرفه أحبار اليهود.

فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب قول: ما شاء الله وشئت][٢] ساق حديث قتيلة أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تُشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: **وربِّ الكعبة**. وأن يقولوا: **ما شاء الله ثم شئت**». رواه النسائي

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٣٩).

(٢) كتاب التوحيد ص (٧٨)، الباب الثالث والأربعون.

وصححه[١].

ثم قال الإمام في المسائل[٢]: «**الأولىٰ**: معرفة اليهود بالشرك الأصغر».

ومن المهم جدًّا هنا أن يقرأ طالب العلم المسألة الثانية التي ساقها الإمام؛ ليدفع توهم تزكية اليهود واعتقادهم، حيث قال[٣]: «**الثانية**: فهم الإنسان إذا كان له هوًىٰ».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أي إذا كان له هوًىٰ فهم شيئًا، وإن كان هو يرتكب مثله أو أشد منه، فاليهود - مثلًا - أنكروا علىٰ المسلمين قولهم: «ما شاء الله وشئت». وهم يقولون أعظم من هذا، يقولون: عزير ابن الله. ويصفون الله بالنقائص والعيوب».

ومن تنبيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر في الباب نفسه، أنه ساق حديث الطفيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٥]، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**إن طفيلًا رأىٰ رؤيا وأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**». ثم قال مبينًا دلالة الحديث علىٰ مقصوده[٦]:

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٧٨، ٧٩).

(٢) القول السديد، ص (١٢٧).

(٣) القول السديد، ص (١٢٧).

(٤) القول المفيد، ص (٥٢٠).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٧٩، ٨٠).

(٦) القول السديد، ص (١٢٨).

«أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: «**يمنعني كذا وكذا**»».

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله[١]: «وأما الشرك الأكبر فلا يجوز أن يؤَخَّر إنكاره، أو أن يمنع عنه مانع؛ أما شرك الألفاظ فقد تكون المصلحة والفقه - فقه الدعوة، وفقه ترتيب الأهم والمهم، وتقديم الأهم علىٰ المهم - أن يُؤَخَّر بعضه لتتم المصلحة العظمىٰ، أما الشرك الأكبر فلا مصلحة تبقىٰ مع وجوده».

فهذا توجيه العلماء لتأخير البيان من النبي ﷺ وخرّجه جماعة من العلماء علىٰ أنه تأخير للبيان إلىٰ وقت الحاجة، والله أعلم.

وأفضل من هذا أن يقال: إن بيان تفرد الله بالربوبية وعدم جعل المخلوق في رتبته في الأفعال والمشيئة - سابق وكثير ومعلوم بيانه لدىٰ العام والخاص، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، وأن تأخير البيان من النبي ﷺ لكمال البيان لا لأصله، فهو توكيد لما سبق بيانه.

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمييز بين نوعي الشرك[٢]: «الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كلَّ المنافاة، وهو نوعان:

شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي.

فأما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبّه كحبّ الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة، فهذا الشرك

---

(١) التمهيد لشرح كتاب لتوحيد، ص (٤٦٦).

(٢) القول السديد، شرح كتاب التوحيد، ص (٢٤، ٢٥).

لا يبقىٰ مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرق في هذا بين أن يُسمِّي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسّلًا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلىٰ الشرك، كالغلوّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار، والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقّق السعادة إلَّا بالسلامة منه - كان حقًّا علىٰ العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعىٰ في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء، والأصفياء، وخيار الخلق.

وعلىٰ العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلُّق تألهًا، وإنابةً، وخوفًا، ورجاءً، وطمعًا، وقصدًا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، **فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه**».

* * *

حض الإمام على الثبات على التوحيد

الحرب بين الشيطان وجند الرحمن قائمة ومستعرة، قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥]، وشأن المؤمن الموحّد حقيقة رسوخ الإيمان في قلبه، وقوة توكله علىٰ الله، ومجاهدته الشيطان وأولياءه، فلا يرتاب في توحيده وعقيدته، بل مؤمن بالله وحده لا شريك له، داعية إلىٰ توحيد الله، مجانب للشرك وأهله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إيمان عن أكبر البراهين، وإيمان علىٰ بصيرة، لا كإيمان ضعفاء المؤمنين، الناشيء عن العادات والتقليد، الذي هو عرضة للعوارض والعوائق!

وأما هذا الإيمان فهو إيمان لا تزعزعه الشبهات، ولا تعارضه الخيالات، بل يزداد مع صاحبه مدىٰ الأوقات».

من أجل هذا عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **باب قول الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص (٨٩).

مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥][1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ومن كيد عدُوِّ الله أنه يخوِّف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، فأخبر تعالىٰ أن هذا من كيده وتخويفه، ونهانا أن نخافهم، والمعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوِّفكم بأوليائه، قال قتادة: يُعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكُلَّما ضعف إيمانُ العبد قويَ خوفه منهم».

وهنا لا بد أن يجمع طالب العلم فقه وأدلة [باب قول الله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥]][3]، مع أبواب التوحيد كلها التي تحقِّق التوحيد، فلا يكون للشيطان عليه سبيل، والتوحيد والعقيدة في حرز وحماية وصيانة فوق كل شيء، فلا ينال منه الشيطان ولا يصل إليه، ونذكِّر هنا بباب [ما جاء في الذبح لغير الله][4]، حيث ساق فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث طارق ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب،** قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مرَّ رجلان علىٰ قوم**

---

(١) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٧٤).

(٣) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٤) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).

لهم صنم لا يجاوزه أحد حتىٰ يقرِّب له شيئًا، قالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أُقرِّب. قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلّوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرّب. قال: ما كنت لأقرّب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ. فضربوا عنقه، فدخل الجنة»، رواه أحمد(١).

فالموحدون كلهم يقولون كما قال هذا الموحّد القدوة: «ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ»، فالله أكبر في نفوس الموحدين من أن ينقضوا ميثاقه الذي أخذه عليهم وعلىٰ الخلق أجمعين لترهيب المشركين، فالموحدون يقاتلون حتىٰ يشهد الناس أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، والمشركون يقاتلون حتىٰ تكون فتنة وشرك، وصدق الله إذ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ومن تمام أدلة هذا الباب [باب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥]]، الآية التي ساقها الإمام في ترجمة هذا الباب، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين:

إما أن يقول أحدهم: آمنا. وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر علىٰ السيئات

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢١، ٢٢).

(٢) قرة عيون الموحدين، ص (١٦٩).

والكفر فمن قال: آمنا. فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير له الألم الدائم».

ومن تكامل أبواب التوحيد أن أردف الإمام هذا الباب بباب [قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]][1]، وساق فيه قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وذكّر فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمقامات الأئمة الموحدين، وهم قدوات لنا جميعًا، فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، رواه البخاري».

وشأن المؤمن التسلح ضد الشيطان، فإذا سمىٰ الله الشيطان عدوًّا، وأمرنا الله باتخاذه عدوًّا، فلا بد من مجاهدته بالسلاح النافع، وأعظمه وأوله وأهمه توحيد الله، والإخلاص له، وملازمة ذكره، والقيام بطاعته والازدياد من ذلك ومن طلب العلم، فإن الشبهات والشهوات المحرمة هي طرائق الشيطان في محاربة الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩]، وقال النبي ﷺ:

---

(١) الباب الثاني والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٤).

«**إن مما أخشىٰ عليكم مضلات الهوىٰ وشهوات الغي في بطونكم وفروجكم**»[(١)].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هنا مسألة يجب التفطن لها، وهي أن القلب إذا كان خالصًا صريحًا فإن الشيطان يسلط عليه حتىٰ يوقعه إما في شرك وإما في شك، وكلما كان الإنسان أصرح إيمانًا فإن الشيطان يزيد في ضربه بسهامه، وتشكيكاته، وغير ذلك، فلتكن علىٰ حذر، وأعرض عن هذا وانته عنه، واستعذ بالله منه فإنه لا يضرك، ولهذا كثيرًا ما نسمع من يشتكي هذه الحال، فنقول له كما قال النبي ﷺ: «**استعذ بالله ثم انته**»، «**استعذ بالله**»، هذا لجوء إلىٰ الله فيما لا يمكن أن يخلصك من الشيطان إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فاستعذ بالله و«انته»، هذا فيما يمكنك فعله، انته: بمعنىٰ: أعرض عن هذا ولا تفكر فيه، فلو كنت ذاهبًا لتصلي، وسألك سائل: لماذا تصلي؟ لقلت: إيمانًا بالله وابتغاءً لفضله؛ وليس عندك في هذا شك، إذًا: ما يورده الشيطان علىٰ قلبك لا تلتفت إليه، وبكل سهولة يمكنك أن تتخلص من إيراداته، بيقينك بأنك ما جئت إلىٰ المسجد ولا توضأت، وكذلك ما تركت الطعام والشراب والنكاح في صومك إلا وأنت مؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، ومؤمن بثوابه، وخائف من عقابه، بمثل هذه الأمور يمكن أن يستعين الإنسان علىٰ طرد هذه الوساوس، وإلا فإن الإنسان إذا استرسل معها ربما تهلكه، لكن الحمد لله أن الرسول ﷺ أعطانا هذا الدواء الناجع، بأن أقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم أنتهي،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٢٠) وهو حديث صحيح، قال المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رواه أحمد والطبراني، وبعض أسانيدهم رجاله ثقات» الترغيب والترهيب (٣/ ١٤١).

(٢) تفسير سورة النساء (٢/ ٢٦٦، ٢٦٧).

وأنظر إلىٰ عملي الذي أنا فيه وأقبل عليه، إن كان عبادة فعبادة، وإن كان أمرًا دنيويًّا فأمرًا دنيويًّا، المهم أن أتغافل عن هذا الشيء، وأن لا أسترسل معه؛ لأن الاسترسال معه الهلكة، لأنه وسواس لا حقيقة له».

وقال العلامة **محمد تقي الدين الهلالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المشركون في كل زمان ومكان طبيعتهم واحدة لا تختلف إذا نهاهم ناه عن الشرك بالله، حاولوا أن يلتمسوا عذرًا لأنفسهم، فيقولون مثلًا: إن هذا الضريح، أو هذا التمثال، أو هذه الشجرة، أو هذا الحجر، أو هذا المكان، كل ذلك، منسوب إلىٰ ملك مقرب، أو نبي كريم، أو صالح من أولياء الله، فتعظيمنا له تعظيم للمنسوب إليه، ومنزلته عند الله عالية، ونحن مذنبون خاطئون، إذا دعونا الله لا يستجيب لنا، وإذا تشفعنا إليه بهذه الآثار المنسوبة إلىٰ أوليائه يقضي حاجاتنا، قال تعالىٰ في سورة يونس: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فأنت ترىٰ أن الله لم يقبل عذرهم، وسمّىٰ عبادتهم لتلك الآثار وللمنسوبة إليهم شركًا.

فائدة ثانية: إذا رأىٰ المشركون أن الذي ينهاهم عن الشرك لا يقبل عذرهم، انتقلوا إلىٰ حجة أخرىٰ، وهي تخويفه من شركائهم، كما حكىٰ الله عن قوم إبراهيم وقوم هود، فقال لهم إبراهيم: أنا لا أخاف ما تشركون به من الآثار، ولا الذين تنسبونها إليهم؛ لأني أعلم أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله. ولما

(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

كنت في تطوان[1] أدعو إلىٰ توحيد الله، أصابني مرض الربو، فقال المشركون: إن السيد السعيدي هو الذي أصابني بذلك المرض؛ لأني أنكرت عليهم عبادته بالذبح، والنذر، والاستغاثة، وطلب قضاء الحاجات، حتىٰ المطر يطلبونه منه، فقلت لهم علىٰ كرسي الوعظ في المسجد الجامع: إن قومًا زعموا أن السيد السعيدي هو الذي أصابني بهذا المرض، وهؤلاء ليس لهم عقل ولا دين، أما الدليل علىٰ أنهم ليس لهم عقل، فهو أن رجالًا ونساءً كثيرًا من أهل تطوان مصابون بهذا المرض، وهم يعبدون السيد السعيدي، فمن أصابهم به؟

وأما الدليل علىٰ أن ليس لهم دين، فإن السعيدي إن كان صالحًا كما تقولون، فإنه لا يعلم ما أدعو إليه؛ لأنه مشغول بما أعد الله له من نعيم الجنة، ولا يعلم الغيب، ولو علم أني أدعو إلىٰ توحيد الله واتباع رسوله لفرح بذلك، وإن كان السعيدي لا يحب توحيد الله تعالىٰ ولا اتبّاع رسوله ﷺ فليس بصالح، ولا مؤمن بالله، فأنا لا أبالي به مع أنه عاجز عن النفع والضر.

فائدة ثالثة: قال إبراهيم في الحجة التي آتاه الله علىٰ قومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: ٨١]، أي: كيف أخاف أصنامكم ومن وراءهم من المعبودين، وأنا موحد لله، لا أشرك به شيئًا، ولا تخافون أنتم من عذاب الله، وقد أشركتم به بعض خلقه، فأينا أحق بالأمن من الخوف، وشهد لهم بالاهتداء، ومقتضىٰ هذا: أن الذين أشركوا بالله هم أحق بالخوف، وهم ضالون، فمع توحيد الله الأمن والهدىٰ، ومع الشرك بالله الخوف والضلال».

---

(١) بلدة بالمغرب.

وهنا لا بد من تنبيه الجميع إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ قد يبتلي عباده ببعض المصائب، فالمؤمن يعلم أنها من الله، وأنه بتقديره وحده لا شريك له، لا شأن لمن يُعبد من دون الله من ذلك بشيء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فكل من يُعبد من دون الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، والموحِّدون لا يلتفتون إلىٰ إرجاف المشركين، والكل يعرف أن الشمس كُسفت يوم مات إبراهيم ابن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتحدث الناس أن الشمس كُسفت لموت إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»[١].

والزنيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما أسلمت عميت عن قريب، فقال المشركون: أعماها اللات والعزىٰ. فقالت: أنا أكفر باللات والعزىٰ، فرد الله عليها بصرها[٢].

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ في مسائل هذا الباب [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، قال في مسائله[٣]: «المسألة السادسة: إن إخلاص الخوف لله من الفرائض».

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُٱللَّهُ محشيًا[٤]: «الخوف علىٰ ثلاثة أقسام:

(١) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته (ص١٧١- رقم ١٠٥٨)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (ص٣٦١ - رقم ٢٠٨٩).

(٢) تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٠).

(٣) القول السديد، ص (١٠٠).

(٤) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٤٤، ٢٤٥).

أحدها: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن، أو طاغوت، أو غير ذلك، أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾، وهو الواقع من عباد القبور ونحوها، يخافونها، ويخوّفون بها أهل التوحيد.

الثاني: أن يترك ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، لغير عذر خوفًا من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله، المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول الآية، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وفي الحديث: «**إن الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس. فيقول: إياي كنت أحق أن تخشىٰ**». رواه أحمد وغيره.

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا لا يذم، كقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، وأما خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، ونحو ذلك فهو أعلىٰ مراتب الإيمان».

وهنا يجب علىٰ طالب العلم أن يضم إلىٰ [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]]، باب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩][(١)]، فإن المسلم يخاف ذنوبه ولا يأمن مكر الله، كما أنه لا يقنط من رحمة الله، بل يبادر إلىٰ التوبة وإصلاح الخلل، لذلك ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٤).

في هذا الباب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**». وقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق[1].

قال العلامة صالح الفوزان وفقه الله[2]: «أهل السنة والجماعة فإنهم يجمعون بين الخوف من عذاب الله، مع رجاء رحمة الله، فالخوف يمنعهم من المعاصي، ورجاء رحمة الله يحملهم علىٰ التوبة والاستغفار والندم علىٰ ما حصل منهم، هذه طريقة أهل السنة والجماعة، وكما قال الله تعالىٰ في الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾، الرغب: هو الرجاء، والرهب: هو الخوف؛ يعني: يجمعون بين الخوف والرجاء، وكما في قوله تعالىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾، يجمعون بين الأمرين بين الخوف والرجاء.

قال أهل العلم: «فيجب علىٰ المؤمن أن يكون معتدلًا بين الخوف والرجاء، لا يرجو فقط حتىٰ يأمن من مكر الله، ولا يخاف فقط حتىٰ ييأس من رحمة الله، بل يكون معتدلًا»».

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٤-٦٥).

(٢) إعانة المستفيد (٢/ ٧٣).

تنبيه الإمام إلى بقاء شرك الهياكل وتحذيره منه

الشرك في النجوم والكواكب الذي كان عليه قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يندرس، وما زال في هذه الأمة بقايا منه، ومن نصيحة الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه حذّر المسلمين من هذا الشرك، وهو دال علىٰ بصيرته في شرع الله وتوحيده، فإنه في باب [ما جاء في الاستسقاء بالأنواء][1]، ساق حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**». رواه مسلم[2].

فتدبّر قول النبي ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**»، فهو دال علىٰ أنه يبقىٰ في أناس من أمته، وذكر منها: «**الاستسقاء بالنجوم**».

وفي باب [ما جاء في التطير][3]، ساق الإمام حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**». رواه البخاري ومسلم، زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**»[4].

(١) الباب التاسع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٧-٥٨).

(٣) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٤) القول المفيد، ص (٣٦٣).

والأنواء هي منازل القمر، والعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون بها، فيقولون: هذا نجم نحس لا خير فيه. يتشاءمون به، ويتفاءلون بغيره، ويقولون: هذا نجم سعود. قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا إذا مُطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا. ولا يقولون: مطرنا بفضل الله ورحمته. ولا شك أن هذا في غاية الجهل، ألسنا أدركنا هذا النوء بعينه في سنة يكون فيه مطر، وفي سنة أخرىٰ لا يكون فيه مطر؟

ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التي كانت كثيرًا ما يكون في زمنها الأمطار، فالنوء لا تأثير له، فقولنا: طلع هذا النجم. كقولنا: طلعت الشمس. فليس له إلا طلوع وغروب، والنوء وقت تقدير، وهو يدل علىٰ دخول الفصول فقط».

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٤-٧٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان في

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (٤٨٧).

هذا المقام مناظرًا، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبيّن في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي علىٰ صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلىٰ الخالق العظيم، الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته؛ ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبيّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة، فبيّن أولًا صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخرةٌ مقدّرةٌ بسير معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تملك لنفسها تصرفًا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتىٰ تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة علىٰ هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلىٰ القمر فبيّن فيه مثل ما بيّن في النجم، ثم انتقل إلىٰ الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع - ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾».

ولا تعتقد - أيها المسلم - أن شرك التأثير والتصرف في الكون قد اندرس، فالمتألهون لغير الله يخافون أموات الأولياء فضلًا عن أحيائهم، وما ذاك إلا لاعتقادهم أنهم يضرون وينفعون، وأن لهم تصرفًا في الكون، وهذا الذي سماه العلماء بشرك الخوف، وخوف السِّرِّ.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «خوف السِّرِّ، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض، أو فقر، أو قتل، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادّعىٰ أن ذلك كرامة للمخُوفِ بالشفاعة، أو علىٰ سبيل الاستقلال، **فهذا الخوف لا يجوز تعلُّقه بغير الله أصلًا؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتَّخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.**

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يُخوِّفون بها أولياء الرحمن، كما خوَّفوا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨٠، ٨١]، وقال تعالىٰ عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤، ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عُبَّاد القبور، فإنهم يخافون الصالحين، بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشدُّ، ولهذا إذا توجَّهت علىٰ أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كانت اليمين بصاحب التربة لم يُقْدِم علىٰ اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأنَّ المدفون في التراب أخوف عنده من الله.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٧١، ٩٧٢).

ولا ريب أنَّ هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جَهْدُ أيمانهم اليمين بالله تعالىٰ، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلمٌ لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التُّراب.

وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يُعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يُقْدم عليه أحد، ولم يُتعرَّض له بأذًىٰ، حتىٰ إن بعض الناس أخذ من التُّجَّار أموالًا عظيمةً أيَّام موسم الحاجِّ، ثم بَعْدَ أيَّام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلىٰ قبر في جُدَّة يقال له: المظلوم. فما تعرَّض له أحد بمكروه خوفًا من سرِّ المظلوم!

وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالىٰ، وإفراده بذلك دون ما سواه».

فالمشركون تشابهت قلوبهم في انصرافها عن خالقها إلىٰ مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فمنهم علَّق رجاءه ورغبته بكوكب، ومنهم علَّق رجاءه بصنم، ومنهم علَّق رجاءه بشجر، ومنهم علَّق رجاءه بمقبور ميت، وتشابهت قلوبهم في أنهم ما قدروا الله حق قدره، قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن التوسل بالمخلوقين إلىٰ رب العالمين هي طريقة الصابئة، أحد الفرق الست التي عدّهم الله في سورة الحج، حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الحج: ١٧].

والقبوريون ضاهوا عباد الهياكل في شركهم، وتشابه اعتقادهم، فالقبوريون

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص (١٠١).

قالوا: الأولياء يتصرفون في الكون، وعباد الكواكب قالوا: النجوم والكواكب تتصرف في الكون، تشابهت قلوبهم، سبحان الله وتعالىٰ عما يشركون!!!

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه في الرد علىٰ من ادَّعىٰ أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات علىٰ سبيل الكرامة: «هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أنَّ للأولياء تصرُّفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تُكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين علىٰ أنَّ ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد ونجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب: هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيها الأجور.

وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السَّرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق[1]، ومصادمة الكتاب العزيز المُصدَّق، ومخالفةٍ لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، [النساء: ١١٥].

وأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيردُّه قوله تعالىٰ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النمل: ٦١]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورىٰ: ٤٩]، ونحوه من الآيات الدالة علىٰ أنه المتفرِّد

---

(١) فتح المجيد، ص (١٥١-١٥٣).

بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه، فالكلُّ تحت ملكه وقهره، تصرُّفًا وملكًا، وإحياءً وإماتةً وخلقًا.

وتمدَّح الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بانفراده بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالىٰ ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فقوله في الآيات كلها: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، أي: من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته، من وليٍّ وشيطانٍ تستمدُّه، فإنَّ من لم يقدر علىٰ نصر نفسه كيف يمدُّ غيره؟

إن هذا القول وخيم، وشرك عظيم، وأما القول بالتصرُّف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جلَّ ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدّثر: ٣٨]، وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»، الحديث، فجميع ذلك وما هو نحوه دالٌّ علىٰ انقطاع الحس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة أو نقصان، فدلَّ ذلك علىٰ أن ليس للميت تصرف في ذاته، فضلًا عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرَّف في غيره؟!

فالله سبحانه يُخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح

مطلقة متصرِّفة، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدي، ولا قدرة، ولا علم، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأسيد بن حضير، وأبي مسلم الخولاني، وأما قولهم: فيستغاث بهم في الشدائد. فهذا أقبح مما قبله وأبدع؛ لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، فإنه جلّ ذكره قرَّر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر علىٰ دفع الضر، القادر علىٰ إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك، فإذا تعيّن هو جلّ ذكره خرج غيره من مَلَكٍ، ونبي، ووليٍّ».

فالشرك في القبور أو في النجوم، أو بأي نوع من أنواع الشرك كله - حرام ممنوع، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالىٰ عن نبيه يوسف ابن يعقوب، حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، نكرة في سياق النفي، تعم كلَّ شرك».

لقد بلغ شرك التأثير في الكواكب والنجوم درجة فوق ما يتصوره موحِّد،

(١) فتح المجيد، ص (٢٠٨).

وحسبي هنا أن أنقل كلام من بُلي بهذا النوع من الشرك، قال الشيخ شريعت سنكلجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو ممن هداه الله من شيوخ الشيعة - (ت: ١٣٦٣هـ)[١]: «أنا شخصيًّا كان لي خاتم من حديد صيني، كنت قد رأيتُ له خواص (فضائل) في الكتب، كان منها أنه إذا كان في اليد حُفظ صاحبه في المفاوز والبحار من الآفات، ولهذا السبب لما عزمت علىٰ السفر لحج البيت الحرام أخذت معي ذلك الخاتم، ولمَّا كنت ذاهبًا من المدينة المنورة إلىٰ مكة المكرمة كان عندي كتاب في الحديث أطالعه في الباص، وإذ بي أفاجأ بمشاهدة هذه الأخبار التي نقلتها، فلما دقَّقت النظر فيه، قلت: يا ويلي، كم كنت في جهل بالتوحيد والإسلام!!

لماذا لا أعتقد أن الله رب العالمين هو الحافظ فقط؟

كيف أعتقد أن حجرًا يحفظني، مع أنني أنا الذي أحفظه؟

عندها حدثت لي حالة من الفزع لا أستطيع أن أشرحها، فبدأت أستغفر ونزعت الخاتم من يدي، ورميته في الصحراء».

وقد ذكر الشيخ شريعت سنكلجي اعتقاد من ضل من الشيعة في الخاتم أنه تحفظ لابسها من الغرق في البحر، وأن لها خصوصية روحية وغيبية[٢].

وانظر ما ابتلي به المسلمون في هذه الأيام من الفتنة بالطالع، وما تتضمنه بعض صحفنا مما يسمونه بـ«الأبراج»، وهي أبراج يصنّفون الناس فيها

(١) توحيد العبادة، ص (٧٦).

(٢) توحيد العبادة، ص (٧٦، ٧٧).

حسب أزمنة ولادتهم، فمن كان من شهر كذا فهو يتبع البرج الفلاني، ويقرأ طالعه في برجه كل يوم فيعرف أحواله وفق هذا التنجيم وهذه التخرصات.

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[١]: «ولا تزال آثار هذه الخصلة الجاهلية في عصرنا الحاضر فيما يظهر عند المنجِّمين و الذين يذهبون إليهم، وبما يُكتب في بعض الصحف والمجلات من أحوال البروج؛ لأن نسبة هذه الأمور إليها في طلوعها أو غروبها، أو إلىٰ الأفلاك في تحرُّكها - شرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الذي يدبِّر النجوم، ويدبِّر الأفلاك، ويدبِّر الكون كله هو الله عَزَّوَجَلَّ، فيجب أن نؤمن بذلك، أما النجوم، وأما الأفلاك، وأما جميع المخلوقات فليس لها تدبير، وليس لها إحداث شيء، أو جلب نفع، أو دفع ضر إلا بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالأمر يرجع كلُّه إلىٰ الله، ويجب علىٰ المسلم أن يعتمد علىٰ الله، وأن يتوكّل علىٰ الله، ولا يتأثر بما يقوله المنجِّمون والفلكيون.

أما تعلُّم حساب منازل القمر من أجل معرفة مواقيت العبادات، ومواقيت الزراعة والبذور، فلا بأس به، وهذا ما يسميه العلماء بعلم التسيير، وأما الاعتقاد بالنجوم بأنها تؤثِّر فهو علم التأثير، وهو المحرّم».

من أجل هذا بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع التنجيم، وميَّز بيْن الاستدلال بالنجوم علىٰ الجهات ومعرفة القبلة، الذي هو مشروع، وبين ادعاء تأثيرها في أحوال الخلائق في الحوادث الأرضية، فقال: [باب ما جاء في التنجيم][٢]،

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ٣٦٠).

(٢) الباب الثامن والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٦).

قال البخاري في صحيحه:

قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها، فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يُرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخَّص في تعلم المنازل أحمد، وإسحاق.

وعن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدِّقٌ بالسحر**». رواه أحمد وابن حبان في صحيحه[1].

فإن قيل: ما مناسبة حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لباب التنجيم؟ فالجواب أن التنجيم نوع من السحر، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «قوله: «**ومصدّق بالسحر**»، هذا هو شاهد الباب، ووجهه أن علم التنجيم نوع من السحر، فمن صدَّق به، فقد صدَّق بنوع من السحر، فقد سبق «**أن من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر**»، والمصدّق به هو المصدّق بما يخبر به المنجمون، فإذا قال المنجِّم: سيحدث كذا وكذا. وصدّق به، فإنه لا يدخل الجنة؛ لأنه صدَّق بعلم الغيب لغير الله، قال تعالىٰ: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٥٦، ٥٧).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (٣٧٩، ٣٨٠).

فإن قيل: لماذا لا يجعل السحر هنا عامًّا ليشمل التنجيم وغير التنجيم؟

أجيب: أن المصدّق بما يخبره به السحرة من علم الغيب يشمله الوعيد هنا، وأما المصدّق بأن للسحر تأثيرًا، فلا يلحقه هذا الوعيد؛ إذ لا شك أن للسحر تأثيرًا، لكن تأثيره تخييل، مثل ما وقع من سحرة فرعون حيث سحروا أعين الناس، حتىٰ رأوا الحبال والعصي كأنها حيات تسعىٰ، وإن كان لا حقيقة لذلك، وقد يسحر الساحر شخصًا فيجعله يحب فلانًا، ويبغض فلانًا، فهو مؤثر، قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالتصديق بأثر السحر علىٰ هذا الوجه لا يدخله الوعيد؛ لأنه تصديق بأمر واقع.

أما من صدّق بأن السحر يؤثر في قلب الأعيان بحيث يجعل الخشب ذهبًا، أو نحو ذلك، فلا شك في دخوله في هذا الوعيد؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ».

وتكلم شيخنا العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أنواع علم التنجيم، وحكم كل نوع، فقال[1]: «علم النجوم ينقسم إلىٰ قسمين:

١- علم التأثير.

٢- علم التسيير.

فالأول: علم التأثير، وهذا ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

أ- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنىٰ أنها هي التي تخلق

---

(١) القول المفيد، ص (٣٧٤، ٣٧٥)، باختصار.

الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادّعىٰ أن مع الله خالقًا، فهو مشرك شركًا أكبر، فهذا جعل المخلوق المسخّر خالقًا مُسخِّرًا.

ب- أن يجعلها سببًا يدّعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها علىٰ أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاءً؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فهذا اتخذ تعلّم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوىٰ علم الغيب كفر مخرج عن الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا من أقوىٰ أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والاستثناء، فإذا ادّعىٰ أحد علم الغيب، فقد كذَّب القرآن.

ج- أن يعتقدها سببًا لحدوث الخير والشر، أي إنه إذا وقع شيء نسبه إلىٰ النجوم، ولا ينسب إلىٰ النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه فهذا شرك أصغر.

فإن قيل: ينتقض هذا بما ثبت عن النبي ﷺ في قوله في الكسوف: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده**». فمعنىٰ ذلك أنهما علامة إنذار.

والجواب من وجهين:

الأول: أنه لا يُسلَّم أن للكسوف تأثيرًا في الحوادث والعقوبات من الجَدْب والقَحْط والحروب، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**». لا فيما مضىٰ، ولا في المستقبل، وإنما يخوّف الله بهما العباد

لعلهم يرجعون.

الثاني: علم التسيير، وهذا ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: أن يستدل بسيرها علىٰ المصالح الدينية، فهذا مطلوب، وإذا كان يعين علىٰ مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجبًا، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم علىٰ جهة القبلة، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة، فهذا فيه فائدة عظيمة.

الثاني: أن يستدل بسيرها علىٰ المصالح الدنيوية، فهذا لا بأس به، وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها علىٰ الجهات، كمعرفة أن القطب يقع شمالًا، والجدي - وهو قريب منه - يدور حوله شمالًا، وهكذا، فهذا جائز، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

النوع الثاني: أن يستدل بها علىٰ الفصول، وهو ما يُعرف بعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون، والصحيح عدم الكراهة».

وقال علامة مصر محمد خليل هرّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وليس من هذا الباب طبعًا ما تتنبأ به المراصد الفلكية من أوقات الخسوف والكسوف ومدة وقوعها وكونه جزئيًّا أو كليًّا، فإن ذلك مبني علىٰ قواعد حسابية لا تخطيء[٢]، وكذلك ما تتنبأ به هذه المراصد من درجات الحرارة، أو الرطوبة، وهبوط الرياح واتجاهاتها، وكونها نشيطة أو غير نشيطة، ووجود فرصة لسقوط مطر

(١) دعوة التوحيد، ص (٧٣، ٧٤).

(٢) **يعني**: سنن الله الكونية.

ونحو ذلك، فإن هذه لها من قبيل الأمارات التي تدل علىٰ قرب وقوع ما تبشر به، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]، فرؤية البرق تنذر بالمطر فيخاف المسافرون ويطمع الزراع. وكما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فالريح إذا هبّت باردة وساقت السحب بين يديها استبشر الناس وترقبوا سقوط المطر».

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن قول أهل التقاويم: في أن** الرابع عشر من هذا الشهر يخسف القمر، وفي التاسع والعشرين تكسف الشمس، فهل يُصدقون في ذلك؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الحمد لله، الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة، كما لطلوع الهلال وقت مقدّر، **وذلك ما أجرىٰ الله عادته بالليل والنهار، والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر**، وذلك من آيات الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالىٰ:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٢٥٤-٢٥٩).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾[(١)].

وكما أن العادة التي أجراها الله تعالىٰ أن الهلال لا يستهل إلا ليلة ثلاثين من الشهر، أو ليلة إحدىٰ وثلاثين، وأن الشهر لا يكون إلا ثلاثين، أو تسعة وعشرين، فمن ظن أن الشهر يكون أكثر من ذلك، أو أقل، فهو غالط.

فكذلك أجرىٰ الله العادة أن الشمس لا تُكسف إلا وقت الاستسرار، وأن القمر لا يُخسف إلا وقت الإبدار، ووقت إبداره هي الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها: ليلة الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، فالقمر لا يُخسف إلا في هذه الليالي.

والهلال يستسر آخر الشهر: إما ليلة، وإما ليلتين، كما يستسر ليلة تسع وعشرين، وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استسراره، وللشمس والقمر ليالٍ معتادة، من عرفها عرف الكسوف والخسوف.

كما أن من علم كم مضىٰ من الشهر يعلم أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها. لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام، يشترك فيه جميع الناس، وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما، **وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب، ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا**

---

(١) يس: (٣٧-٤٠).

علم ثابت، وبناء على غير أصل صحيح.

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتىٰ عرّافًا فسأله عن شيء فصدّقه لم يقبل الله صلاته أربعين يومًا**»، والكهان أعلم بما يقولونه من المنجمين في الأحكام، ومع هذا صحّ عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن إتيانهم، ومسألتهم، فكيف بالمنجم؟!

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع عن هذا الجواب.

وأما ما يُعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول، كأول الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، لمحاذاة الشمس أوائل البروج، التي يقولون فيها إن الشمس نزلت في برج كذا، أي حاذته.

ومن قال من الفقهاء: إن الشمس تُكسف في غير وقت الاستسرار. فقد غلط، وقال ما ليس له به علم، وما يُروىٰ عن الواقدي من ذكره: أن إبراهيم ابن النبي ﷺ مات يوم العاشر من الشهر، وهو اليوم الذي صلىٰ فيه النبي ﷺ صلاة الكسوف - غلط، والواقدي لا يحتج بمسانيده، فكيف بما أرسله من غير أن يسنده إلىٰ أحد، وهذا فيما لم يُعلم أنه خطأ، فأما هذا فيعلم أنه خطأ، ومن جوّز هذا فقد قفا ما ليس له به علم، ومن حاج في ذلك فقد حاج في ما ليس له به علم.

وأما ما ذكره طائفة من الفقهاء من اجتماع صلاة العيد والكسوف، فهذا ذكروه في ضمن كلامهم فيما إذا اجتمع صلاة الكسوف وغيرها من الصلوات،

فقد رأوا اجتماعها مع الوتر، والظهر، وذكروا صلاة العيد، مع عدم استحضارهم هل يمكن ذلك في العادة أو لا يمكن، فلا يوجد في تقديرهم ذلك العلم بوجود ذلك في الخارج، لكن استُفيد من ذلك العلم علم ذلك علىٰ تقدير وجوده، كما يقدرون مسائل يعلم أنها لا تقع لتحرير القواعد، وتمرين الأذهان علىٰ ضبطها.

وأما تصديق الخبر بذلك وتكذيبه فلا يجوز أن يصدّق إلا أن يُعلم صدقه، ولا يكذب إلا أن يُعلم كذبه، كما قال النبي ﷺ: «**إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، فإما أن يحدّثوكم بحق فتكذبوهم، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوهم**».

والعلم بوقت الكسوف والخسوف وإن كان ممكنًا، لكن هذا المخبر المعيّن قد يكون عالمًا بذلك، وقد لا يكون، وقد يكون ثقة في خبره، وقد لا يكون.

وخبر المجهول الذي لا يوثق بعلمه وصدقه ولا يُعرف كذبه - موقوف، ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب علىٰ ذلك، فلا يكادون يخطئون، ومع هذا فلا يترتب علىٰ خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تُصلىٰ إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جوّز الإنسان صدق المخبر بذلك، أو غلب علىٰ ظنه فنوىٰ أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك، واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك، كان هذا حثًّا من باب المسارعة إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وعبادته، فإن الصلاة عند الكسوف متفق عليها بين المسلمين، وقد تواترت بها السنن عن النبي ﷺ، ورواها أهل الصحيح، والسنن، والمسانيد من وجوه كثيرة، واستفاض عنه أنه صلىٰ بالمسلمين صلاة الكسوف يوم مات ابنه إبراهيم. وكان بعض الناس

ظن أن كسوفها كان لأن إبراهيم مات، فخطبهم النبي ﷺ، وقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتموها فافزعوا إلىٰ الصلاة**». وفي رواية في الصحيح: «**ولكنهما آيتان من آيات الله يخوّف بهما عباده**». وهذا بيان منه ﷺ أنهما سبب لنزول عذابه بالناس، فإن الله إنما يخوّف عباده بما يخافونه إذا عصوه، وعصوا رسله، وإنما يخاف الناس مما يضرهم، فلولا إمكان حصول الضرر بالناس عند الخسوف ما كان ذلك تخويفًا، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، وأمر النبي ﷺ بما يزيل الخوف، أمر بالصلاة والدعاء، والاستغفار، والصدقة، والعتق، حتىٰ يكشف ما بالناس، وصلىٰ بالمسلمين في الكسوف صلاة طويلة».

ومن أعظم أنواع الشرك بالكواكب والنجوم - إن لم يكن أعظمها - اعتقاد المشركين الضالين أن الموجودات بالعالم السفلي كلها مركبة علىٰ تأثير الكواكب والروحانيات، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يُقال لهذه الطائفة: بماذا عرفتم أن الموجودات بالعالم السفلي كلها مركبة علىٰ تأثير الكواكب والروحانيات، وهل هذا إلا كذب بحت وبهت، فهب أن بعض الآثار المشاهدة مسبب عن تأثير بعض الكواكب والعلويات كما يشاهد من تأثير الشمس والقمر في الحيوان والنبات وغيرهما[2]، فمن أين لكم أن جميع أجزاء العالم

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

(٢) من ذلك تأثير الشمس وحرارتها في نضج الرطب، فهذا من أفعال الله، فالشمس والكواكب والنجوم كلها مسخرات بأمر الله وتدبيره.

السفلي صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات، وهل هذا إلا كذب وجهل، فهذا العالم فيه من التغير والاستحالة والكون والفساد ما لا يمكن إضافته إلىٰ كوكب، ولا يتصور وقوعه إلا بمشيئة فاعل مختار قادر مؤثر في الكواكب والروحانيات مسخر لها بقدرته مدبّر لها بمشيئته، كما تشهد عليها أحوالها، وهيئاتها، وتسخيرها، وانقيادها أنها مدبّرة مربوبة مسخرة بأمر قادر قاهر يصرفها كيف يشاء ويدبّرها كما يريد ليس لها من الأمر شيء، ولا يمكن أن تتصرف في أنفسها بذرة، فضلًا عن أن تعطي العالم وجوده، فلو أرادت حركة غير حركتها، أو مكانًا غير مكانها، أو هيئة أو حالًا غير ما هي عليه - لم تجد إلىٰ ذلك سبيلًا، فكيف تكون ربًّا لكل ما تحتها مع كونها عاجزة مصرّفة مقهورة مسخرة، آثار الفقر مسطورة في صفحاتها، وآيات العبودية والتسخير بادية عليها، فبأي اعتبار نظر إليها العاقل رأىٰ آثار الفقر وشواهد الحدوث وأدلة التسخير والتصريف فيها، فهي خلق مَن ليس كمثله شيء، وآيات من آياته، عبيد مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين».

وقد حسم النبي ﷺ مادة الشرك باعتقاد تأثير النجوم والكواكب في الحوادث الأرضية، وهذا شرك في الربوبية؛ لأنه شرك في أفعال الله، والواجب علىٰ المؤمن أن يوحّد الله في أفعاله، وفي باب [ما جاء في الاستسقاء بالأنواء](١)، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلّىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال**

---

(١) الباب التاسع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٧).

ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**». رواه البخاري ومسلم[(١)].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر، وإن لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر، لكونه نسب نعمة الله إلىٰ غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنَّما هو فضل من الله ورحمة، يحبسه إذا شاء، ويُنزله إذا شاء.

ودلَّ هذا الحديث علىٰ أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلىٰ غيره، ولو علىٰ سبيل المجاز، وأيضًا، الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة، لما عرفت من أن هذا باطل، ولا تصدق أيضًا علىٰ أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت، وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه، برحمته وحكمته وفضله. فكلُّ معنًىٰ تُحمل عليه الباءُ في هذا اللفظ المنهي عنه - فاسد، فيظهر علىٰ هذا تحريم هذا اللفظ مطلقًا، لفساد المعنىٰ، وقد تقدَّم القطع بتحريمه في كلام صاحب «الفروع»، و«الإنصاف»».

وانظر إلىٰ تعاضد أبواب كتاب التوحيد في تقرير العقيدة الصحيحة، فمع هذا البيان في توحيد الله في أفعاله في باب: [ما جاء في الاستسقاء بالأنواء]،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٥٨، ٥٩). (٢) فتح المجيد، ص (٢٩٩، ٣٠٠).

فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في التطيُّر][1] - ساق حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»، رواه الشيخان، زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**»[2].

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[3]: ««النوء»، المراد به أحد الأنواء، وهو: النجم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن نزول الأمطار وهبوب الرياح بسبب طلوع النجوم، ويُسندون هذا إلىٰ النجوم والكواكب، وهذا من اعتقاد الجاهلية؛ لأن نزول الأمطار وحصول الرياح وغير ذلك - إنما هو بقضاء الله وقدره، أما هذه النجوم وهذه الكواكب فإنها لا تُحدث شيئًا، نعم، وقت طلوع النجم وقت للمطر بإذن الله، أو هبوب الرياح، هذا من ناحية الوقت، لا من ناحية الخلق والإيجاد، فهي لا توجد ولا تسبب، ولا تحدِث، ولكن يكون طلوعها وقتًا لنزول الأمطار إذا شاء الله، وقد يطلع النجم ولا يحصل مطر، وهذا راجع إلىٰ مشيئة الله وقدره، فقد يكون هناك مواقيت للأمطار ولا ينزل مطر، وقد يكون هناك مواقيت لهبوب الرياح ولا تهب الريح؛ لأن هذا بيد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وكم من بلاد كانت تنزل عليها الأمطار صيفًا وشتاءً وامتنع عنها المطر وأجدبتْ، كما تسمعون الآن بما يسمونه بالجفاف في بلاد كانت تدوم عليها الأمطار، فإذا أراد الله مَنَعه وحَبَسَه، وبلاد مجدبة قاحلة يابسة يسوق الله إليها المطر فتُمطر، فتهتز بالنبات والزهور، هذا بيد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ،

---

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٣) إعانة المستفيد (٢/ ١٠، ١١).

فنزول المطر لا تصرُّف لأحد فيه، لا النجوم، ولا غير النجوم».

ومن كلمات الناس السائرة: «كذب المنجمون ولو صدقوا». قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن قيل: المنجّم قد يصدق !! قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مائة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا فيكون فتنةً في حق من صدَّقه».

واعتقاد تأثير النجوم في الحوادث الأرضية - شرك في الربوبية بلا ريب، وهو من جنس شرك المجوس الذين يعتقدون بإلهين، إله الخير النور، وإله الظلمة الشر، قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤٥هـ)[2]: «النوع الثاني من الشرك بالله تعالىٰ في الربوبية، كشرك من جعل معه خالقًا آخر، كالمجوس وغيرهم، الذين يقولون بأن للعالم الأول خالق الخير خالق الشر، ويقولون له المجوس بلسانهم: «أهرمن»، وكالفلاسفة، ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط، وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعّال، فهو رب كل ما تحته ومدبّره، وهذا أشر من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والنصارىٰ، وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلىٰ غيره سبحانه، ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم، وشرك القدرية مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه.

ولهذا شبههم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن

---

(١) فتح المجيد، ص (٢٩١).

(٢) تجريد التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقد روىٰ أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا أنهم مجوس هذه الأمة، وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد، وينفرد أحدهما عن الآخر.

والقرآن الكريم، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالىٰ، كلها مصرحة بالرد علىٰ أهل هذا الإشراك، كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية، فتضمنت الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال، ولا في الألفاظ، ولا في الإرادات».

والشرك في الأنواء والنجوم علاقته بالتطيّر معلومة، من أجل هذا نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك، ففي باب [ما جاء في التطيّر][1]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**». أخرجاه، زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**»[2].

وأما قول النبي ﷺ: «إن يكن الشؤم ففي ثلاث: المرأة، والفرس، والدار»[3]، فقد قال بعض العلماء في توجيهه[4]: «شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وتعرضها للريب،

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقىٰ من شؤم المرأة (ص٩١١ - رقم ٥٠٩٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (ص٩٨٨ - رقم ٥٨٠٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، ص (١٣٨٩).

وشؤم الفرس أن لا يغزىٰ عليها، وقيل: حرانها، وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فُوض إليه، وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطِّيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشئومة علىٰ من قاربها وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يُعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير علىٰ وجهه، ويُعطي غيرهما ولدًا مشئومًا يريان الشرَّ علىٰ وجهه، وكذلك ما يُعطاه العبدُ من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس. والله سبحانه خالق الخير والشر والسُّعودِ والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها، وحصول اليُمنِ والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحَّس بها من قاربها، وكلُّ ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسببَّاتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيِّبة ولذَّذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدَّها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس. والفرق بين هذين النوعين مُدْركٌ بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون، والطِّيرة الشركية لون».

والحلوان الذي يعطاه الكاهن هو الذي جعله يأكل أموال الناس بالباطل، ويوقعهم فيما يفسد عقيدتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وهو الذي جعلهم يموّهون علىٰ العوام والجهال

(١) فتح المجيد، ص (٢٨٢، ٢٨٣).

بالظنون الكاذبة، والتخمينات الخاطئة، فقد حُكي أن امرأة أتت منجمًا فأعطته درهمًا، فأخذ طالعها، وحكم، وقال: الطالع يخبر بكذا. فقالت: لم يكن شيء من ذلك. ثم أخذ الطالع، وقال: يخبر بكذا. فأنكرته، حتىٰ قال: إنه ليدلّ علىٰ قطع في بيت المال. فقالت: الآن صدقت، وهو الدرهم الذي دفعته إليك[1].

من أجل هذا تكلم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حكم إتيان الكهان، ففي باب [ما جاء في الكُهان ونحوهم][2]، ساق الأحاديث المبيّنة للحكم، فأورد ما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ عرَّافًا فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»، وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**من أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد** ﷺ». رواه أبو داود، وحديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منَّا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر، أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «واتفقوا كلهم - العلماء - علىٰ أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها، أو خطابها، والسجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور، ونحو ذلك -

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٣).

(٢) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٩-٥١).

(٤) تحريم أقسام المعزّمين، ص (١٦-١٧).

فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، وهو من جنس كفر قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كنمرود بن كنعان وأتباعه، ولهذا قال ما ذكره الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٧٦-٨٢].

وكان هؤلاء يتخذ كل واحد منهم له كوكبًا يتقرب إليه بالدعاء، والبخور واللباس، والسجود، ويجعلون لكل كوكب ما يناسبه من المعاني والطلاسم، كالخطوط، والصور، ونحو ذلك، وكانوا يتخذونهم أربابًا بهذا الاعتبار، ولم يكونوا يقولون: إن الكوكب المعيّن هو الذي خلق السموات والأرض. فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم، لا من الأولين ولا من الآخرين».

والمؤمنون الموحدون لا يلتفتون إلىٰ تنجيم الكهان، بل علىٰ ربهم يتوكلون، فإن كانوا في قصد جهاد أعدوا العدة وتوكلوا علىٰ ربهم يطلبون منه النصر وحده لا شريك له، فإن الكهان لما أراد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتال

الخوارج نظروا في السماء، وكان القمر إذ ذاك في العقرب، فتنجموا أنه إذا خرج علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الطالع قُتل وهُزم جيشه، فخالفهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: بل نَخرج ثقةً بالله وتوكلًا عليه، وتكذيبًا لقول المنجم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فما غزا غزاة بعد رسول الله ﷺ أتم منها، قتل عدوه، وأيده الله عليهم بالنصر والظفر بهم، ورجع مؤيدًا منصورًا مأجورًا، والقصة معروفة في السير والتواريخ»، والحوادث في ذلك كثيرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن كذب المنجمين[2]: «ومن ذلك اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين في قصة عمورية أن المعتصم إن خرج لفتحها كانت عليه الدائرة، وأن النصر لعدوه، فرزقه الله التوفيق في مخالفتهم، ففتح الله علىٰ يديه ما كان مغلقًا وأصبح كذبهم وخرصهم بعد أن كان موهومًا عند العامة - محققًا، ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة، وكان ذلك من أعظم الفتوحات المعدودة».

فالموحّدون لا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون، فانظر إلىٰ أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر، لذلك حذّر النبي ﷺ من اعتقاد الجاهلية، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**». رواه البخاري ومسلم، وضمّنه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في التطير][3].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٦).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٤).

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[١]: «قوله ﷺ: «**ولا صفر**». هذا فيه قولان لأهل العلم:

القول الأول: أن المراد بالصفر: شهر صفر؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يتشاءمون بهذا الشهر، فلا يتزوجون فيه، ولا يسافرون فيه، ولا يتاجرون، ويعتقدون أنه شهر مشئوم.

فردَّ عليهم النبي ﷺ بأنه ليس هناك صفر مشئوم، وإنما صفر شهر من أشهر الله، ليس فيه شؤم ولا شرّ.

فهذا فيه: إبطال لتشاؤمهم بشهر صفر.

والقول الثاني: أن المراد بصفر مرض يكون في المعدة، يزعمون أنه يُعْدي غير المصاب به.

وسواء قيل هذا أو هذا، كله منفي سواء تشاءموا من الشهر أو تشاءموا من المرض، كله لا أصل له».

ومما ينبغي التنبيه عليه هو أن التشاؤم بشهر بعينه كصفر أو غيره هو من باب سب الدهر، فإن الله هو الذي قدَّر فيه المقادير، وهو من الشرك في الربوبية فالدهر ظرف للحوادث وليس بفاعل ولا خالق لها، وصفر وغيره من الشهور بل والأيام يحيي الله فيه أقوامًا، ويميت آخرين، ويرزق أقوامًا، ويمنع آخرين، ويعز أقوامًا، ويُذل آخرين، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢].

---

(١) إعانة المستفيد (٢/ ٩، ١٠).

(٢) الرحمن: (٢٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا كذب المنجمين وإن توهم العامة ظهور صدقهم لأمد محدود**[١]: «ومن ذلك اتفاقهم عندما تم بناء بغداد سنة ست وأربعين ومائة أن طالعها يقضي بأنه لا يموت فيها خليفة، وشاع ذلك حتىٰ هنَّأَ الشعراء به المنصور، حتىٰ قال بعض شعرائه:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ... أن الممات بها عليك حرام

لما قضت أحكام طالع وقتها ... أن لا يرىٰ فيها يموت إمام

وأكّد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة، ثم المهدي بماسبذان، ثم الهادي بعساباذ، ثم الرشيد بطوس، فلما قُتل بها المأمون الأمين بشارع باب الأنبار، انخرم الأصل الباطل الذي أصلوه، وظهر الزور الذي لفقوه حتىٰ رجع إلىٰ الحق الأول، فقال:

كذب المنجّم في مقالته التي ... نطقت به كذبًا علىٰ بغدان

قتل الأمين بها لعمري يقتضي ... تكذيبهم في سائر الحسبان

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق، والمتوكل، والمعتضد، والمكتفي، والناصر، وغيرهم».

والموحدون لا يلتفتون إلىٰ ما لا حقيقة له، وضعاف القلوب ممن قلّ نصيبهم من التوكل علىٰ الله يردهم الطير إذا جاء من جهة اليسار، وهذا ليس سببًا شرعيًّا، والنبي ﷺ كان يمضي لأمره متوكلًا علىٰ ربه باذلًا أسباب فعله،

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٦).

ويعجبه التفاؤل، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال».

فالتطيّر سوء ظن بالله، وتعلق بأوهام لا حقيقة لها، وتضييع لمصالح الإنسان يصده أدنىٰ وهم عن المضي في حاجاته، قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «التطيّر التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبرّكوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم، وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفىٰ الشرع ذلك وأبطله، ونهىٰ عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر، فهذا معنىٰ قوله ﷺ: «**لا طيرة**». وفي حديث آخر: «**الطيرة شرك**»».

علىٰ كل حال علاقة التنجيم بالكهانة والتطير واضحة جدًّا، لذلك جعل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأبواب متتابعة؛ لارتباط بعضها ببعض، فبدأ بباب [ما جاء في الكهان ونحوهم][٣]، ثم باب [ما جاء في النشرة][٤]، وهذا الباب لو جعله بعد باب [بيان شيء من أنواع السحر][٥]،

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢١٥).

(٢) شرح صحيح مسلم، ص (١٣٨٨).

(٣) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٤) الباب السادس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٢).

(٥) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٧).

لكان أحسن، ثم بعد باب النشرة باب [ما جاء في التطير][(١)]، ثم بعده باب [ما جاء في التنجيم][(٢)]، ثم باب [ما جاء في الاستسقاء بالأنواء][(٣)].

وواجب علىٰ المسلم السعي في مصالحه وحفظ قوة قلبه، فيتوكل علىٰ ربه ولا ينصرف عن أموره لمجرد أوهام، فإذا أخذت الإنسان خاطرة أو وسواس، أيقن أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، ويقطع التفاته واسترساله إلىٰ التطير، ولذلك لما قال معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيرون. قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنَّكم**»[(٤)].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «فأخبر أن تأذِّيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المُتطيَّر به، فوهمُه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيِّره ويصده، لا ما رآه وسمعه».

ثم قال[(٦)]: «فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقىٰ، واعتصم بحبله المتين، وتوكَّل علىٰ الله - قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها، قال عكرمة: كنَّا جلوسًا عند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن

---

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) الباب الثامن والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٦).

(٣) الباب التاسع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (ص٢١٩- رقم ١١٩٩).

(٥، ٦) فتح المجيد، ص (٢٨٢).

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأيُّ خيرٍ عند هذا؟ لا تصحبني».

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**[1]: «إن العرب كانت تتطير ببروج الطير وسنوحها، فيصدهم ذلك عما يمّموه من مقاصدهم، فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع، أو ضرٍّ، ويقال: الطيرة أن يخرج لأمر، فإذا رأىٰ ما يحب، مضىٰ، وإن رأىٰ ما يكره انصرف، فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه، فليس بطيرة، إذا مضىٰ لحاجته، وتوكل علىٰ ربه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطير، وقال إبراهيم: قال عبد الله: لا تضرُّ الطيرة إلا من تطيَّر».

وعلاقة التنجيم بالسحر كذلك معلومة، ولا يستغرب ذلك؛ فالمنجمون والكهان والسحرة كلهم أصحاب أحوال شيطانية، قال أبو بكر الرازي[2]: «كان أهل بابل قومًا صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثانًا علىٰ أسمائها، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وهم الذين بُعث إليهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت علومهم أحكام النجوم، ومع ذلك **فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر، وينسبونها إلىٰ فعل الكواكب لئلا يبحث عنها، وينكشف تمويههم**».

---

(١) شرح السنة (١٢/ ١٧٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٢٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فإن مسمىٰ السحر ليس هو من الأمور العامة التي يعتادها الناس، التي ترجع في حد الاسم إلىٰ العرف، كما رجع إلىٰ العرف في حد القبض والتصرف والبيع ونحو ذلك، إذ أكثر الناس لا يعرفون أكثر أنواع السحر، بل قد يسمّونها بأسماء تقتضي المدح والثناء لأصحابها مع ذمهم للسحر، تارة يسمّون ذلك: سيمياء. وتارة: روحانيات، وتارة: استخدام الأرواح العلوية والسفلية. ويقولون: عطف ومحبة وتهييج ونحو ذلك، كالتفريق بين المرء وزوجه، وذلك من السحر بنص القرآن.

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد». فقد جعل النبي ﷺ ما يُقتبس من النجوم من السحر، وأكثر العامة لا يسمّون هذا سحرًا، وسواء أراد به الاستدلال بالكواكب علىٰ الحوادث، أو أراد به التأثيرات والمخاطبات ونحوها، فإن هذين النوعين محرّمان بإجماع المسلمين».

وإذا كان المجاز هو الذي جعل المبتدعة يعطلون توحيد الأسماء والصفات - فكرامات الأولياء هي التي أوقعت القبوريين وغلاة الصوفية في شرك الربوبية، والتوحيد، والأسماء والصفات، **أما شرك الربوبية فظاهر**؛ فإنهم يعتقدون أن لأوليائهم تصرفًا في الكون، وأنهم ينفعون ويضرون. **وأما شركهم في الألوهية** فاتخاذهم الأولياء وسائط في دعائهم الله، ومنهم من يدعوهم مباشرة، والعياذ بالله. **وأما شركهم في توحيد الأسماء والصفات** فإنهم أساءوا الظن بالله والتفتوا عنه لمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا،

---

(١) تحريم أقسام المعزّمين، ص (٢١، ٢٢).

فضلًا عن أن يملكه لغيره، فهم ما حققوا توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالله هو الولي، وهو المحيي، وهو المميت، وهو الرازق، وهو الشافي من الأسقام، لذلك نحتاج أن نقول لهؤلاء كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لعباد الكواكب: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٢].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن هذا الضَّرب من يدّعي أنه يصل مع الله إلىٰ حال تسقط فيها عنه التكاليف، أو يدَّعي أن الأولياء يُدعون أو يُستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنَّهم ينفعون ويضرُّون، ويدبِّرون الأمور علىٰ سبيل الكرامة، أو أنه يطّلع علىٰ اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، أو يجوِّز بناء المساجد علىٰ قبور الأولياء والصالحين، وإيقادها بالسُّرج، ونحو ذلك من الغلوِّ والإفراط والعبادة لغير الله، فما أكثر هذا الهذيان، والكفر، والمحادة لله، ولكتابه، ولرسوله!».

ومَن ضعف إيمانه وكانت له حاجة من معرفة مكان المسروق والضالة - أتىٰ الكهان وتكهنوا له، وهذا من سفه العقول وفساد العقيدة، وعدم التوكل علىٰ الله، وإلا فكيف يُفسد مسلم توحيده من أجل مسروق أو ضالة؟!!

وهذا موضع لبَّس فيه المضللون علىٰ ضعفاء العقول، فسموا الكهان

---

(١) فتح المجيد، ص (٢٤٣، ٢٤٤).

أولياء الله، وقالوا: ما يخبرنا به هؤلاء فهو من كراماتهم. وتالله من لا يُحسن أن يميّز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - فهو الذي عرّض نفسه للخسران.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والمقصود من هذا معرفة أنَّ من يدَّعي علم شيء من المغيَّبات، فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنىٰ، فيُلحق به، وذلك أن إصابة المُخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان - تكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل والزَّجر، والطِّيرة، والضرب بالحصىٰ، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسِّحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية.

ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل، كالفلاسفة، والكُهَّان، والمنجِّمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم القوم، ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام.

وكل هذه الأمور يُسمىٰ صاحبها كاهنًا وعرَّافًا ما في معناهما، فمن أتاهم فصدَّقهم بما يقولون لحقه الوعيد، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام فادَّعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالىٰ بعلمه، وادَّعوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة، ولا ريب أن من ادَّعىٰ الولاية، واستدلَّ عليها بإخباره ببعض المغيَّبات - فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرَّحمن، إذ الكرامة أمر يُجريه الله علىٰ يد عبده المؤمن المُتَّقي إما بدعاء، أو أعمال صالحة لا صُنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدَّعي أنه وليٌّ لله، ويقول للناس: اعلموا أني أعلم

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٣٦-٨٣٩).

المغيَّبات. فإنَّ مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرَّمة كاذبةً في الغالب، ولهذا قال ﷺ في وصف الكُهَّان: «**فيكذبون معها مائة كذبة**». فبيَّن أنهم يصدقون مرَّة ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكُهَّان ممن يدَّعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس، مع أن نفس دعواه دليل علىٰ كذبه؛ لأن في دعواه الولاية تزكية النفس المنهيَّ عنها، بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: ٣٢]، وليس هذا من شأن الأولياء، بل شأنهم الإزراء علىٰ نفوسهم، وعيبهم لها، وخوفهم من ربِّهم.

فكيف يأتون الناس يقولون: اعرفوا أنَّا أولياء، وأنَّا نعلم الغيب. وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق، واقتناص الدنيا بهذه الأمور، وحسبك بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الأولياء، أفكان عندهم من هذه الدعاوىٰ والشطحات شيء؟

لا، والله، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن كالصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وكان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يُسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته، وكان يمرُّ بالآية في ورده بالليل فيمرض منها ليالي فيعوده الناس، وكان تميم الداري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يتقلَّب في فراشه لا يستطيع النَّومَ إلا قليلًا خوفًا من النار، ثم يقوم إلىٰ صلاته. ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكر الله تعالىٰ من صفاتهم في سورة الرعد، والمؤمنين، والفرقان، والذَّاريات، والطُّور، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدَّعوىٰ، والكذب، ومنازعة رب

العالمين فيما اختُصَّ به من الكبرياء، والعظمة، وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر، فكيف يكون المدَّعي لذلك وليًّا لله؟

ولقد عظم الضَّرر، واشتدَّ الخطْبُ بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبَّسوا بها علىٰ خفافيش البصائر».

وحقيقة أحوال الكهان شيطانية، فإن الكاهن يتوافق مع شياطين الجن، فيشرك بالله طاعة لهم، فيخبرونه بما يسترقونه من السمع، قال العلامة عبد الرحمن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وكانوا قبل البعثة كثيرين، كشق وسطيح، فمنهم من يزعم أن له تابعًا من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها علىٰ مواقعها، من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العرَّاف، كالذي يدّعي معرفة المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك، وبعد البعثة قلّ مسترقو السمع؛ لأن الله حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس مما يسمونه كشفًا وكرامة وولاية، وقد اغترَّ بهم كثير من الناس يظنون أنهم أولياء الله، وهم من أولياء الشيطان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾، الآية».

وفي عصرنا هذا ظهر التطيُّر العلماني، فإن بعض العلمانيين يكتب في الصحف مدَّعيًا أن أهل الدين شؤم علىٰ البلاد، وأنهم سبب ما ينزل بالديار من قحط ومصائب. والذي لا ريب فيه أن أهل الدين خير وبركة علىٰ ديار

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٠٢).

المسلمين، وهم من أسباب حفظ عقيدتها، وأخلاقها، ومن أسباب حفظ الديار عن الهلاك، فإن النبي ﷺ سُئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»(١).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد قيل في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، إنه يدخل فيها دفعه عن العصاة بأهل الطاعة، وجاء في الآثار: إن الله يدفع بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حوله».

وقد أحسن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث استفتح [باب ما جاء في التطير](٣)، بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]، فالعلمانيون هم أهل الجاهلية الحديثة، وأحوالهم مع أسلافهم الجاهليين الأولين متشابهة في كثير من الأمور، منها التطيّر بأهل الدين، ونسبة ما يقع من الشر في الأرض إلىٰ أنبياء الله - عليهم السلام - وأتباعهم. قال والدنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله(٤): «فالمؤمنون هم سبب الخير لا سبب الشر كما يظنه أهل الجاهلية، إنما سبب الشر هم العصاة والمشركون والكَفَرة، فما يصيب أهل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**ويل للعرب من شر قد اقترب**» (ص١٢١٨ - رقم ٧٠٥٩)، ومسلم، كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن (ص١٢٤٦-٧١٣٥).

(٢) لطائف المعارف، ص (٢٦١).

(٣) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٤) إعانة المستفيد (٢/ ٦، ٧).

الأرض من الكوارث والمصائب إنما هو بسبب العصاة، وما يصيبهم من الخيرات فهو بفضل الله، وسببه أهل الطاعات وأهل الصلاح والتقوىٰ، ولهذا إذا خلت الأرض من الصالحين في آخر الزمان تقوم القيامة وتخرب الدنيا، «**ولا تقوم الساعة، وفي الأرض من يقول: الله، الله**»، و«**لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الخلق**». فإذا خلت الأرض من الصالحين قامت القيامة، أما ما دام الصالحون موجودين، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُنزل علىٰ أهل الأرض الخيرات والبركات بسبب وجودهم، عكس ما يعتقده آل فرعون من التطيُّر بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك ثمود تطيّروا بصالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لمّا دعاهم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾.

وكذلك أهل القرية الذين ذكرهم الله في سورة «يس»، لمَّا جاءتهم الرسل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ﴾ [يس: ١٣-١٨]، يعني: تشاءمنا بكم، وما جئتمونا بخير، ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، هدّدوا الرسل، وقالوا: ما رأينا منكم إلا الشرّ. فردّ عليهم الرسل: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ﴾، أي: ما أصابكم فأنتم سببه؛ لأن سببه الذنوب والمعاصي التي تصدر منكم والكفر، فأنتم السبب، ونحن سبب الخير، نحن رسل من عند الله جئناكم، لو أطعتمونا لحصلتم

علىٰ الخير، فهذا ردٌّ عليهم، فهذا فيه بيان أن الشر والشؤم سببه المعاصي والكفر والشرك بالله.

وكذلك المشركون تطيّروا بمحمد ﷺ خاتم الرسل وأفضل الرسل، تطيّروا به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾، يخاطبون النبي ﷺ: ﴿تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾، يعني: خيْر، وخصب، ونبات، وزروع، وخيرات، يقولون: هذه من عند الله. نعم، صحيح أنها من عند الله، الله هو الذي أنزلها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قحطٌ جدْب شحٌّ في الأرزاق، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾، بسببك يا محمد، وبسبب أتباعك، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، كلٌّ بقضاء الله وقدره، الخصب والخيرات والجدب والقحط كله من عند الله وبقضائه وقدره، ولكن الخصب والخيرات سببها الطاعات، وأما الجدْب والقَحْط وانحباس الأمطار فسببه المعاصي والسيّئات، فالسبب من قبل بني آدم، وأما المقدِّر فهو الله تعالىٰ، هو الخالق، وهو المُوجد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعطي كلًّا علىٰ حسب عمله، المحسن يُحسن إليه، والمسيء يعاقبه إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالأمر كله بيد الله. فالحاصل أن التطيّر عادةٌ جاهلية، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الأمم الكافرة من قوم فرعون، وثمود، وأصحاب ياسين، وأهل الجاهلية الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا به، بل تطيَّروا به.

وهذه العادة الجاهلية لا تزال في الناس إلىٰ أن تقوم الساعة».

فالحاصل أن تحذير الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من شرك الكواكب والنجوم هو من خلوص النصيحة لهذه الأمة، فالشرك أصله يرجع إلىٰ شرك قوم نوح وشرك قوم إبراهيم، وما زالت بعض شعب هذه

الشركيات باقية في الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان:

قوم نوح، وقوم إبراهيم. فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف علىٰ قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم.

وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر، وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم وتعينهم علىٰ أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

والملائكة لا تعينهم علىٰ الشرك لا في المحيا ولا في الممات، ولا يرضون بذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صورة الآدميين فيرونهم بأعينهم: ويقول أحدهم: أنا إبراهيم، أنا المسيح، أنا محمد، أنا الخضر، أنا أبو بكر، أنا عمر، أنا عثمان، أنا علي، أنا الشيخ فلان.

وقد يقول بعضهم عن بعض: هذا هو النبي فلان، أو هذا هو الخضر، ويكون أولئك كلهم جنًّا يشهد بعضهم لبعض.

والجن كالإنس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصي، وفيهم

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٥٧-١٥٩).

العابد الجاهل، فمنهم من يحب شيخًا فيتزيا في صورته، ويقول: أنا فلان. ويكون ذلك في برية، ومكان قفر، فيطعم ذلك الشخص طعامًا ويسقيه شرابًا، أو يدله علىٰ الطريق، أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميِّت أو الحي فعل ذلك، وقد يقول: هذا سر الشيخ، وهذه رقيقته وهذه حقيقته. أو: هذا ملك جاء علىٰ صورته. وإنما يكون ذلك جنيًّا، فإن الملائكة لا تعين علىٰ الشرك والإفك والإثم والعدوان.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح، فبيّن الله تعالىٰ أن الملائكة والأنبياء عباد الله، كما أن الذين يعبدونهم عباد الله، وبيَّن أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين.

والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم - أي: نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا -، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صوّرنا تمثاله - والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارىٰ في كنائسهم - قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلىٰ الله، فيقول أحدهم: يا سيدي فلان. أو: يا سيدي جرجس. أو: بطرس. أو: يا ستي الحنونة مريم. أو: يا سيدي الخليل. أو: موسىٰ بن عمران - أو غير ذلك - اشفع لي إلىٰ ربك.

وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك. أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًّا وينشدون قصائد، يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلان! أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلىٰ الله، سل الله لنا أن ينصرنا علىٰ عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا، وكذا، فسل الله أن يكشف هذه الكربة. أو يقول أحدهم: سل الله أن يغفر لي.

ومنهم من يتأول قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾، ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة. ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحدًا منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئًا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره حكاية مكذوبة علىٰ مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سيأتي ذكرها، وبسط الكلام عليها، إن شاء الله تعالىٰ. **فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك** الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾.

فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال ونصب تماثيلهم - بمعنىٰ طلب الشفاعة منهم - هو من الدين الذي لم يشرعه الله، ولا ابتعث به رسولًا، ولا أنزل به كتابًا».

قبَّح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في [باب قول الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]][1]، ساق ما رواه ابن المسيّب عن أبيه قال: لمَّا حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمةً أحاج لك بها عند الله**»، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦][2].

وقال الإمام في مسائل هذا الباب[3]: «الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: «**قل: لا إله إلا الله**»، فقبَّح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام».

---

(١) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

(٣) القول السديد، ص (٦٤).

فالشأن في فهم معنىٰ كلمة التوحيد، وتحقيقها في إقامة الوجه لله وحده لا شريك له.

قال العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا شك أن هناك فرقًا كبيرًا جدًّا بين أولئك العرب المشركين، من حيث إنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم، وبين أغلب العرب المسلمين اليوم الذين ليسوا بحاجة أن يُدعوا إلىٰ أن يقولوا: لا إله إلا الله. لأنهم قائلون بها علىٰ اختلاف مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم يقولون: لا إله إلا الله. لكنّهم في الواقع بحاجة إلىٰ أن يفهموا معنىٰ هذه الكلمة الطيِّبة، وهذا الفرق جوهري جدًّا بين العرب الأولين الذين كانوا إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا: لا إله إلا الله. يستكبرون، كما هو مبيّن في صريح القرآن العظيم، لماذا يستكبرون؟

لأنهم يفهمون أن معنىٰ هذه الكلمة: أن لا يتخذوا مع الله أندادًا، وألا يعبدوا إلا الله، وهم كانوا يعبدون غيره، فهم ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله، فضلًا عن النذر لغير الله، والتوسل بغير الله، والذبح لغيره، والتحاكم لسواه... إلخ.

هذه الوسائل الشركية[٢] الوثنية المعروفة التي كانوا يفعلونها، ومع ذلك كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله»، من حيث اللغة العربية أن يتبرءوا من كل هذه الأمور؛ لمنافاتها لمعنىٰ «لا إله إلا الله».

---

(١) التوحيد أولًا، ص (١٢ – ٢٠).

(٢) عبادة غير الله ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والنذر لغير الله – هو شرك، وليس من وسائله.

أما غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا الله»، فهم لا يفقهون معناها جيدًا، بل لعلهم يفهمون معناها فهمًا معكوسًا ومقلوبًا تمامًا، أضرب لذلك مثلًا: بعضهم ألَّف رسالة في معنىٰ «لا إله إلا الله» ففسرها: لا رب إلا الله!!

وهذا المعنىٰ هو الذي كان المشركون يؤمنون به، وكانوا عليه، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقًا لا شريك له، ولكنهم كانوا يجعلون مع الله أندادًا وشركاء في عبادته، فهم يؤمنون بأن الرب واحد، ولكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة، ولذلك رد الله تعالىٰ - هذا الاعتقاد - الذي سمّاه: عبادةً لغيره من دونه، بقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

لقد كان المشركون يعلمون أن قول: «لا إله إلا الله» يلزم له التبرؤ من عبادة ما دون الله عَزَّوَجَلَّ، أما غالب المسلمين اليوم، فقد فسروا هذه الكلمة الطيّبة: «لا إله إلا الله»، بـ«لا رب إلا الله!!».

فإذا قال المسلم: «لا إله إلا الله»، وعبد مع الله غيره، فهو والمشركون سواء - عقيدة - وإن كان ظاهره الإسلام؛ لأنه يقول لفظة: «لا إله إلا الله»، فهو بهذه العبارة مسلم ظاهرًا، وهذا مما يوجب علينا جميعًا - بصفتنا دعاة إلىٰ الإسلام - الدعوة إلىٰ التوحيد، وإقامة الحجة علىٰ من جهل معنىٰ «لا إله إلا الله»، وهو واقع في خلافها، بخلاف المشرك؛ لأنه يأبىٰ أن يقول: «لا إله

إلا الله»، فهو ليس مسلمًا لا ظاهرًا ولا باطنًا.

فأما جماهير المسلمين اليوم هم مسلمون؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى**».

لذلك، فإني أقول كلمةً - وهي نادرة الصدور مني - وهي: إن واقع كثير من المسلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى، من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة؛ لأن المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: «لا إله إلا الله»، ولا يؤمنون حقًّا بمعناها.

أظن أن أكثر الناس عنها غافلون!

وهي: لا يلزم من الفهم الإيمان، بل لا بد أن يقترن كلٌّ من الأمرين مع الآخر حتى يكون مؤمنًا؛ ذلك لأن كثيرًا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمدًا ﷺ رسول صادق فيما يدّعيه من الرسالة والنبوة، ولكن مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربُّنا عَزَّوَجَلَّ حين قال: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، ومع ذلك هذه المعرفة ما أغنت عنهم من الله شيئًا، لماذا؟ لأنهم لم يصدقوه فيما يدعيه من النبوة والرسالة، ولذلك فإن الإيمان تسبقه المعرفة، ولا تكفي وحدها، بل لا بد أن يقترن مع المعرفة الإيمان والإذعان؛ لأن المولى عَزَّوَجَلَّ يقول في محكم التنزيل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾».

* * *

أكبر الكبائر الذنب الذي لا يغفره الله

الشرك أكبر الكبائر؛ لأنه ينقض الإيمان، ولا يتأسس عليه بنيان، ولا يقوم معه أركان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]، وهو مبطل لكل عمل ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وهو الموجب للخلود في النار ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والشرك أكبر الكبائر؛ لأنه عدول عن حق الله الخالص إلىٰ مخلوق ناقص لا يستحقه، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، وهذا أعظم الظلم صرف حق الله الخالص لغيره.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله، وإنما كان كذلك؛ لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم؛ إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقِّه لغيره، وَعَدْلُ غيره به، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]، ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذُّلِّ له، والانقياد لأوامره الذي لا

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٨٤، ٢٨٥).

صلاح للعالم إلا بذلك، فمتىٰ خلا منه خَرِبَ وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ لا يُقال في الأرض: الله الله**»، رواه مسلم.

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالىٰ وتقدّس - في خصائص الإلهية من ملك الضُّرِّ والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلُّق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده».

والشرك أكبر الكبائر؛ لأنه تنكر للعلم الضروري الذي فُطر الخلق عليه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

والشرك أكبر الكبائر؛ لأن الطباع لا تتقضاه كبعض الشهوات المحرّمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «فالفواحش والبغي مقرونات بالمنكر، وأما الإشراك والقول علىٰ الله بلا علم فإنه منكر محض، ليس في النفوس ميل إليها، بل إنما يكونان عن عناد وظلم، فهما منكر وظلم محض بالفطرة».

وكل هذه المعاني دالة علىٰ أن الشرك أكبر الكبائر، وقد ضمَّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المعاني في كتاب التوحيد؛ تعظيمًا لحق الله الخالص، وانقيادًا للأدلة، ونصحًا للأمة.

ومن الأدلة الواضحة الدالة علىٰ أن الشرك أكبر الكبائر - ما أشار إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من نعت المشركين بشرار الخلق[٢].

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٤/ ٥٨٧).

(٢) الباب التاسع عشر، باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

وفي باب [ما جاء في السحر][١]، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين مرفوعًا: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: الشرك بالله**»[٢].

وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]][٣]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أكبر الكبائر الإشراك بالله»، رواه عبد الرزاق[٤].

فالشرك أعظم الظلم، لذلك لا يغفره الله ما لم يتب منه صاحبه، والحسنات لا يقبل الله منها شيئًا مع الشرك، فالتوحيد أساس الحسنات، والشرك يبطلها ويهدمها، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إن جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم، وهذا أصل جامع عظيم.

وتفصيل ذلك: أن الله خلق الخلق لعبادته، فهذا هو المقصود المطلوب لجميع الحسنات، وهو إخلاص الدين كله لله، وما لم يحصل فيه هذا المقصود فليس حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الله في الآخرة، وإن كان حسنة من بعض الوجوه له ثواب في الدنيا، وكل ما نهىٰ عنه فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة، ووضع للشيء في غير موضعه، فهو ظلم».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة

---

(١) الباب الثالث والعشرون، ص (٤٥).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٦).
(٣) الباب الثالث والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٤).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٦٥).
(٥) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٨٦).
(٦) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٣).

لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به.

وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم، فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح، ولا نعيم ولا لذة، بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمىٰ.

ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله. رأس الأمر».

والسر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر، أنه تعدٍّ علىٰ حق الله الخالص الذي لا يجوز صرفه لغيره، وأنه كفر بالله، وكفر بنعمه، وجحود لآلائه، وإعراض عن آيات الله العظيمة الدالة علىٰ ربوبيته الموجبة لألوهيته وعبوديته وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلي إلا لله، ولا يصوم إلا لله، ولا يحج إلا بيت الله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يخاف إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٨٠، ٨١).

كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». وفي السنن: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»؛ لأن الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق، ولهذا كان غاية الكذب أن يعدل بالشرك، كما قال النبي ﷺ: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله مرتين أو ثلاثًا**»، وقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، وإذا كان الحالف بغير الله قد أشرك، فكيف الناذر لغير الله؟».

والشرك أكبر الكبائر؛ لأنه انتقاص لله أعظم انتقاص، وواجب العبد تعظيم الله وتوقيره، وإفراده وحده بالعبودية، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فصلاح العبد وفلاحه، وسعادته ونجاته، وسروره ونعيمه في إفراد الله بهذه العبادات، والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها، وأصلها كمال المحبة، وكمال الذل والخضوع، كما تقدم.

هذا سرُّ العبادات وروحها، ولا بد في عبادة الله من كمال الحب، وكمال الخضوع، فأحب خلق الله إليه، وأقربهم منزلة عنده - من قام بهذه المحبة والعبودية، وأثنىٰ عليه بذكر أوصافه العلىٰ، فمن أجل ذلك كان الشرك أبغض الأشياء إليه؛ لأنه ينقص هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم، ويجعل ذلك بينه وبين من أشرك به، والله لا يغفر أن يُشرك به، لأنه يتضمَّن

---

(١) عيون الرسائل (٢/ ٦٢٠، ٦٢١).

التسوية بينه تعالىٰ وبين غيره في المحبة والتعظيم، وغير ذلك من أنواع العبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من أحبَّ شيئًا دون الله، كما يحب الله، فقد اتخذه ندًّا، وهذا معنىٰ قول المشركين لمعبوديهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، فهذه تسوية في المحبة والتألُّه، لا في الذات والأفعال والصفات، فمن صرف ذلك لغير إلهه الحق، فقد أعرض عنه وأبِقَ عن مالكه وسيده، فاستحق مقته وبغضه، وطرده عن دار كرامته ومنزل أحبابه».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فلما كان الشرك أكبر شيء منافاة للأمر الذي خلق الله له الخلق وأمر لأجله بالأمر كان أكبر الكبائر عند الله».

* * *

(١) الجواب الكافي، ص(٣٢٩).



أكبر الأوثان

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله][١]، استفتح هذا الباب بما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢]، ثم ساق تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا و مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، أنه كان يلتُّ السويق للحجاج، فمات فعكفوا علىٰ قبره[٣]، ثم ختم الباب بحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[٤]، وقال في مسائله[٥]: «السادسة: وهي من أهمها، صفة معرفة عبادة **اللَّات التي هي أكبر الأوثان**».

وغرض الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن شرك القبور والغلو في موتىٰ الأولياء والصالحين هو أصل الشرك، وأقربه لنفوس الناس، فالناس يُسارعون إليه ما لا يسارعون

---

(١) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٠، ٤١).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٥) القول السديد، ص (٧٣).

إلىٰ السجود للأصنام، وهذا هو شرك أهل هذا الزمان الأكبر، وأخطر ما فيه اعتقاد أهله أن ما يفعلونه ليس بشرك، فهم عاكفون علىٰ الشرك مقيمون عليه، يوالون ويعادون علىٰ ضلالهم، وممارستهم لهذا الشرك السنين الطويلة أورثهم الإيغال في الشرك، لدرجة صم آذانهم وعمىٰ قلوبهم عن تَدبّر حقائق التوحيد في كتاب الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**ومن أنواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم**، فإنَّ الميّت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلىٰ الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده».

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف**[2]: «فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة علىٰ هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، وكذا حكم المشاهد التي بنيت علىٰ القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها علىٰ وجه الأرض مع القدرة علىٰ إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزىٰ ومناة، أو أعظم شركًا عندها وبها، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ

(١) فتح المجيد، ص (١٥١).

(٢) باختصار العلامة عبد الله بن حميد، مجموع رسائل العلامة عبد الله بن حميد، ص (٤١، ٤٢).

العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «واتخذت العرب الأصنام، فكانت أقدمها مناة، وكان منصوبًا علىٰ ساحل البحر من ناحية المُشلَّل بقُدَيْد، بين مكة والمدينة، وكانت العرب جميعًا تُعظّمه، وكانت الأوس والخزرج - ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع - يُعظّمونه، ويذبحون له، ويُهدون له، ولم يكن أحد أشدَّ إعظامًا له من الأوس والخزرج.

قال ابن هشام: وحدثنا رجل من قريش، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، قال: كانت الأوس والخزرج - ومن جاورهم من عرب أهل يثرب، وغيرها - يحُجّون، فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رءوسهم، فإذا نفروا أتوه، فحلقوا عنده رءوسهم، وأقاموا عنده، لا يرون لحجّهم تمامًا إلا بذلك.

وكانت مناة لهذيل، وخزاعة، فبعث رسول الله ﷺ عليًّا، فهدمها عام الفتح، ثم اتخذوا اللَّات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مُرَبَّعة، وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها، وكانت قريش وجميع العرب تُعظِّمها، وبها كانت العرب تُسمِّي زيد اللات، وتيْم اللات، وكانت

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٤٩-٩٥٣).

في موضع منارة مسجد الطائف اليُسرىٰ اليوم، فلم تزل كذلك، حتىٰ أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهدمها وحرّقها بالنار.

ثم اتخذوا العزىٰ، وهي أحدث من اللّات ومناة، اتّخذها ظالم بن أسعد، وكانت بواد من نخلة، فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتًا، وكانوا يسمعون منه الصَّوْت.

قال هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كانت العُزّىٰ شيطانة، تأتي ثلاثَ سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «**ائت بطن نخلة، فإنك ستجد ثلاث سمرات، فاعضد الأولىٰ**». فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه، قال: «**هل رأيت شيئًا؟**» قال: لا. قال: «**فاعضد الثانية**»، فأتاها فعضدها، ثم أتىٰ النبي ﷺ، فقال: «**هل رأيت شيئًا؟**» قال: لا. قال: «**فاعضد الثالثة**»، فأتاها، فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعةً يديها علىٰ عاتقها، تصْرِفُ بأنيابها، وخلْفها سادِنها، فقال خالد:

يا عُزّىٰ كُفرانَكِ لا سبحانكِ   إني رأيتُ الله قد أهانك

ثم ضربها، ففلق رأسها، فإذا هي حُمَمَةٌ، ثم عضد الشَّجرة، وقتل السادن، ثم أتىٰ النبي ﷺ، فأخبره، فقال: «**تلك العُزّىٰ، ولا عُزّىٰ بعدها للعرب**».

قال ابن هشام: وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وأعظمها عندهم: هُبَلُ، وكان - فيما بلغني - من عقيق أحمر، علىٰ صورة إنسان مكسور اليد اليمنىٰ، أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يدًا من ذهب،

وكان أول من نصبه خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر، وكان في جوف الكعبة، وكان قُدّامَه قِدَاحٌ مكتوب في أحدها: صريحٌ، وفي الآخر: مُلْصَقٌ، فإذا شكُّوا في مولود، أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقِدح، فإن خرج (صريح) ألحقوه، وإن كان (ملصق) دفعوه.

وكانوا إذا اختصموا في أمر، أو أرادوا سفرًا، أتوه فاقتسموا بالقداح عنده، وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد: **اعْلُ هُبَلُ!** فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا له: الله أعلىٰ وأجلّ**».

وكان لهم إساف ونائلة.

قال ابن هشام: فحدَّث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن إسافًا رجلٌ من جُرْهم - يقال له: إساف بن يعلىٰ - ونائلة بنت زيد ابن جرْهم، وكان يتعشَّقها في أرض اليمن، فأقبلوا حُجَّاجًا، فدخلا البيت، فوجدا غفلة من الناس وخلوةً من البيت، ففجر بها في البيت، فُمسخا حجرين، فأصبحوا، فوجدوهما مِسْخين، فأخرجوهما فوضعوهما مَوْضعهما، فعبدتهما خزاعة، وقريش، ومن حجَّ البيت - بعدُ - من العرب.

قال ابن هشام: لما مُسخا حجرين، وُضعا عند الكعبة ليتّعظ بهما الناس، فلما طال مُكْثهما وعُبدت الأصنام، عُبدا معها، وكان أحدهما ملصقًا بالكعبة، والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان مُلصقًا بالكعبة إلىٰ الآخر، فكانوا يذبحون وينحرون عندهما.

وكان من تلك الأصنام: ذو الخلصة، وكان مَرْوَةً بيضاء منقوشة، عليها

كهيئة التاج، وكان له بيت بين مكة والمدينة، علىٰ مسيرة تسع ليال من مكة، وكانت تعظمه وتُهدي إليه خثعم وبجيلة، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تكْفيني ذا الخلصة؟!**»، فسار إليه بأحْمَس، فقاتلته خثعم وباهلة، فظفر بهم، وهدم بيت ذِي الخَلَصةِ، وأضرمَ فيه النار فاحترق. وذو الخَلَصة - اليوم -: عَتبةُ باب مسجد تَبالة.

وكان لدَوْس صنمٌ - يقال له: ذو الكفّين - فلما أسلموا، بعث رسول الله ﷺ الطُّفيلَ بن عمرو فحرّقه.

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له: ذو الشَّرَىٰ.

وكان لقضاعة، ولَخْم، وجُذام، وعامِلة، وغطْفان صنم في مشارف الشام يقال له: الأقيصر.

وكان لمُزينة صنم يقال له: نُهْمٌ، وبه كانت تُسَمّىٰ، عبد نُهْم.

وكان لعَنَزَة صنم يقال له: سُعير.

وكان لطيء صنم يقال له: الفَلْس.

وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنعُ في منزله: أن يتمسح به، وإذا قدِم من سفره، كان أولَ ما يصنع إذا دخل منزله: أن يتمسّح به.

قال ابن إسحاق: وكان لخولان صنمٌ يقال له: عمّ أنس. بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسْمًا بينه وبين الله - بزعمهم -، فلما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه، وما دخل في حقِّ الصنم من

حقِّ الله الذي سمُّوه له تركوه له، وفيهم أنزل الله - سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]».



طبقات القبوريين

المبتدعون والمشركون في تعلقهم بالموتىٰ طبقات، فمنهم من يجعلهم وسائط بينهم وبين الله في طلب حاجاته، وهذا شرك بلا ريب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ومنهم من يعبد الموتىٰ أنفسهم ويسألهم قضاء حاجاته وتفريج كرباته، وشفاء أسقامه، وهذا شأن البدع والشرك، أنها تبدأ صغيرًا ثم تعود كبيرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن البدع لا تزال تخرج من صغير إلىٰ كبير حتىٰ تخرجه إلىٰ الإلحاد»، فمن اتخذ الموتىٰ وسائط بينه وبين الله في دعائه لا يزال به الشيطان حتىٰ يوقعه في دعائها مباشرة، والعياذ بالله.

وبهذا يتبين لنا موافقة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمنهج القرآني، وللهدي النبوي في تعظيم جناب التوحيد وسد ذرائع الشرك، فضلًا عن الزجر عن الشرك.

وقد تكلم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبقات المشركين، ففي [باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][2]، فقال في مسائله[3] «الخامسة:

---

(١) الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٠٦).

(٢) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

(٣) القول السديد، ص (١١٥).

تغير الأحوال إلىٰ هذه الغاية حتىٰ صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمىٰ الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيَّرت الأحوال إلىٰ أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنىٰ الثاني من هو من الجاهلين».

فمع اتباع الأهواء تتبدل الشرائع، ويستعاض عن المشروع بالممنوع، حتىٰ ارتكس أهل الضلال في الشرك، وصار شد الرحال إلىٰ القبور أحب إليهم من شد الرحال إلىٰ بيت الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الحُجَّاج إلىٰ القبور والمتخذون لها أوثانًا ومساجد وأعيادًا، فهؤلاء لم يكن علىٰ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم منهم طائفة تُعرف، ولا كان في الإسلام قبر ولا مشهد يُحج إليه، بل هذا إنما ظهر بعد القرون الثلاثة.

والبدعة كلما كانت أظهر مخالفة للرسول ﷺ يتأخر ظهورها، وإنما يحدث أولًا ما كان أخفىٰ مخالفة للكتاب والسنة كبدعة الخوارج، ومع هذا فقد جاءت الأحاديث الصحيحة فيها بذمهم وعقابهم، وأجمع الصحابة علىٰ ذلك، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صحّ فيهم الحديث من عشرة أوجه، وقد رواها صاحبه مسلم كلها في صحيحه، وروىٰ البخاري قطعة منها.

أما بدع أهل الشرك وعبادة القبور والحجاج إليها، فهذا ما كان يظهر في القرون الثلاثة لكل أحد مخالفته للرسول ﷺ، فلم يتجرأ أحد أن يظهر ذلك

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٦٦).

في القرون الثلاثة».

والشرك عند القبور يبدأ بتشييد البناء عليها، ثم بالدعوة إلىٰ تكرار زيارتها، ثم بفعل أعظم الطاعات عندها كالدعاء والصلاة، ثم بدعاء الموتىٰ أنفسهم، والعياذ بالله.

قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٧هـ)**[١]: «إن الشيطان - بلطف كيده - يُحسِّن لمن حُرم العلم النافع: الدعاء عند القبر، وأنه أرجح من الدعاء في بيته ومسجده، فإذا صدّقه في ذلك دعاه إلىٰ درجة أخرىٰ من الدعاء عنده، ثم إلىٰ الدعاء به، والإقسام به علىٰ الله، وهذا أعظم من الأول، فإذا استجاب لذلك دعاه إلىٰ دعاء الميت نفسه من دون الله، ثم ينقله إلىٰ أن يتخذ قبره معتكفًا، وأن يوقد عليه القنديل، بل ويضع عليه الستور، ويقيم عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف حوله، والتقبيل، والاستلام، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذه عيدًا».

وهكذا صارت عبادة القبور كعبادة الأصنام في صورة أخرىٰ، وكلاهما يجتمع في جامع واحد وهو عبادة غير الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والمقصود هنا أن هؤلاء المشركين الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يُشرك أصحاب الأوثان بأوثانهم، يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم،

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (١٤٧).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٦٢).

وقد جعلوهم أندادًا يحبونهم كحب الله».

ويحصل لهؤلاء المشركين عند القبور من الحب للمقابر واتخاذها مزارات، يقصدونها بالزيارة والحج، وغلوهم بلغ بهم أن أشربت قلوبهم حب هذه الشركيات والانصراف عن الله إلىٰ موتىٰ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، يخضعون عندهم ويخشعون، ويطلبون تفريج الكربات، ومغفرة الزلات، وإقالة العثرات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كما إن عبَّاد الأوثان الذين جعلوهم أندادًا لله يحبونهم كحب الله يجدون عند الأوثان مثل ذلك، وكذلك عبَّاد العجل، قال تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: حب العجل».

ومن طبقات الصوفية الغلاة من تجاوز هذه المرحلة إلىٰ مرحلة أعظم وأقبح شركًا، وجعل عبادة العجل كعبادة الله، وهؤلاء هم أهل الحلول من الصوفية، قال ابن عربي مقررًا عقيدة الاتحاد والحلول - والعياذ بالله - عند ذكره لحديث: «**كنت سمعه وبصره**»[(٢)]: «عرف الحق أن نفسه عين صفاتهم لا صفته، فأنت من حيث ذاتك عينك الثانية التي اتخذها الله مظهرًا أظهر نفسه فيها، فإنه ما يراه منك إلا بصرك، فما رآه إلا نفسه، وكذا جميع صفاته».

وقال ابن عربي منكرًا علىٰ هارون قوله لبني إسرائيل لما عبدوا العجل:

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٩).

(٢) الفتوحات الربانية (٢/ ٥١٣)، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد، ص(١٢٢، ١٢٣).

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١]: «إن هارون جهل حقيقة الأمر، وفعل به موسىٰ ما فعل لذلك؛ لأن العارف المكمل يرىٰ كل معبود مجلىٰ للحق، وأعظم مجلىٰ عُبد فيه وأعلاه الهوىٰ، كما قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فهو أعظم معبود، فإنه لا يُعبد شيء إلا به، ولا يُعبد إلا بذاته، فما عُبد الله ولا غيره من أنواع المعبودات إلا بهوًىٰ، والذي عنده أدنىٰ تنبُّه يحار لاتحاد الهوىٰ بل لأحدية الهوىٰ، فإنه عين واحدة في كل عابد، فـ﴿أضله الله علىٰ علم﴾، أي: حيّره علىٰ علم بأن كل عابد ما عبد إلا هواه، ولا استعبد إلا هواه، سواء صادف الأمر الشرعي أو لم يصادفه، وكلهم مجلىٰ للحق، وكلهم إله مع اسمه الخاص بحجر أو إنسان أو كوكب أو ملك، أو فلك».

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ كلام ابن عربي**[٢]: «وأنت لا يخفىٰ عليك مثل هذا النهيق الشيطاني الذي يتضوع منه روائح الزندقة».

وابن عربي هذا داعية الضلالة قد ظهر قبلنا من يزكيه ويثني عليه، كمحمد عبد الغفار.

وهؤلاء القبوريون وإن اختلفت طبقات غلوهم في معبوديهم من دون الله، وتباينت مراتب انصرافهم عن الله، إلا أنه يجمعهم جامع واحد، وهو ما دلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ

---

(١) الفصوص، ص (١٩٤، ١٩٥)، الصوارم الحداد، ص (١٢٣، ١٢٤).

(٢) الصوارم الحداد، ص (١٢٤).

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾، الذي قد بلغ في العبد إلىٰ حد النهاية، حيث أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغني، وأقبل علىٰ عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء، بل هو إلىٰ حصول ضد مقصوده أقرب، ولهذا قال: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والآخرة معلوم، ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ أي: هذا المعبود، ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ أي: القرين الملازم علىٰ صحبته، فإن المقصود من المولىٰ والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم».

أما طبقات الموحدين السابقين في الخيرات والمقتصدين فيجمعهم جامع واحد وهو توحيد الله وحده لا شريك له، وتجريد الاتباع لنبينا محمد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] «فأعظم أحوال الناس مع الأنبياء وأفضلها وأكملها هو حال الصحابة مع الرسول ﷺ، لا سيما أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وهو تصديقه في كل ما يخبر به من الغيب، وطاعته وامتثال أمره في كل ما يوجبه ويأمر به، وأن يكون أحب إلىٰ المؤمن من نفسه وأهله وماله،

---

(١) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين (٧/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٧٤).

وأن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، وأن يتحرىٰ متابعة الرسول ﷺ، فيعبد الله بما شرعه وسنّه من واجب ومستحب، لا يعبده بعبادة نهىٰ عنها، وببدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وإن ظن أن في ذلك تعظيمًا للرسول ﷺ وتعظيمًا لقدره، كما ظنه النصارىٰ في المسيح، وكما ظنوه في اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وكما ظن الذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا، فإن الأمر بالعكس، بل كل عبد صالح من الملائكة والأنبياء فإنما يُحب ما أحبه الله من عبادته وحده وإخلاص الدين له، ويوالي من كان كذلك، ويعادي من أشرك، ولو كان الشرك معظمًا له غاليًا فيه، فإن هذا يضره ولا ينفعه، لا عند الله ولا عند الذي غلا فيه وأشرك به واتخذه ندًّا لله يحبه كحب الله، واتخذه شفيعًا يظن أنه إذا استشفع به يشفع له بغير إذن، أو اتخذه قربانًا يظن أنه إذا عبده قرَّبه إلىٰ الله، فهذه كلها ظنون المشركين، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]».

* * *



طبقات المبتدعين والمشركين

نبَّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ طبقات المبتدعين والمشركين في كتاب التوحيد، ففي باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده](١)، ذكر أغلظ طبقات المشركين وهم عبّاد القبور فساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فيمن بنىٰ مسجدًا علىٰ قبر الرجل أن النبي ﷺ قال فيهم: «**أولئك شرار الخلق عند الله**»(٢)، وساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من شرار الناس من تُدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»(٣).

وفي [**باب قول الله تعالىٰ**: ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٩](٤)، ساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أكبر الكبائر الإشراك بالله(٥).

قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦): «فهذه إشارة لطيفة إلىٰ السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله تعالىٰ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه،

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٤) الباب الثالث والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٤).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٦٥).

(٦) تجريد التوحيد المفيد، ص (٣٨).

وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه فقط، بل يستحيل علىٰ الله أن يشرع لعباده إلهًا غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله».

وفي باب [ما جاء في المصورين][١]، صدَّر الإمام الباب بحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرَّة أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرة**»[٢]، وفي باب [ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد وسدّه طرق الشرك][٣]، ساق حديث عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: «أنت سيدنا، فقال: «**السيِّد الله** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: **قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»[٤]، وقال في مسائل هذا الحديث[٥]: «الثالثة: قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أنهم لم يقولوا إلَّا الحق».

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُٱللَّهُ[٦]: «كره ذلك لهم لئلا يكون وسيلة إلىٰ الغلو فيه والإطراء، وتقدم قوله: «**لا تطروني كما أطرت**

---

(١) الباب الستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠٢).

(٣) الباب الخامس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٥) القول السديد، ص (١٦٥).

(٦) حاشية كتاب التوحيد، ص (٣٩٥).

النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فالنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وإرشادًا للأمة إلىٰ ترك ذلك؛ نصحًا لهم وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله».

وكلما عظم شرك المخلوق كان في أغلظ طبقات المشركين، وكان أعظم في عذابه في الدار الآخرة، لا سيما إن جمع أنواع الشرك، كالشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ويتغلظ شره وعذابه إن كان من دعاة الشرك كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾، فالشرك طبقات بعضه أغلظ من بعض، والشرك ظلمات بعضها فوق بعض، قال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ [النجم: ٥٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

والمخالف في ذلك أنواع، فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع، ومنهم

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٣٩٥).

(٢) نقله عنه فضيلة الشيخ عبد الله المعتاز حفظه الله في كتابه: «منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلىٰ الله»، ص (٢٢).

من عبدَ الله وحده ولم ينكر الشرك، ومنهم من أشرك ولم ينكر التوحيد، ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه، ومنهم من أنكره ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم من كفّرهم وزعم أنه مسبة للصالحين، ومنهم من لم يبغض التوحيد ولم يحبه، ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره، ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، فلم يبغض من تركه ولم يكفرهم، ومنهم من ترك الشرك وكرهه وأنكره، ولم يعرف قدره، فلم يعاد أهله ولم يكفرهم، وكل هؤلاء خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله».

ومن أقبح طبقات المشركين من عبد الفاسقين، فهذا أقبح أنواع المشركين، فأول شرك وقع في الأرض في قوم نوح سببه الفتنة والغلو في الصالحين، وما زال القبوريون علىٰ هذا، ولكن أن يفتتن بغير الصالحين فهذا غاية في الضلال، فلا شبهة ولا تلبيس بل هو محض كفر وانصراف عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله][1]، في مسائله[2]: «الخامسة: تغير الأحوال إلىٰ هذه الغاية حتىٰ صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمىٰ الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيَّرت الأحوال إلىٰ أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنىٰ الثاني من هو من الجاهلين».

---

(١) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

(٢) القول السديد، ص (١١٥).

وقال الإمام أيضًا مبينًا قبح هذا النوع من الشرك[١]: «إن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس.

والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من: الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه وفساده، ويشهد به».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء، من أتباع من يعتقدون فيه، يجعلون له حصة من الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش، ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون.

ولقد أخبرني بعض من يتولىٰ قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور: أنه جاء إنسان بدراهم، وحلية نسائه، وقال: هذه لسيده فلان - يريد صاحب القبر - نصف مهر ابنتي، لأني زوّجتها، وكنت ملكت نصفها فلانًا - يريد صاحب القبر.

وهذه النذور بالأموال، وجعلُ قسط للقبر، كما يجعلون شيئًا من الزرع

---

(١) كشف الشبهات، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ١٢٤-١٢٥).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ص (٣١، ٣٢).

يسمونه «تلما»، في بعض الجهات اليمنية، وهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام، وهو داخل تحت قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ [النحل: ٥٦]، بلا شك ولا ريب».

ومما ينبغي أن يُعلم: أن القبوريين يبدءون في الطبقة الأولىٰ من دعاء الله عند القبر، ثم يغلون في صاحب القبر حتىٰ يسألوا الله به، وينتهي المقام بكثير منهم أن يسأل صاحب القبر من دون الله، ثم مع طول الأمد ينشرح صدر المشرك لذكر صاحب القبر، ويشمئز لذكر الله وسؤاله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وما زال الشيطان يُوحي إلىٰ عُبّاد القبور، ويُلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأنَّ الدعاء عندها مُستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء به، والإقسام علىٰ الله به، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسم عليه، أو يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرَّر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تُعلَّقُ عليه القناديل والستور، ويُطاف به ويُستلم ويُقبَّل، ويحج إليه، ويذبح عنده!

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

وكل هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، أنه مضادٌّ لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد، وأن لا يُعبد إلا الله، فإذا تقرَّر ذلك عندهم،

(١) فتح المجيد، ص (١٩٩).

نقلهم منه إلىٰ أن من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّص أهل الرتب العالية، وحطَّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزَّت قلوبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وسرىٰ ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدين، حتىٰ عادَوْا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالَوْا أهل الشرك وعظَّموهم، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾، [الأنفال: ٣٤]».

❊ ❊ ❊



أضحوكة القبور المكذوبة

الشرك مبدؤه وقوامه الكذب، فمن جعل لله أندادًا فقد افترىٰ علىٰ الله الكذب، ودعاة الشرك كذابون دجالون يأمرون الخلق بما لم ينزل الله به سلطانًا، فيأمرونهم بالذبح لغير الله والنذر لغيره، والطواف بالقبور، والقبور التي اتخذها الدّجالون مزارات وبنوا عليها القباب كثير منها مكذوبة، وبعضها قبور أقوام كافرين، بل وبعضها قبور لحيوانات والعياذ بالله.

وقد حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الفتنة بالقبور، سواء كانت حقيقية أو مكذوبة، ففي باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!](١)، ساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المخرّج في الصحيح عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في النصارىٰ أن النبي ﷺ قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»، وأتبعه بما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وختم الباب بما رواه أحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين**

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

يتخذون القبور مساجد»[١].

والقبور والمشاهد الآن التي تُشد إليها الرحال، ويصنع عندها أنواع من المنكرات والشركيات - أكثرها كذب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما قبور الأنبياء، فقالت طائفة، منهم مالك بن أنس: لا يُعرف قبر نبي، إلا قبر نبيّنا خاصة. وقال هؤلاء: لا يُعرف قبر الخليل ولا غيره.

وطائفة أخرىٰ قد يعرفون بعض القبور كقبر الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكن من هؤلاء من يثبت أمورًا مكذوبة، مثل قبر نوح الذي بقرية الكرك بجبل لبنان، وغيره من القبور المضافة إلىٰ الأنبياء، فإنها كذب بلا ريب، وإن كان قبر الخليل صحيحًا، وكذلك قبور غير الأنبياء كثير منها كذب، أو مختلف فيه، مثل ما يقال: إن بدمشق قبر أم سلمة، أو أم حبيبة، أو غيرهما من أزواج النبي ﷺ، أو قبر أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أو أويس القرني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اتفق أهل العلم علىٰ أن أزواج النبي ﷺ كلهن دُفنّ بالبقيع، إلا ميمونة، ولم يسافر منهن امرأة إلىٰ غير الحج، إلا عائشة لما خرجت إلىٰ البصرة، وأم حبيبة لم تقدم إلىٰ الشام إلىٰ أخيها معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكن كان بالشام امرأة من الأنصار يقال لها: أم سلمة - أسماء بنت يزيد بن السكن -، وكان إذا حدّث عنها شهر بن حوشب، يقول: حدثتني أم سلمة، فيظن الجهال

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٧، ٤٠).

(٢) قاعدة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (١٥، ١٦).

لاشتراك الاسم أنها زوج النبي ﷺ.

وكذلك قبر خالد الذي عند حمص، قالوا: إنما هو قبر خالد بن يزيد ابن معاوية، وأما خالد بن الوليد فمات بالحجاز في خلافة عمر بن الخطاب، ولم يكن بحمص، ومثل هذا كثير.

وذلك أن معرفة هذه القبور لم تكن من الدين، فإن أصحابها يترحم عليهم، ويُدعىٰ لهم إذا ذُكروا، وإن لم تُعرف قبورهم، والذين يقصدون قبورهم إنما يقصدونها للشرك، واتخاذها مساجد، وأوثانًا، فلا يقصدونها لما أمر الله به ورسوله ﷺ، بل لما نُهي عنه، فلذلك عمَّىٰ الله أخبارها، فلا يكاد يصح منها إلا ما شاء الله.

ومن أشهرها قبر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا ريب عند أهل العلم أنه ليس بقبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما دُفن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصر الإمارة بالكوفة، ودُفن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقصر الإمارة بدمشق، ومعاوية الذي دُفن بمقبرة باب الصغير هو معاوية بن يزيد بن معاوية، ودُفن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقصر الإمارة بمصر، لمّا تحالف الخوارج علىٰ قتل هؤلاء الثلاثة، فقتل ابن ملجم علي بن أبي طالب، وجرح صاحب معاوية، وبريء من جرحه، وصاحب عمرو قتل خارجة بن حذافة - وكان قد استخلفه عمرو في الصلاة - وقال: أردت عَمْرًا، وأراد الله خارجة، فدُفن الثلاثة في قصر الإمارة؛ لئلا ينبشهم الخوارج، وبسط هذا له موضع آخر».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ولهذا لمّا لم يكن بناء المساجد علىٰ

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٦٩ - ١٧٠).

القبور - التي تُسمىٰ «المشاهد» - وتعظيمها من دين المسلمين، بل من دين المشركين، ولم يحفظ ذلك، فإن الله ضمن لنا أن يحفظ الذكر الذي أنزله، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، فما بعث الله به رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة محفوظ، وأما أمر المشاهد فغير محفوظ، بل عامة القبور التي بُنيت عليها المساجد، إما مشكوك فيها، وإما متيقن كذبها، مثل القبر الذي بكرك، الذي يقال: إن به نوحًا. والذي بظاهر دمشق الذي يُقال: إنه قبر أويس القرني. والقبور التي هناك التي يظن أنها قبر عائشة، أو أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ زوج النبي ﷺ، أو أم حبيبة، أو قبر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي بباطن النجف، أو المشهد الذي يقال: إنه علىٰ الحسين بالقاهرة. والمشهد الذي بحلب، وأمثال هذه المشاهد، فهذه كلها كذب باتفاق أهل العلم.

وأما القبر الذي يُقال: إنه قبر خالد بن الوليد، بحمص، والذي يُقال: إنه قبر أبي مسلم الخولاني، بداريا، وأمثال ذلك فهذه مشكوك فيها، وقد نعلم من حيث الجملة أن الميت قد تُوفي بأرض، ولكن لا يتعين أن تلك البقعة مكان قبره، كقبر بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ونحوه بظاهر دمشق، وكقبر فاطمة بالمدينة، وأمثال ذلك».

وقال الشيخ عبد الله المطوع حفظه الله[1]: «وإذا نظرت إلىٰ حالة المسلمين في ذلك القرن - قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعوة الإصلاحية - تجد أمورًا عظامًا في هذا الشأن، فلقد انتشرت في كثير من بلدان المسلمين الأضرحة التي يتقرب إليها كثير من أهل الجهل والضلالة،

---

(١) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد ونواحيها، ص (٥٣-٥٥).

ويتخذون أصحابها شفعاء عند الله، ففي القاهرة في مصر أكثر من «٢٩٤» ضريحًا، من أشهرها ضريح رأس الحسين، وضريح السيدة سكينة، وضريح السيدة نفيسة، وضريح السيدة زينب، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد، ومن أشهر الأضرحة خارج القاهرة ما يسمىٰ بضريح السيد البدوي في طنطا، وكل هذه الأضرحة قد بُني عليها جوامع ومساجد.

وفي بلاد الشام عدد كبير من الأضرحة والمزارات، ففي دمشق وضواحيها هناك ما يزيد علىٰ «١٩٤» موضعًا، يُزعم أنها للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكل قبر من تلك القبور قباب تزار يتبرك بها.

ومن المزارات والقبور المشهورة في بلاد الشام بعامة: مزارات يحيىٰ ابن زكريا في صيدا في جنوب لبنان، ومزار شمعون في الجانب الشرقي منها، ومزار صيدون، ومزار داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنوب الغربي منها، ومزار أيوب وصالح في يافا بفلسطين، وضريح الخليل وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وكلها داخل مسجد كبير في مدينة الخليل، وضريح يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في حلحول، وقبور أخرىٰ كثيرة يُزعم أنها للأنبياء، ولغيرهم أيضًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتىٰ ذكرت قبور لبعض الصحابة وهم قد دُفنوا في المدينة.

وفي العراق عدد كبير من الأضرحة والمزارات، ففي البصرة عدد كبير من الأضرحة المنسوبة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كضريح الزبير بن العوام، وضريح عتبة بن غزوان، وضريح طلحة الخير، وضريح المقداد بن الأسود، وضريح عبد الرحمن بن عوف، وضريح أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

هذا إضافة إلىٰ المزارات والمشاهد والأضرحة في النجف وكربلاء، والتي

يحج لها الرافضة ويعظمونها أكثر من تعظيمهم للكعبة المشرفة.

وفي الآستانة «استنبول» عاصمة الدولة العثمانية يوجد «٤٨١» جامعًا، لا يخلو جامع فيها من ضريح وقبة لصحابها، وفي الهند يوجد أكثر من «١٥٠» ضريحًا كبيرًا مشهورًا».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما بلاد مصر، وصعيدها، وفيومها، وأعمالها، فقد جمعت من الأمور الشركية، والعبادات الوثنية، والدعاوىٰ الفرعونية ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنو له خطاب، لا سيما عند مشهد أحمد البدوي، وأمثالهم من المعتقدين المعبودين.

فقد جاوزوا بهم ما ادّعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرىٰ له من تدبير الربوبية، والتصرف في الكون، بالمشيئة والقدرة العامة، ما لم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنماردة، وبعضهم يقول: يتصرف في الكون سبعة. وبعضهم يقول: أربعة. وبعضهم يقول: قطب يرجعون إليه. وكثير منهم يرىٰ أنَّ الأمر شورىٰ بين عدد ينتسبون إليه؛ فتعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، وقد استباحوا عند تلك المشاهد، من المنكرات والفواحش والمفاسد، ما لا يمكن حصره، ولا يستطيع وصفه.

واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات ما لا يصدر عن من له أدنىٰ مسكة وحظ من المعقولات، فضلًا عن النصوص والشرعيات».

---

(١) عيون الرسائل (٢/ ٦٦٧، ٦٦٨).

ومن أعجب ما اطّلعت عليه من القبور المكذوبة، ما ذكره العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال[١] «ومن ذلك أن رجلًا فرنسيًّا كان في المغرب يملك أراضي واسعة في زمان الاستعمار، وكان له كلب عزيز عنده، فمات ذلك الكلب فدفنه، وجصّص قبره وبنىٰ عليه قبة، فلما ثار المغاربة علىٰ الفرنسيين، وأخذوا يقتلونهم حيثما وجدوهم، وهرب ذلك الفرنسي إلىٰ فرنسا، فلما استقل المغرب واستقرت أحواله وعم فيه الأمن، رجع ذلك الفرنسي إلىٰ أرضه فوجد الجهال يعبدون ضريح الكلب بالذبح والنذر والاحتفال، ويشغلون قطعة من أرضه التي حول القبة، فكلمهم برفق وطلب منهم أن يخرجوا من أرضه، فغضبوا وأرادوا أن يبطشوا به، فذهب إلىٰ رئيس الشرطة وأخبره، وقال له: إن هؤلاء القوم استولوا علىٰ قطعة من أرضي وزعموا أن هناك قبر ولي من الأولياء، فأرجو أن تبعث معي بعض رجالك لنبش قبره، فإن وجدنا آدميًّا رجلًا أو امرأة، فالأرض كلها لهم، وإن وجدنا كلبًا يتركون أرضي، ويعلمون أنهم كانوا يعبدون قبر كلب، فبعث معه بعض رجاله، ونبشوا القبر، فوجدوا المدفون فيه كلبًا».

وذكر الهلالي ما هو أعجب من هذا، فإن هؤلاء كانوا جاهلين أنه ضريح كلب، أما غيرهم فكانوا يتبركون برفات حمار يرجون خيره، وهم عالمون أنه حمار، والعياذ بالله، قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن معلمة اسمها خديجة النعيمي - المعلمة في مدينة الدار البيضاء من المملكة المغربية - كانت تسير مع نسوة جاهلات، فمررن بكوم من حجارة، فأخذت

(١، ٢) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٣١٧).

النسوة يقبِّلن الأحجار، ويقلن: «انتاع الله لله يا للا حمارة»، معناه: أعطينا شيئًا لوجه الله يا سيدتنا الحمارة - يعنين الأتان أنثىٰ الحمير -. قالت: فقلتُ لهن: أتتخذن الأولياء حتىٰ من الحمير؟! قالت: فغضبن، وقلن لي: احذري نقمتها، إنها ولية كبيرة، تقضي الحاجات. فكتبت خديجة النعيمي مقالًا يتضمن هذه القصة، وقالت فيه: أيها العلماء! اتقوا الله وعلّموا الناس أمور دينهم».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال: إنه قبر كافر. كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال: إنه قبر نوح. فإن أهل المعرفة كانوا يقولون: إنه قبر بعض العمالقة.

وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أُبيٍّ بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء علىٰ أنها كذب، ومنهم من قال: إنهما قبرا نصرانيين.

وكثير من المشاهد تنازع الناس فيها، وعندها شياطين تُضل بسببها من تضل».

❊ ❊ ❊

(١) عيون الرسائل (٢/ ٦٩٥).



زيارة النساء للقبور

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكم زيارة النساء للقبور، وما ذاك إلا لأن غالب شرك أهل هذا الزمان وقع بسبب الغلو في القبور.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله][(١)]، وساق حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن[(٢)].

وقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل هذا الباب[(٣)]: «التاسعة: لعنه زوَّارات القبور».

وتحريم زيارة النساء للقبور معلوم سدًّا لذريعة الشرك ولما هو معلوم من جزعهن، فإن قلت: إن النساء لسن سواءً، فمنهن من تصبر. **فالجواب**: أن حكمة التحريم وهي الجزع والوقوع في النياحة والأمور المحرّمة - منتشرة في النساء، ولا يمكن التمييز بين نوع الصابرات والنائحات فيُعلّق الحكم بالمظنة، وهذه قاعدة أصولية معلومة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «والحكمة إذا كانت خفية أو

---

(١) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٤١).
(٣) القول السديد، ص (٧٤).
(٤) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ١٠٥).

منتشرة عُلق الحكم بمظنتها».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ومعلوم أن المرأة إذا فُتح لها هذا الباب أخرجها إلىٰ الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضعف وقلة الصبر، وإذا كانت زيارة النساء مظنّة وسببًا للأمور المحرَّمة، فإنه لا يمكن أن يُحَدَّ المقدار الذي لا يُفضي إلىٰ ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة أنَّ الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة عُلِّق الحكم بمظنتها، فيحرم هذا الباب؛ سدًّا للذريعة، كما حُرِّم النظر إلىٰ الزينة الباطنة، وكما حُرِّم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك.

وليس في ذلك من المصلحة ما يُعارض هذه المفسدة، فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤهم للميت، وذلك ممكنٌ في بيتها».

ومما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: خرج رسول الله ﷺ، فإذا نسوة جلوس، فقال: «**ما يجلسكن؟**» قلن: ننتظر الجنازة. قال: «**هل تغسلن؟**» قلن: لا. قال: «**هل تحْمِلن؟**» قلن: لا. قال: «**هل تُدلين فيمن يُدلي؟**» قلن: لا. قال: «**فارجعن مأزورات غير مأجورات**»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «فهذا يدل علىٰ أن اتباعهن الجنازة وزر لا أجر لهن فيه، إذ لا مصلحة لهن، ولا للميت في اتباعهن لها، بل فيه مفسدة للحي والميت».

---

(١) فتح المجيد، ص (٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في اتِّباع النساء الجنائز (ص٢٢٤-٢٢٥، رقم ١٥٧٨).

(٣) تهذيب السنن (٤/ ٣٤٩).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قبرنا مع رسول الله ﷺ - يعني: ميتًا - فلما فرغنا، انصرف رسول الله ﷺ، وانصرفنا معه، فلما حاذىٰ رسول الله ﷺ بابه، وقف، فإذا نحن بامرأة مقبلة. قال: أظنه عرفها، فلما ذهبت، إذا هي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟**» قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا البيت، فرحمت إليهم ميتهم، أو عزيتهم به. فقال رسول الله ﷺ: «**لعلك بلغت معهم الكدىٰ؟**».

قالت: معاذ الله !! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر. قال: «**لو بلغت معهم الكدىٰ ما رأيت الجنة حتىٰ يراها جد أبيك**»[١].

قال ابن حبيب المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «ويكره خروج النساء في الجنائز وإن كن غير نوائح ولا بواكٍ في جنائز أهل الخاصة من ذوي القرابة، وغيرهم. قال: وينبغي للإمام أن يمنعهن من ذلك، فقد أمر النبي ﷺ بطرد امرأة رآها في جنازة، فطُردت حتىٰ لم يرها، وقال لنساء رآهن في جنازة: «**أتحملنه فيمن يحمله؟**» قلن: لا. قال: «**فتدخلنه قبره فيمن يدخله؟**» قلن: لا. قال: «**فارجعن مأزورات غير مأجورات**».

وكان الحسن يطردهن، وإذا لم يرجعن لم يرجع، ويقول: لا ندع حقًّا

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب التعزية (ص٤٥٧ - رقم ٣١٢٣)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب النعي (ص٢٦٥ - رقم ١٨٨١)، وضعّفه حيث قال: «ربيعة بن سيف المعافري ضعيف». **وقال المنذري في الترغيب والترهيب** (٤/ ١٨١): «ربيعة هذا من تابعي أهل مصر فيه مقال لا يقدح في حسن الإسناد».

(٢) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٣/ ١٣٧٦، ١٣٧٧).

لباطل. وكان مسروق يحثي في وجوههن التراب ويطردهن، فإن رجعن وإلا رجع، وقال النخعي: كانوا إذا خرجوا بالجنازة أغلقوا الأبواب علىٰ النساء. وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليس للنساء في الجنائز نصيب».

أما المبيحون والمستحبون لزيارة النساء للقبور فتعلقوا بعدة أدلة، منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[1]. قالوا: وقوله ﷺ: «**كنت نهيتكم**». عام للرجال والنساء، فهذا يُسلم لهم حيث لا يكون دليل صريح يقتضي عدم دخولهن. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «**وأحاديث التحريم من أظهر القرائن علىٰ عدم دخولهن في خطاب الذكور**».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان في أول الإسلام قد نهىٰ عن زيارة القبور؛ صيانة لجانب التوحيد، وقطعًا للتعلق بالأموات، وسدًّا لذريعة الشرك التي أصلها تعظيم القبور وعبادتها، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلما تمكّن التوحيد من قلوبهم، واضمحل الشرك، واستقر الدين - أذن في زيارة يحصل بها مزيد الإيمان، وتذكير ما خُلق العبد له من دار البقاء، فأذن حينئذ فيها، فكان نهيه عنها للمصلحة، وإذنه فيها للمصلحة، وأما النساء فإن هذه المصلحة، وإن كانت مطلوبة منهن، لكن ما يقارن زيارتهن من المفاسد التي يعلمها الخاص والعام - من فتنة الأحياء، وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل إلىٰ دفعه إلا بمنعهن منها - أعظم مفسدة من مصلحة

(١، ٢) تهذيب سنن أبي داود (٤/ ٣٤٩).

يسيرة تحصل لهن بالزيارة، والشريعة مبناها علىٰ تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته، ورجحان هذه المفسدة لا خفاء به، فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة».

واستدل المبيحون لزيارة النساء للقبور بحديث عبد الله بن أبي مليكة أنه قال لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: يا أم المؤمنين! من أين أقبلت؟

قالت: من قبر أخي عبد الرحمن. فقلت لها: أليس قد نهىٰ رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، قد نهىٰ، ثم أمر بزيارتها. رواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع، عن بسطام بن مسلم، عن أبي التياح، عن ابن أبي مليكة، قال: توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحيسىٰ، فحمل إلىٰ مكة، فدُفن، فلما قدمت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أتت قبر عبد الرحمن، فقالت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتىٰ قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكًا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت: والله لو حضرتك، ما دُفنت إلا حيث مت، ولو شهدتك ما زرتك».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «وعائشة إنما قدمت مكة للحج، فمرت علىٰ قبر أخيها في طريقها فوقفت عليه، وهذا لا بأس به، **إنما الكلام في قصدهن الخروج لزيارة القبور.**

ولو قُدر أنها عدلت إليه وقصدت زيارته، فهي قد قالت: «لو شهدتك لما

(١) تهذيب السنن (٤/ ٣٤٩، ٣٥٠).

زرتك». وهذا يدل علىٰ أنه من المستقر المعلوم عندها: أن النساء لا يشرع لهن زيارة القبور، وإلا لم يكن في قولها ذلك معنىٰ.

وأما رواية البيهقي، وقولها: «نهىٰ عنها ثم أمر بزيارتها». فهي من رواية بسطام بن مسلم، ولو صح فهي تأولت ما تأول غيرها من دخول النساء، **والحجة في قول المعصوم، لا في تأويل الراوي**، وتأويله إنما يكون مقبولًا، حيث لا يعارضه ما هو أقوىٰ منه، وهذا قد عارضه أحاديث المنع».

واحتج المبيحون لزيارة النساء القبور بما رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه أنه ﷺ كان في جنازة، فرأىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ امرأة فصاح بها، فقال له رسول الله ﷺ: «**دعها يا عمر، فإن العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب**».

قال الحافظ العيني رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «أخرج الحاكم هذا، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، وفيه نظر لأن البيهقي نص علىٰ انقطاعه، وفي سنده سلمة بن الأزرق، قال ابن القطان: سلمة هذا لا يُعرف حاله، ولا أعرف أحدًا من مصنفي الرجال ذكره».

واحتج المبيحون لزيارة النساء للقبور بحديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **في الصحيحين قال**: مر النبي ﷺ بامرأة عند قبر تبكي علىٰ صبي لها، فقال: «**اتقي الله واصبري**». فقالت: وما تبالي بمصيبتي. فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ. فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد علىٰ بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله،

---

(١) عمدة القاري (٦/ ٤٢٧).

لم أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ**»[١].

وهذا الدليل قلبه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ المحتجين به، فقال[٢]: «وأما **حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فهو حجة لنا، فإنه لم يقرها، بل أمرها بتقوىٰ الله التي هي فعل ما أمر به، وترك ما نهىٰ عنه، ومن جملتها: النهي عن الزيارة، وقال لها:** «**اصبري**». ومعلوم أن مجيئها إلىٰ القبر وبكاءها مناف للصبر، فلما أبت أن تقبل منه، ولم تعرفه انصرف عنها، فلما علمت أنه ﷺ هو الآمر لها جاءته تعتذر إليه من مخالفة أمره، فأي دليل في هذا علىٰ جواز زيارة النساء؟».

وأنت إذا تأملت أدلة المبيحين لزيارة النساء القبور، وجدت دلالتها محتملة غير صريحة.

وللإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنبيه أصولي مهم لا بد من ملاحظته عند تقرير نسخ زيارة النساء للقبور، وهو أن نهي النبي ﷺ لهن عن ذلك معلل بعلتين، الأولىٰ زالت في حق الرجال والنساء، وهي: خشية الشرك في القبور، والثانية: الجزع وعدم الصبر، وهذه باقية في حق النساء، فلا يدخلن في النسخ، ولا يرتفع الحكم في حقهن.

قال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «النهي له وجهان، لكل وجه علة، فالنهي

---

(١) **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**عند الصدمة الأولىٰ**». أي: عند فورة المصيبة وحموتها، والصدْمُ: ضرب الشيء الصُّلْبِ بمثله، يريد: أن الصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه: ما كان عند مفاجأة المصيبة؛ لأنه إذا طالت الأيام وقع السُّلُو طبعًا، فلم يؤجر». شرح السنة (٥/ ٤٤٨).

(٢) تهذيب السنن (٤/ ٣٥٠).

(٣) مجموع فتاوىٰ ومقالات العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ٢٣٩).

بالنسبة إلىٰ الجميع عن الزيارة مطلق، ثم أذن للرجال؛ لزوال العلة، ولما فيه من الإحسان للميت بالدعاء له، وتذكر الآخرة، ولم يؤذن للنساء، لعلة أخرىٰ لم تزل، فالعلة الأولىٰ زالت برسوخ الإيمان، وانقطاع التعلق بالقبور المسببة للوثنية، لقوله: «**نهيتكم**»، وهنا نهي آخر خاص بالنساء، وعلة أخرىٰ، وهو من أجل ما اتصفن به من الخور والضعف وعدم الصبر، ولهذا في الحديث: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنَّكن تفتنَّ الحيَّ وتؤذين الميِّت**»، فتنة الحي ظاهرة، لا سيما الشباب، وإيذاؤهن الميِّت بالبكاء والصراخ».

وقال الحافظ أبو بكر الحازمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٨٤هـ) معتبرًا اختلاف الأدلة في الرخصة والنهي للنساء عن زيارة القبور**[١]: «وزيارة القبور مأذون فيها للرجال، اتفق علىٰ ذلك أهل العلم قاطبة، وأما النساء فقد روي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، فلمّا رخَّص عمت الرخصة للرجال والنساء، ومنهم من كرهها للنساء، وقال: الإذن للرجال دون النساء.

وفي الباب آثار تدل علىٰ هذا المذهب، ومنهم من قال: يكره للنساء لقلة صبرهن، وكثرة جزعهن، وأما اتباع الجنازة فلا رخصة لهن فيه؛ لحديث أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وغيره».

---

(١) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، ص (٢٠١، ٢٠٢).

وقال سماحة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ولهذا مال كثير من أهل العلم إلىٰ استمرار النهي عن زيارة القبور في حق النساء، فقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»: قد كان النبي ﷺ نهاهن عن زيارة القبور نهيًا عامًّا للرجال والنساء، ثم أذن للرجال في زيارتها، واستمر النهي في حق النساء، وقال جامع اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية أبو الحسن البعلي: ظاهر كلام أبي العباس - يعني شيخ الإسلام - ترجيح التحريم، لاحتجاجه بلعن النبي ﷺ زائرات القبور، وتصحيحه إياه، ولا تصح دعوىٰ النسخ، بل هو - أي النهي - باق علىٰ حكمه، والمرأة لا تشرع لها زيارة القبور لا الزيارة الشرعية ولا غيرها».

وعن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زيارة النساء للقبور - عدة روايات، قال برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٤هـ)[(٢)]: «وهل يكره للنساء؟ علىٰ روايتين؛ **إحداهما وهي المذهب**: يكره لأن المرأة قليلة الصبر، فلا يؤمن تهييج حزنها برؤية الأحبة، فيحملها علىٰ فعل محرم. **والثانية**: يباح؛ لأن عائشة زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقال لها ابن أبي مليكة: أليس كان نهي عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، ثم أمر بزيارتها. رواه الأثرم، واحتج به أحمد.

وعنه: يحرم؛ لما روىٰ أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور، رواه أحمد والترمذي وصححه».

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ٢٤٣).

(٢) المبدع في شرح المقنع (٢/ ٢٨٤).

وقال شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرجحًا بين روايات أحمد (ت: ٧٧٢هـ)[1]: «واعلم أن الخلاف السابق حكاه أبو الخطاب في الهداية، والشيخان وغيرهم في الكراهة، وحكاه صاحب التلخيص في **التحريم، ولعله أوفق لنص أحمد**».

وقال سماحة المفتي العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**وما ذكر هؤلاء من استمرار النهي في حق النساء هو ظاهر رواية الإمام أبي داود عن الإمام أحمد بن حنبل**، وبه جزم صاحب المهذب وصاحب البيان من الشافعية.

قال أبو داود في «مسائل الإمام أحمد»: سألت أحمد عن زيارة النساء القبر، قال: لا. قلت: فالرجال أيزورون؟ قال: نعم. ثم ذكر حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لعن رسول الله ﷺ زوَّارات القبور».

وقال النووي في شرح المهذب «المجموع»: أما النساء فقال المصنّف وصاحب البيان من الشافعية: لا تجوز لهن الزيارة، وهو ظاهر هذا الحديث. يريد حديث لعنة زائرات القبور».

ودعوىٰ النسخ لا بد من تحريرها، فإنك لو تأملت كلام الفقهاء في النسخ لم تر أحدًا منهم أقام دليلًا علىٰ تأخر الرخصة في حق النساء، ومعلوم أن الدليل العام في الرخصة لزيارة القبور لا ينسخ الدليل الخاص، قال شيخ

---

(١) شرح الزركشي علىٰ مختصر الخرقي (٢/ ٣٧٠).

(٢) فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤).

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «العام إذا عُرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص، إذ قد يكون قوله: «**لعن الله زوارات القبور**». بعد إذنه للرجال في الزيارة، ويدل علىٰ ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج، وذكر هذا بصيغة التذكير التي تتناول الرجال، ولعن الزائرات جعله مختصًّا بالنساء، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج باق محكم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فكذلك الآخر».

وسماحة المفتي العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - نبّه إلىٰ أن القول بمقتضىٰ كل الأدلة أن النساء لم يدخلن في عموم قوله ﷺ: «**فزوروها**». ليتم ائتلاف الأدلة كلها، لأن النسخ مع الاحتمال لا يجوز، والجمع بين الأدلة كلها واجب؛ لأن فيه إعمالًا لها جميعًا، بينما النسخ فيه تعطيل لأحد الأدلة.

قال العلامة ابن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما دعوىٰ نسخ هذه الأحاديث بما في الحديث الصحيح: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»، بناءً علىٰ أن الإناث يدخلن في خطاب الذكور - فيردها أن محل دخولهن فيه حيث لم يوجد دليل صريح قاضٍ بعدم الدخول، كوجود أحاديث لعنة زائرات القبور هنا، فإن ذلك من أظهر القرائن علىٰ عدم تناول خطاب الإذن لهن».

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٥٣).

(٢) مجموع فتاوىٰ ورسائل العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ٢٤٢).

وقد اختلفت ألفاظ نهي النساء عن زيارة القبور، فجاء في حديث أبي هريرة وحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». هكذا «زوّارات» بصيغة المبالغة، قال سماحة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا علىٰ حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور. مع ما يقابله من الروايات[1]: «التعبير في هذه الروايات بزائرات القبور يدل علىٰ عدم تخصيص النهي بالإكثار من الزيارة كما توهمه بعضهم من التعبير في الروايات الأخرىٰ بلفظ: «زوَّارات القبور»».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إن كانت «زوّارات» للنسبة فلا إشكال، وإن كانت للمبالغة فإن لفظ «زائرات»، فيه زيادة علم، فيؤخذ به؛ لأن «زائرات» يصدق بزيارة واحدة، و «زوّارات»، في الكثير للمبالغة، ومعلوم أن الوعيد إذا جاء معلقًا بزيارة واحدة، ومعلقًا بزيارات متعددة، فإن مع المعلّق بزيارة واحدة زيادة علم؛ لأنه يلحق الوعيد علىٰ من زار مرة واحدة علىٰ لفظ «زائرات»، دون لفظ «زوارات»، ولو أخذنا بـ«زوّارات» ألغينا دلالة «زائرات»».

فإذا عرفنا أدلة تحريم زيارة النساء للقبور، لا بد أن نعرف أن عمومات النصوص في الرخصة في زيارة القبور لا تتناول النساء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «قد عُلم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ٢٤٢).
(٢) الشرح الممتع (٥/ ٤٧٩).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٤٦، ٣٤٧).

النساء؛ لنهي النبي ﷺ لهن عن اتِّباع الجنائز، سواء كان نهي تحريم أو تنزيه، فإذا لم يدخلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولىٰ، وكلاهما من جنس واحد، فإن تشييع الجنازة من جنس زيارة القبور، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، فنهىٰ نبيه ﷺ عن الصلاة علىٰ المنافقين، وعن القيام علىٰ قبورهم.

وكان دليل الخطاب وموجب التعليل أن المؤمنين يُصلىٰ عليهم، ويقام علىٰ قبورهم، وذلك كما قال أكثر المفسرين: هو القيام بالدعاء والاستغفار، وهو مقصود زيارة قبور المؤمنين، **فإذا كان النساء لم يدخلن في عموم اتباع الجنائز، مع ما في ذلك من الصلاة علىٰ الميِّت، فلأن لا يدخلن في زيارة القبور التي غايتها دون الصلاة عليه بطريق الأولىٰ**، بخلاف ما إذا أمكن النساء أن يصلين علىٰ الميِّت بلا اتباع، كما يصلين عليه في البيت، فإن ذلك بمنزلة الدعاء له، والاستغفار في البيت».

ومن الأمور المرجحة لتحريم زيارة النساء للقبور - هو أن أدلة التحريم نصوص خاصة، ودليل إباحة زيارتهن عموم ضعيف دخول النساء فيه، والدليل الخاص مقدّم علىٰ العام مطلقًا، فكيف إذا كان العام عمومه ضعيفًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن قوله ﷺ: **«فزوروها»**، صيغة تذكير، وصيغة التذكير إنما تتناول الرجال بالوضع، وقد تتناول النساء أيضًا علىٰ سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان: **قيل**: إنه يحتاج إلىٰ دليل منفصل.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٤٤).

وقيل: إنه يحمل علىٰ ذلك عند الإطلاق. وعلىٰ هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهي النساء، كما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ، بل ولا ينسخها عند جمهور العلماء، وإن علم تقدم الخاص علىٰ العام».

وقال سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ثبت عن رسول الله ﷺ أنه لعن زائرات القبور من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن حديث حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهم جميعًا.

وأخذ العلماء من ذلك أن الزيارات للنساء محرمة؛ لأن اللعن لا يكون إلا علىٰ محرم، بل يدل علىٰ أنه من الكبائر؛ لأن العلماء ذكروا أن المعصية التي يكون فيها اللعن أو فيها وعيد تعتبر من الكبائر، فالصواب أن الزيارات من النساء للقبور محرمة لا مكروهة فقط، والسبب في ذلك - والله أعلم - أنهن في الغالب قليلات الصبر، فقد يحصل منهن من النياحة ونحوها ما ينافي الصبر الواجب، وهن فتنة، فزيارتهن للقبور واتباعهن للجنائز قد يفتَتِنُ بهن الرجال، وقد يفتَتِنَّ بالرجال. والشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بسد الذرائع المفضية إلىٰ الفساد والفتن، وذلك من رحمة الله بعباده، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»، متفق علىٰ صحته، فوجب بذلك سد الذرائع المفضية إلىٰ الفتنة المذكورة، ومن ذلك ما جاءت به الشريعة المطهرة من تحريم تبرج النساء، وخضوعهن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (١٣/ ٣٢٦).

بالقول للرجال، وخلوة المرأة بالرجل غير المحرم، وسفرها بلا محرم. وكل ذلك من باب سد الذرائع المفضية إلىٰ الفتنة بهن، وقول بعض الفقهاء: «إنه استثني من ذلك قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» - قولٌ بلا دليل، والصواب أن المنع يعم الجميع، يعم جميع القبور، حتىٰ قبر النبي ﷺ، وحتىٰ قبر صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الصحيح أن زيارة المرأة للقبور من كبائر الذنوب، ودليل ذلك ما يلي:

١- أن النبي ﷺ «لعن زائرات القبور».

واللعن لا يكون إلا علىٰ كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن معناه الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وهذا وعيد شديد.

٢- أن المرأة ضعيفة التحمل، قوية العاطفة، سريعة الانفعال فلا تتحمل أن تزور القبر، وإذا زارته حصل لها من البكاء، والعويل، وربما شق الجيوب، ولطم الخدود، ونتف الشعور، وما أشبه ذلك.

وأيضًا إذا ذهبت وحدها إلىٰ المقابر، فالغالب أن المقابر تكون في مكان خالٍ، يخشىٰ عليها من الفتنة أو العدوان عليها.

واستثنىٰ الأصحاب من فقهاء الحنابلة: قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه، وقالوا: إن زيارة النساء لهذه القبور الثلاثة لا بأس بها.

وعللوا ذلك: بأن زيارتهن لهذه القبور الثلاثة لا يصدق عليها أنها زيارة؛

(١) الشرح الممتع (٥/ ٤٧٥-٤٧٧).

لأن بينهن وبين هذه القبور ثلاثة جدر، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأجـــاب رب العـــالمين دعـــاءه وأحاطـــه بثلاثـــة مـــن الجـــدران

والذي يترجح عندي: أنه لا استثناء؛ لأن وصولهن إلىٰ القبور إما أن يكون زيارة، أو لا يكون، فإن كان زيارة وقعن في الكبيرة، وإن لم تكُن زيارة فلا فرق بين أن يحضرن إلىٰ مكان القبر، أو أن يسلمن علىٰ النبي ﷺ من بعيد، وحينئذ يكون مجيئهن للقبور لهوًا لا فائدة منه، بل في زماننا هذا قد يكون هناك مزاحمة للرجال، وأعمال لا تليق بالمرأة المسلمة في مسجد النبي ﷺ».

وعمل الصحابة مرجح من مُرجّحات تحريم زيارة النساء للقبور، فإن النساء في عهد النبي ﷺ لم يكنَّ يخرجن لزيارة القبور، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**ولا كان النساء علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلىٰ زيارة القبور كما يخرج الرجال**».

فإن قلت: فما تقولون في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أنها زارت قبر أخيها»؟ قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أن قول النبي ﷺ لا يُعارض بقول أحد كائنًا من كان، وها هي عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تقول: «شبهتمونا بالحمير والكلاب». أي في قطع الصلاة إذا مرت المرأة من بين يدي المصلي مع أن النبي ﷺ صرّح بأن «**الكلب الأسود، والحمار، والمرأة تقطع الصلاة**». فهي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا غير معصومة، ولا يمكن أن يستدل بفعلها علىٰ قول النبي ﷺ».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٤٥).

(٢) الشرح الممتع (٥/ ٤٧٧).

بل نقول: إن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في باب الجنائز نفسه أنكرت أن الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه، وهو حديث متفق علىٰ صحته. رواه البخاري ومسلم.

وهنا لا بد من التنبيه إلىٰ أن الوسائل لها أحكام المقاصد، والشريعة حكيمة، فلا تحرّم المقصد وتأذن في وسائله فإن هذا يفضي إلىٰ تيسير فعل المحرم، فلا تنه عن الزنا وتأذن في النظر إلىٰ النساء والخلوة بهن، وكذلك هنا: لا يمكن أن ينهىٰ الشرع النساء عن اتباع الجنائز ويأذن لهن في زيارة القبور!! وتأمل حكمة الشرع في التفريق بين المرأة والرجل في زيارة القبور، فالشريعة أذنت في اتّباع الرجال للجنائز، ونهت النساء عن ذلك، قالت أم عطية الأنصارية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: نُهينا عن اتِّباع الجنائز، ولم يعزم علينا[١]. وقول أم عطية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «ولم يعزم علينا». استنبط منه جمهور العلماء أنه نهي تنزيه لا تحريم[٢]، لكنه دال بلا ريب علىٰ منع النساء من زيارة القبور، وإلا فلا معنىٰ لنهيهن عن اتِّباع الجنائز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن الصلاة علىٰ الجنائز أوكد من زيارة القبور، ومع هذا فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ نهىٰ النساء عن اتّباع الجنائز، وفي ذلك تفويت صلاتهن علىٰ الميت، فإذا لم يستحب لهن اتباعها لما فيها من الصلاة والثواب، فكيف بالزيارة**».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الباب أيضًا أحاديث تدل علىٰ تحريم اتباع الجنائز للنساء، فتحريم زيارة القبور تؤخذ منها بفحوىٰ الخطاب»[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز (ص٢٠٤ - رقم ١٢٧٨)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز (ص٣٧٧ - رقم ٢١٦٦).

(٢) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٣٤٨).

(٣) نيل الأوطار (٥/ ١٠٨).

وبعض العلماء يرىٰ أن نهي النساء عن اتباع الجنائز للتحريم، قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أما اتِّباع الجنازة، فلا رخصة لهنَّ فيه، قالت أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: نُهينا عن اتِّباع الجنازة، ولم يُعزم علينا».

وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٢]: «ليس للنساء في الجنائز نصيب». وبيّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عدم النهي المؤكد بالعزيمة في حديث أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - ليس شرطًا في عدم التحريم، وأن مجرد النهي كافٍ، ولما نهاهنَّ انتهين؛ لطواعيتهن لله ولرسوله ﷺ، فاستغنين عن العزيمة عليهن، وقد دلت أحاديث لعنة الزائرات علىٰ العزيمة، فهي مثبتة للعزيمة، فيجب تقديمها[٣].

وقاعدة الشريعة أن الحكم يدور مع علته، والنهي عن زيارة القبور كان لصيانة عقائد وأعمال الناس عن الشرك، فمن عاد إلىٰ أسباب النهي صار النهي في حقه قائمًا.

قال المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ومعنىٰ النهي عن زيارة القبور إنما كان في أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد - والله أعلم -، فلما استحكم الإسلام، وقوي في قلوب الناس، وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها - نُسخ النهي عن زيارتها؛ لأنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا».

وأحوال الناس في هذا الزمان معلومة، خصوصًا من جزع النساء في

(١) شرح السنة (٥/ ٤٦٤).

(٢) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٤/ ٤٦٥).

(٣) تهذيب سنن أبي داود (٤/ ٣٥٠).

(٤) شرح ابن بطال علىٰ صحيح البخاري (٣/ ٢٧١).

زيارة القبور، وما يقع من بعضهن من الغلو في القبور.

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا ينبهون علىٰ هذا الأمر في كل ما وقع فيه التغير؛ حرصًا علىٰ حفظ أديان الناس، لذلك قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في خروج النساء للمساجد: «لو رأىٰ النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن»[(١)].

قال شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٧٢هـ)**[(٢)]: «متىٰ علمت من نفسها أنها متىٰ زارت بدا منها ما لا يجوز لم - تجز لها الزيارة قولًا واحدًا».

وقال أبو بكر ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال لامرأة: «**صلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك**». فإذا كان هذا سبيلها في الصلاة، وقد أُمرن بالستر، فالقعود عن الجنائز أولىٰ بهن وأستر».

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم (ص١٤٠ - رقم ٨٦٩)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلىٰ المساجد (ص١٨٧ - رقم ٩٩٩).

(٢) شرح الزركشي علىٰ مختصر الخرقي (٢/ ٣٧٠).

(٣) الأوسط (٥/ ٤٢١).

الشرك الأكبر لا يكون أصغر

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذّر من الشرك الأصغر والأكبر في كتاب التوحيد؛ لأن الشرك ولو كان أصغر فهو من أكبر الكبائر، والشرك الأصغر بريد الشرك الأكبر، والقلوب المؤمنة شديدة النفرة من الشرك بأنواعه؛ وذلك لأنها حية بالتوحيد لله وحده لا شريك له، لذلك نجد الإمام ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب: [ما جاء في الذبح لغير الله][1]، قال في مسائله في تعليقه علىٰ فوائد حديث التقرب بالذباب[2]: «معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك علىٰ القتل ولم يوافقهم علىٰ طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلَّا العمل الظاهر».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد حذّر من وسائل الشرك، وسد كل الطرق المفضية إليه، وحمىٰ جناب التوحيد بأدلته الشرعية.

والإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب: «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» - رَدّ علىٰ بعض المغالطين الذين رققوا للشرك الأكبر وسموه أصغر ونسبوه إلىٰ ابن القيم وادّعوه عليه خطأً وكذبًا.

(١) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).
(٢) القول السديد، ص (٤٥).

قال شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن بعض الملحدين نسب إلىٰ الشيخ ابن القيم أن هذا - الاستغاثة بالموتىٰ - شرك أصغر، وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلىٰ آخره في الفصل الأول والثاني صريحًا لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة، منها: أن دعاء الموتىٰ والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث الله النبي ﷺ بالنهي عنه، فكفّر من لم يتب منه، وقاتله، وعاداه، وآخر ما صرّح به قوله آنفًا: «وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر»، إلىٰ آخره «فهل بعد هذا البيان إلّا العناد»؟ بل الإلحاد، ولكن تأمل قوله: «أرشدك الله وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادىٰ المشركين إلىٰ آخره».

وتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر، وإن لم يعادهم فهو منهم، وإن لم يفعله.

وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين أن من دعا علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهو كافر، وأن من شكَّ في كفره فهو كافر، فإذا كان هذا حال من شكَّ في كفره مع عداوته له ومقته له، فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده؟ فكيف بمن أحبه؟

فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته؟ وتعذّر أنا لا نقدر علىٰ التجارة وطلب الرزق إلا بذلك، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾، فإذا كان هذا قول الله تعالىٰ فيمن تعذر عن التبيين بالعمل بالتوحيد

---

(١) مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٠٧، ٢٠٨).

ومعاداة المشركين بالخوف علىٰ أهله وعياله، فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة؟

ولكن الأمر كما تقدم عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، لهذا لم يفهم معنىٰ القرآن، وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا: إن نتّبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا.

ومع هذا فالكلام الذي يظهرونه نفاق، وإلا فَهُمْ يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مُضلُّونَ، وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب، كما صرّح به إمامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه، خطه بيده يقول: بيني وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم كذا وكذا. فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس، فكيف أيضًا يصفهم بشرك ومخالطتهم للحاجة؟

وما أحسن قول أصدق القائلين: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٧-٩]، ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥]».

وقال شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ **معلقًا علىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ۝٤١﴾[1].

«**الأولىٰ:** أمره سبحانه بمحاجّتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد،

---

(١) الأنعام: (٤٠، ٤١).

لكن بشرط التفكر والتأمل، فيا سبحان الله!

ما أقطعها من حجة، وكيف يخالف من أقر بها؟!

الثانية: إذا تحققت معنىٰ هذا الكلام، مع ذكر الله تعالىٰ له في مواضع من كتابه - عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان.

وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يفعل في زماننا شرك، لكنه شرك أصغر، في غاية الفساد، فلو نقدر أن في هذا أصغر أو أكبر، لكان فعل أهل مكة مع العزىٰ، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مناة - هو الأصغر، وفعل هؤلاء هو الأكبر، ولا يستريب في هذا عاقل، إلا إن طبع الله علىٰ قلبه»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) الدرر السنية (١٣/ ١٤٠).



الوسيلة الشركية لا تكون شرعية

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان حاذقًا في قطع استدلال المشركين بأوضاعهم واصطلاحاتهم التي جعلوها مبررًا للعامة في قبول الشرك، حيث خلطوا باصطلاحاتهم الباطلة بين الأعمال المشروعة والممنوعة، والتوحيد والشرك، فلذلك نجده في أول أبواب التوحيد، بل وفي باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، صدّر الباب بقول الله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧][2].

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن الإمام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في دفع شبهة المشركين بالتوسل بجاه الصالحين**[3]: «وقول من يدعو الصالحين: أنا مذنب، والصالحون لهم جاه: هو بعينه قول المشركين، كما ذكره غير واحد: أنهم عللوا إباحة شركهم واستحسانه: بأن العبد المذنب لا يصلح لمخاطبة الرب والدخول عليه إلا بواسطة من العبد الصالح المقرّب، وأنه إذا علّق أمله بالصالحين أو الملائكة فاض عليه من الإفاضات التي تحصل

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٣) مصباح الظلام في الرد علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام، ص (١٧٥-١٧٧).

لهم، ومثلوا ذلك بانعكاس الشعاع من الأجسام الصقيلة، كما ذكره الفارابي وغيره من دعاة المشركين.

ومثل هذا يجاب عليه بما ذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن هذا بعينه هو قصد المشركين ومرادهم، وهو الذي دعاهم إلىٰ عبادة الأنبياء والصالحين والتعلق عليهم لأجل الجاه والشفاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، وأخبر تعالىٰ عن قصدهم ومقالتهم، وأنكرها عليهم، وأخبر أنه لا يعلم وجود شفيع يشفع عنده لا في السموات ولا في الأرض، وما لا يعلمه فهو مستحيل الوجود، فنزّه نفسه عن هذا الشرك المنافي للعبودية التي هي الحكمة في إيجاد البرية، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾.

إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجه لا غبار عليه، فاعلم أن قول هذا الملحد: (فجعل بكلامه هذا كما ترىٰ التوسل بذات الصالحين والرسل عليهم الصلاة والسلام، وطلبه جَلَّ وَعَلَا بأوليائه من دين المشركين الشرك الأكبر المخرج من الملة، وكفر به، كما ترىٰ صريحًا من قوله).

هو تمويه، وتلبيس، أدخل فيه طلبه جَلَّ وَعَلَا بأوليائه؛ ليوهم الجهال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال.

وموضوع الكلام: أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين، وهذه مسألة، ودعاء الصالحين وقصدهم فيما لا يقدر عليه إلا الله مسألة أخرىٰ،

فخلطها ليروج باطله، فقبحًا قبحًا، وسحقًا سحقًا لمن ورث اليهود وحرّف الكلم عن مواضعه.

وكلام الشيخ صريح فيمن دعا مع الله إلهًا آخر في حاجاته وملماته، وقصده بعبادته فيما لا يقدر عليه إلا الله، كحال من عَبَدَ عبد القادر، وأحمد البدوي، أو العيدروس، أو عليًّا، والحسين، وقول هذا المشرك: وأطلب من الله بهم، أي بواسطتهم. بمعنىٰ أن هذا المشرك يدعوهم ويتوجه إليهم بالعبادات، وهم يدعون الله له، كما أخبر الله عن المشركين بقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ فظن المعترض أن الشيخ أراد مسألة الله بجاه الصالحين، فاعترض علىٰ ذلك، وآفته الفهم السقيم، والمعتقد الذميم، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ومع هذا الصنيع الفظيع والشرك الجلي يقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله. ظنًّا منه أن ذلك هو الإسلام فقط، وأنه ينجو من الشرك، وما رتب عليه.

فكشف الشيخ شبهته وأدحض حجته بما تقدم من الآيات ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾».

* * *



لا تجعلوا قبري عيداً

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان دقيقًا في تنبيهه علىٰ الأحكام المتعلقة بزيارة قبر النبي ﷺ، وهذا يلمحه من تأمل الدليل مع تبويب الإمام، ففي باب [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][(١)]، ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**». رواه أبو داود بإسناد حسن[(٢)]، ومعلوم ما في لفظة: «**عيدًا**» من معنىٰ التكرار، وحينئذ تظهر مناسبة الحكم الذي بوّب عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب، ويظهر أكثر مع تأمل تمام الحديث: «**وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**». فإنه إن كان القصد السلام والصلاة علىٰ النبي ﷺ فهذا يبلغه حيث كان، فلا مزية للحضور عند الجدران المسورة حول قبر النبي ﷺ، وهذا ما نبّه عليه أحب الناس للنبي ﷺ أحفاده من سادات آل البيت.

قال سهيل بن أبي سهيل: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّىٰ، فقال: هلمّ إلىٰ العشاء. فقلت:

---

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤١، ٤٢).

لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلّمت علىٰ النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلّم عليه. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء[(١)].

فتأمل قول الحسن رضي الله عنه وعن أبيه وجده: «ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء». فإنه دال علىٰ أنه لا مزية للسلام علىٰ النبي ﷺ عند القبر، وهذا كلام صادر من أشد الناس تعظيمًا وتوقيرًا وحبًّا للنبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته، بل قد نهىٰ عن تخصيص بيته بهذا وهذا».

وهذا أيضًا مما أفتىٰ به علي بن الحسين زين العابدين، وهو حفيد النبي ﷺ، ومن أجلِّ التابعين علمًا ودينًا، فإنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»[(٣)].

وهنا تنبيهان أشار إليهما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا ينبغي إغفالهما

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد: أخبرني سهيل بن أبي سهيل به. الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٣).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٢).

(٣) **رواه أبو بكر بن أبي شيبة:** أخبرنا زيد بن الحباب: أخبرنا جعفر بن إبراهيم من ولد ذي الجناحين. حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين به. الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٢).

عند تقرير هذا الحكم، وهو أنه لا خصوصية للسلام علىٰ النبي ﷺ عند قبره، الأولىٰ: ليس في لفظ الحديث المعروف في السنن والمسند «عند قبري»[1].

الثاني: أن الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ لو كانت مختصة بقبره لحُرم فضلها وثوابها كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا لا تأتي به الشريعة[2].

ولذلك تجد هؤلاء مبخوسي الحظ والنصيب من تعظيم ومحبة الرسول ﷺ، لا يستصحبون هذا التعظيم والمحبة في جميع الأمكنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «إن الله لم ينعم علىٰ أهل الأرض نعمة أعظم من إرسال محمد ﷺ إليهم، وأنه هو أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لا يؤمن العبد حتىٰ يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، بل حتىٰ يكون أحب إليه من نفسه، إلىٰ غير ذلك من حقوقه المبسوطة في غير هذا الموضع.

وكل هذه مشروعة في جميع البقاع ليس منها شيء يختص بالقبر ولا بما هو قريب من القبر، ولا شرع للناس أن يكون قيامهم بهذه الحقوق عند القبر أفضل من قيامهم بها في بلادهم، بل المشروع أن يقوموا بها في كل مكان.

ومن قام بها عند القبر وفتر عن القيام بها في بلده - كما يوجد في بعض

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٨٨).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٨٨).

(٣) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٤٩، ٥٠).

الناس: يوجد من محبته وتعظيمه وثنائه ودعائه للرسول ﷺ عند قبره أعظم مما يوجد في بلده وطريقه - فهذه حالة منقوصة غير محمودة، وصاحبها مبخوس الحظ ناقص النصيب، وهو ناقص الدين والإيمان، إما بترك واجب يأثم بتركه، وإما بترك مستحب تنقص درجته بتركه، بخلاف من منَّ الله عليه فجعل محبته وثناءه وتعظيمه ودعاءه للرسول ﷺ في بلده مثل ما إذا كان بالمدينة عند قبره أو أعظم، فهذه هي الحالة المحمودة المشروعة، وهي حالة الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة، ولا يُعرف عن أحد منهم أنه كان يزيد حبه وتعظيمه ودعاؤه وثناؤه عند القبر.

ولهذا لم يكونوا يأتونه؛ لأن قيامهم بما يجب من حقوق الرسول ﷺ في جميع الأمكنة سواء.

وقد نهىٰ عن تخصيص القبر بذلك، وأن يتخذوه عيدًا ومسجدًا؛ لأنه مظنة أن يتخذ وثنًا، ويفضي إلىٰ الشرك، ومظنة أن ينقص قيامهم بحقه في سائر البقاع إذا خصوا تلك البقعة بمزيد القيام، كما أن المشاعر لما خُصت بالعبادات فالمؤمن تجد إيمانه فيها أعظم من إيمانه في غيرها.

والرسول ﷺ حقه في جميع البقاع سواء، ولكن تتنوع حقوقه بحسب الأحوال، ولهذا إذا اعتبرت أحوال الناس كان من يعظّم الميت عند قبره مقصرًا في حقوقه التي أمر بها في سائر البقاع بحسب ما زاد عند القبر، وهذا أمر مطرد معروف من جميع أحوال الناس.

ولما كان السابقون الأولون أقوم بحقوقه في جميع المواضع، كانوا أبعد الناس عن تخصيص القبر بشيء».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المأمور به أن تكون محبته وتعظيمه وصلاته وتسليمه عند غير القبر أعظم، فإن القبر قد حيل بين الناس وبينه، وقد نهىٰ أن يتخذ عيدًا، ودعا الله أن لا يجعل قبره وثنًا، فإن لم يجد إيمانه به ومحبته له وتعظيمه له وصلاته عليه وتسليمه عليه، إذا كان في بلده أعظم مما يكون لو كان في نفس الحجرة من داخل - لكان ناقص الحظ من الدين وكمال الإيمان واليقين، فكيف إذا لم يكن من داخل بل من خارج؟!».

❊ ❊ ❊

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٦٣، ٦٤).

ولولا ذلك أُبرز قبره

نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ خصوصية قبر نبينا ﷺ، وهو وجود الباعث في نفوس الناس بالغلو فيه، لذلك فارق عموم الناس في عدة أمور، منها:

١- أنه يدفن حيث يموت.

٢- جسده لا يصيبه البلىٰ.

٣- حجب قبره عن الناس، وهذا نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][١]، حيث ساق ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فلم يبق لنفس القبر اختصاص

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

(٣) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٧٦، ٧٧).

بعبادة من العبادات، بخلاف قبر غيره، فإنه إذا استحب زيارة قبور أحد المؤمنين للدعاء له والاستغفار، استحب أن يصل إلىٰ قبره ويدعو له هناك، كما يصلي علىٰ قبره، **فإن قبره بارز يمكن الوصول إليه، والرسول ﷺ حُجب قبره ولم يبرزوه**، فلا يُشرع ولا يقدر أحد علىٰ زيارته كما يشرع ويقدر علىٰ زيارة قبر غيره، بل زيارته التي يُشرع لها السفر إنما هي السفر إلىٰ مسجده، ولهذا كان أهل مدينته يكره لهم كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه أن يأتوا إلىٰ قبره، بخلاف مسجده فإنه مشروع لهم إتيانه والصلاة فيه، كما يشرع في سائر المساجد، والصلاة فيه أفضل، والغرباء يستحب لهم صلاة التطوع في مسجده بخلاف أهل البلد، فإنه قد ثبت عنه أنه قال لأهل المدينة: «**أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**». **فعُلم أن الذي ذكروه من استحباب زيارة قبره إنما هو السفر إلىٰ مسجده، ليس هو زيارة قبره كما تزار القبور، فإن ذلك غير مشروع ولا مقدور**».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال أبو بكر ابن المنذر: ولا بأس بزيارة القبور، ويستغفر للميّت، ويرقُّ قلب الزائر، ويذكّر الآخرة، فهذا الذي سنَّه الرسول ﷺ لأمته بقوله وفعله في موتىٰ المسلمين، وأما هو نفسه فلقبره حكم آخر، فإن قبور المؤمنين ظاهرة بارزة، وهو دُفن في حجرته ومُنع الناس من الوصول إلىٰ قبره، وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلّوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**». وكذلك قال في السلام، وقال: «**إن لله ملائكة سيّاحين يبلغوني عن أمتي السلام**»، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٨٠، ٨١).

يُعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، ولهذا لم يصلِّ أحد علىٰ قبره، ولا شُرع الصلاة علىٰ قبره عند أحد من العلماء.

بل أحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد أنه يُصلىٰ علىٰ قبور المؤمنين دائمًا، وأما هو فلا يصلىٰ علىٰ قبره بالإجماع؛ لأن المقصود بالصلاة علىٰ القبور وزيارتها هو الدعاء، **والرسول ﷺ قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، وطلب الوسيلة له، وغير ذلك في جميع المواضع، وهذا أعظم مما يفعل عند قبر غيره.** وأُمر الناس أن تكون محبته وتعظيمه وما يقوم بقلوبهم معهم أينما كانوا، فلا ينقص ما يستحقه من المحبة والتعظيم والصلاة والتسليم إذا كانوا في سائر المواضع عما يُفعل في بيته وعند قبره من ذلك، ولهذا نهىٰ عن اتخاذ بيته عيدًا، وفي لفظ قبره، فلا يُخص بيته وقبره بشيء من ذلك، فيكون في سائر البقاع ناقصًا عما يكون عند القبر؛ فإن ذلك يتضمن نقص حقه وبخسه إياه، وهذا من تنقيص حقه المنهي عنه، والجهال يظنون أن النهي عنه تنقيص لحقه، ولا يعلمون أن هذا أعظم لقدره ولحقّه من وجوه متعددة، وأيضًا فهذا فيه مفسدة اتخاذ قبره عيدًا ووثنًا ومسجدًا، فنهىٰ ﷺ عنه لما فيه من المفسدة وعدم المصلحة، فهو ﷺ له خاصة في علوّ قدره وحقه لا يشركه فيها غيره: الزيارة التي شرعها لعموم المؤمنين، وهو إنما خاف أن يتخذ قبره وثنًا وعيدًا بخلاف قبور عموم المؤمنين، لكن ما عُظّم من القبور حتىٰ صار وثنًا وعيدًا، فإنه ينهىٰ عن ذلك، ويزال ما حصل به حتىٰ أنه يحرم أن يبنىٰ عليه مسجد».

والرسول ﷺ يحصل كمال حقه مع حق الله بفعل ما شرعه، وعدم تخصيص السلام والصلاة عليه عند قبره أقوم بحق الله وأعظم لقدر الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين، كأهل البقيع وشهداء أُحد - هو الدعاء لهم، كما كان هو يفعل ذلك إذا زارهم، وكما سنَّه لأمته، فلو سنَّ للأمة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له، كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانًا، وبيَّن مالك أنه بدعة لم يبلغه عن صدر هذه الأمة، ولا عن أهل العلم بالمدينة، وأنها مكروهة، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها - لكان بعض الناس يزوره، ثم لتعظيمه في القلوب، وعلم الخلق بأنه أفضل الرسل وأعظمهم جاهًا، وأنه أوجه الشفعاء إلىٰ ربه، يدعو النفس إلىٰ أن تطلب منه حاجاتها وأغراضها، وتعرض عن حقه الذي هو له من الصلاة والسلام عليه والدعاء له، فإن الناس مع ربهم كذلك - إلا من أنعم الله عليه بحقيقة الإيمان - إنما يعظمون الله عند ضرورتهم إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ [الزمر: ٨] الآية، ونظائر هذا في القرآن متعددة.

فإذا كانوا - إلا من شاء الله - إنما يعظمون ربهم ويوحّدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لأغراضهم، ولا يعرفون حقه إذا خلصهم، فلا يحبونه ويعبدونه، ولا يشكرونه، ولا يقومون بطاعته، فكيف يكونون مع المخلوق؟! فهم يطلبون

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٩٩، ١٠١).

من الأنبياء والصالحين أغراضهم، وذلك مقدّم عندهم علىٰ حقوق الأنبياء والصالحين، فإذا أيقنوا أن في زيارة قبر نبي أو صالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته - أعرضوا عن حقه واشتغلوا بأغراضهم، كما هو الموجود في عامة الذين يحجون إلىٰ القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج، فلو أذن الرسول لهم في زيارة قبره ومكّنهم من ذلك لأعرضوا عن حق الله الذي يستحقه من عبادته وحده، وعن حق الرسول الذي يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له، بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله في تبليغ أمره ونهيه وخبره، فكانوا يهضمون حق الله وحق الرسول كما فعلت النصارىٰ، فإنهم بغلوِّهم في المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده، وتركوا حق المسيح، فهم لا يَدْعون له، بل هو عندهم رب يُدعىٰ، ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به، بل اشتغلوا بالشرك وبغيره، وطلب حوائجهم ممن يستشفعون به من الملائكة والأنبياء وصالحيهم عما يجب من حقوقهم.

وأيضًا فلو جُعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها في غير تلك البقعة، كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل - لكانوا يخصون تلك البقعة بزيادة الدعاء له، وإذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعاؤهم له، فإن الإنسان لا يجتهد في الدعاء في المكان المفضول كما يجتهد فيه في المكان الفاضل، وهم قد أمروا أن يقوموا بحق الرسول في كل مكان، وأن لا يكون البعيد عن قبره أنقص إيمانًا وقيامًا بحقه من المجاور لقبره، وقال لهم ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ حيث كنتم فإن صلاتكم**

تبلغني»، وقد شرع لهم أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة إذا سمعوا المؤذّن حيث كانوا، وأن يسلموا عليه في كل صلاة، ويصلوا عليه في الصلاة، ويسلموا عليه إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا منه، فهذا الذي أمروا به عام في كل مكان، وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته وإعلاء منزلته ما لا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل، ولا إذا سوِّي بين قبره وقبر غيره، بل إنما يحصل كمال حقه مع حق ربه بفعل ما شرعه وسنّه لأمته من واجب ومستحب، وهو أن يقوموا بحق الله ثم بحق رسوله حيث كانوا من المحبة والموالاة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك، ولا يقصدوا تخصيص القبر؛ لما يفضي إليه من ترك حق الله وحق رسوله ﷺ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيّنًا مذاهب العلماء في السلام على النبي** ﷺ **عند القبر**[١]: «تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول ﷺ عند قبره: منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه، ومنهم من رخص في هذا وهذا، ومنهم من نهى عن هذا وهذا، وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته، فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين الأربعة ولا غيرهم، بل الأدعية التي ذكروها خالية من ذلك.

أما مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **فقد قال القاضي عياض**: «وقال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، لكن يسلم ويمضي»، وهذا الذي نقله القاضي عياض - ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط قال: «وقال مالك: لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يُسلم على النبي ﷺ

(١) الرد على الأخنائي، ص (١٠٤-١٠٦).

وعلىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ثم يمضي»، وقال مالك رَحِمَهُٱللَّهُ؛ ذلك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كان يقول: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت»، أو: «يا أبتاه»، ثم ينصرف ولا يقف يدعو، فرأىٰ مالك ذلك من البدع، قال: وقال مالك في رواية ابن وهب: «إذا سلّم علىٰ النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلىٰ القبر لا إلىٰ القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده». فقوله في هذه الرواية: «إذا سلم ودعا»، قد يريد بالدعاء السلام، فإنه قال: «يدنو ويُسلم ولا يمس القبر بيده»، ويؤيد ذلك أنه قال في رواية ابن وهب: «يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، وقد يريد أنه يدعو له بلفظ الصلاة كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أنه كان يصلي علىٰ النبي ﷺ، وعلىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا»، وفي رواية يحيىٰ بن يحيىٰ،...، وقد غلّطه ابن عبد البر وغيره، وقالوا: إنما لفظ الرواية ما ذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما «يصلي علىٰ النبي ﷺ، وعلىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا»، قال أبو الوليد الباجي: وعندي أنه يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة، ولأبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، لما في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا من الخلاف، قال القاضي عياض: «وقال في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلىٰ سفر أن يقف علىٰ قبر النبي ﷺ فيصلي عليه، ويدعو له ولأبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا»، فإن كان أراد بالدعاء السلام أو الصلاة، فهو موافق لتلك الرواية، وإن كان أراد دعاءً زائدًا، فهي رواية أخرىٰ، وبكل حال فإنما أراد الدعاء اليسير.

وأما ابن حبيب فقال: «ثم يقف بالقبر متواضعًا موقرًا، فيصلي عليه ويثني

بما يحضر ويسلم علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، فلم يذكر إلا الثناء عليه مع الصلاة، والإمام أحمد ذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة مع دعاء الداعي لنفسه أيضًا، ولم يذكر أن يطلب منه شيئًا، ولا يقرأ عند القبر قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، ولم يذكر ذلك أحمد والمتقدمون من أصحابه ولا جمهورهم، بل قال في منسك المروذي: «ثم ائت الروضة، وهي بين القبر والمنبر، فصلِّ فيها، وادعُ بما شئت ثم ائت قبر النبي ﷺ، فقل: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك بلَّغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتىٰ أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمته، ورفع درجتك العليا، وتقبل شفاعتك الكبرىٰ، وأعطاك سؤلك في الآخرة والأولىٰ، كما تقبل من إبراهيم، اللهم احشرنا في زمرته، وتوفَّنا علىٰ سنته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشربًا رويًّا لا نظمأ بعدها أبدًا».

وما من دعاء أو شهادة وثناء يذكر عند القبر إلا قد وردت السنة بذلك، أو ما هو أحق منه في سائر البقاع لا يمكن أحد أن يأتي بذكر يشرع عند القبر دون غيره، وهذا تحقيق لنهيه ﷺ أن يتخذ قبره أو بيته عيدًا، فلا يقصد تخصيصه بشيء من الدعاء للرسول ﷺ فضلًا عن الدعاء لغيره، بل يدعىٰ بذلك للرسول ﷺ حيث كان الداعي، فإن ذلك يصل إليه ﷺ تسليمًا».



تحذير الإمام من البدع

كتاب التوحيد في تقرير العقيدة الصحيحة وتثبيتها، وفي التحذير من الشرك ووسائله، وضمّن الإمام في ثناياه التحذير من البدع والغلو، وما ذاك إلا لأن البدع بريد الكفر والشرك، ففي باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](١)، ساق الإمام سبب كفر قوم نوح، فقال: «وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تُعبد حتىٰ إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت»(٢)، وكذلك ساق الإمام حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المخرَّج في الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٣)، وختم الباب بقول النبي ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»، وبقوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**هلك المتنطعون**»(٤)، وفي

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

مسائل الباب قال: «التاسعة: **معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل**»[١].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا، فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة، أظهر لهم البدعَ والغلوَّ في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله».

وهل وقع الشرك في هذا الزمن وفيما مضىٰ إلا بسبب البدع، ثم ازداد غلوهم في بدعهم حتىٰ وقعوا في الشرك، فشد الرحال للقبور هو بريد الغلو في المقبورين وسبب الشرك فيهم، ودعاء الله عند القبور هو بريد جعل الموتىٰ وسطاء في دعائهم إلىٰ الله، ثم يكون بريدًا لسؤال الموتىٰ أنفسهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

والمشركون يستعملون حذقهم في تضليل الخلق، وفي ترقيق الشرك لهم وتزيينه وتحسينه، فيقولون للعامة: هذه زيارة للقبور، والزيارة للقبور مشروعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وهؤلاء وأمثالهم كما وصف الله المشركين وأشباههم، يجعلون قبر النبي ﷺ ترسًا، ويطلقون القول به مجملًا،

---

(١) القول السديد، ص (٦٧).
(٢) فتح المجيد، ص (١٩٧).
(٣) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (١٤٥).

ولا يختارون التفصيل بين الزيارة الشرعية والبدعية، فإنه بالتفصيل يظهر ضلالهم، وشركهم، وكذبهم، **فيظهرون ألفاظًا مجملة، وينكرون التفصيل الفارق بين الزيارة الشرعية والبدعية،** ولكن يكذبون فيما يضيفونه إلىٰ الناهي عن الزيارة البدعية، فيضيفون إليه أنه منهي مطلقًا عن هذا الجنس، حتىٰ يروج بذلك تلبيسهم، وهذا من مشابهة أهل الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾**﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

ومن استقرأ أحوال الناس رأىٰ أن عامة من ينتصر للبدع مظهرًا أنه ينصر الرسول ﷺ هو بالعكس، ليس له في نصر الله ورسوله والجهاد في سبيله سعي مشكور، ولا مقام مذكور، بل هم معرضون عن الجهاد المأمور به، وعن نصر كتاب الله ودينه، ورسوله ﷺ، وكثير منهم هو محاد لله ورسوله ﷺ، يكذب بما أخبر به الرسول، وينفي ما أثبته، ويثبت ما نفاه، ويأمر بما نهىٰ عنه، وينهىٰ عما أمر به».

فهذا منهج المبتدعين الضالين يلبسون علىٰ الناس بالألفاظ المجملة، فإذا قال السني الناصح: لا تشدوا الرحال للقبور، ولا تغلوا فيها، والأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، ولا تدعوا عند القبور، ولا تتخذوها مساجد، ولا تصلوا إليها. قالوا: زيارة القبور مشروعة، فإن النبي ﷺ قال: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»، وهنا نقول لهم: هناك فرق بين الزيارة الشرعية والزيارة الشركية، فالزيارة الشرعية بدون شدِّ رحال هو لتذكر الآخرة،

وللدعاء للميت، أما الصلاة عند القبور أو إلىٰ القبور، فهذا شرك، والدعاء عند القبر بريد للدعاء به أو دعائه وهذا شرك أكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فإذا وقع الاستفصال والاستفسار، انكشفت الأسرار، وتبيّن الليل من النهار».

وقال أيضًا(٢): «ومما ينبغي أن يُعلم أن سبب ضلال النصارىٰ وأمثالهم من الغالية - كغالية العُبَّاد والشيعة وغيرهم - ثلاثة أشياء: أحدها: ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسّكوا بها، وهم كلّما سمعوا لفظًا لهم فيه شبهة، تمسّكوا به وحملوه علىٰ مذهبهم، وإن لم يكن دليلًا علىٰ ذلك.

والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك، إما أن يفوِّضوها، وإما أن يتأوَّلوها كما يصنع أهل الضلال، يتَّبعون المتشابه من الأدلَّة العقلية والسَّمعيَّة، ويعدلون عن المحكم الصَّريح من القسمين».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إن لفظ «زيارة القبر» لفظ مجمل يدخل فيها الزيارة البدعية التي هي من جنس الشرك، فإن زيارة قبور الأنبياء وسائر المؤمنين علىٰ وجهين - كما تقدم ذكره -: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالزيارة الشرعية: يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (١/ ٣١٦، ٣١٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) التسعينية (١/ ٢١٧).

علىٰ أحدهم إذا مات، فيصلي عليه صلاة الجنازة، فهذه الزيارة الشرعية.

والثاني: أن يزورها كزيارة المشركين وأهل البدع لدعاء الموتىٰ، وطلب الحاجات منهم، أو لاعتقاده أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، أو أن الإقسام بهم علىٰ الله وسؤاله سبحانه بهم أمر مشروع يقتضي إجابة الدعاء، فمثل هذه الزيارة بدعة منهي عنها، فإذا كان لفظ «الزيارة» مجملًا يحتمل حقًّا وباطلًا عدل عنه إلىٰ لفظ لا لبس فيه كلفظ «السلام» عليه».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا سر إغلاظ أهل السنة علىٰ المبتدعة**[١]: «اعلم - رحمك الله - أن كلامه - أسد بن موسىٰ[٢]- وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلالة في ضلالة لا تخرج عن الملَّة لكنهم شددوا في ذلك، وحذروا منه لأمرين:

الأول: غلظ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها أغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد في قلوب الناس أن الرافضي عندهم ولو كان عالمًا عابدًا أبغض وأشد ذنبًا من السني المجاهر بالكبائر.

الثاني: أن البدع تجر إلىٰ الردة الصريحة[٣]، كما وجد من كثير من أهل البدع، فمثال البدعة التي شددوا فيها مثل تشديد النبي ﷺ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ خوفًا مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير به المسلم مرتدًّا، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في

---

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ضمن مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢١٨).

(٢) بعد أن نقل رسالته إلىٰ أسد بن الفرات.

(٣) **قال محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسرع الناس ردة أهل الأهواء».

الردة ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات، مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]».

فالحاصل: أن الشريعة تحرّم الشرك ووسائله، ومن أذن في وسائل الشرك فقد ضاد الله في شرعه، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومال بالناس إلىٰ الوقوع في الشرك الأكبر الذي هو موجب الخلود في النار، والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فإذا كان ﷺ نهىٰ عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلىٰ نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وُجد ما هو نوع الشرك، من الرغبة إليهم؟! **سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية، فإن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وكان قد قال بعضهم: نحن نتوِّب الناس. فقلت: مما تتوبونهم؟ قال: من قطع الطريق، والسرقة، ونحو ذلك، فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم؛ فإنهم كانوا فساقًا يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٠٥)، ط: الإفتاء السابعة.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٧٢-٤٧٤).

ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه الله، وبيَّنت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي. قلت مخاطبًا للأمير والحاضرين: **أما المعاصي**: فمثل ما روىٰ البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رجلًا كان يدعىٰ حمارًا، وكان يشرب الخمر، وكان يُضحك النبي ﷺ، وكان كلما أُتي به النبي ﷺ جلده الحد، فلعنه رجل مرة، وقال: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتىٰ به إلىٰ النبي ﷺ؟! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**». قلت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي ﷺ بذلك، ونهىٰ عن لعنه.

وأما المبتدع: فمثل ما أخرجا في الصحيحين عن علي بن أبي طالب وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما - دخل حديث بعضهم في بعض - أن النبي ﷺ كان يقسم، فجاءه رجل ناتيء الجبين، كث اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال، فقال النبي ﷺ: «**يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، وفي رواية: «**لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم علىٰ لسان محمد لنكلوا عن العمل**»، وفي رواية: «**شر قتلىٰ تحت أديم السماء، خير قتلىٰ من قتلوه**».

قلت: فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ،

ومن معه من أصحاب النبي ﷺ؛ وذلك لخروجهم عن سنة النبي ﷺ وشريعته، وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يبتلىٰ العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلىٰ بشيء من هذه الأهواء، فلما ظهر قبح البدع في الإسلام، وأنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنهم مبتدعون بدعًا منكرة - فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر.

أخذ شيخهم عبد الله يقول: يا مولانا! لا تتعرض لهذا الجناب العزيز. يعني أتباع أحمد بن الرفاعي، فقلت منكرًا بكلام غليظ: ويحك! أي شيء هو الجناب العزيز، وجناب من خالفه أولىٰ بالعز يا ذا الزرجنة، تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله؟! فقال: يا مولانا! يحرقك الفقراء بقلوبهم. فقلت: مثل ما أحرقني الرافضة لما قصدت الصعود إليهم، وصار جميع الناس يخوفونني منهم ومن شرهم، ويقول أصحابهم: إن لهم سرًّا مع الله، فنصر الله وأعان عليهم. وكان الأمراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل».

فأنت إذا استحضرت قول السلف: «البدع بريد الكفر»، فلا بد أن تضم إليه أيضًا قولهم: «أهل البدع أخطر من أهل الملل»؛ لأن الشريعة فرَّقت في الأحكام بين أهل الملل وأهل البدع من المسلمين، وجعلت أحكام أهل البدع أغلظ من أهل الملل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هؤلاء - يعني أهل الكتاب - يُقرون علىٰ دينهم المبتدع والمنسوخ مستسرين به، والمسلم لا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٣١).

يُقر علىٰ مبتدع ولا منسوخ، لا سرًّا ولا علانية».

فضرر أهل البدع - خصوصًا البدع المكفرة - علىٰ المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارىٰ، فإن هؤلاء المبتدعة يفسدون القلوب ابتداءً، وأما اليهود والنصارىٰ، وأهل الحرب لديار المسلمين، ففسادهم للقلوب لا يكون إلا تبعًا[١]. وفساد اليهود والنصارىٰ ظاهر لعامة المسلمين، أما أهل البدع، فإنه لا يظهر فسادهم لكل شخص، ولهذا نبَّه العلماء إلىٰ أن إنكار منكر المبتدعة أولىٰ من إنكار دين اليهود والنصارىٰ، بل إن أئمة الهدىٰ يرون أن انتزاع مدرسة شرعية من مبتدع أفضل من انتزاع بلدة من الكفار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا».

وقال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «آكل عند اليهودي والنصراني أحب إليّ من أن آكل عند صاحب بدعة».

وهذا رجاء بن حيوة كتب لهشام بن عبد الملك في غيلان القدري وصالح: «أقسم بالله، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم»[٤].

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر رءوس الأشاعرة وما

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨-٢٣٢).

(٢) نقض المنطق، ص (١٥٦).

(٣) ذم الكلام للهروي بواسطة صون المنطق، ص (٦١).

(٤) تاريخ ابن أبي خيثمة (١/ ٢٥٤ - رقم ٧١١)، وإقامة الحدود موكولة إلىٰ الإمام إجماعًا.

وضعوه من قانونهم العقلي الذي قدّسوه علىٰ النقل (الرازي، أبا بكر ابن العربي، الباقلاني، الجويني)، قال[١]: «فالنصارىٰ أقرب إلىٰ تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في سياق رده علىٰ غلاة الصوفية**[٢]: «فهذه المقالات وأمثالها، من أعظم الباطل، وقد نبّهنا علىٰ بعض ما به يُعرف معناها، وأنه باطل، والواجب إنكارها، فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين - أولىٰ من إنكار دين اليهود والنصارىٰ، الذي لا يضل به المسلمون».

وبيّن ابن القيم كيف أن فساد المبتدعة أعظم من أهل الملل[٣] **فقال:** «ومن عظيم آفاتها ومصيبة الأمة بها أن الأهواء المضلة والآراء المهلكة التي تتولد من قبلها لا تزال تنمو وتتزايد علىٰ ممر الأيام وتعاقب الأزمنة، وليست الحال في الضلالات التي حدثت من قبل في أصول الأديان الفاسدة كذلك، فإن فساد تلك معلوم عند الأمة، وأصحابها لا يطمعون في إدخالها في دين الإسلام، فلا تطمع أهل الملة اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ولا الثانوية ونحوهم أن يدخلوا أصول مللهم في الإسلام».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «اتباع أهوية المبتدعة تشبه اتباع أهوية أهل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٥٩).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٤) فتح القدير (١/ ١٥٤).

الكتاب، كما يشبه الماء الماء، والبيضة البيضة، والتمرة التمرة، وقد تكون مفسدة أهوية المبتدعة أشد علىٰ أهل هذه الملة من مفسدة اتباع أهل الملل، فإن المبتدعة ينتمون إلىٰ الإسلام، ويُظهرون أنهم ينصرون الدين ويتَّبعون أحسنه، وهم علىٰ العكس من ذلك والضد لما هنالك، فلا يزالون ينقلون من يميل إلىٰ أهويتهم من بدعة إلىٰ بدعة، ويدفعون من شنعة إلىٰ شنعة حتىٰ يسلخوه من الدين، ويخرجوه منه، وهو يظن أنه منه في الصميم، وأن الصراط الذي عليه هو الصراط المستقيم، هذا إن كان في عداد المقصرين، ومن جملة الجاهلين، وإن كان من أهل العلم والفهم المميزين بين الحق والباطل - كان في اتباعه لأهويتهم ممن أضله الله علىٰ علم وختم علىٰ قلبه، وصار نقمة علىٰ عباد الله ومصيبة صبّها الله علىٰ المقصرين؛ لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يميل إلا إلىٰ حق، ولا يتّبع إلا الصواب، فيضلون بضلاله، فيكون عليه إثمه وإثم من اقتدىٰ به إلىٰ يوم القيامة. نسأل الله اللطف والسلامة والهداية».

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن الصوفية[1]: «استعمارهم لأفكار ضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إذا منعنا أهل الذمة - من الخروج للاستسقاء مع المسلمين - مع ظهور كفرهم، فمنعنا لأهل البدع من باب أولىٰ».

❊ ❊ ❊

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٥٤٦).

(٢) الشرح الممتع (٥/ ٢٧٨).

تحذير الإمام من تأثير الأحوال النفسية في معارضة الحقائق القطعية والآيات القرآنية



تأثير أوهام النفوس وأمانيها في وقوعها في الشرك أمر معلوم، فما يعلقه أصحاب النفوس الضعيفة في رقابهم لدفع البلاء أو رفعه، هي عوارض نفسية لا حقيقة لها في كفاية الإنسان من الشرور، ولذلك حذر النبي ﷺ أمته من أن تكون أسرىٰ لهذه الأوهام، وأخبرهم النبي ﷺ بأن الشرك لا يجلب لهم نفعًا ولا يدفع عنهم ضرًّا، وهذا ما نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من موضع في كتابه، ففي [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه](1). ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفر، فقال له: «**ما هذه؟** قال: من الواهنة. فقال: **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به(2).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب محذرًا من تعليق التمائم توهمًا أنها تدفع البلاء أو ترفعه في المسألة الرابعة من مسائل الباب(3): «إنها لا تنفع في العاجلة،

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص (٣٤).

بل تضر؛ لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**»».

وكذلك حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن نكون أسرىٰ أكاذيب الكهان، فإنه في باب [قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]][١] ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان ينفذهم ذلك**، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، فيسمعها مسترق السَّمع، ومسترقُ السمع هكذا **بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفِّه، فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته، ثم يُلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يُلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا أو كذا: كذا وكذا؟ فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**». رواه البخاري[٢].

فأصحاب النفوس الضعيفة المتعلقة بالأوهام، غير المتوكلة علىٰ الله حق التوكل - يستحوذ علىٰ أذهانهم صدق الكاهن مرة واحدة، وينسون المائة كذبة التي كذبها، وأخبرهم بخلاف ما وقع، لذلك حذّر الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التعلق بالأوهام، فقال في مسائل هذا الباب: «قبول النفوس الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟!»[٣].

---

(١) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٨، ٢٩).

(٣) المسألة الثامنة عشرة.

ومن جنس ذلك ما يحصل للقبوريين من إجابة دعائهم عند القبر مرة واحدة، وعدم إجابته مرات، فهم علىٰ منهج الكهان الذين يصدقون مرة ويكذبون مائة مرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وأمثالهم، إنما يستجاب لهم في النادر[2]، ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم، فيستجاب للواحد بعد الواحد، وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات الأسحار، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلاتهم، وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتهال المقابريين لم تكد تسقط لهم دعوة إلا لمانع.

بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون إلا نادرًا، ولم يستجب للمقابريين إلا نادرًا، والمخلصون كما قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ خصال ثلاث: إما أن يعجل الله له دعوته، أو يدّخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها**». قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: «**الله أكثر**». فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقابريون فإنهم إذا استجيب لهم نادرًا؛ فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، (٢/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) وقد يسّر الله الرد علىٰ تعلق القبوريين بالقبور بدعوىٰ حصول إجابة الدعاء من مائة وجه طُبع في كتاب «الأدلة الشرعية في الرد علىٰ القبورية».

السابقون الأولون، ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم؛ لعدم علمهم بأن ذلك بدعة».

وهذا الباب من أهم الأبواب في الإبانة عن فطنة الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تصنيف كتاب التوحيد، فإن غالب شرك الناس سببه أوهام، وعوارض نفسية، فإن أئمة الضلال أضلوا العوام والجُهّال بإيهامهم أن المزور من الموتىٰ إذا علَّق زائره روحه به؛ أفاضت روح الميت عليه الخيرات، وحصلت له المسرّات، وانكشفت عنه الكربات.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] **ناقلًا عن ابن القيم:** «إنهم قالوا لهم: إن الميت المعظَّم الذي لروحه قرب ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض علىٰ روحه الخيرات، فإذا علَّق الزائر روحه به، وأدناها منه، فاض من روح المزور علىٰ روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصَّافية والماء ونحوه علىٰ الجسم المقابل له. قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجَّه الزائر بروحه وقلبه إلىٰ الميِّت، ويعكف بهمّته عليه، ويتوجَّه قصده كلُّهُ، وإقباله عليه بحيث لا يبقىٰ فيه التفات إلىٰ غيره، وكلَّما جمع الهمَّة والقلب عليه أعظم؛ كان أقرب إلىٰ انتفاعه به، وشفاعته له».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وقد ذكر هذه الزيارة علىٰ هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرَّح بها عُبَّاد الكواكب في عبادتها، وقالوا: إذا

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٠٩).

(٢) بواسطة تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٠٩، ٦١٠).

تعلَّقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور، وبهذا السر عُبدت الكواكب، واتُخذت لها الهياكل، وصُنِّفت لها الدَّعوات، واتُّخذت الأصنام المجسَّدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعُبَّاد القبور اتخاذها أعيادًا، وتعليق السُّتور عليها، وإيقاد السُّرُوج عليها، وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسدَّ الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده، وكان ﷺ في شق وهؤلاء في شق، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنُّوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله.

قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرَّب عند الله، وتوجَّه بهمَّته إليه، وعكف بقلبه عليه؛ صار بينه وبينه اتصالٌ يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبَّهوا ذلك بمن يخدمُ ذا جاه وحظوة وقُرْب من السلطان، فهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلِّق به بحسب تعلقه به.

فهذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم وأباح دماءهم، وأموالهم، وسبي ذراريهم، وأوجب لهم النار؛ والقرآن من أوله إلىٰ آخره مملوء من الرد علىٰ أهله وإبطال مذهبهم».

❊ ❊ ❊

تنبيه الإمام إلى قدر العلم

الشرك أصله الجهل بالله، فمن عرف نعوت الله وأسماءه وما تضمنته من الكمال - أوجب له التأله لله وحده لا شريك له، وأداء حقه الخالص إليه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، قال سفيان بن عيينة وقد سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله تعالىٰ حين بدأ به، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فأمر بالعمل بعد العلم»[١].

وقال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز[٣] لك وللخلق عبادته - إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه».

وقال العلامة عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٩٢٧هـ)**[٤]: «﴿فَٱعْلَمْ﴾، يا محمد ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: دُمْ موحِّدًا.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، ليستنَّ بك غيرُك».

---

(١) رموز الكنوز (٧/ ٢٦٤).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٢٠٨).

(٣) بل يجب.

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٦/ ٣١٨).

فالتوحيد أصل الأصول الذي ينبغي لكل أحد تعلمه، فإن الأعمال كلها لا تصح مع فساده وانتقاضه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

فلا يؤتىٰ الناس من جهة عقيدتهم وتوحيدهم وإيمانهم إلا بسبب الجهل، فالعناية بهذا الأصل، ومعرفة حقيقته ومحاذرة ما يضاده من الشرك الأكبر والأصغر - هو أصل الأصول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول».

والعلم يُراد التحقق به لا مجرد إدعائه، فاليهود أحبار وكانوا يستفتحون علىٰ الذين كفروا بظهور خاتم النبيين نبينا محمد ﷺ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وصاروا يجادلون في نبوة نبينا محمد ﷺ، وينكرونها، ويوصون البشر بالكفر به.

وكفار قريش مع جهلهم العظيم، ونعت الله لعقائدهم وأعمالهم بالجاهلية - كانوا إذا دعاهم النبي ﷺ إلىٰ توحيد الله قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]، أي: لو كان كلامك حقًّا لفقهناه، وهذا شأن الكافرين من قبل ومن بعد ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾، وقيل: معنىٰ كلامهم أنهم مستغنون بما عندهم من العلم - وهو الجهل - عن غيره[٢]، وهذا تجده صريحًا في قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٨).

(٢) شرح مسائل الجاهلية للألوسي، ص (٢٦).

والكفار إنما يعتذرون بهذه الأعذار وهم عالمون بأنهم مبطلون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فالنبيون – عليهم السلام – وورثتهم حججهم قوية، وبراهينهم جلية: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨]، وعند المحاقة يعرف الكفار ذلك ويشهدون به علىٰ أنفسهم، فالنبي ﷺ لمّا عاد غلامًا يهوديًّا يحتضر، قال له: «**قل: لا إله إلا الله**». فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. وأبو طالب كان يقول:

ولقد علمت أن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا

لولا حذار مسبة ... لوجدتني به سمحًا مبينًا

وبيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد أن أول شرك وقع في الأرض سببه دروس العلم وفشو الجهل، ففي [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][1]، وأورد ما رواه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت[2].

وقال الإمام في المسائل منبهًا علىٰ قدر العلم: «المسألة التاسعة عشرة:

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

التصريح بأنها لم تُعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده»[١].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا[٢]: «أي: لم تُعبد هذه التماثيل إلا بعد أن نُسي العلم واضمحل، ففيه دليل علىٰ معرفة قدر وجوده - أي: العلم -، وأن وجوده أمر ضروري للأمة؛ لأنه إذا فُقد العلم، حلَّ الجهل محلَّه، وإذا حلَّ الجهل، فلا تسأل عن حال الناس، فسوف لا يعرفون كيف يعبدون الله، ولا كيف يتقرَّبون إليه».

فإن تحامق قبوري وتحذلق، وادّعىٰ العلم - وهو التعالم حقيقة -، وادّعىٰ أن ما هو عليه هو الحق، فهذا نحاجه بقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فإذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة بعدهم - قد أجمعنا أنهم ومن اتّبعهم علىٰ الحق، ومن خالفهم فهو علىٰ الباطل، فنقول: هذه المسألة التي اختلفنا وإياكم فيها: هل رسول الله ﷺ وأصحابه علىٰ قولنا أو علىٰ قولكم؟

فإذا أقروا: أن دعاء أهل القبور، والبناء عليها، وجعل الأوقاف والسدنة عليها - من دين الجاهلية، فلما بعث الله محمدًا ﷺ نهىٰ عن ذلك كلّه، وهدم

---

(١) القول السديد، ص (٦٨).
(٢) القول المفيد، ص (٢٤٩).
(٣) الدرر السنية (١٣/ ١٠٩، ١١٠).

البناء الذي جعلته الجاهلية علىٰ القبور، ونهىٰ عن دعاء الصالحين، وعن التعلق عليهم، وأمر بإخلاص الدعوة لله، وأمر بإخلاص الاستعانة لله.

وبلغنا عن الله أنه يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ومضىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم، والأئمة وأصحابهم علىٰ ذلك، ولم يحدث هذا إلا بعد ذلك، أعني: دعاء غير الله والبناء علىٰ القبور، وما يتبع ذلك من المنكرات.

فكيف تقرون: أن رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة بعدهم علىٰ ما نحن عليه، ثم تنكرونه أعظم من إنكار دين اليهود والنصارىٰ، مع إقراركم أنه الدين الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة؟!

أم كيف تنصرون الشرك وما يتبعه من المنكرات، وتبذلون في نصره النفس والمال، مع إقراركم أنه دين الجاهلية المشركين؟! هذا هو الشيء العجاب، لا جعل الآلهة إلهًا واحدًا».

فالحاصل: أن من عنده فرقان وعلم يميّز بسهولة ويسر بين عقيدة المرسلين والسابقين الأولين، وعقيدة المشركين عباد القبور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وكل من كان أعظم علمًا وإيمانًا كان أقوم بالتوحيد، وأتبع للسنة، وأبعد عن الشرك، والبدعة،** فإن التوحيد والسنة هو الإسلام، وهو حقيقة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وأهل الشرك والنفاق، ص (١٤٠، ١٤١).

فالشهادة الأولىٰ تحقيق التوحيد، والشهادة الثانية تحقيق الرسالة التي توجب اتباع شريعته، وأن نعبد الله بما أمر به، وشرعه، دون ما نهىٰ عنه، أو لم يشرعه، قال أبو العالية في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، قال: هما خلتان يُسأل عنهما كل واحد: ماذا كنتم تعبدون؟ وبماذا أجبتم الرسل؟

ولهذا كان الصحابة، والتابعون لهم بإحسان - قائمين بهاتين الشهادتين، لم نجد أحدًا منهم يأمر بدعاء أهل القبور، ولا بالسفر إليهم، بل هم كما قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والصلاة هي دعاء الله، دعاء عبادة، ودعاء مسألة، فإذا قُصد صاحب القبر لأن يدعىٰ دعاء عبادة أو دعاء مسألة - فقد صارت الصلاة له، وإذا قصد السفر إليه، فقد جعل النسك له».

* * *

حض الإمام على الدعوة إلى التوحيد

الأنبياء دعوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهم الوسطاء بين الله وخلقه في تبليغ شرعه، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، والنبيون جميعًا دلوا الناس علىٰ كل خير، وحذّروهم أنواع الشرور كما قال النبي ﷺ: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، ويحذرهم شر ما يعلمه لهم**». رواه مسلم[(١)].

وأول الخير الموجب لدخول الجنة، والنجاة من النار هو توحيد الله، وهو أساس دعوة المرسلين جميعًا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والعلماء ورثة الأنبياء، حملوا لواء الدعوة إلىٰ الله، وارتسموا منهج الأنبياء، ودعوا إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك أصغره وأكبره، فهؤلاء هم الصادقون، ومن انصرف عن الدعوة إلىٰ التوحيد، فهذا يحتاج إلىٰ هداية وتوبة من الانصراف

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول (ص٨٢٨- رقم ٤٧٧٦).

عن أمر الله وشرعه ودعوة المرسلين.

ولأهمية هذا الأمر، ولعظم شأنه، وكبير فضله نجد أن إمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولاه أهمية قصوىٰ، وجعله في أول الأبواب، في الباب الرابع، حيث بوّب عليه [باب: الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][(1)]، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨][(2)]. فهذا منهج الأنبياء دعوتهم دعوة توحيد، أساسها «العلم والإيمان»؛ لقوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، وختم الآية سبحانه بتنزيه الله عن الشرك؛ إشارة إلىٰ أن دعوة المرسلين دعوة توحيد الله.

وبعد الآية ساق الإمام حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في بعث معاذ ابن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»[(3)]، وأتم الإمام الباب بحديث بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خيبر، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك من حُمر النعم**»[(4)].

وفي مسائل الباب، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبهًا علىٰ أهم مسائله[(5)]: «**الأولىٰ:** أن الدعوة إلىٰ الله طريق من اتَّبع رسول الله ﷺ. **الثانية:** التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلىٰ الحق، فهو

(١، ٢) كتاب التوحيد، ص (١١).
(٣) كتاب التوحيد، ص (١١، ١٢).
(٤) كتاب التوحيد، ص (١٢، ١٣).
(٥) القول السديد، ص (٢٧).

يدعو إلىٰ نفسه».

فالدعوة للتوحيد هي حقيقة دعوة المرسلين، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وأهم ما يبدأ به في التعليم هو معرفة أصول الدين وقواعد الإسلام، التي لا يحصل بدونها، ولا يستقيم بناؤه إلّا عليها، لا سيما معرفة ما دلّت عليه كلمة التوحيد - شهادة أن لا إله إلا الله - من الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده، بإخلاص العبادة بأنواعها له سبحانه، والبراءة من كل معبود سواه، والقيام بذلك علمًا وعملًا، فإنّ هذا هو أصل الدين وقاعدته، وهو الحكمة التي لأجلها خُلقت الخليقة، وشُرعت الطريقة، وأُرسلت لأجلها الرسل، وبها أُنزلت الكتب، وجميع أحكام الأمر والنهي تدور عليها، وترجع إليها، وقد رأيتم ما حدث في هذا الأصل العظيم من الإضاعة والإهمال، والإعراض عن حقائقه وواجباته، حتىٰ ظهر الشرك، وظهرت وسائله وذرائعه ممن ينتسب إلىٰ الإسلام، ويزعم أنه من أهله، وذلك بأسباب، منها: الجهل بحقيقة ما أمر الله به ورضيه لعباده من أصول التوحيد والإسلام، وعدم معرفة ما ينافيه ويناقضه، أو يضاد الكمال والتّمام، من موالاة أعداء الله، علىٰ اختلاف شعبها ومراتبها، فمنها المكفِّرات والموبقات، ومنها ما دون ذلك».

---

(١) آل عمران: (٦٤).

(٢) عيون الرسائل (١/ ٢٧٢، ٢٧٣).

وقال العلامة **عبد الرحمن السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإنه لا يتم التوحيد حتىٰ يُكمّل العبد جميع مراتبه، ثم يسعىٰ في تكميل غيره - وهذا هو طريق جميع الأنبياء - فإنّهم أول ما يدعون قومهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ؛ لأنَّه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر، ولم يضعف حتىٰ أقام الله به الدِّين، وهدىٰ به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه، ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلىٰ الله وإلىٰ توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها علىٰ التوحيد.

فكما أنَّ علىٰ العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلىٰ الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدىٰ علىٰ يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلىٰ الله، وإلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله فرضًا علىٰ كل أحد - كان الواجب علىٰ كل أحد بحسب مقدوره.

فعلىٰ العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما علىٰ غيره ممن ليس بعالم.

وعلىٰ القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما علىٰ من ليست له تلك القدرة.

---

(١) القول السديد في شرح كتاب التوحيد، ص (٢٨، ٢٩).

قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ورحم الله من أعان علىٰ الدِّين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلىٰ هذا الدِّين».

والمؤمن الذي عمر الله قلبه بالتوحيد لا يمكن أن يرىٰ الأئمة المضلين يزينون للناس الشرك، ويرىٰ الجهال ينتقصون حق الله الخالص، وينقضونه بأنواع من الشركيات كالطواف بالقبور، والذبح لغير الله، والاستغاثة بالموتىٰ، وتعليق التمائم، ثم يكون شيطانًا أخرس لا يأمر بمعروف، ولا ينهىٰ عن منكر، ولا ينصح لله ورسوله ﷺ، ولا لهؤلاء الجاهلين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من كان مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، هل يتصور إذا رأىٰ الرسول، وأعداؤه يقاتلونه، وهو قادر علىٰ أن ينظر إليهم، ويحض علىٰ نصر الرسول بما لا يضره، هل يمكن مثل هذا في العادة أن لا يكون منه حركة ما إلىٰ نصر الرسول ﷺ؟، فمن المعلوم أن هذا ممتنع!

فلهذا كان الجهاد المتعين بحسب الإمكان من الإيمان، وكان عدمه دليلًا علىٰ انتفاء حقيقة الإيمان، بل قد ثبت في الصحيح عنه ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يحدّث نفسه بالغزو، مات علىٰ شعبة من نفاق**»، وفي الحديث دلالة علىٰ أنه يكون فيه بعض شعب النفاق مع ما معه من الإيمان، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) شرح حديث جبريل، ص (٤٤٨).

وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، فهذا يبيّن أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات، كان عادمًا للإيمان».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ليكن لك علىٰ بال ما ورد في فضل الغرباء ووصفهم، فاغتنم نصرة الإسلام، والدعوة إليه، ونشره وتعريفه وتقريره، في كل مجلس ومجمع، فإن أكثر الناس قد ضلّ عنه، ولا يدري عن حقيقته ومسماه، وقد وقع ذلك ممن ينتسب إلىٰ الدين، ونسي ما كان عليه من تقرير التوحيد وأدلّته، وجاء بما يناقضه، ويقوِّي عضد الشرك، ويقتضي نصرة أعداء الملَّة والدين».

وقال سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الدعوة إلىٰ الله، وإلىٰ الإسلام لا شك أنها دعوة الرسل عليهم السلام، فقد أرسل الله جميع الرسل للدعوة إليه، وأنزل الكتب السماوية التي أعظمها وأفضلها وخاتمها القرآن الكريم، وكلها للدعوة إلىٰ الله والتبشير بالإسلام، والتحذير من ضده، والدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والترهيب من سيئ الأخلاق وسيئ الأعمال.

وأهم شيء في وقتنا هذا وفي غيره الدعوة إلىٰ توحيد الله، وإخلاص

---

(١) عيون الرسائل (١/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ البازية (٨/ ٢٣٠، ٢٣١).

العبادة له وحده، وبيان أسمائه وصفاته، والدعوة إلىٰ إثباتها كما جاءت، مع الإيمان بها، وإثباتها لله سبحانه علىٰ الوجه الذي يليق بالله جَلَّوَعَلَا، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف؛ عملًا بقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله أن يعنوا بالتوحيد - أعني: توحيد الربوبية، وقد أقر به المشركون، وهو الإيمان بأن الله رب الجميع، وخالق الجميع، ورازق الجميع، الحي القيوم، النافع الضار، هذا معروف عند المسلمين وغيرهم، وقد عرفه أبو جهل وأشباهه من كفار قريش، واحتج الله عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية علىٰ ما أنكروا من توحيد الألوهية، فالواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله - أينما كانوا - أن يبيّنوا للناس حقيقة التوحيد التي بعث الله بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن يحذروهم من الشرك بالله وعبادة أصحاب القبور والاستغاثة بالأموات، والنذر للأموات، والذبح لهم، والطواف بقبورهم إلىٰ غير ذلك مما يفعله المشركون اليوم، وهكذا دعوة الأصنام، والأشجار، والأحجار، والجن، والملائكة، والأنبياء، كل ذلك من الشرك بالله، ولا يجوز لأي إنسان أن يدعو ميتًا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو صنمًا، أو نجمًا، أو غائبًا من ملك، أو جني، أو غير ذلك، بل هذا هو نفس

الشرك الأكبر الذي قال الله فيه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

أما دعاء الحي الحاضر والاستغاثة به فيما يقدر فلا بأس بذلك؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ في قصة موسىٰ مع القبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ الآية [القصص: ١٥]».

وإذا تُركت الدعوة إلىٰ التوحيد، وضُيّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ علا الباطل علىٰ الحق، وصار الشرك عند أهله قربة وطاعة وتوقيرًا للأولياء، وغدت السنة بدعة، فتنطمس بذلك معالم الدين، ويذهب منار التوحيد.

وكل عاقل يشاهد حقيقة هذا الكلام واقعًا، فالأرض التي يُضيّع فيها الدعوة إلىٰ التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - تقوىٰ فيها الشركيات، والخرافات، والبدع، والمنكرات، والبلاد التي يقوم فيها علماؤها، ومشايخها، ودعاتها إلىٰ الله بالدعوة إلىٰ التوحيد، وحماية جنابه، وسد الذرائع الموصلة إليه، ويتواصىٰ فيها أهلها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - تكون السنة فيهم عزيزة، والشرك مطموسًا مدحورًا، لا تُرفع له راية، ولا تُشيّد فيها أوثانه، ولا تُقام فيها أنصبته.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والتساهل في رد الباطل، وقمع الداعي إليه، يترتب عليه قلع أصول الدين، وتمكين

(١) عيون الرسائل (١/ ٤٤١).

أعداء الله المشركين».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والأمة إذا لم تقم بهذا الواجب، فإنها سوف تتفرق بها الأهواء، وسيكون كل قوم لهم منهاج يسيرون عليه، ولكنهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ اتفق منهاجهم، وصاروا أمة واحدة كما أمرهم الله بذلك، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥]».

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيّنًا أن سبب رواج البدع هو السكوت عنها، وترك إنكارها[2]: «أن يعمل بها العوامُّ، وتشيع فيهم، وتظهر فلا يُنكرها الخواصُّ ولا يرفعون لها رءوسهم وهم قادرون علىٰ الإنكار فلم يفعلوا، فالعامي من شأنه إذا رأىٰ أمرًا يجهل حكمه يعمل العامل به فلا ينكر عليه؛ اعتقد أنه جائز، وأنه حسن، أو أنه مشروع، بخلاف ما إذا أُنكر عليه، فإنه يعتقد أنه عيب، أو أنه غير مشروع، أو أنَّه ليس من فعل المسلمين، هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشريعة؛ لأن مستنده الخواص والعلماء في الجائز من غير الجائز.

فإذا عُدم الإنكار ممن شأنه الإنكار، مع ظهور العمل وانتشاره، وعدم خوف المنكر، ووجود القدرة عليه، فلم يفعل؛ دلّ هذا عند العوامّ علىٰ أنه فعل جائز ولا حرج فيه».

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٥١).

(٢) الاعتصام (٢/ ١٠١، ١٠٢).

فواجب العلماء وطلبة العلم حراسة الشريعة، خصوصًا العقيدة، فإذا رأوا أهل ضلالة ساعين في إضلال الخلق، وتغيير الدين - وجب عليهم أن يجيبوا داعي الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾، قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «واجب العالم الديني أن ينشط إلىٰ الهداية كلما نشط الضلال، وأن يُسارع إلىٰ نصرة الحق كلما رأىٰ الباطل يصارعه، وأن يحارب البدعة والشر والفساد قبل أن تمدّ مدّها، وتبلغ أشدها، وقبل أن يتعوَّدها الناس؛ فترسخ جذورها في النفوس ويعسر اقتلاعها.

وواجبه أن ينغمس في الصفوف مجاهدًا، ولا يكون مع الخوالف والقعدة، وأن يفعل ما يفعله الأطباء الناصحون من غشيان مواطن المرض لإنقاذ الناس منه، وأن يغشىٰ مجامع الشرور لا يركبها مع الراكبين، بل ليفرّق اجتماعهم عليها».

فالحاصل أن الدعوة إلىٰ التوحيد، ونصرة السنة، ورد البدع والأهواء والضلالات من أجل الطاعات، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ولعمر الله إن هذا من أفضل شعب الإيمان الواجبة، وأعلاها وأحبها إلىٰ الله وأسماها، بل هو أفضل من نوافل العبادة القاصرة.

وأين تقع النوافل، ومتىٰ ينتفع بها من أهل نصرة الإسلام والسنة، مع القدرة علىٰ ذلك؟

---

(١) الآثار (٤/ ١١٧).

(٢) عيون الرسائل (٢/ ٥٩٦).

وهل يُرجىٰ الخير من رجل يرىٰ حرمات الله تنتهك، ودينه يمتهن، وسنة نبيه ﷺ تترك وتُطرح، ولا يجد من نفسه حميَّة ولا غيرة، ولا أنفة، من ترك دين الله، ومن معصيته، وهجر ما جاء به رسوله ﷺ من توحيد الله تعالىٰ والإيمان به؟!

هذا الصنف لا يُرجىٰ خيره، وإن زعم أنه من عباده المؤمنين».

* * *

تحذير الإمام من الأمن من الشرك

حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشرك، وخوّف منه، ومن تمام نصحه أنه بدأ في ذلك في أوائل أبواب كتاب التوحيد، فعقد لذلك بابًا خاصًّا [باب الخوف من الشرك](١)، وساق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وساق قول **الخليل** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وساق كذلك قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. فسئل عنه، فقال: الرياء**». وذكر من أقوىٰ الأدلة في هذا أن الشرك هو الموجب للخلود في النار، فساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**». رواه البخاري(٢).

ومع هذا فقد ضمّن الإمام أبوابًا كثيرة في كتابه في التخويف من الشرك عند ذكر أنواع وصور الشرك، وما ورد في فعلها وإتيانها من الوعيد الشديد، كالوعيد في إتيان الكهان(٣).

---

(١) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠، ١١).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٥٠).

وقصد الإمام بعقد باب خاص للتخويف من الشرك المبالغة في التحذير منه؛ حتىٰ لا يغتر الإنسان بنفسه، ويتهاون بالشرك ويأمنه فإذا بالشيطان يوقعه فيه.

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك، والحرب بين بني آدم والشيطان ما زالت قائمة لم تضع أوزارها، فلا يزال الشيطان يوسوس لبني آدم، ويجلب عليهم بخيله ورجله، ويستدرجهم في أنواع ما يبعدهم عن الجنة ويوقعهم في أنواع المعاصي وترك الواجبات، وأعظم ما يرجوه الشيطان من ابن آدم أن يجعله خالدًا في نار جهنم، فيكون هو ومن استزلهم سواء، وذلك لا يكون إلا بإيقاع الخلق في الشرك وترك الصلاة.

قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٧هـ)**(١): «إن الشيطان الذي أضل السابقين وأوقعهم في الشرك الوبيل: لم يسالمه، ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ، وإن أمة محمد ﷺ لم يتغير سنن الله فيها ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة والنسيان، والجهل والكفر، والفسوق والعصيان، فمن علم ذلك أخذ حذره دائمًا، وكان علىٰ بصيرة من أمره، فلم يقدم علىٰ عمل إلا علىٰ هدًىٰ من كتاب ربه، ونور من سنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فلينظر العبد: أي شيء هو في هذه المقامات؟ وهل دبَّ فيه غائلة هذا من داء الأمم وهو لا يشعر؟».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه من الشرك ولا يخافه، وقد خافه النبي ﷺ علىٰ أصحابه، فقد ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب ما

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (٢٢٩).

جاء في الرياء][١]، حديث أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال**؟ قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزِّين صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**». رواه أحمد[٢].

وفي [باب الخوف من الشرك][٣]، ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خوف النبي ﷺ علىٰ أصحابه من الشرك، وساق قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسُئل عنه، فقال: **الرياء**»[٤].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «ينبغي للإنسان أن يخاف علىٰ نفسه الشرك الأكبر إذا كان الأصغر مخوفًا علىٰ الصالحين من الصحابة مع كمال إيمانهم».

وكذلك أخبر النبي ﷺ بأنه سيكون في أمته من أمور الجاهلية مما هو شرك في الربوبية، فالإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء][٦]، ساق حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»[٧].

---

(١) الباب الخامس والثلاثون، باب: ما جاء في الرياء، ص (٦٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٧، ٦٨).

(٣) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٤) كتاب التوحيد، ص (١٠، ١١).

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص (١١٩).

(٦) الباب التاسع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٧).

(٧) كتاب التوحيد، ص (٥٧، ٥٨).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**«الاستسقاء بالنجوم»**، أي: نسبة المطر إلىٰ النجوم، مع اعتقاده أن الفاعل هو الله عَزَّوَجَلَّ، أما إن اعتقد أن النجوم هي التي تخلق المطر والسحاب، أو دعاها من دون الله لتنزل المطر - فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك وهو يتلو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وهذا دال علىٰ أن الشرك غالب علىٰ النفوس إلا من عصم الله، وهذا مشاهد، انظر إلىٰ كثرة من يقصد القبور للاستغاثة بها، وطلب الرزق وشفاء الأسقام، وغيرها مما هو شرك قطعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**[2]: «وكثير من الناس لا يقصدون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين إلا مقاصد أهل الشرك، الذين يجعلونهم أوثانًا، وأندادًا لله، وهم شر من الذين اتخذوها مساجد، فإن أولئك يقصدون أن يصلوا فيها لله، ويدعون الله، وهؤلاء إنما يقصدون دعاءهم، والحج إليهم، فيجعلون صلاتهم، ونسكهم للمخلوق لا للخالق، يقصد أحدهم في زيارة قبر من يعظمه ما يقصده الحاج في الحج إلىٰ بيت الله، وما يقصده المصلي الذي يقصد مساجد الله، فالحاج والمصلي مسلم حنيف متبع لملة إبراهيم، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

---

(١) القول المفيد، ص (٣٨٦).

(٢) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٦٨).

فالمسلم صلاته ونسكه لله، والمشرك يصلي لغير الله، وينسك لغير الله، ويدعو المخلوق، ويستغيث به، ويتضرع إليه كما يفعل بالخالق، ويحج إلىٰ قبره كما يحج إلىٰ بيت الخالق، ويسمون ذلك نسكًا».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك، والنبي ﷺ كان يتعوذ أن يشرك بالله شيئًا لا يعلمه، وكان يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه**»[1].

وهذا يدل علىٰ أن الشرك خفي، لا يجوز أن يتهاون في شأنه من يريد الفوز بالجنة، وشيء يتعوذ منه النبي ﷺ المبعوث بالتوحيد، فغيره أحرىٰ وأولىٰ بمحاذرته والخوف منه والاستعاذة بالله منه.

وإذا عرفت أن النبي ﷺ تعوّذ بالله أن يشرك به شيئًا يعلمه، فمن انحرف عن سبيله وسنته فقد انغمس في الشرك وهو منشرح الصدر، زُين له سوء عمله، فظنه توقيرًا للأولياء، ومحبة للصالحين، فصار يطوف بقبورهم، ويخضع عند قبورهم، ويجعلهم وسطاء في دعائه الله، ومنهم من يدعوهم مباشرة، ويسألهم قضاء الحاجات، تعالىٰ الله عن شركهم.

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستتشبه بالمشركين، حيث قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتىٰ لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن؟**»[2].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٧- رقم ٧١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (ص٥٨٢، رقم ٣٤٥٦).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الشبر، والذراع، والطريق، ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهىٰ الشرع عنه وذمه».

فإذا كان الكفار أهل شرك، فإن التشبه بهم من أسباب الوقوع في الشرك، وقد أخبر النبي ﷺ أن اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وقد وقع هذا في هذه الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فقد تبين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي - التشبه بالكافرين؛ كما أن من أصل كل خير المحافظة علىٰ سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبُّه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟!».

وقال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذا من علامة نبوته ﷺ، ومن معجزاته، فقد سلك كثير من أمته مسلك اليهود والنصارىٰ في إقامة سائر شعائرهم في الأديان، وفي عاداتهم من تعظيم القبور، واتخاذها مساجد، حتىٰ عبدوها، وإقامة الحدود والتعزيرات علىٰ الضعفاء دون الأقوياء، وملابسهم ومراكبهم، والتسليم بالإشارة، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإقبال علىٰ كتب البدع والضلال، وغير ذلك مما نهىٰ الله عنه».

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٠١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٢).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٧٨).

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك، وقد أصاب جزيرة العرب بعد أن كانوا علىٰ ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ فأهل مكة والناس في جزيرة العرب كانوا علىٰ ملة إبراهيم، فذهب عمرو بن لحي الخزاعي إلىٰ الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام، ويسيبون الدواب تحريمًا للانتفاع بها، فحاكاهم في شركهم وتحريمهم، وجلبه لجزيرة العرب، واستزلهم إلىٰ ورطات الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «هذا من العلم المشهور أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام، متشبهًا بأرض البلقاء، وهو أول من سيّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمىٰ الحام، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه يجر قصبه في النار - وهي الأمعاء - ومنه سُمي القصاب بذلك؛ لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا علىٰ ملة أبيهم إبراهيم، علىٰ شريعة التوحيد والحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم.

فتشبه عمرو بن لحي، وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأىٰ أن في تحريم ما حرّمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام - تعظيمًا لله ودينًا، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهًا فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتىٰ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٠، ٣٥١).

غلب علىٰ أفضل الأرض الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وتغيير دينه، إلىٰ أن بعث الله رسوله ﷺ، فأحيا ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأقام التوحيد، وحلّل ما كانوا يحرمونه».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك وقد أخبر النبي ﷺ أنه سيقع في هذه الأمة، فقد قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**»(١). وهذا مما نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعقد له [باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان](٢)، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وهذا وقع، ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبد القبور، ويعظِّمون أصحابها، ويسألونهم الحاجات والرغبات، ويلتجئون إليهم».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات لنساء دوس علىٰ ذي الخلصة**»(٤). وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ**»(٥).

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود، كتاب الفتن، باب: ذكر الفتن (ص ٥٩٦، رقم ٤٢٥٢).

(٢) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (٣٠٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: تغير الزمان حتىٰ تُعبد الأوثان (ص ١٢٢٦، رقم ٧١١٥)، ومسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتىٰ تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩، رقم ٧٢٩٨).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتىٰ تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩، رقم ٧٢٩٩).

ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما زاده البرقاني علىٰ رواية الصحيح، وفيها[١]: «**ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**».

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٢]: «ومعنىٰ «**يلحق**»: يتبع، إما بأن يذهبوا إلىٰ بلادهم ويسكنوا معهم ويكونوا من دولتهم، وإما بأن يبقوا في بلاد المسلمين، ولكن يكونون علىٰ منهج الكفار ويرتدّون عن الإسلام.

ووقع هذا كما أخبر به ﷺ، ففيهم من ذهب إلىٰ بلاد الكفار، ولم يرجع وصار يوافق الكفار في أمورهم الدينية، ويجري عليهم حكمهم وهو مختار للإقامة بينهم.

وفيهم من بقي في بلاد المسلمين ويعتنق مذاهب الكفر من شيوعية، وبعثية، وقومية، وغير ذلك، وهؤلاء لحقوا بالمشركين في قلوبهم وعقائدهم كما أخبر ﷺ وإن لم يلحقوا بهم في أبدانهم».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء؟ فالهداية للتوحيد، والثبات عليه محض فضل من الله وحده لا شريك له، وهو ما يعترف به المؤمنون إذا دخلوا الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فالهداية للتوحيد ليس بحذقنا، فانظر إلىٰ علماء الذرة كيف اهتدوا إلىٰ علم الدقائق، وضلوا عن أوضح المعارف وآكد الضروريات، ولذلك بوّب الإمام

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٤٥).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٣٣٧).

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]](١)، والنبي ﷺ الذي بُعث بالتوحيد والمسدد بالوحي - كان أكثر ما يحلف: «**لا ومقلب القلوب ثبّت قلبي علىٰ دينك**»(٢). فكيف نأمن علىٰ أنفسنا من الشرك؟!

وكيف نأمن علىٰ الناس من الشرك، ونحن نرىٰ دروس العلم وفشو الجهل، وهما مادتا الشرك؟!

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك، وقد وقع في قوم نوح بعد أن كانوا موحدين عشرة قرون منذ بعثة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟! قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا، ولم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك. ونُسي العلم عُبدت»(٣).

قال قتادة(٤): «كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك».

---

(١) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: مُقلِّب القلوب (ص١٢٧٢، رقم ٧٣٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة نوح (ص٨٧٥، رقم ٤٩٢٠).

(٤) جامع البيان (٢٣/ ٣٠٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ كلام قتادة[١]: «وهذه العلة التي لأجلها نهىٰ الشارع - هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب، ونحو ذلك.

فلأن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه - أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر علىٰ تمثاله.

ولهذا نجد أقوامًا كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال».

وكيف يأمن الإنسان علىٰ نفسه الشرك، وهو أخفىٰ من دبيب النمل؟ فشيء بهذا الخفاء محاذرته واجبة، فكيف وقد وقع كثير من الخلق في جَلِيِّهِ، والعياذ بالله!!

وقد نبّه علىٰ هذا الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]][٢]، وساق قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٣]: «الأنداد هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢).

(٢) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٦).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٧٦).

قال الحافظ يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠٩هـ)[1]: «فالرياء: أن يفعل العبادة إما كلها؛ ليُقال: فعل، لا لطاعة الله، وهذا حال النفاق.

أو في الأصل لله وليُقال، أو ليرىٰ بعض المخلوقين أنه يفعل، أو يُحسّنها ليراه بعض المخلوقين فيظن به الخير والطاعة، إما ليعطيه أو ليوليه، أو ليحصل له منه الجاه أو المنزلة، أو غير ذلك، من الأمور المذمومة.

وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك هو الشرك الخفي، الذي كاد به الشيطان غالب الناس، وأوقعهم به في الإثم والبلية نعوذ بالله من ذلك، والناس في ذلك متفاوتون، منهم من غلب عليه وقوي، ومنهم من قلّ فيه، وهذا يوجب الإثم، وعدم القبول، نعوذ بالله من ذلك».

ولا يجوز لأحد أن يغتر بظن الشيطان؛ حيث أخبر عنه النبي ﷺ: «**أنه يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»[2]. فهذا ظن الشيطان لمّا رأىٰ الناس دخلوا في دين الله أفواجًا يوم فتح مكة، فظنون الشيطان وأوهامه جعلها المبتدعة معيارًا لتزكية الأعمال الشركية التي أوقعها الجاهلون والمبتدعون بعد عهد النبوة والخلفاء الراشدين، وهذا منهج شيطاني، أما المنهج الشرعي فهو الرد إلىٰ الكتاب والسنة بفهم السلف، فكل ما أخبر الله ورسوله ﷺ أنه شرك فهو شرك، كالتبرك بالشجر والحجر، والاستغاثة بغير الله، وتعليق التمائم، ونحوه.

---

(١) مسألة في التوحيد، ص (٨٢، ٨٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، ص (١٢٢٤-رقم ٧١٠٣).

تنبيه الإمام إلى اتفاق الملل على التوحيد

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ له عناية فائقة باختيار الأدلة للأبواب، فإنه في أول باب من أبواب كتاب التوحيد في [باب: بيان فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب][1] - ساق حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق - أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه[2].

وهذا غاية ما يكون من حسن اختيار الإمام لهذا الحديث؛ حيث نبّه فيه علىٰ أمرين:

الأول: أن كلمة التوحيد لا تنفع صاحبها بمجرد قول اللسان، فلا بد من العمل؛ لقوله ﷺ: «**أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**».

الثاني: اتفاق الشرائع والملل علىٰ عقيدة التوحيد؛ لقوله ﷺ: «**وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله**». وما بُعث به عيسىٰ هو ما بُعث

(١) كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥، ٦).

به محمد - عليهما السلام -، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولذلك قال الإمام في مسائل هذا الباب: «**الرابعة عشرة**: تأمل الجمع بين كون عيسىٰ ومحمد عبدي الله ورسوليه»[١].

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٢]: «وفي الحديث أيضًا وجوب الإيمان بجميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام -؛ لأنه نص علىٰ الإيمان بعيسىٰ وبمحمد ﷺ، وفي ذلك إشارة إلىٰ أنه يجب الإيمان بجميع الرسل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلا بد من الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع، فاليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بموسىٰ قد كفروا بموسىٰ؛ لأنهم بكفرهم بمحمد ﷺ كفروا بموسىٰ؛ لأن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخبر ببعثة محمد ﷺ كما هو موجود في التوراة التي جاء بها موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كذلك عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخبر بمحمد ﷺ، وأمر بالإيمان به: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]، فعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بشّر بني إسرائيل بمحمد ﷺ،

---

(١) القول السديد، ص (١٦).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٧٠، ٧١).

وهذا معناه: أنه أمرهم بالإيمان به، فالنصارىٰ لما لم يؤمنوا بمحمد ﷺ كفروا بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه بشّرهم بمحمد ﷺ، فمعنىٰ هذا أنهم كذّبوا نبيهم عيسىٰ الذي يزعمون أنهم آمنوا به، والرسل كلهم يصدِّق بعضهم بعضًا، ويؤمن بعضهم ببعض، فالرسل - عليهم الصلاة والسلام - سلسلة واحدة من أولهم إلىٰ آخرهم، أولهم يُبشر بلاحقهم ومتأخرهم، وآخرهم يصدِّق بأولهم ويؤمن بأولهم، فهم سلسلة واحدة، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنهم ما كذبوا إلا نبيهم فقط، لكن لّما كذّبوا نبيهم كذّبوا جميع المرسلين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾» [النساء: ١٥٠، ١٥١]».

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ ومن جرىٰ مجراهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، إلىٰ عدل ونَصَف، ونستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ﴾، لا وثنًا، ولا صليبًا، ولا صنمًا، ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (٢٤٠).

إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. وقال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله. وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أي: فإن تولوا عن هذا النصف، وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم علىٰ استمراركم علىٰ الإسلام الذي شرعه الله لكم».

وقال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**المعنىٰ**: هلموا إلىٰ كلمة عادلة، مستوية بيننا وبينكم، لا تختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن».

ثم قال: «﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا عن التوحيد، وعما أتيتم به من الهدىٰ والبيان، ﴿فَقُولُواْ﴾ علىٰ وجه التضليل لآرائهم، والتقريع لهم، ﴿ٱشْهَدُواْ﴾ اعْلَموا، وأَعْلموا من وراءكم، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مستسلمون منقادون للحق، إذا تعاصيتم عليه، ونكصتم عنه.

وبهذه الآية العظيمة دعا رسول الله ﷺ قيصر - ملك الروم - إلىٰ الإسلام حين كتب إليه يقول: «**من محمد رسول الله إلىٰ قيصر عظيم الروم: سلامٌ علىٰ من اتّبع الهدىٰ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تَسْلَم، يؤتك الله أجرك مرَّتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين،** و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

---

(١) رموز الكنوز (١/ ٢٠٣).

بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾»[1].

ونحن إذ نتكلم عن اتفاق الملل في توحيد الله، لا بد من ذكر الشبهة الجامعة لأهل الملل التي أوقعتهم في الشرك وهي الغلو في الصالحين، وتوهم أن منزلة الأنبياء والصالحين وجاههم عند الله موجب لاتخاذهم وسائط بين الخلق وبين الله.

فالنصارىٰ ادّعوا أن المسيح عيسىٰ ابن مريم ولد الله؛ لأنه وُلد من غير أب، واليهود قالوا: عزير ابن الله. لأنه لما كتب لهم التوراة فوجدوه كما في نسخهم، قالوا: إنما صنع هذا؛ لأنه ابن الله. قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]، وأخبر النبي ﷺ أن اليهود والنصارىٰ غلوا في أنبيائهم، واتخذوا قبورهم مساجد.

قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وهكذا جميع المشركين حين يعبدون غير الله تعالىٰ يزعمون أنهم ما عبدوا ذلك المعبود إلا لقربه من الله تعالىٰ وعلو مكانته عنده، كما قال تعالىٰ في أول سورة الزمر: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣]،

---

(١) آل عمران: (٦٤).

(٢) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ١٩١).

فجعلهم الله تعالىٰ كاذبين وكافرين أشد الكفر بقولهم ذلك».

والأمر الآخر الذي لا بد أن ننبّه عليه هو اتفاق الأنبياء في باب التوحيد وبراءتهم من غلو المنتسبين إليهم، وبراءتهم من الشرك الذي يضاد ما بُعثوا به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

فهذه الآيات صريحة في براءة الأنبياء من غلو أقوامهم فيهم وتألههم له، والإشراك بهم مع الله، مما هو مضاد لدعوة النبيين جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرءون ممن عبدوهم ويعادونهم، ولا يوالونهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]».

---

(١) آل عمران: (٧٩، ٨٠).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٢١٧).

وقال أيضًا[١]: «فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم، ويقولون أنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك، فالأنبياء يتبرءون منهم، ومحمد ﷺ بريء من عمل من يخالف أمره وسنته، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، ولا ينفع من عصىٰ الرسول أن يقول: قصدي تعظيمهم. فإنه إنما أمر بطاعتهم، ولم يؤمر أن يعبد الله بالظن وما تهوىٰ الأنفس».

وقد نبّه علىٰ هذا الأمر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره][٢]، فإنه ساق في هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال في مسائله: «**الثانية عشرة**: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للدَّاعي وعداوته له»[٣].

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٤]: «إذا حُشر الناس يوم القيامة، وبُعث هؤلاء الموتىٰ يوم القيامة كانوا أعداءً لمن عبدهم، يتبرءون من هؤلاء الذين عبدوهم في الدنيا أحوج ما يكونون إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٢١٩).

(٢) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) القول السديد، ص (٥٢).

(٤) إعانة المستفيد (١/ ١٩٨، ١٩٩).

وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، يعني: الشياطين، ﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾، لأن الشياطين هي التي دعتهم إلىٰ هذا الشيء فأجابوا، فهم لم يعبدوا الملائكة، وإنما عبدوا الشياطين الذين أمروهم بذلك، فالحاصل أنه في يوم القيامة يتبرأ كل من عُبد من دون الله ممن عبده، ويحصل بينهم عداوة، بين الداعين والمدعوين».

وكذلك نبّه الإمام علىٰ ما يوجب رجوع المشركين عن الاستغاثة بالملائكة والنبيين إن كانوا يعقلون، وهو أن هؤلاء أنفسهم يرجون الله ويطلبونه، فالإمام في [باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧][2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزير وغيرهما، فنهىٰ الله عن ذلك، وأخبر تعالىٰ أن هؤلاء يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ويتقربون إليه، وأنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله عنهم».

* * *

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٣) التوسل والوسيلة، ص (٢٩٠).

تنبيه الإمام إلى أن الرافضة هم الأساس في شرك القبور

نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن الرافضة هم الأساس في شرك القبور، فإنه في [باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!][1]، ساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[2]، ثم قال الإمام معلقًا: «فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل»[3].

وبعد ذلك ساق حديثين في الصحيح في التحذير من اتخاذ القبور مساجد، فقال[4]: «ولهما عنها، قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخَّذ مسجدًا. أخرجاه.

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٢، ٣) كتاب التوحيد، ص (٣٧، ٣٨).

(٤) القول السديد، ص (٧١).

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت مُتَّخذًا من أمتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»».

ثم قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبهًا من أين دخل شرك القبور على الأمة في زماننا هذا[١]: «**وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الذين يأمرون بالحج إلى القبور، ودعاء الموتى، والاستغاثة بهم، والتضرع لهم، ويجعلون السفر إلى قبورهم كالسفر إلى المساجد الثلاثة أو أفضل منه هم مشركون من جنس عبَّاد الأوثان، قد جعلوا القبور أوثانًا، وهذا هو الذي دعا الرسول ربه فيه، فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، فقبره لا يمكن أحدٌ أن يصل إليه؛ حتى يتخذه وثنًا، وإنما يصل إلى مسجده، لكن يقصد المسافر إليه أن يتخذه وثنًا كقبر غيره، أو يظن ذلك، ولكن لا يمكنه ذلك، بخلاف قبور غيره، فإن فيها ما اتُّخذ أوثانًا.

وقد ثبت بل استفاض عن النبي ﷺ أنه لعن الذين يتخذون قبور الأنبياء

---

(١) في المسألة الحادية عشرة من مسائل الباب.

(٢) الرد على الأخنائي، ص (١٩٩-٢٠٢).

مساجد، ونهىٰ أمته عن ذلك، فإذا كان من اتخذها مسجدًا يُصلي فيه لله تعالىٰ ويدعو الله ملعونًا - فالذي يقصدها ليدعو فيها غير الله، ويتضرع فيها لغير الله، ويخضع ويخشع فيها لغير الله أحق باللعنة، وإنما لعن الأول؛ لأن فعله ذريعة إلىٰ هذا الشرك الصريح، ومعلوم أن المسافرين لقبور الأنبياء والصالحين يفعلون هذا وأمثاله ويسافرون لذلك، فمن أمر بذلك واستحبه كان آمرًا بالشرك بالله واتخاذ أنداد من دونه، آمرًا بما حرّم الله ورسوله ولعن فاعله.

والشرك أعظم الذنوب، كما في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»، وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ومعلوم أن الأنبياء إنما وجب تعظيمهم؛ لأنهم صفوة عباد الله، ولأنهم أمروا بتوحيده وعبادته، وبلّغوا أمره ونهيه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٥]، فالغلاة في المخلوقين - كالنصارىٰ وغيرهم من أهل البدع - صاروا بغلّوهم مشركين، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[1].

ومعلوم أنه إذا فُرض ذنبان: أحدهما: الشرك، والغلو في المخلوق. **والثاني:** نقص رسول من بعض حقه - كمن يعتقد في المسيح أنه صُلب مع أنه رسول الله، ومعلوم أن نجاته ورفعه إلىٰ السماء أعظم قدرًا من أن يُسلط العدو عليه حتىٰ يُصلب - فلو نقصه رجل ذلك، واعتقد أنه صُلب، ولم يعلم أن القرآن نفىٰ صلبه كان هذا الخطأ دون خطأ من غلا فيه وأشرك به، ولو قال قائل: إنه لا تُشرع زيارة القبور بحال لا بسفر ولا غير سفر. وقال آخر: بل يُشرع السفر إليهم لدعائهم والتضرع لهم كما يفعله المشركون وأهل البدع. لكان هذا الشرك أعظم خطأً وضلالًا من ذلك النقص، فالشرك عند الله أعظم إثمًا، وصاحبه أعظم عقوبة، وأبعد عن المغفرة من المتنقص لهم عن كمال رتبتهم، فإنه إذا كان كلاهما كافرًا فكفر المشركين أعظم، وكل شرك بالله فهو تكذيب للرسل وتنقص لهم، وليس كل من كذب بعض ما جاءوا به يكون مشركًا كافرًا، مثل كثير من أهل الكتاب.

فالشرك أعظم الذنوب، وهؤلاء الجهال المضاهون للنصارىٰ غلوا في

---

(١) النساء: (١٧١، ١٧٢).

التخلص من النقص حتىٰ وقعوا في الشرك والغلوّ وتكذيب الرسول - الذي هو أعظم إثمًا - كما أصاب النصارىٰ، فكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار، وكان ما فرُّوا إليه من الشرك والغلو وتكذيب الرسل وتنقصهم - أعظم إثمًا وعقابًا مما فرُّوا منه، مما ظنوه تنقصًا، ولو فروا مما هو نقص لبعض أقدارهم فوقعوا في الشرك - كان ما فروا إليه شرًّا مما فروا منه.

والدين الحق دين الإسلام عبادة الله وحده لا شريك له، وتصديق رسله، كما يدل عليه قولنا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

والله سبحانه يجمع بين هذين الأصلين في غير موضع، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، فبدأ بالتوحيد، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] الآية، وفي أول آل عمران قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران: ٢]، ثم قال: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] فذكر التوحيد أولًا، ثم ذكر النبوات المتضمنة إنزال الكتاب، وفي سورة القصص قال: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٢-٦٥]، فذكر مناداتهم لتحقيق التوحيد أولًا، ثم مناداتهم ماذا أجابوا المرسلين، وذكر تبرّي المعبودين من العابدين، ثم قال: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾، فذكر هناك اعتراف المشركين بالتوحيد، وهنا اعتراف المعبودين.

وذكر في سورة يونس نظير ما ذكره في البقرة، فقرر التوحيد أولًا، ثم النبوة، فقال بعد قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٢٨-٣٢]، وذكر أنه ليس معهم إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئًا، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فقرر النبوَّة، ثم تحداهم بالمعارضة؛ ليبين عجزهم وعجز جميع الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، و أنه إنما أنزله الله».





المسألة الكبيرة

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة كلمة التوحيد في أول ما بدأ به كتاب التوحيد، فساق الأدلة الدالة علىٰ أنه لا يتحقق التوحيد بدون الكفر بالطاغوت، فقال مستفتحًا كتابه [كتاب التوحيد](١): «وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦](٢)».

ثم قال الإمام في مسائل هذا الباب(٣): «المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]».

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «دلَّت الآية علىٰ أنه لا بُدَّ في الإسلام من النفي والإثبات، فيُثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه، وهو التوحيد الذي تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وهو معنىٰ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطريقة القرآن في مثل

(١، ٢) كتاب التوحيد، ص (٣).

(٣) القول السديد، ص (١٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٦٦، ١٦٧).

هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوىٰ الله، ويُثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمِّنًا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة: «لا إله إلا الله»».

وما أعظم توفيق الإمام بتسميته الكفر بما يعبد من دون الله بالمسألة الكبيرة، فالمشركون في هذا الزمان يرون غاية الإسلام وحقيقته الإيمان بالله - أي: في ربوبيته - ويشركون في ألوهيته، فيستغيثون بغير الله، ويسألون الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من الذرية، والرزق، وشفاء الأسقام، وتفريج الكربات، والبعض يعبد الله ولا يبرأ ممن يشرك بالله بالاستغاثة بغير الله، أو صرف أنواع العبادة لغير الله كالذبح والنذر.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا هو حقيقة معناها - لا إله إلا الله - الذي دلّت عليه هذه الكلمة من الإخلاص، ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص: أن يقولها مخلصًا الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالىٰ.

وهذا التوحيد هو أساس الإسلام، الذي قال فيه الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقالت بلقيس ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ

(١) قرة عيون الموحدين، ص (٢٩، ٣٠).

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسًا، وتبرأ منه، وفارق أهله، وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنىٰ الآية ونحوها إجماعًا، فهذا هو الذي ينفعه قوله: «لا إله إلا الله»، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله، ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترىٰ عليه أكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهل بمعناها وإن قالها فإنها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فإذا انتفىٰ اليقين وقع الشك».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «دلالة الآية علىٰ التوحيد: أن الأصنام من الطواغيت التي تُعبد من دون الله، والتوحيد لا يتم إلا بركنين، هما:

١- الإثبات.

٢- النفي.

إذ النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع المشاركة، مثال ذلك: زيد قائم. يدل علىٰ ثبوت القيام لزيد، لكن لا يدلُّ علىٰ انفراده به. و: لم

---

(١) القول المفيد، ص (٢١).

يقم أحد. هذا نفي محض، ولم يقم إلَّا زيد، هذا توحيد له بالقيام؛ لأنه اشتمل علىٰ إثبات ونفي».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله(١): «أما الذي يعبد الله ويعبد معه غيره، فهذا لم يحقق لا إله إلا الله، وإن كان يتلفظ بها بلسانه، فالذي يقول: لا إله إلا الله. ثم يذهب إلىٰ القبور، ويطلب منها الحوائج، ويتمسح بها، ويستغيث بها، يطلب المدد منها، ويطوف بها - فهذا لم يتبرأ من الشرك، فلا تنفعه «لا إله إلا الله» ولو قالها عدد الأنفاس؛ لأن «لا إله إلا الله» ليست مجرد لفظ يقال باللسان، وإنما لها مقتضًىٰ ومدلول ومعنًىٰ لا بد أن يُحقق، وهو عبادة الله والبراءة من الشرك والمشركين، فالذي لا يتبرأ من الشرك فإنه لم يحقق لا إله إلا الله، وإن تلفظ بها، وجعل له منها أورادًا صباحية ومسائية، ومعه سبحة طول الباع يسبِّح بها، ومعه أوراد يردِّدها وفيها لا إله إلا الله آلاف المرّات - لا تنفعه أبدًا حتىٰ يفعل ما فعل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيتبرأ من الشرك».

ولقد أبدع الإمام في سياق الأدلة وتناسقها فيما وضعت له، فلا تتأمل كل دليل في الباب وحده مقطوعًا عن ضمه إلىٰ سائر أدلة الباب، فالإمام ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ ليبرهن علىٰ أن التوحيد لا يكفي فيه مجرد إثبات الألوهية لله، بل لا بد أن يكون معه كفر بكل ما يُعبد من دون الله، وتأمل هذه الآية مضمومة مع ما قبلها وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] - يتبين لك جليًّا أن كل من صرف نوعًا من العبادة

---

(١) إعانة المستفيد (١/ ١٢٩).

كالنذر، والذبح، والطواف لغير الله - فقد أشرك.

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله[١]: «قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، **هذه الآية تفسير للآية قبلها**، فالآية قبلها فيها بيان معنىٰ العبادة، وفيها بيان الغرض من إيجاد الخلق، وأنه لأجل العبادة التي أرسلت بها الرسل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، فالله تعالىٰ ابتعث الرسل بهاتين الكلمتين: اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت، ففي قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، إثبات، وفي قوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ نفي، وهذا هو معنىٰ التوحيد المشتمل علىٰ إثبات ونفي».

* * *

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (١٤).

تحذير الإمام من الشرك الأصغر محاذرةً للشرك الأكبر

حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشرك الأصغر، محاذرة من الشرك الأكبر، فإن من حذّر الناس من ذرائع الشرك فتحذيره من الشرك بنوعيه أعظم.

والشرك شر لا يتهاون فيه المؤمنون، وصغيره يعود كبيرًا مع الاعتياد والممارسة، وتذهب حرمة التوحيد من القلب حينئذ، فلا تسأل عما يقع من الشرك بعد ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من خلص من الأكبر- الشرك، ولكن كثر الأصغر حتىٰ رجحت به سيئاته - دخل النار».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ولقد بالغ ﷺ، وحذَّر وأنذر، وأبدىٰ وأعاد، وخصَّ وعمَّ في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: «هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل»».

(١) بواسطة تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٠٩).

ولا يظن ظان أن تقسيم التوحيد إلىٰ نوعيه أصغر وأكبر لمقتضىٰ الأدلة هو من ترقيق الشرك، هذا لا يرد إلا علىٰ ذهن الجهال، أما الموحّدون فيعلمون أن الشرك ولو كان أصغر فإن قبحه عظيم، وبهذا يتبين لماذا أفرد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد أبوابًا خاصة لبعض أنواع الشرك الأصغر كالتطير؟[١]، فنقول: الجهل بما يوقعه الشرك الأصغر من إفساد دين وعقل وقلب صاحبه - هو الذي حجب بصائر هؤلاء عن معرفة عظم قبح الشرك ولو كان صغيرًا، فالتطير الذي هو كامن في نفوس كثير من الخلق إلا ما شاء الله، قال فيه النبي ﷺ: «**ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه**»[٢].

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٨هـ) معلقًا علىٰ هذا الحديث ومبينًا مضار الشرك الأصغر**[٣]: «ولا يضر - التطيّر - إلا من أشفق منه وخاف واعتنىٰ به، فيكون أسرع إليه من السيل إلىٰ منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنىٰ ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه يتعلق القلب به خوفًا وطمعًا، ولكونه منافيًا للتوكل علىٰ الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه - أفرده

---

(١) الباب السابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٥٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان (ص ٩٨٩- رقم ٥٨١٣).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢١٢).

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر، فهو من أقبح الشرك».

وحسبك من شر الشرك الأصغر أن الله يُشهّر بصاحبه في الموقف، في يوم مجموع له الناس ويوم مشهود، قال النبي ﷺ: «**من يرائي يرائي الله به**[(١)]، **ومن سمّع سمّع الله به**»[(٢)].

ولا أعظم قوةً في التحذير من الشرك الأصغر، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجال**؟ قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيُصلي فيزيِّن صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**»[(٣)].

وكفىٰ بهذا الحديث تحذيرًا من الشرك الخفي، فإفساد الدجال لأديان الناس معلوم، والنبي ﷺ خشي علىٰ أمته من الشرك الخفي أعظم من خشيته عليهم من الدجال!!

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إنما كان الرياء كذلك لخفائه، وقوَّة الدَّاعي إليه، وعُسْرِ التخلُّص منه لما يزيِّنهُ الشيطان والنَّفْسُ الأمَّارةُ في قلب صاحبه».

---

(١) يسير الرياء شرك أصغر، أما كثيره وابتداء قصد العمل لغير الله فهذا أكبر.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة (ص١١٢٦- رقم ٦٤٩٩)، ومسلم كتاب الزهد، باب تحريم الرياء (ص١٢٩٢- رقم ٧٤٧٦).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٥٧).

وإذا عرفت شروط العمل الصحيح عرفت عظم خطر الشرك الأصغر، فإن العمل الصالح شرطاه الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والمتابعة للنبي ﷺ، والشرك الأصغر كيسير الرياء يحبط العمل.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «سُمّي الرياء في الطاعات شركًا، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالىٰ[(٢)]، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس.

فالمرائي عبد الله لا غيره، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادةً، وسمّاها شركًا».

وأيًّا كان نوع الشرك أصغر أو أكبر، خفيًّا كان أو جليًّا، فهو أكبر الكبائر، وحسبك من شر أنه أكبر الكبائر، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٣)]: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا».

وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يرد التهوين من شأن اليمين الغموس، فهي هلكة، لكن ما هو شر منه الحلف بغير الله ولو صدقًا.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «من المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر».

وحسبك من شر الشرك الأصغر أن الله يترك صاحبه، وكفىٰ بذلك

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (١٨)، ط: دار الخلفاء.

(٢) يفرّق بين من قصد طاعة الله ثم وقع منه الرياء، وبين من كان الباعث علىٰ عمله ابتداء الرياء، كما نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علىٰ ذلك في باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

(٣) كتاب التوحيد، ص (٧٧).

(٤) قرة عيون الموحدين، ص (٢٠٦).

حرمانًا وخسرانًا، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه**»(١).

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «لمّا كان المرائي قاصدًا بعمله الله تعالىٰ وغيره، كان قد جعل لله تعالىٰ شريكًا، فإذا كان كذلك، فالله تعالىٰ هو الغني علىٰ الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التامِّ أن يقبل العمل الذي جُعل له فيه شريك، فإنَّ كماله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك، ولا يلزم من اسم التفضيل إثبات غنىٰ للشركاء، فقد تقع المفاضلة بين الشيئين وإن كان أحدهما لا فضل فيه، لقوله تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]».

وفي حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه**»(٣).

والإنسان إذا عرف ضرر الشرك الأصغر الدنيوي والأخروي، حاذر الشرك الأكبر، ونفر منه أشد النفور، وصار في جانب التوحيد الذي يضاد الشرك من كل وجه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب تحريم الرياء (ص ١٢٩٢ - رقم ٧٤٧٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٤٨، ١٠٤٩).

(٣) رواه النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (ص٤٣٢ - رقم ٣١٤٢).

وانظر إلىٰ تنبيه الإمام علىٰ هذا الأمر في [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][١]، حيث ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[٢].

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «النزع: الجذب بقوة والقلع، من نزعت الشيء من موضعه نزعًا، من باب ضرب، قلعته وانتزعته مثله، أي: انبذها عنك. وهو لفظ أحمد، وهو أبلغ، فإنه يتضمن النزع وزيادة، وهو الطرح والإبعاد، وهذا زجر له وإنكار عليه، وقد أخبره ﷺ أنها لا تنفعه بل تضره، وأن هذا الداء الذي لبسها له لا يزول، بل لا تزيده إلا وهنًا - أي: ضعفًا -، معاملة له بنقيض قصده؛ لأنه علّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، وكذا كل أمر نهىٰ عنه فإنه لا ينفع غالبًا، وإن نفع بعض النفع فضرره أكبر من نفعه، وابتلاء من الله وامتحان.

وهكذا شأن الأمور الشركية، ضررها علىٰ أصحابها في الدنيا - في الغالب - والآخرة، وذلك من أجل التفات قلوبهم إلىٰ غير الله، ومن تعلق شيئًا وُكل إليه، ومن وُكل إلىٰ غير الله هلك، **وإذا كان هذا في الأصغر الذي يجامع أصل التوحيد، فكيف بالأكبر الذي ينافيه بالكلية؟!**».

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥، ١٦).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٧٦، ٧٧).

فلا يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا غيره من أئمة الدعوة التهوين من شأن الشرك بتقسيمه إلىٰ أصغر وأكبر، وإنما قصد الإمام إعطاء الأعمال والأقوال والإرادات حكمها الشرعي، وساق الأدلة التي تدل علىٰ خطر الشرك ولو كان أصغر، فإنه في [باب الخوف من الشرك][1] ساق قول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسئل عنه، فقال: **الرياء**»[2]، فانظر إلىٰ انتقاء الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الحديث، وانظر قوة استدلاله في التحذير من الشرك الأصغر، فكيف بالأكبر، فأي دلالة أعظم في الزجر من الشرك الأصغر بقول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف**». فأفعل التفضيل هنا جاء مطلقًا؛ ليدل علىٰ تعاظم الشرك، وأنه أعلىٰ ما يخشاه النبي ﷺ علىٰ أمته؟

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[3]: «الرياء شرك خفي؛ لأن الشرك علىٰ نوعين: شرك ظاهر، وشرك خفي. **الشرك الظاهر**: الذي يتمثل في الأعمال والأقوال، بأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو يستغيث بغير الله، هذا ظاهر يراه الناس ويسمعونه، لكن هناك شرك خفي لا يدري عنه الناس؛ لأنه في القلب، لا يعلمه إلا الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهو الشرك في النيّة والإرادة، فالإنسان إذا سلم من الشرك الأكبر فإنه قد لا يسلم من الشرك الأصغر الذي يكون في القلوب، وهذا مما يُعطي المؤمن الحذر الشديد.

والرياء من صفات المنافقين، يقول الله تعالىٰ في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ

---

(١) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠، ١١).

(٣) إعانة المستفيد (١/ ٩٧).

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]، والله توعّد المرائين، قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون: ٤-٦]، فتوعدهم الله بالويل، وجاء في الحديث أن الله يقول للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراءونهم في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاءً؟**».

فهذا الحديث فيه الخوف من الشرك؛ لأن النبي ﷺ خافه علىٰ سادات المهاجرين والأنصار، وعلىٰ أفضل هذه الأمة، فكيف بمن دونهم؟ وإذا كان هذا في الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الملّة، فكيف بالشرك الأكبر - والعياذ بالله -؟»[1].

ومن أهم مقاصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر - دفع تلبيس الأئمة المضلين، فإنهم هوّنوا علىٰ الناس الشرك الأكبر وسمّوه أصغر.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يفعل في زماننا شرك، لكنه شرك أصغر. في غاية الفساد، فلو نقدر أن في هذا أصغر أو أكبر، لكان فعل أهل مكة مع العزىٰ، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مناة - هو الأصغر، وفعل هؤلاء هو الأكبر، ولا يستريب في هذا عاقل، إلا إن طبع الله علىٰ قلبه».

---

(١) الدرر السنية (١٣/ ١٤٠).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢، ١٩٣).

والمقصود من تبيين نوعي الشرك أصغره وأكبره - حسم مادة الشرك لا الترقيق له، وبيان موارد الشريعة في أدلتها، ونهيها عن صغير الشرك وكبيره، ودقيقه وجليله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «فهذه المفسدة - التي هي مفسدة الشرك، كبيره وصغيره - هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك؛ كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فينهىٰ المسلم عن الصلاة حينئذ - وإن لم يقصد ذلك - سدًّا للذريعة.

فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، والصالحين، متبركًا بالصلاة في تلك البقعة - فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر - أيِّ قبر كان - لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلًا، بل مزية شر».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «تجريد التوحيد، فإنه ﷺ كان أحرص الخلق علىٰ تجريده، حتىٰ قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتىٰ قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟!**

---

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٤٤، ٦٤٥).

بل ما شاء الله وحده». ونهىٰ أن يُحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك، ونهىٰ أن يُصلىٰ إلىٰ القبر أو يتَّخذ مسجدًا أو عيدًا، أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه علىٰ هذا الأصل الذي هو قطب رحا النَّجاة، ولم يقرره أحد ما قرَّره ﷺ بقوله وفعله، وسدَّ الذرائع المنافية له، فتعظيمه ﷺ بموافقته علىٰ ذلك لا بمناقضته فيه».

والمقصود من بيان نوعي الشرك أصغره وأكبره - هو التحذير من اغترار الإنسان بمحاذرته من الشرك الأكبر فيطمئن الإنسان لذلك، فإذا بالشيطان يسارقه إلىٰ أصغره، فيرد علىٰ قلبه المرة تلو الأخرىٰ حتىٰ يضعف مادة التوحيد في قلبه فيرديه، فينقله بعد ذلك إلىٰ الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

قال العلامة مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لعلك لا تجد في عيوب النفس ونقائص الإنسان ما يضاهي الشرك في اقتضاء طبع المتدين له وخفاء مساره إلىٰ نفسه ودفاع المتأولين عنه، فكان لزامًا علىٰ من يهتم لسعادته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشديدة إلىٰ معرفة الشرك ومظاهره، وأن يعتني كل الاعتناء بالبحث عن كل ذريعة إلىٰ هذا الداء ليتقيه أيما اتقاء، فلا يسري إلىٰ جنانه، ولا يعلق بلسانه، ولا يظهر علىٰ شيء من أركانه».

فالذي يُعظِّم التوحيد في قلوب المؤمنين هو الناصح لهم، والذي يهوِّن الشرك في نفوس المؤمنين - ولو كان أصغر - فهو الغاش لهم القاصد إلىٰ هلاكهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) الشرك ومظاهره، ص (٣٨).

وقد دلّ علىٰ هذا الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد](١)، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣هـ)(٢): «فتأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمَّة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويُبلِّغ البلاغ المبين، ويسُدَّ الطُّرق الموصلة إلىٰ الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشدَّ المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمَّةُ في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلوَّ فيها هو الذي جرَّ الناس في قديم الزمان وحديثه إلىٰ الشِّرك، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك، وحمىٰ جناب التوحيد حتىٰ في قبره الذي هو أشرف القبور، حتىٰ نهىٰ عن جعله عيدًا، ودعا الله أن لا يجعله وثنًا يعبد».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](٣)، ذكر في مسائله(٤): «المسألة الثامنة: فيه شاهد لما نُقل عن بعض السلف: أن البدع سبب الكفر».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا(٥): «إن البدعة لا تزال

---

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧١٢، ٧١٣).

(٣) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٤) القول السديد، ص (٦٧).

(٥) القول المفيد، ص (٢٤٥).

في القلب، يظلم منها شيئًا فشيئًا، حتىٰ يصل إلىٰ الكفر، واستدلُّوا بقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

وقالوا أيضًا: «إن المعاصي بريد الكفر»، وبريد الشيء ما يُوصل إلىٰ الغاية، والمعاصي كما أخبر النبي ﷺ تتراكم علىٰ القلب، فتنكت فيه نكتة سوداء، فإن تاب صقل قلبه وابيضّ، وإلا، فلا تزال هذه النكتة السوداء تتزايد حتىٰ يصبح مظلمًا.

وكذلك حذَّر من محقرات الذنوب، وضرب لها مثلًا بقوم نزلوا أرضًا، فأرادوا أن يطبخوا، فذهب كل واحد منهم، وأتىٰ بعود، فأتىٰ هذا بعود، وهذا بعود، فجمعوها، فأضرموا نارًا كبيرة، وهكذا المعاصي، فالمعاصي لها تأثير قوي علىٰ القلب: وأشدها تأثيرًا الشهوة فهي أشدّ من الشبهة، لأن الشبهة أيسر زوالًا علىٰ من يسَّرها الله عليه، إذ إن مصدرها الجهل، وهو يزول بالتَّعلُّم. أما الشهوة، وهي إرادة الإنسان الباطل، فهي البلاء الذي يُقتل به العالم والجاهل، ولذا كانت معصية اليهود أكبر من معصية النصارىٰ، لأن معصية اليهود سببها الشهوة وإرادة السوء والباطل، والنصارىٰ سببها الشبهة، ولهذا كانت البدع غالبها شبهة، ولكنّ كثيرًا منها سببه الشهوة، ولهذا يُبيّن الحق لأهل الشهوة من أهل البدع، فيصرُّون عليها، وغالبهم يقصد بذلك بقاء جاهه ورئاسته بين الناس دون صلاح الخلق، ويظنُّ في نفسه، ويملي عليه الشيطان أنه لو رجع عن بدعته لنقصت منزلته بين الناس، وقالوا: هذا رجل متقلِّب وليس عنده علم، لكنّ الأمر ليس كذلك، فأبو الحسن الأشعري مَضْرِب المثل في هذا الباب، فإنه لما كان من المعتزلة، لم يكن

إمامًا، ولما رجع إلىٰ مذهب أهل السنة صار إمامًا، فكل من رجع إلىٰ الحق ازدادت منزلته عند الله – سبحانه –، ثم عند خلقه».

ومقصود الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتقسيم الشرك إلىٰ أصغر وأكبر – هو الدلالة علىٰ حكمةالشريعة، وأنها لا تحرم الشرك الأكبر، وتأذن في الأصغر الذي يكون سببًا له، بل تنهىٰ عن النوعين جميعًا، ويستدل بنهيه عن الأصغر بنهيه عن الأكبر من باب أولىٰ.

ومن عظيم تحقيق التوحيد في قلوب الصحابة استدلالهم بأدلة تحريم الشرك الأكبر علىٰ تحريم الشرك الأصغر، وهذا المعنىٰ قد أفصح عنه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونطق به في [باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما][(١)]، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ثم ساق في خاتمة الباب أثر حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحُمَّىٰ، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][(٢)]، وقال في المسائل منبهًا علىٰ فقه الصحابة في الاستدلال في التحذير من نوعي الشرك «المسألة التاسعة: تلاوة حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الآية دليل علىٰ أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر علىٰ الأصغر، كما ذكر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في آية البقرة»[(٣)].

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥). (2) كتاب التوحيد، ص (١٦).

(٣) القول السديد، ص (٣٥).

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: تسألهم: من خلقهم؟ فيقولون: الله. وهم مع ذلك يعبدون غيره. وفي استدلال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهذه الآية علىٰ أنه شرك - دليل علىٰ صحة الاستدلال علىٰ الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر؛ لشمول الآية النوعين، ودخوله في مسمىٰ الشرك، ودليل علىٰ صحة استدلال المصنف بالآية أول الباب، وكمال علم الصحابة بالتوحيد، وما ينافيه أو ينافي كماله».

فالقلوب الحية المشرقة بنور التوحيد والقرآن تنفر من نوعي الشرك أصغره وأكبره، وتنكره، وهذا منهج الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، واحذر مناهج أصحاب القلوب الميتة الذين لم يكفهم سكوتهم عن الشرك الأكبر فضلًا عن الأصغر، بل أضافوا إلىٰ ذلك إنكارهم علىٰ من أنكر الشرك، والله المستعان.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم علىٰ من أنكر الشرك الأكبر، فصاروا هم والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك، وهؤلاء ينكرون علىٰ من أنكر الشرك الأكبر، ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة.

وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالىٰ وإخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن الشرك به».

---

(١) حاشية كتاب التوحيد، ص (٨١).

(٢) قرة عيون الموحدين، ص (٦٧).

تنبيه الإمام إلى الفرقان بين زيارة الموحدين والمشركين

القبوريون ومن يقتات من شرك القبوريين يضلل العامة والجهال، فيزين لهم الشرك بالله والاستغاثة بالموتىٰ، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله من طلب الذرية، والمال، والشفاء من الأسقام، وتفريج الكربات، ويقولون لهم: إن هذا من زيارة القبور، ومن توقير الأولياء، ومحبة الصالحين.

وأهل الحق يميّزون بين الزيارة الشرعية، والزيارة الشركية، ولأهمية هذا الموضوع وكثرة ما يقع عند قبور الموتىٰ من الشركيات، أولاه الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عناية كبيرة، وعقد له أبوابًا خاصة صريحة في تصحيح عقائد الناس، فعقد [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][١]، ثم أتبعه بـ [باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][٢]، وساق فيه الأحاديث الواردة بلعن اليهود والنصارىٰ؛ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وتحذير النبي ﷺ أمته قبل وفاته بخمس من اتخاذ القبور مساجد، ثم أردفه بـ[باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله][٣]، وساق فيه دعاء النبي ﷺ

---

(١) كتاب التوحيد، الباب الثامن عشر، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، الباب التاسع عشر، ص (٣٧).

(٣) كتاب التوحيد، الباب العشرون، ص (٤٠).

ربّه أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، ولعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، فهذا كله فرقان واضح في التمييز بين الزيارة الشرعية والزيارة الشركية والبدعية، فاتخاذ القبور مساجد يكون ببناء المساجد عليها أو بالصلاة عند القبور، والنبي ﷺ قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمّام**».

ومع هذا النصح التام عقد بعد هذه الأبواب باب [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلىٰ الشرك][١]، وساق فيه الأحاديث في نهي النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا.

وقد أكّد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمييزه بين الزيارة الشرعية للقبور، والزيارة الشركية البدعية، فقال في هذا الباب [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد، وسدِّه كل طريق يوصل إلىٰ الشرك]، في مسائله: «**المسألة الرابعة**: نهيه عن زيارة قبره علىٰ وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة»[٢].

ثم قال في المسألة السابعة: «أنه متقرر عندهم أنه لا يصلىٰ في المقبرة»[٣].

قال شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٤]: «لا تعجبوا من كون الشيخ

---

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) القول السديد، ص (٧٦).

(٣) القول السديد، ص (٧٧).

(٤) إعانة المستفيد (١/ ٣٠٩).

كرّر هذه الأبواب واحدًا بعد واحد؛ لأن هذه المسألة عظيمة، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها، وبسبب الغلو في الصالحين، والغلو في رسول الله ﷺ، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور، منذ أن بُنيت المساجد علىٰ القبور، ومنذ أن ظهر التصوف في هذه الأمة، والشرك يكثر ويتعاظم في هذه الأمة إلَّا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر خطير جدًّا، ولذلك كرّر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضوع، وأبدىٰ وأعاد؛ لأنه هو المرض الذي أصاب الأمة من أجل أن ينبّه العلماء، وينبّه المسلمين علىٰ هذا الخطر الشديد؛ ليقوموا بعلاجه، والدعوة إلىٰ التوحيد ونفي الشرك من هذه الأمة، وإلا إن سكت العلماء عن هذا الأمر فإنه يتعاظم، وبالتالي في النهاية يكثر الجهل».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ولم يكن أحد من الصحابة يقصد شيئًا من القبور، لا قبور الأنبياء ولا غيرهم، لا يصلي عنده ويدعو عنده، ولا يقصده لأجل الدعاء عنده، ولا يقولون: إن الدعاء عنده أفضل، ولا الدعاء عند شيء من القبور مستجاب. بل قد علموا أن النبي ﷺ لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد لله فيصلي عندها لله، والمصلي لله إنما يدعو الله، ويتضرع له، ويستغيث به، فإذا كان النبي ﷺ قد لعن من فعل هذا عندها؛ لئلا يتشبه بمن يقصد دعاءها - فالذي يقصد دعاءها قد فعل نفس الشرك الذي لأجله نهي عن اتخاذها.

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٥٥).

ومن العجب أن كثيرًا من الناس ينهىٰ عن الصلاة عندها، ثم يقصد الدعاء عندها، ويقولون: إنه يستجاب الدعاء هناك. فهل يقول مسلم أو عاقل إن مكانًا نهينا أن نعبد الله فيه بالصلاة لله يكون الدعاء فيه مستجابًا، ويكون مقصودًا للدعاء؟!

وهذا بمثابة من قال: أنا لا أصلي عند طلوع الشمس، وعند غروبها، ولكن أسجد للشمس حينئذ، وهو إنما نهي عن الصلاة؛ لئلا يتشبه بمن يسجد للشمس».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٤٤ هـ)**[1]: «وزيارة القبور علىٰ وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالشرعية: المقصود بها السلام علىٰ الميت والدعاء له، كما يقصد بالصلاة علىٰ جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم علىٰ الميت ويدعو له، سواء كان نبيًّا أو غير نبي، كما كان النبي ﷺ يأمر أصحابه إذا زاروا أن يقول أحدهم: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منَّا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم**». وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع، ومن به من الصحابة وغيرهم، أو زار شهداء أحد وغيرهم.

وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة

---

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (٤٧، ٤٨).

المسلمين، بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين، بل الصلاة في المساجد التي علىٰ القبور، إما محرمة، وإما مكروهة.

وأما الزيارة البدعية: فهي أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء به، فهذا ليس من سنة النبي ﷺ، ولا استحبه أحد من سلف الأمة، بل هو من البدع المنهي عنها باتفاق سلف الأمة وأئمتها، وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ. وهذا اللفظ لم يُنقل عن النبي ﷺ، بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله: «من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له علىٰ الله الجنة»، وقوله: «ومن زارني بعد مماتي، فكأنما زارني في حياتي، ومن زارني بعد مماتي حلَّت عليه شفاعتي». ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة، بل موضوعة ليست في شيء من دواوين المسلمين التي يعتمد عليها، ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة، ولا نحوهم، ولكن روىٰ بعضها البزار والدارقطني، ونحوهما بإسناد ضعيف؛ لأن من عادة الدارقطني وأمثاله أن يذكروا هذا في السنن ليعرف[1]، وهو وغيره يبيّنون ضعف الضعيف من ذلك».

* * *

(١) يعني: يُعرف مخرجه وإسناده، ومن رواه.

التمييز بين حب الموحدين لله وحب المشركين والمبتدعين

منزلة المحبة بالنسبة للإيمان معلومة فهي قطبها ورحاها مع الخوف والرجاء، لذلك قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب، والخوف، والرجاء فهو مؤمن».

والشرك في المحبة فاشٍ في المخلوقين، بل هو أكثر أنواعها، ومن ذلك تعظيم المخلوق والخضوع والتأله له، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في المحبة والتعظيم».

من أجل هذا عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا خاصًّا في كتاب التوحيد في التمييز بين المحبة الشرعية والمحبة الشركية، والبدعية[٣].

والقبوريون يشدون الرحال للقبور؛ لعظمة محبتها في قلوبهم، ولإدمانهم الالتفات عن الله إلىٰ مخلوق لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وصنف ثانٍ **يحجون إلىٰ قبورهم لما عندهم من المحبة**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢١).
(٢) قرة عيون الموحدين، ص (١٦٤).
(٣) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩)، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
(٤) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٩-٦١).

للميت والشوق إليه، أو التعظيم والخضوع له، فيجعلون السفر إلىٰ قبره أو إلىٰ صورته الممثلة تقوم مقام السفر إلىٰ نفسه لو كان حيًّا، ويجدون بذلك أنسًا في قلوبهم وطمأنينة وراحة، كما يحصل لكثير من المحبين إذا رأىٰ قبر محبوبه، وكما يحصل للقريب والصديق إذا رأىٰ قبر قريبه وصديقه، لكن ذاك حب وتعظيم ديني فهو أعظم تأثيرًا في النفوس، ولهذا يجد كل قوم عند قبر من يحبونه ويعظمونه ما لا يجدونه عند قبر غيره وإن كان أفضل.

وكثير من أتباع المشايخ والأئمة يجد عند قبر شيخه وإمامه ما لا يجده عند قبور الأنبياء، لا نبينا ولا غيره، وذلك لأن الوجد الذي يجدونه ليس سببه نفس فضيلة المزور، بل سببه ما قام بنفوسهم من حبه وتعظيمه، وإن كان هو لا يستحق ذلك، بل قد يكون المزور كافرًا مشركًا أو كتابيًّا، والمحبون له المعظمون يجدون مثل ذلك، وهذا كما أن عبَّاد الأوثان الذين جعلوهم أندادًا لله يحبونهم كحبِّ الله يجدون عند الأوثان مثل ذلك، وكذلك عبّاد العجل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، أي: حب العجل، وهذا قول الأكثرين، وموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حرقه ثم نسفه، فإنه كان قد صار فحمًا، وقيل: بل أشربوا برادته التي كانت في الماء، وأن موسىٰ برده لكونه كان ذهبًا، والأول عليه الجمهور وهو أصح.

وقد سئل سفيان بن عيينة عن أهل البدع والأهواء: أن ما عندهم حبًّا لذلك؟ فأجاب السائل: بأن ذلك كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

والله تعالىٰ قد ذكر حب المشركين آلهتهم في كتابه، وبيّن أن من الناس من يتخذ إلهه هواه، أي: يجعل ما يألهه ويعبده هو ما يهواه، فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده، ولهذا ينتقل من إله إلىٰ إله كالذي ينتقل من محبوب إلىٰ محبوب؛ إذ كان لم يحب بعلم وهدًىٰ ما يستحق أن يحب، ولا عبد من يستحق أن يعبد، بل عبد وأحب ما أحبه من غير علم ولا هدًىٰ ولا كتاب منزّل، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدًىٰ من الله ولا برهان.

وقال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأىٰ ما هو أحسن منه، رماه، وعبد الآخر.

قال الحسن البصري: ذاك المنافق نصب هواه، فما هوىٰ من شيء ركبه.

وقال قتادة: أي والله، كلما هوىٰ شيئًا ركبه، وكلما اشتهىٰ شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوىٰ، رواه ابن أبي حاتم، وغيره، وقد قال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، قال تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وقال تعالىٰ عن المشركين: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾، فالذين يحجون إلىٰ القبور هم من جنس الذين يحجون إلىٰ الأوثان.

والمشركون يدعون مع الله إلهًا آخر يدعونه كما يدعون الله، وأهل التوحيد

لا يدعون إلا الله، لا يدعون مع الله إلهًا آخر يدعونه كما يدعون الله، لا دعاء سؤال وطلب، ولا دعاء عبادة وتألُّه، والمشركون يقصدون هذا وهذا، ومنهم من يصوّر مثال الميت ويجعل دعاءه ومحبته والأنس به قائمًا مقام صاحب الصورة، سواء كان نبيًّا أو رجلًا صالحًا أو غير صالح، وقد يصوّر المثال له أيضًا كما يفعل النصارىٰ، وكثيرًا ما يظنون في قبر أنه قبر نبي أو رجل صالح، ولا يكون ذلك قبره بل قبر غيره، أو لا يكون قبرًا وربما كان قبر كافر، وقد يحسنون الظن بمن يظنونه رجلًا صالحًا وليًّا ويكون كافرًا أو فاجرًا، كما يوجد عند المشركين وأهل الكتاب وبعض الضُّلّال من أهل القبلة».

وهؤلاء القبوريون ما أحبوا الرسول ﷺ الحب الشرعي، فإن حب الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الشرعي باتباعه وليس بمخالفته، قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، والنبي ﷺ زجر أشد الزجر أن يُصرف شيء من حق الله لغيره، فقال لمن أراد أن يستغيث به: «**إنه لا يستغاث بي، ولكن يستغاث بالله**»، وقال لمن قال له: «ما شاء الله وشئت»: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**».

وهؤلاء الجهال استعاضوا بالحب الشركي والبدعي عن الحب الشرعي، وكل من اشتغل بالبدع ووقع بالشرك أفسد حياة قلبه وصلاحه، وأبعده ذلك عن أعمال القلوب والجوارح المشروعة، فالمحبة الشركية ضد المحبة الشرعية، المحبة الشرعية تورث تعظيم الله وأداء حقه الخالص، والنفور مما يضاده صغيره وكبيره.

قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٤ هـ)[١]: «ولما كانت حاجة الناس إلىٰ الرسول ﷺ والإيمان به وطاعته، ومحبته وموالاته وتعظيمه وتعزيره وتوقيره - عامة في كل مكان وزمان، كان ما يؤمر به من حقوقه عامًّا لا يختص بقبره، فمن خصّ قبره بشيء من الحقوق كان جاهلًا بقدر الرسول ﷺ، وقدر ما أمر الله به من حقوقه، وكل من اشتغل بما أمر الله به من طاعته شغله ذلك عما نهىٰ عنه من البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره، ومن اشتغل بالبدع المنهي عنها ترك ما أُمر به الرسول ﷺ من حقه، فطاعته هي مناط السعادة والنجاة، والذين يحجون إلىٰ القبور ويدعون الموتىٰ من الأنبياء وغيرهم - عصوا الرسول ﷺ، وأشركوا بالرب ففاتهم ما أُمروا به من تحقيق التوحيد، والإيمان بالرسول ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وجميع الخلق يأتون يوم القيامة فيسألون عن هذين الأصلين ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «وقد يأتي الرّجل القبر محبّة وشوقًا لا لقصد سلام، ولا دعاء لله، ولا لقصد دعائه، فهذا يقال له: إذا صليت وسلّمت حيث كنت، وصل صلاتك وسلامك، وكان ذلك أنفع لك عند الله، وأحبّ إلىٰ رسول الله ﷺ، فإنه يحب من يصلي عليه، ويسلّم عليه، ويسأل الله له الوسيلة، وهو لا يحب من يخالف أمره،

---

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٥٠، ١٥١).

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٧٥).

ويفعل ما نهاه عنه، ويتّخذ قبره عيدًا، ويسافر إلىٰ بيوت الله الثلاثة، ويطلب منه ما يطلب من الله، ويؤذيه بسؤاله، ورفع صوته».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبَّة لله وحده، وهي أصل التألُّه والتعبُّد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحابّ وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محابّ العبد تبعًا لهذه المحبَّة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها الحبّ في الله، فيحب العبد ما يحبُّه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أمَّا اتِّخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحبِّ الله، ويقدِّم طاعتهم علىٰ طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم - فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلَّق بغيره ممن لا يملك له شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلَّق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وعداوة».



(١) القول السديد، ص (٩٨، ٩٩).

تحذير الإمام من عقيدة الأشاعرة

الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول باب من كتاب التوحيد في مسائله - بيّن وجوب توحيد الله في أسمائه وصفاته، وحذّر من عقيدة الأشاعرة في تحريف وتعطيل أسماء الله وصفاته، وهذا يُبيّن لك أهمية توحيد الأسماء والصفات، وهو توحيد المعرفة والإثبات، فيدخل فيه توحيد الربوبية، وهو مستلزم لتوحيد القصد والطلب الذي هو توحيد الألوهية.

فالشرك، وسوء الظن بالله، لا يقع إلا مع الجهل بالله، وإلا فمن عرف الله، وقدره حق قدره، لا يمكن أن يشرك به شيئًا.

ففي باب [فضل التوحيد وما يُكفر من الذنوب][1]، ذكر الإمام قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وساق حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه[2]، وأردفه بحديث عتبان في الصحيحين: «**فإن الله حرَّم علىٰ النار من قال: لا إله**

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥، ٦).

إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله»[1]. ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ، قال: «**قال موسىٰ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: **يا ربِّ! علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسىٰ: لا إله إلا الله. قال: يا ربِّ! كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، و«لا إله إلا الله» في كفة، مالت بهن «لا إله إلا الله»**». رواه ابن حبان والحاكم وصححه[2]، وختم الباب بحديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المخرّج في جامع الترمذي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالىٰ: يا بن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرةً**»[3]. وقال في مسائله[4]: «الثانية عشرة: **إثبات الصفات خلافًا للأشعرية**».

وكذلك فعل في باب [الشفاعة][5]، فبعد أن ذكر أدلة الباب، قال في مسائله[6]: «العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة».

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنىٰ، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبُّد لله بها ودعاؤه بها».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ عقد بابًا خاصًّا لتوحيد الأسماء

(١) كتاب التوحيد، ص (٦).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٦، ٧).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٧).
(٤) القول السديد، ص (١٦).
(٥) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).
(٦) القول السديد، ص (٥٩).

والصفات، وذلك لأهميته، مع أنه لا يكاد يخلو باب من الأبواب الستة والستين من تعلق بتوحيد الأسماء والصفات.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]][(١)]، ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾، يشركون، وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزّىٰ من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها».

وهذا الباب ضمّنه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ العقيدة الصحيحة في أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وضمّنه كذلك التحذير من العقيدة المنحرفة الضالة في هذا التوحيد.

فالآية التي ساقها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تضمّنت الأمرين**: الأول: إثبات العقيدة الصحيحة في أسماء الله وصفاته، ودلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾.

الثاني: التحذير من الإلحاد والميل في أسماء الله وصفاته، وهذا دلّ عليه تمام الآية: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الإلحاد في أسمائه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن

---

(١) الباب الخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩١).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٧).

الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، كما يدلُّ عليه مادته (ل ح د)».

ثم ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ، وهي:

١- أن تُسمىٰ الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزَّىٰ من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقةً؛ فإنهم عَدلوا بأسمائه إلىٰ أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

٢- تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارىٰ له: أبًا، وتسمية الفلاسفة له: موجبًا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

٣- وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤- تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، فالجهمية سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، والمشركون أعطوا أسماء الله وصفاته لآلهتهم، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ - فقد ألحد في ذلك، فليستقلّ أو ليستكثر.

٥- تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالىٰ الله عما يقول المشبهون علوًّا كبيرًا.

وعقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا آخر للرد علىٰ من ينكر أسماء الله وصفاته أو يعطلها، وهو [باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات](١)،

---

(١) الباب التاسع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧٣).

وساق فيه قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وفي صحيح البخاري قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حدّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟

وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنه رأىٰ رجلًا انتفض لمّا سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه. انتهىٰ.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]».

فالباب الذي أشرنا إليه[٢] فيه إثبات الصفات والرد علىٰ من ألحد فيها، وهذا الباب فيه الرد علىٰ من أنكر الصفات، وفيه بيان أن معطل الصفات ومنكرها فيه شبه من كفار قريش، وفيه بيان أن ضلال من ضل في باب الأسماء والصفات إنما هو من باب اتباع المتشابه وعدم رده إلىٰ المحكم من النصوص، أو من عدم رده إلىٰ علماء السلف الراسخين كما أمر الله، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٧٣، ٧٤).

(٢) باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾.

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] .

وهذا طريق لا يسلكه إلا منحرف، وإلا فالعاقل يعرف أن الصحابة هم نقلة الشرع، وأنه يجب على المسلم أن يطلب دينه من قبلهم، فهم بطانة النبي ﷺ، وتلاميذه، وأفصح الخلق وأنصحهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ولهذا لما قيل لشريك بن عبد الله القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن عندنا قومًا ينكرون أن الله يُرىٰ في الآخرة وينزل إلىٰ السماء. فحدّث بنحو من عشرة أحاديث، ثم قال: نحن أخذنا ديننا عن أبناء الصحابة عن التابعين، فهم عمن أخذوا[(١)].

والأثر الذي ساقه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لما رأىٰ رجلًا انتفض لمَّا سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصِّفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقَّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه! دال علىٰ حكمة الله في اختبار خلقه فيما أنزله في كتابه من المتشابه الذي هو أقل القليل في القرآن، إذ جُلّه محكم، والمتشابه إذا رُدَّ إلىٰ المحكم وضح بيانه وصار محكمًا، و بيانه محكم عند العلماء الراسخين الذين أمر الله برد السؤال إليهم.

قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ووجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفوًا، وإنما هو أمر مقصود شرعًا؛

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٢٧٣)، الصفات للدارقطني، ص (١٢٠).

(٢) الأنوار الكاشفة، ص (٢٢٣).

ليبلوا الله تعالىٰ ما في النفوس، ويمتحن ما في الصدور، وييسّر للعلماء أبوابًا من الجهاد العلمي يرفعهم الله به درجات».

فالواجب علىٰ المسلم أن يعتقد في أسماء الله وصفاته ما اعتقد الصحابة والتابعون، وهو - والحمد لله - إجماع مشهور معلوم لا يجهله من طلب الحق من معدنه، قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق سمواته، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته».

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[٢]: «الكلام في صفات الله عَزَّوَجَلَّ ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، فهذا إجماع معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والجماعة».

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها علىٰ الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها شبّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود.

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٥١٥)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة».

وكذلك حكىٰ الإجماع أبو عبد الله محمد بن خفيف، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا ذلك من رسول الله ﷺ، حتىٰ قال: «**عليكم بسنتي...**». وحديث: «**لعن الله من أحدث حدثًا**». فكانت **كلمة الصحابة علىٰ الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالىٰ في أحكام التوحيد، وأصول الدين من الأسماء والصفات**، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا، كما نُقل سائر الاختلاف؛ فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتىٰ نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر، ولله المنّة».

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ساق شعر عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في العلو، وإقرار النبي ﷺ له، أتبعه بأثر عبد الله بن المبارك، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، موافقة لذلك، ثم قال[٢]: «والآثار عن النبي ﷺ وأصحابه، وسائر علماء الأمة بذلك متواترة عند من تتبعها، قد جمع العلماء فيها مصنفات صغارًا وكبارًا، ومن تتبع الآثار علم – أيضًا – قطعًا أنه لا يمكن أن يُنقل عن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٧١).

(٢) التسعينية (٢/ ٥٦٥).

أحد حرف واحد يناقض ذلك، **بل كلهم مجمعون علىٰ كلمة واحدة وعقيدة واحدة**، يصدق بعضهم بعضًا، وإن كان بعضهم أعلم من بعض».

وعلىٰ هذا الإجماع اعتقاد الأئمة المشهورين، قال الوليد بن مسلم: سألت سفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت[(١)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردُّها؛ لأن القرآن نزل بها، وصحَّ عن رسول الله ﷺ، فيما روىٰ عنه العدل، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر.

فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر.

ونحو ذلك إخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أتانا أنه سميع، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فإن له يمينًا بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن له وجهًا بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]،

(١) السنة للخلال (١/ ٢٥٩- رقم ٣١٣)، الشريعة (٢/ ١٠٤- رقم ٧٦٥)، الصفات للدارقطني (ص١٢٣- رقم ٦٩)، أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٨٢- رقم ٩٣٠)، ذم التأويل (ص٢٠- رقم ٢٤)، وسنده صحيح.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٤)، منازل الأئمة الأربعة ص (٢١٨)، ذم التأويل ص (٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلىٰ: سمعت الشافعي... فذكره، نقله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧)، وهو ساقط من النسخة المطبوعة.

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدمًا بقول النبي ﷺ: «**حتىٰ يضع الرب فيها قدمه**». يعني: جهنم، وأنه يضحك من عبده المؤمن بقول النبي ﷺ للذي قُتل في سبيل الله: «**إنه لقي الله وهو يضحك إليه**»، وأنه يهبط كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ بذلك، وأنه ليس بأعور بقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال، فقال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**». وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا بقول النبي ﷺ: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ**»، فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يدرك حقيقته بالفكر والروية، فلا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبرًا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع؛ وجبت الدينونة علىٰ سامعه بحقيقته، والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن يثبت هذه الصفات، وينفي التشبيه، كما نفىٰ ذلك عن نفسه تعالىٰ ذكره، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]».

فمعرفة معاني أسماء الله وصفاته هي التي تجعل العبد يعيش في الأرض، وقلبه متعلق بربه سبحانه وهو جل وعلا مستوٍ علىٰ عرشه في السماء، وهي التي تهوّن علىٰ العبد مصائب الدنيا، وهي التي تهوّن وتخفف عليه سير الطريق إلىٰ الدار الآخرة، وتحجبه من السقوط في الطريق، أو النكوص، أو الرجوع القهقري، وتثبته علىٰ الطاعة، وتصرفه عن المعصية، وتهديه إلىٰ السنة، وتحذره من البدعة، فلا إله إلا الله ما أعظم التوحيد! وما أحسن فضائله!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثمرات معرفة معاني أسماء الله وصفاته من القرآن[(١)]:

«فلا تزال معانيه تُنهض العبد إلىٰ ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه علىٰ التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلىٰ سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه علىٰ الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتُسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته، وونى في سيره: تقدم الرَّكْبُ وفاتك الدليل، فاللحاقَ اللحاقَ، والرحيلَ الرحيلَ. وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قُطاع الطريق نادته: الحذر الحذر!

فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل».

ومما يجب التنبيه عليه في أسماء الله وصفاته هو أن المسلم يتعبد لله بجميع أسمائه وصفاته، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه «القدير»، عن التعبد باسمه «الحليم الرحيم»، أو يحجبه عبودية اسمه «المعطي»، عن عبودية اسمه «المانع»، أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور»، عن اسمه «المنتقم»، أو التعبد بأسماء

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨).

«التودد، والبر، واللطف، والإحسان»، عن أسماء «العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء»، ونحو ذلك».

وينبغي كذلك علىٰ طالب العلم تلمح أن أسماء الله الحسنىٰ لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة[1]».

وهنا تنبيه مهم، فإني قد ذكرت في بعض دروسي أن اسم الخالق دال علىٰ صفة الخلق، وصفة العلم، وصفة القدرة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾. وهذا مما أخذته عن شيخي العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستنكره أحد طلبة العلم، من أجل هذا لا بد من ذكر قاعدة مهمة في تناول الاسم لمعاني أكثر من صفة أحيانًا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن من أسمائه الحسنىٰ ما يكون دالًّا علىٰ عدَّة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولًا لجميعها تناول الاسم الدال علىٰ الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه، كاسمه: العظيم، والمجيد، والصمد، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: «الصمد: السيد الذي قد كَمُل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمه، وهو الذي قد كَمُل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٦، ٢٩٧).

صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفوًا أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار!».

هذا لفظه وهذا مما خفي علىٰ كثير ممن تعاطىٰ الكلام في تفسير الأسماء الحسنىٰ، ففسَّر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يحط بهذا علمًا بخسَ الاسم الأعظم حقَّه وهضمه معناه، فتدبَّرْه».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الله: هذا الاسم الجليل الجميل هو أعظم الأسماء الحسنىٰ، بل قيل: إنه الاسم الأعظم، وسيأتي التنبيه علىٰ الاسم الأعظم عن قريب إن شاء الله؛ ولهذا تضاف جميع الأسماء الحسنىٰ إلىٰ هذا الاسم ويوصف بها».

وقال: «والألوهية التي هي وصفه هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلهًا، بل استحق أن لا يشاركه في هذ الوصف العظيم مشارك بوجه من الوجوه».

فعقيدة أهل السنة جميعًا كما قال مالك، والثوري، والأوزاعي، والليث ابن سعد: أمروها كما جاءت. قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فلا تظنن غيره، فإن محمدًا ﷺ كان مبلغًا عن ربه».

وقال الحافظ أبو أحمد محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها نبيه، فهي صفة حقيقة لا مجازًا».

(١، ٢) فتح الرحيم الملك العلَّام في علم العقائد والتوحيد، ص (١٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فقولهم: «أمروها كما جاءت»، يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالةً علىٰ معانٍ، فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد. أو: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يُوصف بما دلّت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أُمرّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيفية عما ليس بثابت لغو من القول».

فالواجب علىٰ المسلم إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ورد هذه النصوص من القرآن والسنة بالإنكار أو التحريف تكذيب لها، والعياذ بالله، فواجبك إذًا إثبات هذه الصفات علىٰ ظاهرها فإن من بُعث بها لم يفسرها بغير ظاهرها، واملأ قلبك من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الصفات، فإنها غاية في الحسن والكمال، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهي غاية في الحسن والكمال، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

والأشاعرة وشيوخهم المعتزلة نفوا صفات الله وحرّفوها وصرفوها عن ظاهرها، وخالفوا إجماع الصحابة والتابعين الذين أثبتوها كما جاءت.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «سكوتهم - الصحابة - عن تفسيره - نصوص الصفات - بما يخالف الظاهر دليل علىٰ إجماعهم علىٰ أن المراد به ظاهره».

---

(١) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، ص (٣٠٧).

(٢) تفسير سورة المائدة (٢/ ٩٢).

وتحريف الأشاعرة والمعتزلة زعموا أنهم ينزهون به الله عن مماثلة المخلوقين، وهم الممثلة حقًّا فإنهم ما عطلوا الله عن صفات الكمال التي أثبتها لنفسه إلا بعد أن توهموا في أذهانهم وقلوبهم أولًا أنها تماثل المخلوقين؛ ففروا إلىٰ التحريف والتعطيل، فكل معطل ممثل حقًّا.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الجهمية هم المشبهة؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم، والأصم، والأبكم الذي لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حقيقة تعطيل الأشاعرة والمعتزلة**[2]: «وأكثر الناس إذا سمعوا هذه الألفاظ نفرت عقولهم من مسماها، ونبت أسماعهم عنها، وقد علم المؤمنون المصدقون للرسول، العارفون بالله وصفاته وأسمائه أنكم توصلتم بها إلىٰ نفي صفاته وأفعاله، وحقائق أسمائه، فلم ترفعوا بها رأسًا، ولم تروا لها حرمة، ولم ترقبوا فيها ذمة، وغرّت ضعاف العقول الجاهلين بحقائق الإيمان، فضلوا بها، وأضلوا كثيرًا، وضلوا عن سواء السبيل».

والسلف الصالح بضد طريقة الأشاعرة والمعتزلة، فإنهم أثبتوا الصفات وذكروا معانيها، كما فسّر أبو العالية وهو من أئمة التابعين الاستواء بالارتفاع[3]، ومجاهد وهو ممن أخذ معاني القرآن عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بالعلو[4]، فمعاني

(١) خلق أفعال العباد، ص (٣٥). (٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾، تعليقًا مجزومًا به، ص (١٢٧٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه علىٰ الماء، وهو رب العرش العظيم)، تعليقًا مجزومًا به، ص (١٢٧٦).

الصفات معلومة عند السلف أثبتوها علىٰ ظاهرها، وهذا من العلم الضروري الذي لا ينكره منصف عاقل، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلىٰ أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنسهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم».

فمعنىٰ كلام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أن هذا من العلم الضروري، وهو ما يلزم الإنسان لزومًا لا يمكنه الانفكاك عنه، يعني أنه لا يجادل ولا يخالف في العلم الضروري إلا مسفسط.

ولذلك قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عن الاستواء: الاستواء معلوم، والإيمان به واجب. فأسماء الله معانيها معلومة عند الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كان معناها مفهومًا عند القوم الذين نزل القرآن بلغتهم، ولذلك لم يستفت واحد من المؤمنين عن معناها، ولا خاف علىٰ نفسه توهم التشبيه، ولا احتاج إلىٰ شرح وتنبيه.

وكذلك الكفار لو كانت عندهم لا تعقل إلا في الجارحة؛ لتعلقوا بها في دعوىٰ التناقض، واحتجوا بها علىٰ الرسول ﷺ، ولقالوا له: زعمت أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء، ثم تخبر أن له يدًا كأيدينا، وعينًا كأعيننا. ولما لم يُنقل ذلك عن مؤمن ولا كافر عُلم أن الأمر كان فيها عندهم جليًّا لا خفيًّا».

والتابعون أخذوا معاني القرآن عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمروا الصفات

---

(١) التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٥).

علىٰ ظاهرها، ولم يحرّفوها ويصرفوها عن ظاهرها، فتبين بهذا أن الأشاعرة والمعتزلة مفارقون مخالفون للجماعة.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «عرضت المصحف علىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث عرضات من فاتحته إلىٰ خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها».

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا - يعني من الصحابة -»[2].

والدين كامل كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «فقد تقرر في الأصول أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، والحاجة في النصوص الاعتقادية هي وقت الخطاب».

فبهذا يتبين للجميع أن التحريفات لنصوص القرآن والسنة في معاني أسماء الله وصفاته التي يسميها الأشاعرة تأويل - هي مخالفة لعقيدة الصحابة والتابعين، فهي ليست من عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه لو كان يُراد بها خلاف ظاهرها لبيّنه النبي ﷺ؛ لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وبإفراد الإمام توحيد الأسماء والصفات بباب خاص لم يرد بذلك اجتزاء

---

(١) جامع البيان (١/ ٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

(٣) حقيقة التأويل، ص (٥٧).

توحيد الأسماء والصفات عن أنواع التوحيد الأخرىٰ، بل أراد تحقيقه مع أنواع التوحيد الأخرىٰ، وأراد كذلك أن يستدل بتوحيد الأسماء والصفات علىٰ توحيد العبودية، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلىٰ أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها».

واعلم أن من أشرك في العبودية فسببه جهله وعدم تحقيقه لتوحيد الأسماء والصفات، فإن من حقّق توحيد الأسماء والصفات لا يمكن أن يشرك في توحيد العبودية.

قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٤٥ هـ)**[2]: «اعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط - قبيح في نفسه، كما قررناه، لا سيما إذا كان ذلك المجعول عبدًا للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾. أي: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصلح لسواي؟! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظّمني حق عظمتي، وبالجملة فما قدّر الله حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل إليه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٨).

(٢) تجريد التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾. الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾. فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل».

وتوحيد الأسماء والصفات دال حقيقة علىٰ أن الله وحده هو الرب، وأنه وحده المستحق للعبادة، وهذا كما أشرنا من قبل يدل علىٰ تعاضد أبواب الكتاب كلها في تحقيق التوحيد الخالص، فتأمل أبواب توحيد الأسماء والصفات من هذا الكتاب مع باب [قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾][1]؛ قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «تقدَّم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات - من أكبر براهينه وأضخمها؛ فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوّحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه - هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عُبِدَ مع الله، فإنَّ جميع ما يُعبد من دون الله من ملكٍ وبشر، ومن شجر، وحجر، وغيرها، كلهم فقراء إلىٰ الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، والله تعالىٰ هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرزاق لكل مرزوق، المدبِّر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء.

(١) الباب الرابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) القول السديد، ص (٥٦، ٥٧).

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلىٰ لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري، كما أنه دليل سمعي نقلي علىٰ وجوب توحيد الله وأنه الحقّ، ودليل كذلك علىٰ بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق علىٰ الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسِّهم به رحمًا، فكيف بغيره؟ فتبًّا لمن أشرك بالله وساوىٰ به أحدًا من المخلوقين، لقد سُلب عقله بعد ما سُلب دينه!

فنعوت الباري تعالىٰ وصفات عظمته وتوحّده في الكمال المطلق - أكبر برهان علىٰ أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقين كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلىٰ ربها في كل شئونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها، من أعظم البراهين علىٰ بطلان إلهية شيء منها.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلىٰ عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرف تعلُّقه بالمخلوقين خوفًا ورجاءً وطمعًا».

❊ ❊ ❊

المشركون يقصدون القبور والموحّدون يقصدون الله

الموحّدون قلوبهم متوجّهة إلىٰ ربهم، قاصدة وجه الله وحده لا شريك له، مائلة عن الشرك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، وأمر الله نبينا ﷺ باتباع سيد الحنفاء، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وهكذا المسلمون الحنفاء أتباع إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد كلهم يقيم دين الله قال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، ويحققون التوحيد قاصدين الله وحده لا شريك له، مائلين عن الشرك أصغره وأكبره، ومائلين عن الشرك في الربوبية، أو الألوهية، أو في أسماء الله وصفاته، فلا يذبحون لغير الله، ولا يدعون غير الله، ولا ينذرون لغير الله، ولا يحلفون بغير الله، ولا يطوفون بالقبور، ولا يتبركون بالحجارة، ولا يتطيرون، ولا يرائون.

والناصح للمسلمين هو الذي يحفظ لهم أديانهم، ويدلهم إلىٰ أسباب حفظ عقيدتهم وتوحيدهم وإيمانهم، ويوجّه الخلق إلىٰ إنزال حاجاتهم بالله وحده لا شريك له، فإن هذا فيه صلاح دينهم ودنياهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أين التوحيد للخالق بالرغبة والرهبة إليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق والرجاء له والتوكل عليه، وأن يُحب كما يُحب الله؟! وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق، والذل له، والافتقار إليه؟!».

والمؤمن مأمور بالاستقامة، وأعظم ما يكون من الاستقامة الالتفات إلىٰ الله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أي أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالىٰ علىٰ ما شرع الله لهم». ثم ساق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، فقال: «**قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتىٰ يموت فقد استقام عليها**»[(٣)]. وقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢١). (٢) تفسير القرآن العظيم، ص (١٢١٣).

(٣) رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة السجدة (ص٧٣٩ - رقم ٣٢٥٠)، ورواه النسائي في الكبرىٰ (٣/ ١٨٢٢ - رقم ١١٤٠٦)، وأبو يعلىٰ (٦/ ٢١٣ - رقم ٣٤٩٥)، وقال الترمذي: حسن غريب.

لأصحابه: ما تقولون في هذه الآية؟ فقالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ من ذنب، فقال: لقد حملتموه علىٰ غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا. فلم يلتفتوا إلىٰ إله غيره. وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: استقاموا علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله[١].

والناس تشاهد من شرك المشركين وانصراف قلوبهم إلىٰ عبادة غير الله ما يهول كل موّحد، كيف استزلهم الشيطان بحيث وجّه وجوههم وقلوبهم إلىٰ الأوثان، أعظم من إقبالهم إلىٰ الله في صلاتهم، وأعظم من قصد الله في مشاعر الحج، فلا إله إلا الله، ما أقبح الشرك وأهله!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن غلو عبّاد القبور في القبور[٢]: «فمن مفاسد اتخاذها أعيادًا، الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود علىٰ تُرابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللَّهفات، وغير ذلك من أنواع الطَّلبات التي كان عُبّاد الأوثان يسألونها أوثانهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدَّواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقَبَّلُوا الأرض، وكشفوا الرُّءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتىٰ تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الرِّبح علىٰ الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يُبدي ولا يُعيد، ونادوا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص (١٢١٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

ولكن من مكان بعيد، حتىٰ إذا دنوا منها صلُّوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلىٰ إلىٰ القبلتين.

فتراهم حول القبر ركعًا سُجَّدًا، يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملئوا أكفهم خيبةً وخسرانًا.

فلغير الله - بل للشيطان - ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويُطلب من الميِّت مِنَ الحاجات، ويُسأل من تفريج الكُربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليَّات، ثُمَّ انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهُدًىٰ للعالمين.

ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام؟

ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تُعفَّرْ كذلك بين يديه في السجود.

ثم كمَّلُوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحِلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن؛ إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق.

وقرَّبوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونُسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يُهنيء بعضهم بعضًا، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا.

فإذا رجعوا سألهم غُلاة المتخلِّفين أن يبيع أحدهم ثواب حجَّة القبر بحجِّ

المتخلِّف إلىٰ البيت الحرام، فيقول: لا، ولا بحجِّك كل عام».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولهذا تجد أهل الشرك كثيرًا يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادةً لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون - من بركة الصلاة عندها والدعاء، ما لا يرجونه في المساجد».

وانظر إلىٰ فرق ما بين قصد الموحّدين وفعل المشركين؛ الموحّدون يزيلون الأصنام وأسباب الشرك، والمشركون يشيدون المزارات والقباب الشركية، ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[٢].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فهذا ما صحّ عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، فأكثروا التصوير واستعملوه، وأكثروا البناء علىٰ القبور، وزخرفوها، وجعلوها أوثانًا، وزعموه دينًا، وهو أعظم المنكرات، وأكبر السيئات؛ تعظيمًا للأموات وغلوًّا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله علىٰ عباده».

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (ص٣٨٩- رقم ٢٢٤٣).

(٣) قرة عيون الموحدين، ص (٤٤).

القبور وما نهىٰ عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم - رأىٰ أحدهما مضادًّا للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا».

ومن تيه القبوريين وانحراف المشركين قولهم: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»، تالله لقد أضلهم الشيطان ضلالًا بعيدًا، قلوب تحسّن ظنها بحجر فأي انصراف عن الله أعظم من هذا الانصراف، وما حسّن هؤلاء ظنهم بحجر إلا لزيغ قلبهم وفساد عقيدتهم، وما ذاك إلا لفساد توحيدهم بأسماء الله وصفاته، فأساءوا الظن بربهم، وحسنوا الظن بحجر، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، أما الموحّدون المؤمنون فيقولون كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما استلم الحجر الأسود: أما إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلك ما قبلتك[(١)].

ومن أعظم ما نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ هو أن المشركين إذا دُعوا لإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، اعتزوا إلىٰ آبائهم وأجدادهم - مع أنهم ينتسبون لإبراهيم -، وانصرفوا عما فيه صلاحهم وخيرهم، ومع ما في قلوب المشركين من حمية الجاهلية، فإنهم يحبون أصنامهم، وأوثانهم، أعظم من محبتهم الله، لذلك ما أخلصوا الدين لله، وانصرفت قلوبهم عن الله إلىٰ أصنامهم، لذلك عقد الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]][(٢)]، وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر (ص٢٦١- رقم ١٦١٠).

(٢) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]](١)، بيّن أثر حمية الجاهلية في انصراف المشركين عن توحيد الله إلىٰ عبادة الأوثان والأصنام، فقد قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «في الصحيح عن ابن المسيّب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل، فقال له: «**يا عم! قل: لا إله إلا الله. كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله**».

فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك**». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾».

وأهل التوحيد إذا قصدوا توكيد أخبارهم حلفوا بالله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له؛ لأنه هو المعظّم في نفوسهم، لأن حقيقة اليمين توكيد المحلوف عليه بذكر معظّم، أما أهل الزيغ والضلال خصوصًا الرافضة فإنهم يحلفون بالعباس، والحسين، والعياذ بالله.

وفي الحقيقة الشرك بين الرافضة متبادل، يتواصون بالمنكر، فالمحلوف له لا يرضىٰ ولا يثق من الحالف أن يحلف بالله، فإذا كان يمين الحالف بالعباس، والحسين صدّقه، والحالف يرضىٰ بذلك، بل ويُسارع؛ لأنه عنده تعظيم للعباس والحسين وهما برآء من شركهما.

---

(١) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤). (٢) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

ولذلك نجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله][1]، ساق الدليل الذي يزجر الطرفين الحالف والمحلوف له عن الحلف بغير الله، فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله**». رواه ابن ماجه بسند حسن».

قال العلامة سليمان عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «الذي يفعله عُبَّاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقًا أو كاذبًا، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تُربَته أو حياته، ونحو ذلك، لم يُقدم علىٰ اليمين به إن كان كاذبًا:، **فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجلُّ وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شرك عُبَّاد الأصنام؛ لأن جَهْدَ اليمين عندهم هو الحلف بالله، كما قال تعالىٰ**: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

فمن كان جهْدُ يمينه الحَلِف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو أكبر شركًا منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة».

والقبوريون انصرافهم عن الله وإقبالهم علىٰ أوثانهم التي يقصدونها، وانصراف قلوبهم إليها وإنزال حاجاتهم بها يرجون قضاء حوائجهم - أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فذكر من أشركوا به في قلوبهم أعظم من ذكر الله.

---

(١) الباب الثاني والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٧٣).

نسوا الله فنسيهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وما زال الشيطان يُوحي لعُبّاد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء به، والإقسام علىٰ الله به، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسم عليه، أو أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة، واتخاذ قبره وثنًا تعلَّق عليه القناديل والستور، ويُطاف به، ويُستلم، ويُقبّل، ويُحج إليه، ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا، وأراهم أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد لله، وأن لا يُعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ أن من نهىٰ عن ذلك فقد تنقّص أهل الرتبة العالية، وحطّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وسرىٰ ذلك في نفوس كثير من الجُهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدين، حتىٰ عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم

(١) بواسطة القول النفيس في الرد علىٰ المفتري داود بن جرجيس، ص (١١٧، ١١٨).

أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون».

ومن مقالات المشركين القبوريين الشنيعة التي تدل علىٰ انصرافهم عن الله إلىٰ الأوثان، قولهم: «قبر الولي خير من الحجر الأسود»، وهذا الكلام يفصح عن حقيقة عقيدة عُبّاد الأوثان، وأن غلوهم في القبور عظيم جدًّا، ساقهم إلىٰ تبديل التوحيد بالشرك، والسنة بالبدعة، والمشروع بالممنوع.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أما قوله: إن قبر الولي أفضل من الحجر الأسود، فهذا من جنس ما قبله في الفساد والضلال فالحجر الأسود يمين الله في أرضه، من صافحه واستلمه فكأنما بايع ربه[(٢)].

تفضيل القبوريين للقبور علىٰ الكعبة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، ولم يرد في قبور الأولياء ما يدل علىٰ مثل ذلك، فضلًا عن أن تكون أفضل منه، والحج ركن من أركان الإسلام، والطواف

---

(١) عيون الرسائل (١/ ٣١٣، ٣١٤).

(٢) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه ليس بثابت عن النبي ﷺ، بل قد رووه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا». بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٣٧).

وقال شيخ الإسلام: «وسواء كان عن ابن عباس، أو كان مرفوعًا، فلفظه نص صريح لا يحتاج إلىٰ تأويل». بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٣٧).

وقال: «فجعل المستلم له كأنما صافح الله تعالىٰ، ولم يقل: فقد صافح الله؛ والمشبه ليس هو المشبه به، بل ذلك نص في المغايرة بينهما». بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٣٨).

بالبيت أحد أركان الحج، والركن الذي فيه الحجر الأسود، أفضل أركان البيت، والطواف به من أفضل العبادات وأوجبها.

والطواف بالقبور واستلامها من أوضاع المشركين والجاهلية، وفيها مضاهاة لما يفعله اليهود والنصارىٰ عند قبور أحبارهم ورهبانهم.

وأفضل القبور علىٰ الإطلاق قبره ﷺ، ولا يشرع تقبيله واستلامه بالإجماع، بل ولا يشرع الدعاء عنده، فلا يشبه بيت المخلوقين ببيت الخالق، وبيت العبد ببيت الرّب.

وبالجملة، فهذا القول الشنيع لا مستند له ولا دليل عليه، وتقبيل الحجر الأسود مشروع، وكذا استلامه باليد، فإن استلمه بالمحجن ونحوه لعذر، فقد صحّ أن النبي ﷺ أشار إلىٰ الحجر الأسود واستلمه بمحجن كان في يده».

فالضالون من قبل ومن بعد استعاضوا عن التوحيد بالشرك، وعن المشروع بالممنوع، وعن السنة بالبدعة، وبدّلوا تبديلًا عظيمًا، قال الله تعالىٰ في شأن مشركي قريش: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

وفي إحدىٰ السنوات وفي أثناء أدائي نسك الحج، وقبل غروب الشمس يوم عرفة سمعت ومن معي أصوات طبول وصراخ بالذكر، فنظرت أنا وبعض من معي، فإذا حجاج من تركيا يناجون ربهم ويبتهلون ويتضرعون إليه بما يكرهه الله ويسخطه من المكاء المحرّم.

وقد ذكر أئمة الدعوة أن عساكر الترك لما غزوا نجد ضاهوا الأذان بالطبول

والمزامير، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:
«فليتأمل من نصح نفسه، ما يجري من هؤلاء العساكر، عند سماع الأذان، من المعارضة بالطبل والبوق والمزمار، استبدالًا به عمّا اشتمل عليه الأذان، من توحيد الله وتعظيمه، وتكبير الملك القهار».

❊ ❊ ❊

---

(١) عيون الرسائل (١/ ٢٦٦).

الفصل التاسع

تنبيهات الإمام

على أسباب وقوع الشرك

ضمّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسباب وقوع الشرك فِي مجموع أبواب كتاب التوحيد، ومعرفة أسباب الشرك ضرورة لمحاذرتها خشية الوقوع فيها، فإن حفظ التوحيد أوجب الواجبات.



١ - عدم الاستهداء بالله

العصمة من الشرك تكون بالاعتصام بالله والالتجاء إليه والاستهداء به، فإن العبد لو وُكل إلىٰ نفسه وُكل إلىٰ ضعف، وإذا آوىٰ إلىٰ ربه فإنه يأوي إلىٰ ركن شديد.

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب][1]، ساق حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول ﷺ قال: قال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا ربِّ، علِّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسىٰ: لا إله إلا الله»[2].

فالنبيون - عليهم السلام - والخلق أجمعون مفتقرون إلىٰ هداية الله.

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يَروي عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدِكم»[3].

---

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ص ١١٢٨ - رقم ٦٥٧٢).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلىٰ الله تعالىٰ في جلب مصالحهم، ودفع مضارِّهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئًا من ذلك كلِّه، وأن من لم يتفضَّل الله عليه بالهدىٰ والرزق، فإنه يُحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه، أوبقته خطاياه في الآخرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧]، ومثل هذا كثير في القرآن، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2].

وقال تعالىٰ حاكيًا عن آدم وزوجه أنَّهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وعن نوح أنه قال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

وقد استدل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتفرُّد الله بهذه الأمور علىٰ أنه لا إله غيره، وأن كل ما أشرك معه فباطل، فقال لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى

(١) جامع العلوم والحكم، ص (٢٨٠).

(٢) هود: (٦).

ﵟثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ﵞ [الشعراء: ٧٥-٨٢]، فإن من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه وإحيائه وإماتته في الدنيا، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة - مستحق أن يُفرد بالإلهية والعبادة والسؤال والتضرُّع إليه والاستكانة له، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﵟٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﵞ [الروم: ٤٠]».

وقال تعالىٰ: ﵟقُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﵞ [الأنعام: ٧١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ﵟقُلۡﵞ يا أيها الرسول للمشركين بالله الداعين معه غيرَه، الذين يدعونكم إلىٰ دينهم، مبينًا وشارحًا لوصف آلهتهم التي يكتفي العاقل بذكر وصفها عن النهي عنها، فإنَّ كل عاقل إذا تصوَّر مذهب المشركين، جزم ببطلانه قبل أن تقام البراهين علىٰ ذلك، فقال: ﵟأَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَاﵞ؟ وهذا وصفٌ يدخل فيه كل من عُبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضرُّ، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله. ﵟوَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُﵞ، أي: وننقلب بعد هداية الله لنا إلىٰ الضلال، ومن الرشد إلىٰ الغيِّ، ومن الصراط الموصل إلىٰ جنات النعيم إلىٰ الطرق التي تُفضي بسالكها إلىٰ العذاب الأليم!! فهذه حال

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٢٨٠).

لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أضلَّته وتيَّهته عن طريقه ومنهجه الموصل إلىٰ مقصده، فبقي ﴿حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾، والشياطين يدعونه إلىٰ الردىٰ، فبقي بين الداعيين حائرًا، وهذه حال الناس كلِّهم، إلا من عصمه الله تعالىٰ، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة، يدعونه إلىٰ الهدىٰ والصعود إلىٰ أعلىٰ عليين، ودواعي الشيطان ومن سلك مسلكه والنفس الأمارة بالسوء يدعونه إلىٰ الضلال والنزول إلىٰ أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع دواعي الهدىٰ في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك، ومنهم من يتساوىٰ الداعيان ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، أي: ليس الهدىٰ إلا الطريق التي شرعها الله علىٰ لسان رسوله، وما عداه فهو ضلال وردىٰ وهلاك. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بأن ننقاد لتوحيده ونستسلم لأوامره ونواهيه وندخل تحت رقِّ عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها علىٰ العباد، وأكمل تربية أوصلها إليهم».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارىٰ «**حذو القذة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحرًا لدخلتموه**»، وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرَّقوا دينهم وكانوا

---

(١) تاريخ ابن غنام (١/ ٢٤٩).

شيعًا، وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا: هذا من عند الله، وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا علىٰ ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين، بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾، والزبر: الكتب.

فإذا فهم المؤمن من قول الصادق المصدوق: «لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم». وجعله قبلة قلبه - تبيّن له أن هذه الآيات وأشباهها ليست علىٰ ما ظن الجاهلون أنها كانت في قوم كانوا فبانوا، بل يُفهم ما ورد عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه قال في هذه الآيات: مضىٰ القوم، وما يعني به غيركم.

وقد فرض الله علىٰ عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، **فمن عرف دين الإسلام، وما وقع الناس فيه من التغيير له - عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه**».





٢- الجهل بمعنى التوحيد

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله][١]، أن من أسباب الشرك الجهل بمعنىٰ التوحيد، حيث ساق حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال: **أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرّم الله فتحلونه**؟ فقلت: بلىٰ. قال: **فتلك عبادتهم**»، رواه أحمد، والترمذي وحسنه[٢].

فالعبد إذا لم يكن عارفًا بربه متألهًا له، وكان جاهلًا بحقيقة حق الله عليه من تجريد العمل خالصًا له، فإنه يتيه في أودية الضلال وشعب الشرك، والمؤمن المهتدي بالله والمستضيء بنور الوحي العارف بمعنىٰ أن يكون الدين كله لله - تجده يسير بخطًى واضحة نحو تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، لا يلتفت إلىٰ داعي الشرك ولا دعاته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن كمال العبد هو بأن يكون عارفًا بالنعيم

(١) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٠).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٠٩).

الذي يطلبه، والعمل الذي يوصل إليه، وأن يكون - مع ذلك - فيه إرادة جازمة لذلك العمل، ومحبّة صادقة لذلك النعيم، وإلا فالعلم بالمطلوب وطريقه لا يُحصّله إن لم يقترن بذلك العمل، والإرادة الجازمة لا توجب وجود المراد، إلا إذا لازمها الصبر».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان شغله الشاغل تبيين حقيقة التوحيد، وهذا شأن الناصحين من ورثة الأنبياء، ولا أقول: إنه بيّن حقيقة التوحيد فقط في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، بل كتاب التوحيد كله في بيان حقيقة التوحيد، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه نبّه إلىٰ هذا، فإنه قال في مسائل باب تفسير التوحيد[2]: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب»، بل وكتب الإمام كلها أو جُلها في ذلك.

فلا يقع الشرك إلا مع الجهل بالله أو اتباع الهوىٰ وحظوظ النفس وإراداتها الخاطئة، فالعلم والتقوىٰ يدفع الشرك وينفيه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) القول السديد، ص (٣٠).

يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٣-٧٦].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يُخبر تعالىٰ عن جهل المشركين وظلمهم، أنَّهم يعبدون من دونه آلهة اتَّخذوها شركاء لله، والحال أنَّهم لا يملكون لهم رزقًا من السموات والأرض، فلا يُنزلون مطرًا ولا رزقًا، ولا يُنبتون من نبات الأرض شيئًا، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإنَّ غير المالك للشيء ربَّما كان له قوَّة واقتدار علىٰ ما ينفع من يتَّصل به، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون، فهذه صفة آلهتهم، كيف جعلوها مع الله وشبَّهوها بمالك الأرض والسموات الذي له الملك كلُّه والحمد كلُّه والقوة كلُّها؟! ولهذا قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]: المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم، وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال، فلهذا ضرب تعالىٰ مثلين له، ولمن يُعبد من دونه:

أحدهما: عبدٌ مملوك، أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئًا.

والثاني: حرٌّ غنيٌّ قد رزقه الله منه رزقًا حسنًا من جميع أصناف المال، وهو كريم محبٌّ للإحسان، فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، هل يستوي هذا وذاك؟!

لا يستويان، مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما، فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٥٠٩، ٥١٠).

هو فقير من جميع الوجوه، بالربِّ الخالق المالك لجميع الممالك، القادر علىٰ كل شيء؟! ولهذا حمد نفسه واختصَّ بالحمد بأنواعه، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك، فلم سوَّىٰ المشركون آلهتهم بالله؟!

قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فلو علموا حقيقة العلم، لم يتجرَّءوا علىٰ الشرك العظيم.

والمثل الثاني: مَثَلُ: ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: لا يسمع ولا ينطق، و﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: لا قليل ولا كثير، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي: يخدمه مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه، فهو ناقص من كلِّ وجه، فهل يستوي هذا، ومن كان ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟: فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان، فلا يستوي من عُبد من دون الله وهو لا يقدر علىٰ شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها، لم يستطع شيئًا منها، لا يكون كفوًا ولا ندًّا لمن لا يقول إلا الحقَّ، ولا يفعل إلَّا ما يُحمد عليه».

وآثار الجهل بمعنىٰ التوحيد هي التي جعلت الجهلة ينزلون حاجاتهم من طلبِ الرزق وتفريج الكربات بأموات لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، أما المؤمنون العارفون بحقيقة التوحيد فيعلمون أن ثمراته دنيوية وأخروية؛ لأن أزمّة الأمور كلها بيد الله، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وبتحقيق التوحيد يحفظ الله عبده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم

مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، وقال النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا وهو غلام: «**يا غلام، احفظ الله يحفظك**».

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «فالمؤمن عزيز، عالٍ، مؤيَّدٌ، منصور، مَكْفيٌّ، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرًا وباطنًا.

وقد قال تعالىٰ للمؤمنين: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٥].

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم، ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يستر الكافرين والمنافقين أعمالهم، إذا كانت لغيره، ولم تكن موافقة لأمره».

❊ ❊ ❊

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩١٣-٩١٤).

٣- الجهل بحقيقة الشرك

أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][١]، عن معنىٰ كلمة التوحيد، وأزال الغشاوة عن أبصار من ظن أن التوحيد هو مجرد الإيمان بالله، دون الكفر بما يُعبد من دون الله، فساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقول النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله** عَزَّوَجَلَّ»[٢].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فكل من اتخذ ندًّا لله يدعوه من دون الله، ويرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته وتفريج كرباته - كحال عُبّاد القبور والطواغيت والأصنام - فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك، فإنهم أحبوهم مع الله، وإن كانوا يحبون الله تعالىٰ، ويقولون: لا إله إلا الله. ويصلّون ويصومون - فقد أشركوا بالله في

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٤، ١٥).

(٣) فتح المجيد، ص (٨٥).

المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره، فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يُبطل كلَّ قول يقولونه، وكل عمل يعملون؛ لأن الشرك لا يُقبل له عمل، ولا يصح منه، وهؤلاء وإن قالوا: لا إله إلا الله. فقد تركوا كل قيد قُيِّدت به هذه الكلمة: من العلم بمدلولها؛ **لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلَّت عليه من الإخلاص**، ولم يكن صادقًا في قولها؛ لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يُثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضًا؛ لأنه لو عُرِّف بمعناها، وما دلت عليه لأنكره أو شكّ فيه، ولم يقبله وهو الحق، ولم يكفر بما يُعبد من دون الله، كما جاء في الحديث، بل آمن بما يُعبد من دون الله، باتخاذه الند ومحبته له وعبادته من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأنهم أخلصوا له الحب، فلم يحبوا إلا الله، ويحبون من أحب اللهَ ويخلصون أعمالهم جميعًا لله، ويكفرون بما عُبد من دونه».

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فهذه البدعة[٢] وهي الاستغاثة بالأموات وإنزال الحاجات بهم والتوسل - إنما هي بقية من عبادة الأصنام، فإنَّ الجاهلية كانوا يستغيثون بهم ويطلبون الحاجات منهم، وكل بدعة ضلالة، كما ثبت في الأحاديث، وأي ضلالة أعظم من عبد يُنزل حاجاته بالأموات، ويُعرض عن باري البريات؟!

وقد ثبت أنه ﷺ بايعه جماعة من الصحابة علىٰ أن لا يسألوا الناس شيئًا،

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، ص (٩٢، ٩٣).

(٢) الاستغاثة بالأموات شرك.

فكان أحدهم إذا سقط سوطه وهو علىٰ راحلته لم يسأل من يناوله، بل ينزل بنفسه؛ كل هذا لتفرد الله بالسؤال وطلب الحاجات.

وإن قال: لم أُعرض عن الله، إنَّما تقربت بهم إليه. فيقال: هذا بعينه هو الذي قاله من قال: إنه لا يعبد الأصنام إلا لتقربه إلىٰ الله زلفىٰ، غاية الفرق أن صنمه من حجارة أو خشب، وصنمك من سلالة من طين، وأمّا التوسل وطلب الحاجات فهو العبادة، بل هو مخ العبادة كما ثبت في الأحاديث، ولو كان التوسل بالأموات جائزًا أو مندوبًا لعلّم رسول الله ﷺ أمته ذلك، فإنه قد علّمهم كل خير ونهاهم عن كل شر».

ثم قال أيضًا[1]: «التوسل إليه بالمخلوقين شيء لم يأذن الله لعباده به؛ فهو بدعة، وهو تهجم علىٰ الجناب العلي بما لم يأت به شرع، بل هو طريقة عُبَّاد الأوثان القائلين إنهم يعبدونها لتقربهم إلىٰ الله زلفىٰ، والذي أمر الله به عباده في كتابه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ أي: نخصك بالاستعانة فلا نستعين إلا بك، كما عرفت في علم البيان أن تقديم المفعول هنا أفاد الاختصاص سيما وقد قدّم قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، أي: نخصك بالعبادة، فكما أنَّه مختص بالعبادة لا يُعبد سواه بالاتفاق، فهو مختص بأن لا يستعان بغيره، والتوسل بالمخلوقين استعانة بهم، ثم إنه تعالىٰ يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويقول: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا جهل كثير من الناس

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص (١٠٠).

بحقيقة الشرك[١]: «قصة أبي طالب، فمن فهمها فهمًا حسنًا، وتأمل إقراره بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلىٰ أن مات، ثم صبره علىٰ المشقة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دينه الأول لم يَصِر مسلمًا، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم، ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]».

والذي يبيّن هذا أنه إذا عُرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء بحب الدين وبحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب، وفهم الواقع من أكثر ممن يدّعي الدين - تبين له الهدىٰ من الضلال، وعرف سوء الفهم، والله المستعان».

وصدق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فمن لم ينصر التوحيد وأهله فما استمسك بالعروة الوثقىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من كان مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه، هل يتصور إذا رأىٰ الرسول وأعداؤه يقاتلونه، وهو قادر علىٰ أن ينظر

---

(١) شرح ستة مواضع من السيرة، مجموع مؤلفاته (٦/ ٢٤١).

(٢) شرح حديث جبريل، ص (٤٤٨).

إليهم، ويحض علىٰ نصر الرسول ﷺ بما لا يضره، هل يمكن مثل هذا في العادة أن لا يكون منه حركة ما إلىٰ نصر الرسول؟

فمن المعلوم أن هذا ممتنع!

فلهذا كان الجهاد المتعين بحسب الإمكان من الإيمان، وكان عدمه دليلًا علىٰ انتفاء حقيقة الإيمان، بل قد ثبت في الصحيح عنه ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يحدّث نفسه بالغزو، مات علىٰ شعبة نفاق**»، وفي الحديث دلالة علىٰ أنه يكون فيه بعض شعب النفاق مع ما معه من الإيمان.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، فهذا يبيّن أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات كان عادمًا للإيمان».

فالجهل بحقيقة الشرك هو الذي جعل المبطلين الضالين يألفون الشرك، ويضادون دعاة التوحيد، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله؛ لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ

(١) مسائل الجاهلية، المسألة الأولىٰ، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٢٨).

مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتىٰ بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه هي المسألة التي تفرّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شُرع الجهاد كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]».

فالجهل بالشرك هو الذي جعل البعض يستروح إليه ويظن أن ما يفعله مباحًا بل طاعة وقربة.

❊ ❊ ❊



٤ - قبض العلماء

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قبض العلماء من أسباب الشرك، فإنه في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](١)، ذكر كيف دخل الشرك في قوم نوح، فإنه ساق أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المخرّج في صحيح البخاري أن الشيطان أوحىٰ إليهم أن يصوروا الأصنام علىٰ صور صالحي قومهم الذين ماتوا، ففعلوا، ولم تُعبد، حتىٰ إذا ذهب أولئك ونُسي العلم عُبدت(٢).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل هذا الباب(٣): «التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتىٰ نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء».

وهذا أمر معلوم؛ فإن قريش في زمانهم كانوا في جاهلية عظيمة، من أجل هذا وقعوا في الشرك، وأحلوا الحرام وحرموا الحلال، وأهل الكتاب في

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٣) القول السديد، ص (٦٨).

زمانهم غيّروا شرائع الله، وحرّفوا كتبه ووقعوا في الشرك، وأقاموا المساجد علىٰ القبور، وصوروا صور صالحيهم في كنائسهم، لذلك اقتضىٰ هذا الحال بعثة نبينا محمد ﷺ ليقيم التوحيد، ويزيل الشرك، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

وقال النبي ﷺ[2]: «لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله في بيان فوائد قصة قوم نوح[3]:
«فيه بيان فضيلة وجود العلم والعلماء في الناس، ومضرّة فقدهم؛ لأن الشيطان ما تجرأ علىٰ الدعوة إلىٰ الشرك مع وجود العلم ووجود العلماء، إنما تجرّأ لما فُقد العلم ومات العلماء، فهذا دليل علىٰ أن وجود العلم ووجود العلماء فيه خير كثير للأمة، وأن فقدهم فيه شر كثير».

---

(١) المائدة: (١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائص (ص ١٠٢٦ - رقم ٥٨١٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٦ - رقم ١١٨٧).

(٣) إعانة المستفيد (١/ ٢٦٩).

وقال العلامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يا حسرة علىٰ هؤلاء المسلمين! لقد كان المفروض فيهم أن يكونوا دعاةً لجميع الناس إلىٰ دين التوحيد، وسببًا لإنقاذهم من الوثنية وأدرانها، ولكنهم بسبب جهلهم بدينهم واتباعهم أهواءهم عادوا مضرب مثل للوثنية من قبل المشركين أنفسهم، فصاروا يصفونهم بأنهم كاليهود في بنائهم المساجد علىٰ القبور!

فقد جاء في كتاب «دعوة الحق»، للأستاذ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله تعالى (ص ١٧٦، ١٧٧): «وقد سجل علىٰ المسلمين هذه الوثنية المستشرق الإنكليزي اللئيم «إدوارد لين»، وفي كتابه «المصريون المحدثون»، فقال (ص١٦٧ -١٨١):

«ويحمل المسلمون - وبخاصة المصريين - علىٰ اختلاف مذاهبهم - ما عدا الوهابيين - للأولياء المتوفين احترامًا وتقديسًا لا سند لهما في القرآن أو الأحاديث أكثر مما يحملون للأحياء منهم، ويشيدون فوق أغلب قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة، وينصبون فوق قبور من هم أقل شهرة منهم بناءً صغيرًا مبيضًا بالكلس ومتوجًا بقبة، ويقام فوق القبر مباشرة نصب مستطيل من الحجر أو القراميد يسمىٰ «تركيبة»، أو من الخشب ويسمىٰ «تابوتًا»، ويغطىٰ النصب عادةً بالحرير أو الكتان المطرّز بالآيات القرآنية، ويحيط به قضبان أو ستر من الخشب يسمىٰ «مقصورة»، وأكثر أضرحة الأولياء في مصر مدافن إلا أن أكثرها يحتوي علىٰ آثار قليلة له، وبعضها ليست إلا قبورًا فارغة، أقيمت تذكارًا للميت، كما كان يفعل اليهود

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (١٤٦-١٤٨).

بتجديد بناء قبور أوليائهم، وتبييضها، وزخرفتها، وتغطية التركيبة أو التابوت أحيانًا بغطاء جديد، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياءً كما كان يفعل اليهود».

* * *



٥- الغلو في الصالحين

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعظم أسباب الشرك، فقال: [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][(١)]، وأكّد علىٰ ذلك أيضًا في باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][(٢)]، وزاد في التنبيه علىٰ عظم هذا المؤثر، فقال: [باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله][(٣)]، وذكر من الأدلة في هذه الأبواب وغيرها من الأبواب ما يدل دلالة واضحة علىٰ أن الغلو في الصالحين من أسباب الشرك.

وأبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أول شرك وقع في الأرض كان سببه الغلو في الصالحين من قوم نوح: سواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، حيث صنع أقوامهم أصنامًا لهم تذكرهم نشاطهم في عبادة الله، ثم عبدوهم[(٤)].

وبيّن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك أن شرك اليهود والنصارىٰ سببه الغلو في

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).
(٢) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٦).
(٣) الباب العشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٠).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

الصالحين، حيث ساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المخرّج في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

ولمّا كان هذا المؤثر من أقوىٰ أسباب الشرك ذكر الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خشية النبي ﷺ أن تقع أمته فيه، فساق ما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا، فإنَّ الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة، أظهر لهم البدع والغلو في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «يرىٰ في منحرفة أهل العبادة والأحوال من الغلو في الأنبياء والصالحين، والابتداع في العبادات، من الرهبانية والصور والأصوات.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم،**

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٠).

(٣) فتح المجيد، ص (١٩٧).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٦٥-٦٧).

فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»، ولهذا حقق الله له نعت العبودية في أرفع مقاماته، حيث قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، ولهذا يُشرع في التشهد وفي سائر الخطب المشروعة، كخطب الجمع والأعياد، وخطب الحاجات عند النكاح وغيره - أن نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وكان رسول الله ﷺ يحقق عبوديته؛ لئلا تقع الأمة فيما وقعت فيه النصارىٰ في المسيح من دعوىٰ الألوهية، حتىٰ قال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**».

وقال أيضًا لأصحابه: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. بل قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»، وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**». وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وقال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

والغلو في الأمة وقع في طائفتين: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية، وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين، فمن توهم في نبينا ﷺ أو غيره من الأنبياء شيئًا من الألوهية والربوبية - فهو من جنس النصارىٰ، وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم، قال تعالىٰ في خطابه لبني إسرائيل:

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، والتعزير: النصر والتوقير والتأييد، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، فهذا في حق الرسول، ثم قال في حق الله تعالىٰ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٩]».

مبدأ الشرك في الأرض هو من الغلو في الصالحين، وكان هذا سبب أول شرك وقع في الأرض في قوم نوح، لذلك نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذا الأمر كما سبق بيان ذلك؛ ليعرف الناس من أين دخل الشرك علىٰ هذه الأمة، فيحذروه، فقال الإمام [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][1]، وابتدأ هذا الباب بقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، ثم أتبعه بما رواه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت[2].

وقال الإمام في المسائل منبهًا علىٰ مبدأ الشرك[3]: «المسألة الثانية: أول

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٣) القول السديد، ص (٦٧).

شرك حدث في الأرض أنه كان بشبهة الصالحين».

وقال موضحًا أثر الغلو في الصالحين في الوقوع في الشرك[١]: «الثامنة: فيه شاهد لما نُقل عن بعض السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلوّ، ومعرفة ما يئول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف علىٰ القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها، كالبخاري وغيره، وهذه أبطلها النبي ﷺ، وحسم مادتها، وسد ذريعتها، حتىٰ لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها، وإن كان المصلي فيها لا يستشفع بهم، ونهىٰ عن الصلاة إلىٰ القبور، وأرسل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأمره ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالًا إلا طمسه ومحاه، ولعن المصورين.

وعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني

---

(١) القول السديد، ص (٦٧).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص (٥٩).

لأبعثك علىٰ ما بعثني رسول الله ﷺ: «**ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»، وفي لفظ: «**ولا صورة إلا طمستها**». أخرجه مسلم».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ ترجمة الإمام [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][1]: «لمَّا ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ما يفعله عُبَّاد القبور مع الأموات من الشرك - أراد أن يُبيّن السبب في ذلك ليُحذر، وهو الغلو مُطلقًا لا سيَّما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديمًا وحديثًا؛ **لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يُظهره في قالب المحبة والتعظيم لهم**».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[2]: «الشرك لا يتساهل فيه أبدًا، والطرق التي تُوصل إلىٰ الشرك لا يُتساهل فيها أبدًا، وأنتم تعلمون ماذا حصل في قوم نوح، وأن الشرك حصل فيهم بسبب تعليق الصور، والغلو في الصالحين، وكانوا في وقتهم لم يشركوا، ولكن صار هذا وسيلة إلىٰ الشرك فيما بعد لما مات أولئك، ونُسي العلم أو نُسخ العلم عُبدت هذه الصور، فالوسائل إذا تسوهل فيها أدّت إلىٰ الشرك، فالواجب علينا منع الشرك، ومنع وسائله، وأسبابه، وأن لا نسمح بالألفاظ الشركية، ولا بأي شيء يفضي إلىٰ الشرك، وعلينا أن نحذر من ذلك صيانةً للعقيدة، وحماية للتوحيد، وإشفاقًا علىٰ المسلمين من الضلال والكفر والإلحاد، فإنه ما حصل هذا الشرك في الأمة، وما حصل هذا الضلال في الأمة إلا لما تساهل الناس في أمر

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٣٠).

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٢٠٢، ٢٠٣).

العقيدة، وسكت العلماء عن بيان خطر الشرك، والتحذير من أسباب الشرك، ورأوا الناس علىٰ الشرك وعبادة القبور ولم ينهوهم، هذا إذا أحسنّا بهم الظن، وقلنا: إنهم ينكرون هذا بأنفسهم، ولكن ما قاموا بواجب الإنكار، أما إذا كانوا يرون هذا جائزًا، فهذا شرك وكفر؛ لأن من رضي به صار مثل من يفعله».

فما ذكره الله من شأن قوم نوح، وكيف وقع فيهم الشرك بعد أن كانوا علىٰ التوحيد - تحذير لنا حتىٰ نحاذر الطريقة التي استزل بها الشيطان قوم نوح فأفسد عليهم دينهم.

وهذا الذي وقع في قوم نوح وقع في اليهود والنصارىٰ، لذلك أتبع الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين]، بباب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!]، وبيّن فيه أن شرك قوم نوح أصاب اليهود والنصارىٰ، فشرك الأمم كلها من الغلو في الصالحين، وساق الإمام حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[1].

وأتبع الإمام هذا الحديث بتحذير النبي ﷺ أن تفعل أمّته في قبره ما فعله قوم نوح بصور صالحيهم، وما فعله اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم وصالحيهم،

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٧).

فساق ما رواه الشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنه لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[1].

وتأمل تنبيه الإمام إلىٰ ذلك في المسائل، حيث قال في المسألة السابعة[2]: «**إن مراده تحذيره إيانا عن قبره**».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «تؤخذ من قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «يُحذّر ما صنعوا». أي: ما صنعه اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم».

وانظر أيها المسلم في واقع الناس في عالمنا الإسلامي كيف استزل الشيطان الجهال فأوقعهم في ورطات الشرك، والعياذ بالله، قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٧هـ) مبينًا كيفية استدراج الشيطان بني آدم إلىٰ عبادة القبور[4]: «المقصود أن الشيطان - بلطف كيده - يُحسِّن لمن حُرم العلم النافع الدعاء عند القبر، وأنه أرجح من الدعاء في بيته ومسجده، فإذا صدّقه في ذلك دعاه إلىٰ درجة أخرىٰ من الدعاء عنده، ثم إلىٰ الدعاء به، والإقسام به علىٰ الله، وهذا أعظم من الأول، فإذا استجاب لذلك دعاه إلىٰ دعاء الميت نفسه من دون الله، ثم ينقله إلىٰ أن يتخذ قبره معتكفًا، وأن يوقد

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

(٢) القول السديد، ص (٧١).

(٣) القول المفيد، ص (٢٦٢).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (١٤٧).

عليه القنديل، بل ويضع عليه الستور، ويقيم عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف حوله، والتقبيل، والاستلام، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته واتخاذه عيدًا».

والأئمة المضلون من القبوريين ضادوا الله في شرعه، فإن النبي ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري عيدًا**»، والقبوريون قالوا: زيارة النبي ﷺ بعد وفاته كزيارته حال حياته. واحتجوا بخبر باطل: «من زارني بعد مماتي، فكأنما زارني في حياتي». وبهذا صار المتصوفون صحابة بمقتضىٰ قياسهم - عافانا الله من هذا الخبال -، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا هذا القياس الباطل، والخبر الكاذب[1]: «وأما جعل زيارة القبر كزيارته حيًّا كما قاسه هذا المعترض - فهذا قياس ما علمت أحدًا من علماء المسلمين قاسه، ولا علمت أحدًا منهم احتج في زيارة قبره بالقياس علىٰ زيارة الحي المحبوب في الله، وهذا من أفسد القياس، فإنه من المعلوم أن من زار الحي حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك - ما لا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه.

وليس رؤية قبره أو رؤية ظاهر الجدار الذي بني علىٰ بيته بمنزلة رؤيته ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه، ولو كان هذا مثل هذا لكان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه، ومعلوم أن هذا من أبطل الباطل.

وأيضًا فالسفر إليه في حياته إما أن يكون لما كانت الهجرة إليه واجبة،

---

(١) باختصار ابن عبد الهادي في الصارم المنكي، ص (٧٦-٨١).

كالسفر قبل الفتح، فيكون المسافر إليه مسافرًا للمقام عنده بالمدينة، مهاجرًا من المهاجرين إليه، وهذا السفر انقطع بفتح مكة، فقال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»، ولهذا لما جاء صفوان بن أمية مهاجرًا أمره أن يرجع إلىٰ مكة، وكذلك سائر الطلقاء كانوا بمكة لم يهاجروا.

وإما أن يكون المسافر إليه وافدًا إليه ليسلم ويتعلم منه ما يبلغه قومه، كالوفود الذين كانوا يفدون عليه، لا سيما سنة تسع، وعشر، سنة الوفود، وقد أوصىٰ في مرضه بثلاث، فقال: «**أخرجوا النصارىٰ من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم**». ومن الوفود وفد عبد القيس لما قدموا عليه ورجعوا إلىٰ قومهم بالبحرين، لكن هؤلاء أسلموا قديمًا قبل فتح مكة، وقالوا: لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام؛ لأن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر. وهم أهل نجد كأسد وغطفان وتميم وغيرهم، فإنهم لم يكونوا قد أسلموا بعد.

وكان السفر إليه حال حياته لتعلم الإسلام والدين ولمشاهدته، وسماع كلامه، وكان خيرًا محضًا، ولم يكن أحد من الأنبياء والصالحين عبد في حياته بحضرته، فإنه كان ينهىٰ من يفعل ما هو دون ذلك من المعاصي، فكيف بالشرك؟ كما نهىٰ الذين سجدوا له، ونهىٰ الذين صلوا خلفه قيامًا، وقال: «**إن كدتم لتفعلون فعل فارس والروم، فلا تفعلوا**». رواه مسلم.

وفي المسند بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك». وفي الصحيح أن جارية قالت عنده: «وفينا نبي يعلم ما في غد»، فقال ﷺ: «**دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين**». ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر

بحضرته، فكل من رآه في حياته لم يتمكن أن يفعل بحضرته منكرًا يُقر عليه.

ومعلوم أنه لو كان حيًّا في المسجد لكان قصده في المسجد من أفضل العبادات، وقصد القبر الذي اتُّخذ مسجدًا مما نهىٰ عنه، ولعن أهل الكتاب علىٰ فعلهم، وأيضًا فليس عند قبره مصلحة من مصالح الدين، وقربة إلىٰ رب العالمين إلا وهي مشروعة في جميع البقاع، فلا ينبغي أن يكون صاحبها غير معظم للرسول ﷺ التعظيم التام، والمحبة التامة إلا عند قبره، بل هو مأمور بهذا في كل مكان.

وزيارته في حياته مصلحة راجحة لا مفسدة فيها، والسفر إلىٰ القبر بمجرده بالعكس مفسدة راجحة لا مصلحة فيها، بخلاف السفر إلىٰ مسجده فإنه مصلحة راجحة، وهناك يفعل من حقوقه ما يشرع في سائر المساجد، وهذا مما يتبين به كذب الحديث الذي يقال فيه: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي». وهذا الحديث هو معروف من رواية حفص بن سليمان الغاضري صاحب عاصم، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي». وقد رواه عنه غير واحد، وهو عندهم معروف من طريقه، وهو عندهم ضعيف في الحديث إلىٰ الغاية، حجة في القراءة، قال يحيىٰ ابن معين: حفص ليس بثقة. وقال البخاري: تركوه.

ونفس المتن باطل، فإن الأعمال التي فرضها الله ورسوله لا يكون الرجل بها مثل الواحد من الصحابة، بل في الصحيحين عنه أنه قال: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**». فالجهاد والحج

ونحوهما أفضل من زيارة قبره باتفاق المسلمين، ولا يكون الرجل بهما كمن سافر إليه في حياته ورآه، كيف وذاك إما أن يكون مهاجرًا إليه كما كانت الهجرة قبل الفتح، أو من الوفود الذين كانوا يفدون إليه يتعلمون الإسلام، ويبلغونه عنه إلىٰ قومهم، وهذا عمل لا يمكن أحدًا بعدهم أن يفعل مثله؟!

ومن شبّه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته - فهو مصاب في عقله ودينه، والزيارة الشرعية لقبر الميت مقصودها الدعاء له والاستغفار كالصلاة علىٰ جنازته، والدعاء المشروع المأمور به في حق نبينا كالصلاة والسلام عليه، وطلب الوسيلة له - مشروع في جميع الأمكنة لا يختص بقبره، فليس عند قبره عمل صالح تمتاز به تلك البقعة، بل كل عمل صالح يمكن فعله هناك يمكن فعله في سائر البقاع، لكن مسجده أفضل من غيره؛ فالعبادة فيه فضيلة بكونها في مسجده كما قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**». والعبادات المشروعة فيه بعد دفنه مشروعة فيه قبل أن يدفن النبي ﷺ في حجرته، وقبل أن تدخل حجرته في المسجد، ولم يتجدد بعد ذلك فيه عبادة غير العبادات التي كانت علىٰ عهد النبي ﷺ، وغير ما شرعه هو لأمته، ورغّبهم فيه، ودعاهم إليه، وما يُشرع للزائر من صلاة وسلام ودعاء له وثناء عليه، كل ذلك مشروع في مسجده في حياته، وهي مشروعة في سائر المساجد، بل وفي سائر البقاع التي تجوز فيها الصلاة، وهو ﷺ قد جعلت له ولأمته الأرض مسجدًا وطهورًا، فحيث ما أدركت أحدًا الصلاة فليصل فإنه مسجد، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه ﷺ.

ومن ظن أن زيارة القبر تختص بجنس من العبادة لم تكن مشروعة في

المسجد، وإنما شُرعت لأجل القبر - فقد أخطأ؛ فلم يقل هذا أحد من الصحابة والتابعين، وإنما غلط في هذا بعض المتأخرين، وغاية ما نُقل عن بعض الصحابة كابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان إذا قدم من سفر يقف عند القبر ويُسلّم، وجنس السلام عليه مشروع في المسجد وغير المسجد، قبل السفر وبعده.

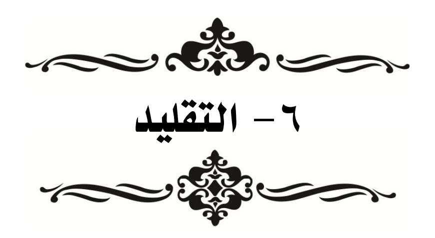
وأما كونه عند القبر فهذا كان يفعله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا قدم من سفر، وكذلك الذين استحبوه للصادر والوارد من المدينة وإليها من أهلها، وللوارد والصادر من المسجد من الغرباء، مع أن أكثر الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك، ولا فرّق أكثر السلف بين الصادر والوارد، بل كلهم ينهون عما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ.

وقد قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما فرّق بين أهل المدينة وغيرها؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها، ولم يقصدوها من أجل القبر والتسليم، قال: وقال النبي ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وقال: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**».

وهذا الذي ذكره من أدلة من سوّىٰ في النهي، فإن قوله ﷺ: «**لا تجعلوا**». و«**لا تتخذوا قبري عيدًا**» نهي لكل أمته، أهل المدينة والقادمين إليها، وكذلك نهيه عن اتخاذ القبور مساجد، وخبره بأن غضب الله اشتد علىٰ من فعل ذلك، وهو متناول للجميع، وكذلك دعاؤه بأن لا يتخذ قبره وثنًا، عام، وما ذكره من أن الغرباء قصدوا لذلك - تعليق علىٰ العلة ضد مقتضاها، فإن القصد لذلك منهي عنه، كما صرّح به مالك وجمهور أصحابه، وكما نهىٰ عنه، وإذا كان منهيًّا عنه أو ليس بقربة لم يشرع الإعانة عليه.

وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم يكن يسافر إلىٰ المدينة لأجل القبر، بل المدينة وطنه، فكان يخرج منها لبعض الأمور، ثم يرجع إلىٰ وطنه فيأتي المسجد، فيصلي فيه ويُسلم، فأما السفر لأجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة، بل ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان يقدم إلىٰ بيت المقدس ولا يزور قبر الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذلك أبوه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه من المهاجرين والأنصار قدموا إلىٰ بيت المقدس، وسائر أهل الشام لم يُعرف عن أحد منهم أنه سافر إلىٰ قبر الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا غيره، كما لم يكونوا يسافرون إلىٰ المدينة لأجل القبر، وما كان قربة للغرباء فهو قربة لأهل المدينة كإتيان قبور الشهداء وأهل البقيع، وما لم يكن قربة لأهل المدينة لم يكن قربة لغيرهم كاتخاذ قبره عيدًا، واتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا، وكالصلاة إلىٰ الحجرة والتمسح بها وإلصاق البطن والطواف بها، وغير ذلك مما يفعله جهال القادمين، فإن هذا بإجماع المسلمين يُنهىٰ عنه الغرباء، كما يُنهىٰ عنه أهل المدينة، ينهون عنه صادرين وواردين باتفاق المسلمين».

* * *



٦- التقليد

التقليد خطره عظيم؛ لأنه يمنع الإنسان من إعمال عقله، ووزن المقالات بميزان الحق وهو الوحي المعصوم، فيعطل الإنسان نفسه من النظر في الحقائق ويتقبلها بالتلقين، قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المقلد راضٍ أن يغبن عقله».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وليس عند أكثر الناس سوىٰ رسوم تلقَّوها عن قوم معظَّمين عندهم، ثم لإحسان ظنّهم بهم قد وقفوا عند أقوالهم، ولم يتجاوزوها، فصارت حجابًا لهم وأي حجاب».

ومن أجل هذا عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله](٣)، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]،

---

(١) مداواة النفوس، ص (٧٤).

(٢) طريق الهجرتين، ص (٢١٥).

(٣) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف علىٰ ما في الكتاب العزيز والسنة المطهّرة، فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة **مع مخالفته لما جاءت به النصوص** وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه - هو كاتخاذ اليهود والنصارىٰ للأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرّموا ما حرّموا وحللوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء، فيا عباد الله، ويا أتباع محمد بن عبد الله، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانبًا، وعمدتم إلىٰ رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاده، فعلتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق، ولم تعضد بعضد الدين، ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوّت بأعلىٰ صوت بما يخالف ذلك ويباينه، فأعرتموهما آذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وأفهامًا مريضة، وعقولًا مهيضة، وأذهانًا كليلة، وخواطر عليلة، وأنشدتم بلسان الحال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا - أرشدكم الله وإياي - كتبًا كتبها لكم الأموات من أسلافكم، واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم، ومتعبدهم ومتعبدكم، ومعبودهم ومعبودكم، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوكم به من الرأي

---

(١) فتح القدير (٢/ ٣٥٣، ٣٥٤).

بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتكم وقدوتهم، وهو الإمام الأول محمد ابن عبد الله ﷺ.

جعوا كل قول عند قول محمد فما آبن في دينه كمخاطر

اللهم هادي الضلال، مرشد التائه، موضح السبيل، اهدنا إلىٰ الحق وأرشدنا إلىٰ الصواب، وأوضح لنا منهج الهداية».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا أثر التقليد في الوقوع في الشرك والكفر في مسائل الجاهلية**(١): «إن دينهم مبني علىٰ أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرىٰ، لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]، فأتاهم بقوله: ﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ: ٤٦]، الآية، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]».

وصدق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالتقليد هو الذي حمل أهل الضلال علىٰ دفع الأدلة في نحورها تقديمًا لمتبوعهم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أجمع العلماء علىٰ أنَّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

---

(١) مسائل الجاهلية، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٢٩). (٢) فتح المجيد، ص (٣٦٢).

والأمر العجيب في المقلدين المشركين أنهم أمروا الناس بالتقليد في أوضح الأمور وأبينها وهو توحيد الله، ولسان حالهم يقول: صمّوا آذانكم وأعينكم وأبصاركم عن حقائق التوحيد التي يبصرها الدواب فضلًا عن البشر، وتنكروا لما تعلمونه ضرورة وما تعيشونه من أنه لا ينفعُ ولا يضر إلا الله، واقبلوا ما نُلّقنه لكم من الأخبار المكذوبة: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»، واستغيثوا بغير الله، خصوصًا الموتىٰ؛ فإنهم وسطاء بينكم وبين الله، تعالىٰ الله عما يشركون.

ونبي الله سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خرج يومًا يستسقي، فوجد نملةً رافعة قوائمها إلىٰ السماء تقول: «اللهم إنا خلق من خلقك، عبيد من عبيدك، ليس بنا غنًىٰ عن سقياك»، والضالون من البشر يلتفتون عن رب العبيد إلىٰ العبيد يسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

حقائق التوحيد يبصرها الأعرابي في البادية، فكيف يقول المضللون: إن الكتاب والسنة لا يفقه معناهما إلا المجتهدون!!

فالأعرابي في البادية يعلم من حاله ما يتيقن معه بألوهية الله وربوبيته وأسمائه وصفاته، فيقال له: بم عرفت ربك؟

قال: بصرف الهمم.

وقال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يُعصىٰ الإلـ	**ـه أم كيف يجحده الجاحد**
وفي كل شيء له آية	**تدل علىٰ أنه واحد**[1]

---

(١) فتح المجيد ص (٣٩٢).

فمن صمّ سمعه وأعمىٰ بصره عن أوضح المعارف وآكد الحقائق - فهو كالأنعام بل أضل سبيلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يقول تعالىٰ مبينًا كثرة الغاوين الضالِّين المتَّبعين إبليس اللعين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾. أي: أنشأنا وبثثنا، ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ﴾: صارت البهائم أحسن حالة منهم، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾. أي: لا يصل إليها فقه ولا علم إلا مجرَّد قيام الحجة، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ﴾: سماعًا يصل معناه إلىٰ قلوبهم، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الذين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾؛ أي: البهائم التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ فسُلبوا خاصية العقل. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾: من البهائم؛ فإنَّ الأنعام مستعملة فيما خُلقت له، ولها أذهان تدرك بها مضرَّتها من منفعتها؛ فلذلك كانت أحسن حالًا منهم، و﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره، خُلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار؛ لتكون عونًا لهم علىٰ القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها علىٰ ضدِّ هذا المقصود، فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار وبأعمال أهلها يعملون، وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصبغ قلبه بالإيمان بالله ومحبَّته ولم يغفل عن الله، فهؤلاء أهل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٣٤٠).

الجنة، وبأعمال أهل الجنة يعملون».

وفي حقيقة الحال أئمة الضلال يعلمون أنهم مبطلون، وأن الشرك لا يمكن أن يقوم عليه دليل، وحملوا الناس علىٰ التقليد؛ ليغبنوا عقولهم حتىٰ يبقىٰ المشركون علىٰ شركهم، ويقتات سدنة القبور من أموال من أضلوهم سواء السبيل.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «نصبوا الحبائل في الصَّد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدُّوا الناس عن متابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه، فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع».

وصدق العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما بقي إلا أن يقول هؤلاء الضالون: إن التكليف قد انقطع!!

وقد قالها غلاة الصوفية الذين رأوا أنهم وصلوا إلىٰ مرتبة اليقين فسقطت عنهم التكاليف، فلا صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا عبادة!!

وهؤلاء أضل الخلق، فلا يصح التوحيد بدون اليقين، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾(٢).

فدعوىٰ أن القرآن والسنة لا يفهمهما إلا المجتهد - دعوىٰ يكذبها القرآن،

---

(١) فتح المجيد، ص (٣٦٤).

(٢) الحجرات: (١٥).

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أي: سهلنا لفظه، ويسّرنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولا تجد كلامًا أحسن تفسيرًا، ولا أتم من كلام الله سبحانه، ولهذا سماه الله بيانًا، وأخبر أنه يسَّره للذكر، ويسَّر ألفاظه للحفظ، ومعانيه للفهم، وأوامره ونواهيه للامتثال، ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب، لم يكن ميسرًا له، بل كان معسرًا عليه، وإذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل علىٰ خلافه، فهذا من أشد التعسير».

والناس كلهم شهود بأن حقائق التوحيد عرفها الأعاجم لما فتح الصحابة الأمصار فضلًا عن العرب، ولم يستروحوا للشرك تقليدًا للآباء والأجداد وأحبار الشرك، قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فدين الإسلام هو ما شرعه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لعباده علىٰ ألسنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثة عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميّز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب علىٰ الله، أو ارتياب في قول الله، أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفىٰ الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٤).

(٢) مختصر الصواعق (١/ ٥٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٨٧).

فقد دل الكتاب والسنة علىٰ ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد، ثم يولي في وقته».

ولهذا يتبين أنه ليس لمقلدة الشرك حجة في تقليد قومهم علىٰ شركهم، فتوحيد الله لا يخفىٰ علىٰ أحد، بل دعوىٰ صعوبة معرفة التوحيد كذب مموّه لا يراد به إلا طمس نور التوحيد والإسلام من عُبّاد الأوثان، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(1): «ولهذا خاطب الرسل أممهم، مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنَّما دَعوْهم إلىٰ عبادة الله وحده، لا إلىٰ الإقرار به، فقالت لهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فوجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء علىٰ الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما يُنكره إلا مكابر بلسانه، وقلبه وعقله وفطرته كلُّها تكذِّبه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد: ٢]».



---

(١) فتح المجيد، ص (٧٢).



٧- الهـوى

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من باب أن الهوىٰ من أسباب الشرك، في باب [من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا](١)، وباب [من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرّم الله - فقد اتخذهم أربابًا من دون الله](٢)، وفي باب [قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠]](٣)، وساق في هذا الباب حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(٤).

فالهوىٰ مبدأ الشرك وأنواع الباطل كله، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «قال

---

(١) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨).

(٢) الباب السابع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٩).

(٣) الباب الثامن والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧١).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٧١، ٧٢).

(٥) تفسير القرآن (٥/ ١٤١).

سعيد بن جبير: كان الواحد منهم يعبد الشيء، فإذا رأىٰ شيئًا أحسن منه طرح الأول وأخذ الثاني فعبده. وقال قتادة في معنىٰ الآية: لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه، فهو يعبد هواه، وقيل: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، أي: أطاع هواه وانقاد له كما ينقاد العبد لمعبوده، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة**»».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، أي: إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنًا فعله، ومهما رآه قبيحًا تركه، وهذا قد يستدل به علىٰ المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين. وعن مالك فيما روي عنه من التفسير: لا يهوىٰ شيئًا إلا عبده، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، يحتمل قولين: **أحدهما**: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك. **والآخر**: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه. والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾، أي: فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئًا يهتدي به ولا يرىٰ حجة يستضيء بها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾».

وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، فالمشركون والكافرون عالمون بأنهم كاذبون ضالون، قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، ومع هذا عمدوا إلىٰ سب المرسلين ونسبتهم إلىٰ الضلال، كما قال

(١) تفسير القرآن العظيم، ص (١٢٤٧).

قوم نوح لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوم نوح جاءوا إلىٰ أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئًا، فنزلوها منزلة فاطر السموات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانًا تقوم بها حجة الله عليهم، لحكم عليهم بأن المجانين أهدىٰ منهم، بل هم أهدىٰ منهم وأعقل».

وفي تأمل شرك أهل الجاهلية أوضح دليل علىٰ أن الهوىٰ مبدأ الشرك، فإنهم كانوا مقرين بأن الله وحده هو الخالق الرازق المغيث، ومع هذا كانوا يشركون به، وإذا نزلت بهم الكرب والشدائد دعوا الله وحده؛ لعلمهم أنه وحده هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣)».

وقد عرف المشركون ذلك في جاهليتهم، فكانوا يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيخلصون لله العبادة، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، كما اعترفوا أيضًا أن الله سبحانه هو الخالق الرزاق، النافع،

---

(١) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين (٦/ ٢٦٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ البازية (١/ ١٣١-١٣٢)، الطبعة الأولىٰ -١٤٠٨ هـ.

(٣) غافر: (٦٠).

الضار، المدبّر لأمور العباد، وأنهم ما عبدوا غيره من الأنبياء، والأولياء، والملائكة، والجن، والأصنام والأوثان - إلا ليشفعوا لهم عند الله، وليقربوهم لديه زلفىٰ، كما ذكر الله عنهم ذلك في كتابه المبين، حيث قال عَزَّوَجَلَّ في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال في سورة الزمر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٢، ٣].

ففي هذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة - الدلالة الصريحة علىٰ أن الله سبحانه هو الإله الحق، المستحق للعبادة، وأنه لا يجوز تأليه غيره ولا صرف شيء من ذلك لسواه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]».

والكفار لما كذّبوا بالحق لما جاءهم عاقبهم الله بتقليب أفئدتهم في الضلال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فاختلطت عليهم الأمور، كما قال تعالىٰ: ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، فلذلك تجدهم يقولون عن النبي ﷺ مرة: إنه ساحر. وأخرىٰ: شاعر. وثالثة: كاهن. ورابعة: به جنة. أي مس من الجن، وهم كاذبون، قال تعالىٰ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني

الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «عدل عن اسمه العلم، وهو محمد، أو صفته العالية وهي الرسول، وأضافه إليهم باسم الصحبة، فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾؛ ليبقىٰ عليهم قبيح ما أقدموا عليه من نسبتهم الجنون إلىٰ من صاحبوه دهرًا طويلًا، ولازموه عمرًا مديدًا، وعلموا ما طُبع عليه من الأخلاق الكريمة والأوصاف الجميلة، والفطرة السليمة، وخلوّه من النقائص الظاهرة والباطنة».



(١) رموز الكنوز (٢/ ٣٢٩).



٨- الأئمة المضلون

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][1]، أن من أسباب الشرك الأئمة المضلين، الذين ضادوا عقيدة التوحيد التي بُعث بها المرسلون، واستعاضوا عنها بالشرك في المخلوقين، والعياذ بالله، فإنه قد ساق في هذا الباب حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وذكر رواية البرقاني: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**». وذكر في مسائل هذا الباب[2]: «المسألة الثالثة عشرة: حصر الخوف علىٰ أمته من الأئمة المضلين».

والنبي ﷺ سمّىٰ الأئمة المضلين في حديث آخر بأنهم دعاة علىٰ أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، وهذا - والله - أعظم تحذير، فمن أراد فكاك رقبته من النار والفوز بالجنة، فليحذر أئمة الشرك وشركهم الذي يسوقون به الناس إلىٰ جهنم، وبئس المصير، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ودعاة التوحيد ناصحون للناس، آخذون بأيديهم إلىٰ أسباب سلامتهم وفوزهم بالجنة ونجاتهم من النار. والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢) القول السديد، ص (٨٠).

باب: [من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه][(١)]، ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[(٢)].

فقول النبي ﷺ لمن تعلّق تميمة: «لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا». فيه بيان شفقته علىٰ الناس، ورحمته بهم أن تقع منهم الأعمال الشركية التي توجب خسارتهم.

وأئمة الضلال جمعوا بين أمرين عظيمين، الدعوة إلىٰ الشرك، ومحاربة أئمة التوحيد ودعاة العقيدة؛ وما ذاك إلا لأن دعاة التوحيد يكشفون زيف الشرك ودعاته، وفي هذا ذهاب الأموال التي يقتات بها سدنة القبور.

فالأئمة المضلون يستطيلون علىٰ دعاة التوحيد بالباطل، ويقولون عن أئمة التوحيد: إنهم ينتقصون الصالحين، ولا يوقرونهم.

ونحن نقول: إن أئمة الشرك ينتقصون الله، ويصرفون حقه الخالص إلىٰ مخلوق من مخلوقاته، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأعمالهم الشركية التي يفعلونها ويأمرون الناس بها يتبرأ منها من عبدوهم، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا**

---

(١) الباب السادس، كتاب التوحيد، ص (١٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٥).

حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وكل مخلوق يعرف أنه لا ينبغي له أن يدعو لعبادته أو عبادة غيره من الخلق، قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]، فأئمة الضلال بدّلوا شرع الله، وعوضًا عن دعوة الناس إلىٰ التوحيد دعوا إلىٰ الشرك، وسقوا الخلق هذا الشرك في آنية توقير الأولياء، والشفاعة بجاههم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

والأولياء، والملائكة، والنبيون، والصالحون أنفسهم - فقراء إلىٰ الله، بيده أمرهم جميعًا، وهم جميعًا يعبدونه لا يعبدون غيره، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والدين الذي نزل به الوحي هو الدين الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ، وأهل الضلال يتبعون دينًا ليس موافقًا للشرع المنزل، ولا لهم به علم، بل يتّبعون أهواءهم وما يذوقونه ويجدونه في أنفسهم، بغير شرع ولا علم.

ولهذا كان شيوخ أهل المعرفة يوصون باتباع الشرع والعلم، ويذمّون أهل العبادات الذين لا يتبعون الشرع والعلم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾ [الحج: ٧١]، ولهذا

(١) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٢٦-٢٨).

طالب الله أهل الضلال بالعلم والسلطان، فقال تعالىٰ: ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأنعام: ١٤٣]، فبيّن أن الصادق يكون معه علم بما قاله، فمن لا علم عنده فهو مفترٍ؛ للكذب علىٰ الله.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٩، ١٧٠]».

ومن طرائق الدجاجلة أئمة الشرك أنه إذا لم يحصل للمستغيث قضاء حاجته إذا أنزلها بغير الله، **قالوا للجاهل الذي أضلوه وصرفوه عن الله: إنّ**

اعتقادك في الولي ضعيف. أو: قربانك - الشركي - ليس أنفس ما تملك. أو: ليس مطابقًا لما طلبه سدنة القبور وخدّام الموتىٰ، وهكذا حتىٰ يبقىٰ من انصرف لغير الله أسير أهوائهم وأطماعهم.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإن جرىٰ المقدور بحصول شيء مما يريدون، استبشروا، وفرحوا، ونسبوا ذلك إلىٰ صاحب القبر، فإن لم يتيسر شيء من ذلك، اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائب في مكان آخر[٢]، أو ساخط لبعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يُعْطوه نذره، ونحو هذه الخرافات».

❊ ❊ ❊

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٨٣).

(٢) ما أقبح هذا التضليل الذي يمارسه الدجاجلة! وأقبح من هؤلاء من قَبِلَ هذا التضليل، فربٌ غائب غير قائم علىٰ كل نفس بما كسبت، فضلًا عن أن يكون قائمًا بنفسه كيف يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟!!

٩ - قضاء الشيطان حوائج المشركين

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من باب أن الذي أوقع كثيرًا من الناس في الشرك هو طلبهم قضاء حوائجهم من الكهان والسحرة، في باب [ما جاء في السحرة][١]، وباب [بيان شيء من أنواع من السحر][٢]، وباب [ما جاء في الكهان][٣]، ومن أعظم ما يطلبونه من الكهان معرفة الغيب، وساق قول النبي ﷺ: «**من أتىٰ عرَّافًا فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»[٤].

فمن أعظم أسباب الشرك هو استمتاع الإنسي بالجن، واستمتاع الجني بالإنس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «يعني: قد استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم،

(١) الباب الثالث والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٥).

(٢) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٧).

(٣) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٥) بدائع التفسير (٢/ ١٨١، ١٨٢).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد والحسن وغيرهم: أضللتم منهم كثيرًا، فيجيبه سبحانه أولياؤهم من الإنس بقولهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، يعنون استمتاع كل نوع بالنوع الآخر، فاستمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الكفر والفسوق والعصيان، فإنه أكثر أغراض الجن من الإنس، فإذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مناهم، واستمتاع الإنس بالجن: أنهم أعانوهم علىٰ معصية الله تعالىٰ، والشرك به».

ويعظم افتتان الخلق بإعانة الجن لهم عند القبور، حيث يوقعهم الشيطان في الشرك، بالاستغاثة بغير الله، وتخاطب الجن هؤلاء المشركين ويخبرونهم ببعض المغيبات، فيظن المشركون أن أرواح الموتىٰ هي التي تخاطبهم؛ فتعظم فتنة المشركين بشركهم، وصدق ربنا: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ومن أسباب عبادته أيضًا: أن الشياطين تدخل فيها - يعني الأصنام -، وتخاطبهم منها، وتخبرهم ببعض المغيَّبات، وتدُلُّهم علىٰ بعض ما يخفىٰ عليهم، وهم لا يشاهدون الشياطين. فجهلتهم وسَقَطهم يظنُّون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطِب!

وعقلاؤهم يقولون: إن تلك روحانيات الأصنام!

وبعضهم يقول: إنها ملائكة!

وبعضهم يقول: إنها العقول المجرَّدة!

وبعضهم يقول: هي روحانيات الأجرام العلوية!

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٦١).

وكثير منهم لا يسأل عمَّا عَهِد، بل إذا سمع الخطاب من الصنم، اتخذه إلهًا، ولا يسأل عمَّا وراء ذلك!

وبالجملة، فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، والأوثان، ولم يتخلّص منها إلا الحنفاء: أتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثانًا هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه، وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميّت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرىٰ القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلّمه وعانقه، وهذا يرىٰ عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان، فإن الشيطان يتصوّر بصور الإنس، ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان، ويكون كاذبًا في ذلك، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جدًّا، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلّمه - هو المقبور أو النبي أو الصالح وغيرهم، والمؤمن العظيم يعلم أنه شيطان، ويتبين ذلك بأمور: **(أحدها)**: أن يقرأ آية الكرسي بصدق، فإذا قرأها تغيّب ذلك الشخص أو ساخ في الأرض أو احتجب، ولو كان رجلًا صالحًا أو ملكًا أو جنيًّا مؤمنًا لم تضره آية الكرسي، وإنما تضر الشياطين، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا قال

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٦٨، ١٦٩).

له الجني: اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلىٰ فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح. فقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب**».

و(**منها**): أن يستعيذ بالله من الشياطين.

و(**منها**): أن يستعيذ بالعوذ الشرعية، فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهم وتفسد عبادتهم، كما جاءت الجن إلىٰ النبي ﷺ بشعلة من النار تريد أن تحرقه، فأتاه جبريل بالعوذة المعروفة التي تضمنها الحديث المروي عن أبي التياح أنه قال: سأل رجل عبد الرحمن بن حبيش - وكان شيخًا كبيرًا قد أدرك النبي ﷺ -: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: تحدّرت عليه من الشعاب والأودية، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ. قال: فرعب رسول الله ﷺ، فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «**يا محمد، قل**. قال: **ما أقول؟**» قال: **قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما يخرج من الأرض، ومن شر ما ينزل فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق يطرق، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**»، قال: **فطفئت نارهم، وهزمهم الله عَزَّوَجَلَّ**»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وشياطين الإنس والجن قد يوافقون الإنسان علىٰ بعض أغراضه، إذا وافقهم علىٰ ما يهوونه من

---

(١) تحريم أقسام المعزّمين، ص (١٨).

الشرك والفسوق، مثل الذي يقسم علىٰ النصراني بصليبه وسيّدته وقدّيسه، وعلىٰ الهندي بيده، وعلىٰ مشركي العرب باللات والعزىٰ ونحو ذلك، فإنه قد يطيعه لعظم هذا القسم عنده، ولكن لا يحل لمن يؤمن بالله ورسوله أن يقسم بذلك.

ولهذا لم يكن أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا سلف الأمة وأئمتها يصنعون من هذا التعزيم ونحوه، ولهذا قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة في «إبانته» المشهورة: «ومن البدع: النظر في كتب العزائم والعمل بها، وادعاء كلام الجن واستخدامهم وقتل بعضهم». فجعل هذا من البدع؛ لأنه لم يكن في السلف من يعمل هذا، لا من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة؛ لأنه قد استقر في دينهم أنهم لا يتكلمون إلا بكلام يعلمون معناه وجوازه، وفي هذه الأمور من الكلام ما لا يفهم معناه.

وأيضًا قد استقر في دينهم أنهم لا يتكلمون بشرك، لا للجن ولا لغيرهم، ولا يعوذون بجني، بل ولا ذلك لإنسي، بل ولا يدعون أحدًا إلا الله».

ولا يجوز لمسلم أن يأتي سحرًا ولا شركًا ولا كفرًا لحصول أغراضه، فما نهىٰ الشرع عنه فمفسدته راجحة أو خالصة، والله جعل لنا في المباح ما يغني عن الحرام، قال تعالىٰ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكثير ممن تكلم في هذا الباب لا يعرف حقائق ما في ذلك من الضرر، بل ينظر إلىٰ نوع من حصول بعض

(١) تحريم أقسام المعزّمين، ص (٢٣).

الأغراض وزوال بعض الأمراض، وصاحب الغرض والحاجة قد لا يبالي ما حصل في ذلك من فساد الدين والدنيا، فإن صاحب الحاجة أعمىٰ لا يعرف إلا قضاءها.

والله سبحانه لم يحوج عباده إلىٰ ما نهاهم عنه، بل يجعل لهم في الطرق المباحة الشرعية ما يغنيهم عن الأمور المكروهة البدعية، فضلًا عن المحرمة الكفرية».





١٠ - التشبه بالكافرين

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أسباب الشرك التشبه بأهل الكتاب خصوصًا الشرك في القبور، ففي باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][1]، ساق البراهين الواضحة علىٰ ذلك، فذكر أولًا ما جاء في الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرار الخلق عند الله**».

ثم ساق ما رواه الشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يُحذّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا.

وساق كذلك ما رواه مسلم عن جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتَّخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم**

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١].

فهذه الأدلة واضحة وصريحة في أن من أسباب الشرك التشبه بأهل الكتاب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**ولمّا كان هذا مبدأ الشرك في النصارىٰ**، وفي القبور - سدّ النبي ﷺ ذريعة الشرك، ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا طمسته»».

فمحاكاة الكفار والتشبه بهم خطر عظيم علىٰ أديان المسلمين، وهل دخل الشرك إلىٰ جزيرة العرب إلا بسبب التشبه بالكافرين؟ فإن الناس في جزيرة العرب كانوا علىٰ ملة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فذهب عمرو بن لحي الخزاعي إلىٰ الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام ويسيبون الدواب تحريمًا للانتفاع بها، فحاكاهم في شركهم وكفرهم وتحريم الحلال، وجلب هذا الضلال لجزيرة العرب، وأفسد ملة إبراهيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذا من العلم المشهور: أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويقال: إنه جلبها

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٧، ٣٨).

(٢) قاعدة عظيمة في التفريق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٤٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٠، ٣٥١).

من البلقاء من أرض الشام، متشبهًا بأرض البلقاء، وهو أول من سيّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمىٰ الحام، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه يجر قصبه في النار - وهي الأمعاء -، ومنه سُمي القصاب بذلك؛ لأنها تشبه القصب، **ومعلوم أن العرب قبله كانوا علىٰ ملة أبيهم إبراهيم، علىٰ شريعة التوحيد، والحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم.**

فتشبه عمرو بن لحي، وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأىٰ أن في تحريم ما حرّمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام - تعظيمًا لله ودينًا، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهًا فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتىٰ غلب علىٰ أفضل الأرض الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وتغيير دينه، إلىٰ أن بعث الله رسوله ﷺ، فأحيا ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأقام التوحيد، وحلّل ما كانوا يحرمونه».

وفي باب [من تبرّك بشجر أو حجر ونحوهما][1]، أقام الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ برهانًا آخر علىٰ أن التشبه بالكافرين ومحاكاتهم من أسباب الشرك، فساق حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة

(١) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ سَنَنَ من كان قبلكم**. رواه الترمذي وصححه»[١].

وقال الإمام في مسائل هذا الباب[٢]: «الخامسة عشرة: النهي عن التشبُّه بأهل الجاهلية».

وقال[٣]: «التاسعة عشرة: أن كل ما ذمّ الله به اليهود والنصارىٰ في القرآن فإنه قاله لنا».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أن سنَّة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين».

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٥]: «هذه القصة فيها فوائد: **الأولىٰ**: الحذر من الشرك، وأنه قد يدبّ إلىٰ المسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾، (اجعل لنا ذات أنواط). ففي ذلك التحذير من مجاراة الكفار، والتحذير من الفتن التي تنجم عن ذلك، ومن ذلك عبادة القبور التي أحدثوها وفُتنوا بها وصاروا يدعون الناس إليها».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «فالتبرك بقبور

---

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢، ٣، ٤) القول السديد، ص (٤٢).

(٥) شرح كشف الشبهات، ص (١٠٣).

(٦) فتح المجيد، ص (١١٩).

الصالحين - كاللَّات -، وبالأشجار والأحجار - كالعُزَّىٰ ومناة - من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان، فمن فعل مثل ذلك، أو اعتقد في قبر أو حجر أو شجر - فقد ضاهىٰ عُبَّاد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك، علىٰ أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم - أعظم مما وقع من أولئك».

فعامة ما يدخل علىٰ المسلمين من النقص سببه ترك شيء من الشرع، ومحاكاة الكفار، فالحذر من هذا المدخل ضروري لصيانة أديان الناس، وحفظ عقائدهم وأخلاقهم، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن النفوس تتأسىٰ بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس».

ولعظم خطر محاكاة الكفار وتقليدهم في إفساد الأديان نهىٰ النبي ﷺ عن الشبر في مشابهة الكفار، فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن؟**»[٢].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهىٰ الشرع عنه وذمه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «فقد تبين لك: أن من أصل

---

(١) لطائف المعارف، ص (١٣٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (ص ٥٨٢ - رقم ٣٤٥٦)، ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارىٰ (ص١١٦٢، رقم: ٦٧٨١).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٠١).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٢).

دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي - التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير: المحافظة علىٰ سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبُّه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟».

❊ ❊ ❊



١١ - عدم الإخلاص

حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا كما جاء في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المخرّج في الصحيحين، ويتفاوت قيام الناس بهذا الحق تفاضلًا عظيمًا، ويدل لذلك حديث البطاقة، حيث توضع بطاقة التوحيد في كفة فتطيش بسجلات الذنوب، قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «ومعلوم أن كل مُوحّد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثَقَّلَ بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات: لمّا لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلًا لا نقدر أن نضبطه».

وتحقيق التوحيد وكمال الإخلاص يطرد أنواع المخالفات والإرادات الباطلة والنيات الفاسدة، فالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ يثمر كل خير من الأعمال، وأعظمها وأولها وأساسها أعمال القلوب.

وأعمال القلوب والجوارح إنما يقوي مادتها علم القلوب، وهو حسن

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٦٤).

الاعتقاد، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]: «لو وُزن إيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإيمان أهل الأرض لرجح به».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ افتتح كتاب التوحيد بالأدلة المنبهة علىٰ الإخلاص في تحقيق كلمة التوحيد، فساق حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فإن الله حرّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله**». رواه البخاري ومسلم[٢].

وكلما تحقق العبد من توحيد الله وتجريد العمل الصالح له - أدرك جوائز إيمانه وتوحيده، قال تعالىٰ: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٧٢]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا لا بشرك ولا بمعاصٍ - حصل لهم الأمن التام والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات حصل أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها».

فالشأن في تجريد التوحيد وإخلاص العمل لله، فالمعاصي والذنوب اختلاس يختلسه الشيطان من إيمان العبد، فالإخلاص يحرس العبد من الشيطان وجنده، والشرك الأكبر لا يجتمع مع الإيمان فإنه يزيله بالكلية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «ومتىٰ لم يكن الله وحده غاية مراد العبد،

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وصححه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في تخريج أحاديث الكشاف.

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦). (٣) تيسير الكريم الرحمن، ص (٢٨٢).

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٣٣).

ونهاية مقصوده، وهو المحبوب المراد له بالذات والقصد الأول، وكل ما سواه فإنما يحبه ويريده ويطلبه تبعًا لأجله - لم يكن قد حقّق شهادة أن لا إله إلا الله، وكان فيه من النقص والعيب والشرك، وله من موجبات ذلك - من الألم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك».

والتوحيد الذي من لقي الله به أدخله الجنة علىٰ ما كان من العمل - هو الخالص لله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلىٰ الله تعالىٰ جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلىٰ الله تعالىٰ بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات علىٰ تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً، وما يزن خردلة، وما يزن ذرَّة. وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إله إلا الله. يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرَّم علىٰ النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلّون، ويسجدون لله، وتواترت بأن الله يُحرِّم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله. وشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، لكن جاءت مقيّدة بالقيود الثِّقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص!

وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه!

وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث:

---

(١) فتح المجيد، ص (٤٣).

«**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**». وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًّا علىٰ ذنب أصلًا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، فإذن لا يبقىٰ في قلبه إرادةٌ لما حرَّم الله ولا كراهة لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم علىٰ النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، **فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين - لا يتركون له ذنبًا إلا مُحي عنه كما يمحو الليل النهار**».

فالواجب علىٰ العبد حفظ إيمانه وصيانة توحيده وإخلاص العمل لله وحده عَزَّوَجَلَّ، فإن فساد النية من أعظم مداخل الشيطان علىٰ العبد في إفساد دينه.

قال أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٤٥ هـ)**[١]: «وأما الشرك في الإرادات والنيات فهو البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن نوىٰ بعمله غير الله تعالىٰ فلم يقم بحقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، واستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه - تتحقق معنىٰ الكلمة الإلهية».

---

(١) تجريد التوحيد المفيد، ص (٢٧).

وهذا البحر الذي لا ساحل له كما قال المقريزي - سماه النبي ﷺ بشرك السرائر، كما في حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح ابن خزيمة، وحذّر منه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد غاية التحذير، ففي [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]][١]، ونبّه عليه بأدلة كثيرة كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤][٢]، وقول النبي ﷺ في الصحيحين: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»[٣]، وقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا»[٤]، ونبّه عليه في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾[آل عمران: ١٧٥]][٥]، وساق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**من التمس رضىٰ الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان[٦].

ولعظم خطر شرك السرائر، وكثرة ما يبتلىٰ به الخلائق إلا من شاء الله جعل له الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا مستقلًّا [باب ما جاء في الرياء][٧]، وحشد من الأدلة ما يوجب نفرة الموحدين عن الرياء، وما يوجب

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).
(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٩).
(٣) كتاب التوحيد، ص (٦٠).
(٤) كتاب التوحيد، ص (٦١).
(٥) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).
(٦) كتاب التوحيد، ص (٦٣).
(٧) الباب الخامس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٧).

محاذرته وأن يخشىٰ الإنسان علىٰ نفسه منه.

وساق فيه حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، رواه مسلم.

وساق حديث أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟** قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزيِّن صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**»، رواه أحمد.

وحذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشرك الأكبر في الإرادات والقصد، وهو أن يكون ابتداء الفعل والعمل لغير الله، فقال: [باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][(١)]، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦][(٢)].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «اعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياءً محضًا، بحيث لا يُراد به سوىٰ مراآت المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون: ٤-٦]، وكذلك وصف الله الكفار بالرِّياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصِّيام، وقد يصدر في الصَّدقة الواجبة أو الحجِّ، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدىٰ نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشكُّ مسلمٌ أنه حابط، وأن صاحبه يستحقُّ المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرِّياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدلُّ علىٰ بطلانه وحبوطه أيضًا».

* * *



١٢- قضاء الله الكوني

الشرك قضاه الله كونًا فلا بد أن يقع، وقضاه الله لحكمة وهو أن يقع التكليف في الدنيا دار الاختبار، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، والكفر والشرك لا يحبه الله ولا يرضاه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، والذي يحبه الله ويرضاه وبعث به رسله عليهم السلام، وأنزل به كتبه - توحيده وعبادته والإيمان به والكفر بالشرك، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا مما نبّه عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتاب التوحيد، في المقدمة(١)، حيث ساق الآية.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قضاء الله عَزَّوَجَلَّ ينقسم إلىٰ قسمين:

١- قضاء شرعي.

٢- قضاء كوني.

فالقضاء الشرعي: يجوز وقوعه من المقضي عليه وعدمه، ولا يكون إلا فيما يحبه الله، مثال ذلك: هذه الآية: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فتكون «قضىٰ» بمعنىٰ: شرع، أو بمعنىٰ: وصَّىٰ، وما أشبههما.

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣).

(2) القول المفيد، ص (٢١، ٢٢).

والقضاء الكوني: لا بدَّ من وقوعه، ويكون فيما أحبَّه الله، وفيما لا يحبه، مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، فالقضاء هنا كوني؛ لأن الله لا يشرع الفساد في الأرض، ولا يحبه».

وما قضاه وقدّره من الكفر والشرك ليس شرًّا محضًا، فلولا ما قضاه الله كونًا من هذا الشرك لما شُرع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للأرض وهو أول رسول بعد أن وقع الشرك في قومه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لولا المعصية من أبي البشر - بأكله من الشجرة - لما ترتب علىٰ ذلك ما ترتّب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالىٰ، من امتحان خلقه وتكليفهم، وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وإظهار آياته وعجائبه وتنويعها وتصريفها، وإكرام أوليائه، وإهانة أعدائه، وظهور عدله وفضله، وعزته وانتقامه، وعفوه ومغفرته، وصفحه وحلمه، وظهور من يعبده ويحبه، ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان.

لو قُدّر أن آدم لم يأكل من الشجرة، ولم يخرج من الجنة هو وأولاده - لم يكن شيء من تلك، ولا ظهر من القوة إلىٰ الفعل ما كان كامنًا في قلب إبليس يعلمه الله، ولا تعلمه الملائكة، ولم يتميز خبيث الخلق من طيبهم، ولم تتم المملكة، حيث لم يكن هناك إكرام وثواب، ودار سعادة وفضل، ودار شقاوة وعدل».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٠٨، ٤٠٩).

والمشركون يحتجون بالقدر علىٰ شركهم، قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ولا حجة لهم في ذلك فإن الله خلق خلقه حنفاء، كما قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**». متفق عليه، والعبد هو عامل عمله، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١]، والله خلق في العبد قدرة تامة وإرادة جازمة يختار بها الفعل، قال تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾. [التكوير: ٢٨].

واعلم أن الله عدل لا يظلم، فضلال من ضل لأنه رد هدىٰ الله ولم يقبله، فمثل هذا يناسبه كفره الذي اختاره علىٰ فطرة الله وشرعه وتوحيده، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال ربنا: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدىٰ، وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم، حتىٰ كأنهم يشاهدونه عيانًا، وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرًا وباطنًا، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا تمييز معه، أو كوْنِهِ بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله، فإنه لا يعذبه حتىٰ يقيم عليه حجته».

---

(١) شفاء العليل، ص (١٤١).



١٣ - الذنوب

حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الذنوب في أبواب كثيرة، كباب [ما جاء في السحر][١]، حيث ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الموبقات السبع[٢]، وفي باب [المحبة][٣]، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وحديث أنس في الصحيحين مرفوعًا: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[٤].

وفي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥][٥]، ساق حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»، رواه

---

(١) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص(٤٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٤٨).

(٣) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٥٩).

(٤) كتاب التوحيد، ص(٥٩، ٦٠).

(٥) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٦١).

ابن حبان[١]. وكذلك في باب [من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][٢]، ساق حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار**». رواه مسلم[٣]. وفي باب [ما جاء في كثرة الحلف][٤]، ساق حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**»، أخرجاه[٥].

وبوّب البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان [باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر]، للتحذير من الذنوب وما لها من الأثر العظيم في إضعاف الإيمان، قال الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ[٦] «إن القوم لما رأوا هذا النفاق يغول الإيمان لم يكن لهم همٌّ غير النفاق».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[٧]: «وقول البخاري بعد ذلك: وما يُحذر من الإصرار علىٰ النفاق والعصيان من غير توبة؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فمراده: **أن الإصرار علىٰ المعاصي وشعب النفاق من غير توبة يخشىٰ منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية**، وبالوصول إلىٰ النفاق الخالص، وإلىٰ سوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك، كما يقال: إنَّ المعاصي بريد الكفر».

---

(١) كتاب التوحيد، ص(٦٢).

(٢) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٦٨).

(٣) كتاب التوحيد، ص(٦٨).

(٤) الباب الحادي والستون، كتاب التوحيد، ص(١٠٣).

(٥) كتاب التوحيد، ص(١٠٣، ١٠٤).

(٦) فتح الباري (١/ ١٩٦).

(٧) فتح الباري (١/ ١٩٧).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وأصل هذا يرجع إلىٰ ما سبق ذكره من أن النفاق أصغر وأكبر، **فالنفاق الأصغر**: هو نفاق العمل، وهو الذي خافه هؤلاء علىٰ أنفسهم، وهو باب النفاق الأكبر، فيخشىٰ علىٰ من غلب عليه خصال النفاق الأصغر في حياته أن يخرجه ذلك إلىٰ النفاق الأكبر حتىٰ ينسلخ من الإيمان بالكلية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١]».

وقد ذكر الله في جملة أسباب كفر بني إسرائيل: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾: المشار إليه ما سبق من كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ﴿بِمَا عَصَواْ﴾: الباء للسببية، و «المعصية» الخروج عن الطاعة، إما بترك المأمور، وإما بفعل المحظور، ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، معطوف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا عَصَواْ﴾، و«الاعتداء»، مجاوزة الحد إما بالامتناع عما يجب للغير، أو بالتعدي عليه.

والفرق بين «المعصية»، و«العدوان»، إذا ذكرا جميعًا - أن المعصية: فعل ما نُهي عنه. و«الاعتداء»، تجاوز ما أُمر به، مثل أن يصلي الإنسان الظهر مثلًا خمس ركعات. وقيل: إن «المعصية»: ترك المأمور. و«العدوان»: فعل المحظور.

وسواء أكان هذا أم هذا فالمهم أن **هؤلاء اعتدوا، وعصوا، فلم يقوموا بالواجب، ولا تركوا المحرم، ولذلك تدرجت بهم الأمور حتىٰ كفروا بآيات**

---

(١) فتح الباري (١/ ١٩٥).

(٢) تفسير سورة البقرة (١/ ٢١٤).

الله، وقتلوا أنبياءه، وفي ذلك دليل لما ذهب إليه بعض أهل العلم أن المعاصي بريد الكفر، فالإنسان إذا فعل معصية، استهان بها، ثم يستهين بالثانية، والثالثة، وهكذا حتىٰ يصل إلىٰ الكفر، فإذا تراكمت الذنوب علىٰ القلوب حالت بينها وبين الهدىٰ والنور، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

فالسيئات والذنوب تُضعف مادة التوحيد في القلب، وإذا لم يحدث لها توبة، ولم يبادر بالحسنات، بادرته ذنوب أخرىٰ، فالمعاصي تقود لأخواتها، فإذا كان القلب ضعيفًا صار أكثر عرضة لاستيلاء الشيطان واستحواذه عليه، فيزين له الشرك ويهوّنه عليه وربما يرديه فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فإن السيئات تُضعف الإيمان واليقين، فيضعف بذلك قول: «لا إله إلا الله»، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلِّم بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تُنقص ذلك الصدق واليقين، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون علىٰ ذلك، ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

وإذا كثرت الذُّنوب ثقُل علىٰ اللسان قوْلها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصَّالح، وثَقُلَ عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأنَّ إلىٰ الباطل، واستحلىٰ الرَّفث ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٣١-٢٣٣).

إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدِّقه عمله، كما قال الحسن: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدَّقَته الأعمال، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبل منه، ومن قال شرًّا وعمل شرًّا لم يقبل منه».

وقال بكر بن عبد الله المزني: «ما سبقهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقَرَ في قلبه».

فمن قال: «لا إله إلا الله»، ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا وسيئات، وكان صادقًا في قولها مُوقنًا بها، لكنَّ ذنوبه أضعاف أضعاف صدقه، ويقينه، وانضافَ إلىٰ ذلك الشرك الأصغر العملي، رجحت هذه الأشياء علىٰ هذه الحسنة، ومات مصرًّا علىٰ الذُّنُوب.

بخلاف من يقولها بيقين وصدقٍ تامٍّ، فإنه لا يموت مصرًّا علىٰ الذُّنوب، إما أن لا يكون مصرًّا علىٰ سيئة أصلًا، أو يكون توحيده المتضمِّن لصدقه ويقينه رجَّح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها قد فاتهم أحد هذين الشرطين:

إما إنهم لم يقولوها بالصِّدق واليقين المنافيين للسيئات، أو لرُجحان السيئات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت علىٰ حسناتهم، ثم ضَعُفَ لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدقٍ ويقين تامٍّ؛ لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصِّدْق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوىٰ علىٰ محو السيئات، بل ترجح سيئاتهم علىٰ حسناتهم».

* * *



١٤- تهوين الشرك

الذي يزجر الناس عن الشرك سمو نفوسها بأداء حق الله الخالص، والقيام بواجبه من الاستخلاف في الأرض، وشكر نعمه التي لا تحصىٰ، وأعظم ما يكون من شكر النعم تحقيق التوحيد وتجريد العمل خالصًا لوجه الله وحده لا شريك له.

والذي يزجر الناس كذلك عن الشرك الوعيد الشديد الذي جاء فيه، فإنه الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، وهو الذنب الموجب للخلود في النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والمشركون ضادوا الله في أمره وشرعه، فهوّنوا علىٰ الناس الشرك، ورققوا له ليركبه الخلق علىٰ بصيرة، والعياذ بالله، ومن أجل هذا حذّر الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من دعاة الشر الذين يرققون للشرك بتهوينه علىٰ الناس، ففي باب [ما جاء في الذبح لغير الله][1]، ساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل**

---

(١) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠).

النار رجل في ذباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**مرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتىٰ يُقرّب له شيئًا، قالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرِّب. قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا. فقرَّب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرّب. قال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ. **فضربوا عنقه، فدخل الجنة**». رواه أحمد(١).

فهذا حديث عظيم فيه بيان تواصي أهل الشر بالشر وأمرهم بالمنكر، وحملهم الناس علىٰ الشرك، فهم دعاة علىٰ أبواب جهنم، يرققون للشرك ويهونونه للناس فيأمرون الناس أن يقرّبوا لغير الله ولو شيئًا حقيرًا، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام هدىٰ رغّب في التوحيد وحذّر من الشرك، فإنه في باب [بيان فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب](٢) - ساق حديث عتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المخرّج في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله**»(٣)،

وحق الله الخالص لا يجوز صرفه لغير الله ولو كان المتقرب به صغيرًا باعتبار قيمته المادية، فالعبادة أمرها عظيم خصوصًا الصلاة والنحر، فهي من أجلّ الطاعات وأعظمها وأفضلها، ولا يغفل أحد عن معنىٰ القصد إلا من لا يعرف حقيقة التوحيد، فقصد غير الله بالعبادات شرك، فإن الله قال معظمًا خطر الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢١، ٢٢).

(٢) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٦).

وقال تعالىٰ محذرًا من الشرك بأنواعه: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦]، فقوله تعالىٰ: ﴿شَيْـًٔا﴾، نكرة في سياق النهي فتعم كل شيء صغيرًا وكبيرًا، ذبابًا أو بدنة، وليس المقصود بالنحر اللحوم والدماء، وإنما المقصود العبادة والتأله والقصد لله وحده لا شريك، قال تعالىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾ [الحج: ٣٧]، ومن عظم حب الله في قلبه وتوقيره وتعظيمه والعبودية له - فإنه لا يصرف شيئًا من العبادات لغير الله، فالنحر لغير الله شرك أكبر مهما كان ثمن المتقرب به يسيرًا.

والموحّد كذلك لا يحقر الثمن اليسير إذا كان خالصًا لوجه الله تعالىٰ، قال النبي ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[1].

ولا بد هنا من الوقوف مع الفائدة العظيمة التي دوّنها الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل هذا الباب، فإنه قال[2]: «معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك[3] علىٰ القتل، ولم يوافقهم علىٰ طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر».

وغرض الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الفائدة التنبيه إلىٰ ضرورة الصبر علىٰ

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» (ص ٢٢٩ - رقم ١٤١٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة (ص ٤١٠ - رقم ٢٣٤٩) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) القول السديد، ص (٤٥).

(٣) الموحّد الذي رفض أن يقرب لغير الله، ولو كان حقيرًا كالذباب.

التوحيد، وطائفة العلماء كطائفة الأنبياء يجب عليهم من تبليغ الشرع وبيان التوحيد والصبر علىٰ ذلك ما لا يجب علىٰ آحاد الناس، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وإذا استحضر بعضنا حديث عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فنذكّره بأن بلالًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان معه ولم يجب، ونذكّره بالصبر علىٰ الإيمان والتوحيد، وعدم القبول أو التسليم لإكراه الكافرين علىٰ الشرك والكفر بعزيمة بقية الصحابة في الصبر علىٰ أذىٰ المشركين، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «إن الإنسان لا يستقيم له إسلام - ولو وحّد الله وترك الشرك - إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، الآية، فإذا فهمت هذا فهمًا جيدًا عرفت أن كثيرًا من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها، **وإلا فما الذي حمل المسلمين علىٰ الصبر علىٰ ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلىٰ الحبشة، مع أنه ﷺ أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم؟** كيف وقد أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك».

فالمؤمنون الموحدون يحيون من أجل تحقيق التوحيد كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

(١) شرح ستة مواضع من السيرة، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٤٠).

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].

والمّوحدون يموتون علىٰ التوحيد، ويقاتلون الناس لحملهم علىٰ التوحيد، قال النبي ﷺ «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ**».

وأنت إذا تأملت حديث «**قرّب ولو ذبابًا**»، لا يظهر فيه تحقق الإكراه، لأن الذي قبله خلّوا سبيله بمجرد عرضهم عليه وطلبهم منه، والثاني لم يتحقق أنه يُقتل بصبره علىٰ التوحيد، فلما وقع عليه القتل كان شهيدًا صابرًا علىٰ دينه مقيمًا لتوحيده، معظمًا أن يقع في الشرك لمجرد عرضه عليه، لذلك قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد هذا الحديث[2]: «معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك علىٰ القتل، ولم يوافقهم علىٰ طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر».

ولا بد هنا من ملاحظة حبائل المشركين في تهوين الشرك علىٰ الناس، بدعوىٰ عدم تكفير المسلمين.

ومن الأمور المضحكة المبكية في وقت واحد أن تجد بعض الدعاة ممن يتأول للقبوريين كالصاوي نصب نفسه للكلام في أمور عظيمة، وهو يجهل حقيقة التوحيد وحقيقة شرك الجاهلية، فصار يعتذر عن الشرك بما اعتذر به كفار قريش ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

---

(١) الأنعام: (١٦٢، ١٦٣).

(٢) القول السديد، ص (٤٥).

قال الصاوي: «بعد الاتفاق علىٰ أصل اعتبار التأويل عند إجراء الأحكام، قد يقع النزاع في اعتبار التأويل في مسألة بعينها، كاعتبار ما يتأوله الصوفية في النذور التي تُقدم إلىٰ أصحاب القبور، علىٰ أن النذر لله، والثواب لأوليائه، وفي الدعاء الذي يتوجهون به إلىٰ أصحاب القبور، علىٰ أن المقصود به طلب الشفاعة من الولي إلىٰ الله»[١].

فالصاوي لا يعرف أن اتخاذ القبوريين الموتىٰ وسائط بينهم وبين الله في قضاء حاجاتهم - هو شرك مشركي قريش، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن قصدهم الملائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلىٰ الله بذلك - هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبىٰ عن الإقرار به المشركون».

فالصاوي جاء إلىٰ أصل الشرك في العالم وهو الاستغاثة بغير الله، ورقّق له بدعوىٰ أنه مختلف فيه، فاستروح الجهال إلىٰ شركهم؛ لأنه مختلف في حكمه كما افترىٰ الصاوي، فهذا المنهج القبيح جعل أصول الدين ألعوبة، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، **فالصاوي يقول: إن الاستغاثة بالأولياء من التوسل المختلف فيه!**

فنقول: أولًا إن الاختلاف ليس بحجة عند المحققين من العلماء، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من

---

(١) الثوابت والمتغيرات، ص (٢١٩).

(٢) كشف الشبهات ص (٤١-٤٤)، بشرح العلامة الفوزان.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٩٩).

فقهاء الأمة، إلا من لا بصر له، ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله».

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة علىٰ المختلفين من الأولين والآخرين».

والاستغاثة بغير الله شرك، سواء سأل الموتىٰ أنفسهم، أو جعلهم وسائط بينه وبين الله في دعائه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومن أنواعه - أي الشرك -: طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثة بهم، والتَّوجُّه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميِّت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلىٰ الله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فإذا كان ﷺ نهىٰ عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلىٰ نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ؟».

❊ ❊ ❊

---

(١) أعلام الحديث (٣/ ٢٠٩٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧٥)، تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٩٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥).



١٥- القــوة

القوة لها أثر عظيم في انقياد الخلق لاعتقاد ذي القوة، فإن استعملت القوة في تحقيق التوحيد لله، كان ذلك جهاد وهو أفضل الطاعات، وإن استعملت القوة في قهر الناس علىٰ الشرك، كان ذلك أضل الأعمال وأعظمها عقوبة في الدار الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص: ٤١].

ومن أوضح الأدلة علىٰ عظم تأثير هذا السبب في الاعتقاد – قول النبي ﷺ لهرقل لما دعاه للإسلام: «**فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»(١)، وما ذاك إلا لأن الناس تبع لملوكهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فللرغبة والرهبة تأثير عظيم في معاونة الاعتقاد، كما للاعتقاد تأثير عظيم في الفعل والترك، فكل واحد من العلم والعمل، من الاعتقاد والإرادة – يتعاونان».

وقد بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر هذا السبب في وقوع الشرك في باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان](٣)، وذكر قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١]، قال

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (ص ٢ – رقم ٧).

(٢) جامع الرسائل (١/ ٢٣٨)، تحقيق: د: محمد رشاد سالم.

(٣) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القائل هم الأمراء الذين لهم الغلبة، هذا الفعل - اتخاذ المساجد علىٰ القبور - من وسائل الشرك، وقد جاءت شريعتنا بمحاربته حتىٰ إن النبي ﷺ قال وهو في سياق الموت: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يُحذِّر ما صنعوا**»».

وأما الأدلة علىٰ فضل القوة في حمل الناس علىٰ الإسلام فكثيرة، منها قوله ﷺ: «**عجب ربك من قوم يقادون إلىٰ الجنة بالسلاسل**». قال العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فهم لم يقودوهم ليدخلوهم في دين الإسلام كرهًا، وإنما قادوهم أسارىٰ بأمر الله تعالىٰ، وتطبيقًا لقواعد الحرب، فلما دخل أولئك الأسارىٰ إلىٰ بلاد الإسلام، رأوا نور الإسلام وأخلاقه وفضله، فانشرحت صدورهم، ودخلوا فيه باختيارهم، وكذلك حديث ثمامة ابن أثال: حين قبضت عليه خيل النبي ﷺ، وربط إلىٰ سارية من سواري المسجد ثلاثة أيام، فأطلق النبي ﷺ سراحه، ولم يكرهه علىٰ الإسلام، ولكن ما شاهده في المسجد من نور الإسلام وأخلاق الإسلام، أخذ بمجامع قلبه، فخرج إلىٰ حائط من حوائط المدينة، فاغتسل، ورجع إلىٰ النبي ﷺ، وقال له: والله لقد جئت هذا البلد وما علىٰ وجه الأرض بلد أبغض إليَّ منه، والآن ما علىٰ وجه الأرض بلد أحب إليَّ منه، فمرني بأمرك».

❋ ❋ ❋

---

(١) تفسير سورة الكهف، ص (٤١).

(٢) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/ ٢٣٦).

١٦- الاغترار بالكثرة

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب][1]، أن من أسباب الشرك كثرة أتباعه، فضعيف العقل لا ينظر في حقيقة ما عليه الأكثرون، ولا يعتصم بالوحي، فيتّبع الأكثرين، وساق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل، ومعه الرجلان، والنبي وليس معه أحد**»[2].

وقال الإمام في مسائل هذا الباب[3]: «ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة».

وصدق والله فإن العالم والعاقل لا يغتر بالكثرة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وهذه الحجة - الاغترار بالكثرة - يسميها الإمام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) الباب الثاني، كتاب التوحيد، ص (٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨، ٩).

(٣) القول السديد، ص (٢١).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحجة الفرعونية، كما سيأتي نقله عنه.

فالعاقل يزن كل نحلة وملة وعقيدة بل وكل قول بالموازين العادلة: الوحي المعصوم من القرآن والسنة، وما يوافقه من الفطرة السليمة، والعقل الصريح، والعبد إذا تأمل دعوة الموحدين وجدها دعوة المرسلين التي أوحاها الله إليهم، ولا يجد في الوحي إلا الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

والعلماء المتحرون للحق ينقادون للحق لا للخلق وإن ضلوا، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]: «لا يكن أحدكم إمّعة، يقول: أنا مع الناس، ليوطِّن أحدكم نفسه علىٰ أن يؤمن ولو كفر الناس».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل الجاهلية[٢]: «إن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به علىٰ صحة الشيء، ويستدلون علىٰ بطلان الشيء بغربته، وقلة أهله، فأتاهم النبي ﷺ بضد ذلك، وأوضحه في غير موضع من القرآن».

قال العلامة محمود بن شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا ومعلقًا[٣]: «الاعتماد علىٰ الكثرة، والاحتجاج بالسواد الأعظم، والاحتجاج علىٰ بطلان الشيء بقلة أهله، فأنزل الله تعالىٰ بضد ذلك وما يبطله، فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٧).

(٢) مسائل الجاهلية، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) شرح مسائل الجاهلية، ص (١٤).

أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧]، فالكثرة علىٰ خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحقُّ أحقُّ بالاتباع وإن قلَّ أنصاره، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤]، فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليلون، غير أن القلة لا تضرهم.

تُعيّرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

فالمقصود أن من له بصيرة ينظر إلىٰ الدليل، ويأخذ ما يستنتجه البرهان، وإن قلَّ العارفون به المنقادون له.

ومن أخذ ما عليه الأكثر وما ألفته العامة، من غير نظر لدليل - فهو مخطئ، سالك سبيل الجاهلية، مقدوح عند أهل البصائر».

وقال عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس علىٰ ضلالة، وأنهم ليسوا علىٰ شيء، وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت علىٰ راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرآء عليه قومه، فتلطّفت حتىٰ دخلت عليه بمكة، فقلت له: وما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، قلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «**بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحّدَ الله لا يُشرك به شيء**»، فقلت له: فمن معك علىٰ هذا؟ قال: «**حر وعبد**»، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ممن آمن معه، فقلت: إني متَّبعك[1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص ٣٣٤-رقم ١٩٣٠).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معاني هذا الحديث**[1]: «فيه أيضًا أنه فهم المراد من التوحيد، وفهم أنه أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال: من معك على هذا؟

قال: «**حر وعبد**»، فأجابه: إن جميع العلماء والعُبّاد والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتّبعه على ذلك إلا من ذُكر، فهذا دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض، ولله در الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وفي الصحيحين أن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسع مئة، وفي الجنة واحد من كل ألف، ولمّا بكوا من هذا لما سمعوه، قال ﷺ: «**إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين**». قال الترمذي: حسن صحيح.

فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام، ومن اتّبع الرسول ﷺ إذ ذاك، ثم ضمَّ إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضًا أنه ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**» - تبين له الأمر إن هداه الله، وانزاحت عنه **الحجة الفرعونية**: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، والحجة القرشية: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾».

(١) مفيد المفيد في كفر تارك التوحيد، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٠٠).

١٧ – ضعف التحقق بتوحيد الأسماء والصفات

التحقق بتوحيد الأسماء والصفات يدفع أنواع الشرك، يدفع شرك الألوهية والربوبية.

فمن تيقَّن أن الله وحده النافع الضار كيف يطلب من ميت انقطع عمله أن ينفعه أو يضره، وكذلك من علم أن الله يصعق لعظمته إذا تكلم بالأمر أعظم مخلوقاته ملائكته المقربون - كيف يتأله لغير الله، وإن كانوا ملائكة أو نبيين؟!

وقد نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من باب أن الشرك يقع مع ضعف التحقق بتوحيد الأسماء والصفات وفساده، ففي باب [لا يستشفع بالله علىٰ خلقه](١)، ساق حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًّا أتىٰ النبي ﷺ، وقال له: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك علىٰ الله. فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، سبحان الله!**». فما زال يُسبِّح، حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد**». رواه أبو داود(٢).

(١) الباب الرابع والستون، كتاب التوحيد، ص (١٠٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠٩).

فالنبي ﷺ لكمال تحققه بتوحيد الأسماء والصفات، أبىٰ علىٰ الأعرابي أن يستشفع به علىٰ الله، ولم يحابه في حق الله الخالص، وإن كان من غلا فيه هو ذات النبي ﷺ، وبيّن لأصحابه أن الأعرابي ما قال ذلك إلا عن جهل بالله، لذلك قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**شأن الله أعظم من ذلك**»، فهذا دليل واضح صريح علىٰ أن عدم التحقق بتوحيد الأسماء والصفات من أسباب الشرك.

والله عَزَّوَجَلَّ أرشد عباده في كتابه أن التحقق بتوحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته يُعرّف الخلق بحق الله الخالص في عبادته وحده لا شريك له، فقال تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ٢١]، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبّه القبوريين إلىٰ هذا التوجيه القرآني ووضّحه لهم غاية التوضيح، فانظر مثلًا باب [قول الله تعالىٰ: ﴿**أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢**﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]، كيف أيقظ في كل عاقل أن ما يشركون به مع الله هم مخلوقون خلقهم الله، ولا يخلقون شيئًا، ولا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يستطيعون نصر أنفسهم فضلًا عن أن ينصروا غيرهم، ولذلك أتبع الآية بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣][(١)].

وعقد بابًا في أسماء الله وصفاته لهداية الخلق في توحيد الألوهية، فقال: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ

(١) الباب الرابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٦).

أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]][(١)]، فمن علم أن الله وحده النافع الضار دعاه وحده واستغاث به وحده، وكذلك من علم الله سميعًا قريبًا دعاه مباشرة ولم يجعل بينه وبين الله وسائط شركية، وسعىٰ في بذل أسباب إجابة الدعاء التي نبّه الله عليها بقوله سبحانه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فالاستجابة له بكمال الطاعة، والإيمان به هو تحقيق التوحيد لا إفساده بالوسائط الشركية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد، وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقّب آية الدعاء بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾».

وإذا علم العبد أن الله رب الملائكة، والنبيين، والصالحين - عبد الرب ولم يعبد المربوبين، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦]، وهذا ما أمر به عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من يعبده، وقد نبّه علىٰ هذا الأسلوب في تحقيق التوحيد ونفي الشرك - الإمام محمد بن عبد الوهاب في أكثر من دليل، خصوصًا قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، والوسيلة هي طاعة الله بما شرعه[(٣)].

فتدبر معاني الأسماء والصفات، وتدبّر ربوبية الله في ملكه وخلقه - يوجب تحقيق توحيد الألوهية، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٣٣).

(٣) الباب الخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩١).

بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٠-٦٢].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا كله تقرير لألوهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالىٰ المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده المنفرد بتدبير عباده، في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل، وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية، وهو تعالىٰ يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال، ثم لا يزال تعالىٰ هكذا، يتصرف فيهم، حتىٰ يستوفوا آجالهم، فيقضىٰ بهذا التدبير أجل مسمًّىٰ - وهو أجل الحياة -، وأجل آخر فيما بعد ذلك - وهو البعث بعد الموت -، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾، لا إلىٰ غيره، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، من خير وشر.

﴿وَهُوَ﴾ تعالىٰ ﴿ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾، ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيئته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئًا، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا

---

(١) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين (٦/ ١٨٣، ١٨٤).

لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨]، فهذا حفظه لهم في حال الحياة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾، أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدّره الله وقضاه ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية.

﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت والحياة البرزخية وما فيها من الخير والشر ﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾، أي الذي تولاهم بحكمه القدري فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم ردوا إليه ليتولىٰ الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم علىٰ ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علىٰ الشرور والسيئات، ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾، وحده لا شريك له، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾؛ لكمال علمه، وحفظه لأعمالهم بما أثبته في اللوح المحفوظ ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم.

فإذا كان تعالىٰ هو المنفرد بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتنىٰ بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته إلىٰ عبادة من ليس له من الأمر شيء، ولا عنده مثقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونه بالشرك والكفران، ويتجرءون علىٰ عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافيهم ويرزقهم لانجذبت دواعيهم إلىٰ معرفته وذهلت عقولهم في حبه، ولمقتوا أنفسهم أشد المقت حيث انقادوا لداعي الشيطان الموجب للخزي والخسران،

ولكنهم قوم لا يعقلون».

ونبّه علىٰ سلوك هذا المنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [الشفاعة][(١)]، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٢٢]، فكيف يُعبد من لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا يُجرّد التوحيد لمالك وخالق السموات والأرض وما فيهن؟!!

لذلك قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية[(٢)]: «**قطعت عروق الشرك من أصله**».

فتوحيد الأسماء والصفات يقرّر توحيد الألوهية ويدل عليه ويهدي إليه، ومن تحقق به نفىٰ عنه الشرك، وقد قرّر ذلك وأوضحه وبيّنه الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب خاص من كتابه، فقال: [باب: قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[(٣)]، وساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان، ينفذهم ذلك، حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**»[(٤)] وساق كذلك حديث النوّاس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال:

---

(١) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٢) المسألة الثانية من باب الشفاعة، القول السديد، ص (٥٩).

(٣) الباب الخامس عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٨).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٢٨-٢٩).

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالىٰ أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة** - أو قال: **رعدة - شديدة؛ خوفًا من الله** عَزَّوَجَلَّ، **فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرُّوا لله سجدًا**»[١].

فالسموات ترتعد خوفًا من الله، وتُصعق الملائكة خوفًا من الله إذا تكلَّم بالوحي، والمخلوق البشري الذي خُلق من ماء مهين يشرك بالله، ما قدروا الله حق قدره.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والآيات المذكورة في هذا الباب، والأحاديث تقرِّر التوحيد، الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الملك العظيم، الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه ومهابة، وترجُف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته، وملكه وعزِّه وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعهم إليه، ونفوذ قدره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته لا يجوز شرعًا ولا عقلًا، أن يُجعل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم، فكيف يُجعل المربوب ربًّا، والعبد معبودًا؟!

أين ذهبت عقول المشركين؟!

سبحان الله عما يشركون».

ولمعرفة حقيقة أثر توحيد الأسماء والصفات في تحقيق أنواع التوحيد ونفي الشرك انظر في تعليقات المحققين الموحدين في معاني الأسماء والصفات،

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٠).

(٢) فتح المجيد، ص (١٧٩).

فانظر مثلًا في اسم الله «الأول»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فإن الرب سبحانه هو المالك المدبّر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل، فمن شهد أن المعطي أو المانع، أو الضار أو النافع، أو المعز أو المذل غيره - فقد أشرك بربوبيته.

ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك، فلينظر إلىٰ المعطي الأول مثلًا، فيشكره علىٰ ما أولاه من النعم، وينظر إلىٰ من أسدىٰ إليه المعروف فيكافيه عليه؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من أسدىٰ إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»؛ لأن النعم كلها لله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾، فالله سبحانه هو المعطي علىٰ الحقيقة، فإنه هو الذي خلق الأرزاق، وقدّرها، وساقها إلىٰ من يشاء من عباده، فالمعطي هو الذي أعطاه، وحرّك قلبه لعطاء غيره، فهو الأول والآخر».

* * *

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٩٢).

١٨- تعاطي وسائل الشرك

أحاطت الشريعة العقيدة والتوحيد بسياج قوي متين يمنع من السقوط في الشرك، فحرّمت وسائل الشرك، فضلًا عن تحريم الشرك الأصغر والأكبر، وهذا أمر واضح لمن استقرأ أدلة الشريعة، وهو دال علىٰ أن تعاطي وسائل الشرك يوقع فيه، كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ، يوشك أن يقع فيه.

ولعل من أهم ما يُميّز كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عنايته الفائقة بهذا الأمر، ونصيحته للمسلمين في ذلك، ففي باب [لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله][(١)]، ساق حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، «فقال: **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود وإسناده علىٰ شرطهما[(٢)].

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا سبب التحريم[(٣)]: «ولو قصد الذابح وجه الله؛ لأنه إحياء للمحل الشركي، وتعظيم له، فيكون

(١) الباب العاشر، كتاب التوحيد، ص (٢٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٢، ٢٣).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (١٠٣).

وسيلة إلىٰ وجود الشرك ووقوعه، وسد الذرائع من أهم ما جاءت به الشريعة، بل لا يجوز، بعدًا عن الشرك ومواضع الغضب، وكان أهل نجد كغيرهم يذبحون للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم، ويتخذون للذبح لهم مكانًا مخصوصًا في دورهم، فأزال الله ذلك عنه بدعوة شيخ الإسلام قدّس الله روحه».

وحذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك من المبالغة في إطراء النبي ﷺ والصالحين؛ لأنه ذريعة للشرك، ففي باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][1]، ساق حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، رواه الشيخان[2]، وحذّر من عبادة الله عند القبور، لئلا يستدرج الشيطان من يصنع ذلك إلىٰ عبادة المقبورين، ففي باب [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده][3]، ساق حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**»[4]، ثم بيّن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنىٰ المسجد، فقال[5]: «وكل موضع

---

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٦).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٦).

(٣) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٧).

(٤) كتاب التوحيد، ص (٣٨).

(٥) كتاب التوحيد، ص (٣٩).

قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كل موضع يُصلىٰ فيه يُسمىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».

وعقد الإمام بابًا لحماية جناب التوحيد، [باب ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يُوصل إلىٰ الشرك][١]، وساق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، رواه أبو داود بإسناد حسن[٢]، وختم الباب بأثر علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإنَّ تسليمكم ليبلغني أين كنتم**»، رواه في المختارة[٣] .

ومن قوة نصيحته للمباعدة عن الشرك أنه في باب [ما جاء في الكهان][٤]، ساق حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منّا من تطير أو تُطيِّر له، أو تكهَّن، أو تُكُهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ**»، رواه البزّار بإسناد جيد[٥].

ومن تمام عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بسد ذرائع الشرك، أنه كرر باب [ما جاء في حماية النبي ﷺ حمىٰ التوحيد وسده طرق الشرك]،

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤١، ٤٢).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٤) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٥) كتاب التوحيد، ص(٥٠، ٥١).

في خاتمة كتاب التوحيد[1]، وذلك تأكيدًا في صيانة توحيد المسلمين عما يضعفه أو يفسده، ونظرًا لغنىٰ الشريعة بأدلة سد ذرائع الشرك، ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواعًا جديدة من الأدلة لم يذكرها في الأبواب المتقدمة، فساق حديث عبد الله بن الشخِّير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدنا. فقال: «**السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينَّكم الشيطان**». رواه أبو داود بسند جيد[2].

فالنبي ﷺ أنكر علىٰ أصحابه قولهم له: «سيدنا»، وهو مباح مع أنه سيدهم بلا ريب، وسمعوا منه وهو يقول واصفًا نفسه: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، لكنه حمايةً لجناب التوحيد وصيانةً لعقائد أصحابه، وخشية عليهم من الغلو قال: «**السيد الله**»، ثم قال معللًا نهيه أصحابه عن مقالتهم: «**ولا يستجرينكم الشيطان**»؛ لأن الشيطان يتدرج مع الخلق من المباح إلىٰ الممنوع، ومن وسائل الشرك إلىٰ الشرك نفسه، ولذلك أتبع الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث بحديث آخر يبيّن كيف وقع أصحابه في الممنوع، فساق حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيِّدنا وابن سيِّدنا. فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّوَجَلَّ**»، رواه النسائي بسند

(١) الباب الخامس والستون، كتاب التوحيد، ص(١١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

جيد[١].

فقول النبي ﷺ: «**قولوا بقولكم**». «أنت سيدنا»، «**أو بعض قولكم ولا يستهوينكم**» فيه زجر عن بعض كلامهم «ابن سيدنا»؛ لأن أباه كافرٌ كما قال النبي ﷺ لأحد أصحابه لما سأله عن أبيه: «**أبي وأبوك في النار**». قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن النبي ﷺ أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل «السيد»؛ لأن السيد المطلق هو الله تعالىٰ، وعلىٰ هذا، فيجوز أن يقال: سيدنا، وسيد بني فلان. ونحوه، ولكن بشرط أن يكون المُوَجَّه إليه السيادة أهلًا لذلك، أما إذا لم يكن أهلًا كما لو كان فاسقًا أو زنديقًا، فلا يقال له ذلك حتىٰ ولو فُرض أنه أعلىٰ منه مرتبة أو جاهًا، وقد جاء في الحديث: «**ولا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله**». فإذا كان أهلًا لذلك، وليس هناك محذور، فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل فلا يجوز، والمحذور هو الخشية من الغلو فيه».

فتعاطي وسائل الشرك يُوقع في الشرك، فالمباعدة عن وسائل الشرك وسد ذرائعه من أوكد ما يجب علىٰ المؤمنين، وانظر كيف أوقع الشيطان قوم نوح في ذريعة الشرك أولًا، وهو تصوير الصالحين، ثم أوقعهم في عبادتها بعد ذلك، قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٣]: «إن التصوير سبب من

(١) كتاب التوحيد، ص (١١٠).

(٢) القول المفيد، ص (٦٩٩، ٧٠٠).

(٣) إعانة المستفيد، (٢/ ٢٦٢).

أسباب الشرك، ووسيلة إلىٰ الشرك الذي هو ضد التوحيد، كما حدث لقوم نوح لمّا صوروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلىٰ أن عبدوهم من دون الله، فأوّل شرك حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التّصوير.

وكذلك قوم إبراهيم الذين بُعث إليهم الخليل - عليه الصلاة والسلام - كانوا يعبدون التماثيل التي هي صور مجسمة لذوات الأرواح، وكذلك بنو إسرائيل عبدوا التمثال الذي هو علىٰ صورة عجل صنعه لهم السامري.

فدلّ هذا: علىٰ أنَّ التصوير سبب لحدوث الشرك ووسيلة إلىٰ الشرك، وذلك أنه إذا صُنعت الصورة وعُلِّقت أو نُصبت وهي صور للزُّعماء والصّالحين والعلماء فإنّها في النهاية تعظَّم، ثم الشيطان يأتي الناس، ويقول لهم: إن هذه الصور فيها نفع لكم، وفيها دفع ضرر، فيعظِّمونها ويتبركون بها، ويذبحون لها وينذرون، حتىٰ تصبح أوثانًا تُعبد من دون الله».



١٩ - غلبة المنهج الدهري والعلماني

المنهج العلماني من أسباب الشرك بالله، فإن من ينزّل الحق والباطل منزلة سواءً، ويعذر المختلفين في كل شيء، ولو في العقيدة والتوحيد - فإنه قد وقع في الشرك شعر أو لم يشعر، فإن كلمة التوحيد لها ركنان، «النفي والإثبات»، **فالنفي**: في «لا إله»، فتنفي الآلهة الباطلة التي تُعبد من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال سيد الحنفاء خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]. **وركن الإثبات**: في «إلا الله»، فتثبت الألوهية الحقة لله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فالعلمانية دينها هو إلغاء ركن النفي وإفساد ركن الإثبات، فلا يرضون لنا بالتوحيد، ويوجبون علينا الشرك إكراهًا أو تدليسًا، فيقولون بوحدة الأديان، ويقولون بحرية المعتقد ولو كان شركًا، ولو كان بعبادة الأبقار والنار.

وقد أبطل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المنهج العلماني في أول باب من أبواب التوحيد في باب [بيان فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب][1]،

(١) الباب الأول، كتاب التوحيد، ص (٥).

حيث ساق حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق - أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه[(١)].

فانتخاب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ لهذا الحديث - يبطل كل عقيدة باطلة، ويبطل العلمانية من الأساس، فالشهادة لا تكون إلا عن علم، ولا تكون إلا شهادة حق لا باطل، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، والشرك والبدع والضلالات لا يقوم عليها دليل صحيح.

وهذا الحديث يبطل عقيدة التثليث في عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فليس هو إله، ولا ثالث ثلاثة، ولا ابن الله، بل هو بشر، عبد الله ورسوله، كما جاء في الحديث الذي استدل به الإمام: «**وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله**»، وهو أول ما أنطق الله به عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وأبطل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ العلمانية كذلك في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][(٢)]، حيث ساق حديث النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ**»[(٣)]، فهذا الحديث يبطل كل الأديان والمذاهب الباطلة.

والعلمانية بمعنىٰ «لا دين» مع أنها كفر محض فهي أيضًا المرقاة للشرك؛ لأن من لا يتدين بدين فما أيسر تحوله للشرك؛ لأنه بلا توحيد.

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٥، ٦).

(٢) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).

(٣) كتاب التوحيد، ص (١٤، ١٥).

٢٠- الأمن من الشرك

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأمن من الشرك من أسباب الوقوع فيه، لذلك حذّر منه غاية التحذير، وجعل له بابًا خاصًّا في كتاب التوحيد، باب [الخوف من الشرك][١]، وساق فيه قول الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥][٢].

ومن تهاون في الشرك وقع فيه والعياذ بالله، ومن خافه تباعد عنه غاية البعد، خصوصًا إذا قام بأسباب تقوية إيمانه وصيانة توحيده، وقبل ذلك اعتصم بالله وحده في هدايته وحفظ دينه وعقيدته، ولضرورة الناس إلىٰ الاعتصام بالله واستعانته في الهداية ولزومها أمر الله خلقه بقراءة سورة الفاتحة في الصلوات الخمس في كل ركعة، وهذا دال بلا ريب علىٰ أن سؤال الله الهداية وحفظ الدين هو من توحيد الله ومن بذل آكد أسباب الهداية، كما قال ربنا في الحديث القدسي: «**استهدوني أهدكم**»[٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «قدّم المفعول، وهو «إياك»، وكرر

(١) الباب الثالث، كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٢) كتاب التوحيد، ص (١٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ص ١١٢٨ - رقم ٦٥٧٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ص (٢٠).

للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلىٰ هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا المعنىٰ في غير آية من القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

ولا يأمن الشرك إلا جاهل أو مغرور، فقد خافه سيد الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه، قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم؟».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته».

فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيد الحنفاء الذي أُمر نبينا ﷺ باتباعه، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فيكون دعاؤه للزوم الاستقامة علىٰ التوحيد دهره كله.

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أما في حق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٦٨٨). (٢) تفسير القرآن العظيم (ص ٧٣٩).

(٣) تفسير القرآن (٣/ ١١٩).

فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت».

وإذا كان هذا حال من ضمنت له العصمة؛ لأنه مسدد بالوحي، فذريته أحق بالاحتياط لتوحيدهم والتحرز لعقيدتهم، لذلك قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه».

فالشيطان يسارق العبد ويختلس توحيده ويوقعه في أمور من الشرك لا يسلم منها العبد إلا بالاعتصام بالله وحده، وبمعرفة التوحيد، ومعرفة الشرك ومحاذرته فإنه أنواع يستزل بها الشيطان خلق الله من جهة الألفاظ، ومن جهة الأفعال، ومن جهة القصد والإرادات وأعمال القلوب.

فإذا أمن العبد من الشرك ربما وقع فيه، ونحن لا نهوّل، بل نضع الأمور في مواضعها كما جاء في خبر أصدق وأنصح البشر، نبينا ﷺ، والنبي ﷺ خاف علىٰ أصحابه من الرياء الذي يُبتلىٰ به عامة الناس إلا من شاء الله أعظم من خوفه عليهم من المسيح الدجال، فقال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدّجال؟** قالوا: بلىٰ، قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته؛ لما يرىٰ من نظر رجل**»[٢].

ففتنة الرياء أخوف علىٰ النبي ﷺ من فتنة المسيح الدجال الذي يقول

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٨٨).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الرياء والسمعة (ص ٦١٢ - رقم ٤٢٠٤).

للسماء: أمطري. فتمطر، و: أخرجي كنوزك. فتخرج كنوزها؛ لأن فتنة المسيح الدجال لمن حضر وقته، أما الرياء فهي فتنة حاضرة في كل وقت، فلا إله إلا الله كم أصابت من بشر، وكم نالت من أعمال الخلق وإراداتهم ومقاصدهم؟!

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في الحديث من الفوائد شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته ونصحه لهم، وأن الرِّياء أخوف علىٰ الصالحين من فتنة المسيح الدجال، **فإذا كان النبي ﷺ يخافه علىٰ سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن دونهم بأضعاف أولىٰ بالخوف من الشرك، أصغره وأكبره**».

فلا ينبغي لأحد أن يتهاون في شأن التوحيد تحسينًا للظن بنفسه، بل الواجب أن يبالغ في تحقيق التوحيد وحماية جنابه، ونبينا ﷺ علّم أصحابه أن يستعيذوا من الشرك، وأرشدهم إلىٰ ما يدعون الله به مما يكون سببًا في عصمتهم منه، فكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه**»[(٢)].

فالقلوب الحية المحققة للتوحيد العارفة بحواز القلوب، وأهواء النفوس، وما يعتريها من سوء القصد والإرادات، وما يقع في ألفاظ الناس وأعمالهم من الشرك بأنواعه، وما يستعمله الشيطان من حيل في استزلال الخلق والتسلل لواذًا إلىٰ توحيدهم - تحذر الشرك ولا تأمنه، وتحذّر الناس منه، قال

(١) فتح المجيد، ص (٣٤٨).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٧ - رقم ٧١٦).

تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الأنداد هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، و: لولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص.

وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك»، رواه ابن أبي حاتم(١).

فمن عرف هذا التحذير من الشرك الذي قاله علماء الصحابة وآل البيت المتقدمون - قام بما قاموا به من التحذير من الشرك، فشرك يسارق إلىٰ الخلق كدبيب النمل علىٰ صخرة سوداء في ظلمة الليل، لا في ابتداء الليل، ولا في النهار، فوالله إنه لخفي جدًّا، فهل من عاقل فيعتبر، ومغرور آمن من الشرك فيزدجر؟!!



(١) كتاب التوحيد، ص (٧٦).

٢١- اعتقاد أن الشرك عفا بفتح مكة

لا يجوز لأحد أن يغتر بظن الشيطان، حيث أخبر عنه النبي ﷺ: «**أنه يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»[١]. فهذا ظن الشيطان لمّا رأىٰ الناس دخلوا في دين الله أفواجًا يوم فتح مكة، فظنون الشيطان وأوهامه جعلها المبتدعة معيارًا لتزكية الأعمال الشركية التي أوقعها الجاهلون والمبتدعون بعد عهد النبوة والخلفاء الراشدين، وهذا منهج شيطاني، أما المنهج الشرعي فهو الرد إلىٰ الكتاب والسُّنَّة بفهم السلف، فكل ما أخبر الله ورسوله ﷺ أنه شرك فهو شرك، كالتبرك بالشجر والحجر، والاستغاثة بغير الله، وتعليق التمائم ونحوه.

فاعتقاد الضالين أن الشرك عفا بفتح مكة هو الذي جعل الجُهال يستروحون إلىٰ شركياتهم، فتبركوا بالأشجار والأحجار، وطافوا بالقبور، وسألوها من قضاء الحاجات وتفريج الكربات ما لا يقدر عليه إلا رب العالمين.

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذّر من الاغترار بظنون الشيطان، وأحالهم إلىٰ حقائق التوحيد وما يضاده من الشرك وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيّن أن النبي ﷺ حذّر أمته من أنه سيقع فيها الشرك، ففي

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس (ص ١٢٢٤ - رقم ٧١٠٣).

باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][١]، ذكر الآيات الدالة علىٰ شرك أهل الكتاب، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وساق الحديث الدال علىٰ تشبه هذه الأمة بأهل الكتاب، وهو ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**. قالوا: اليهود والنصارىٰ؟، قال: **فمن؟**»[٢]. فإذا كان أهل الكتاب مشركين فليحذر المسلم من متابعتهم علىٰ شركهم.

وكذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث الصريحة الدالة علىٰ أن هذه الأمة سيكون فيها من يعبد الأوثان، فقد ساق حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**». رواه البرقاني[٣].

والأحاديث في تقرير هذا الأمر كثيرة، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات لنساء دوس علىٰ ذي الخلصة**»[٤].

---

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٢، ٤٣).

(٣) كتاب التوحيد، ص (٤٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: تغير الزمان حتىٰ تُعبد الأوثان (ص ١٢٢٦ - رقم ٧١١٥)، ومسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتىٰ تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩ - رقم ٧٢٩٨).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تُعبد اللات والعزىٰ**»[1].

والقرآن دال علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وهذا وقع، ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبد القبور، ويعظِّمون أصحابها، ويسألونهم الحاجات والرغبات، ويلتجئون إليهم».

فالحاصل أن المشركين غالطون مغالطون بدعواهم أن الشرك عفا بفتح مكة، ومن مغالطاتهم المشابهة لهذه المغالطة المموّهة - دعواهم أن علماء الضلالة علماءهم الذين يبررون الشرك هم خير هذه الأمة، وأن ما عليه عبّاد القبور من صرف العبادات لغير الله ودعاء الأموات وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أو اتخاذهم وسائط في ذلك - ليس بشرك؛ لأنه لم ينكره أولئك العلماء.

قال شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «إن الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحياء والأموات والجن من التوجه إليهم، ودعائهم لكشف الضر، والنذر لهم، لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومن بعدهم، إلىٰ أن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتىٰ تعبد دوس ذا الخلصة (ص ١٢٥٩ - رقم ٧٢٩٩).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (٣٠٦).

(٣) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢١٣).

انتهىٰ الأمر إلىٰ قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب يُنكر عليهم ذلك، ويُكفّرهم، ويأمر بقتالهم حتىٰ يكون الدين كله لله؟ أم هذا شرك أصغر، وشرك المتقدمين نوع غير هذا؟

فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهل علىٰ من يسره الله عليه؛ بسبب أن علماء المشركين اليوم يُقرُّون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه، إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد، مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم، فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر، ولكن يعتذرون بأن أهله لم تبلغهم الدعوة، وتارة يقولون: لا يكفر إلا من كان في زمن النبي ﷺ، وتارة يقولون: إنه شرك أصغر. وينسبونه لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج كما تقدم، وتارة لا يذكرون شيئًا من ذلك، بل يُعظِّمون أهله وطريقتهم في الجملة، وأنهم خير أمّة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاويل المضطربة، وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والإجماع.

ومن أصرح ما يجابون به إقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر، وأيضًا إقرار غيرهم من علماء الأقطار، مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد، لكن لم يجدوا بدًّا من الإقرار به لوضوحه».

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منكرًا استدلال القبوريين بقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، علىٰ صحة أفعال عباد القبور والمستغيثين بغير الله والمتبركين بالأحجار والأشجار لإقرار علماء الضلالة

لهم علىٰ شركهم[(١)]: «إن الخطاب في هذه الآية مخصوص بأهل الإيمان، الذي أصله ورأسه معرفة الله وتوحيده وإخلاص العبادة له، وهو الذي دلّت عليه كلمة الإخلاص، ومن عدا هؤلاء ليس بداخل في أصل الخطاب، بل هو ساقط من أول رتب الإعداد، كما لا يخفىٰ إلَّا علىٰ من طبع الله علىٰ قلبه.

الثاني: أنه ذكر العلة والمقتضىٰ بقوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعليَّة.

وأحق الناس بهذا الوصف وأولاهم به، من دعاهم إلىٰ توحيد الله، وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، وقرّر أن دعاء عبد القادر وأمثاله، هو الشرك الأكبر، الذي يحول بين العبد وبين الإسلام والإيمان، وأنَّ أهله ممن عدل بالله، وسوَّىٰ برب العالمين، بل قد وصلوا في عبادتهم المشايخ والأولياء إلىٰ غاية ما وصل إليه مشركو العرب، كما يعرف ذلك من عرف الإسلام، وما كانت عليه الجاهلية قبل ظهوره.

فمقت هؤلاء المشركين وعيبهم وذمهم وتكفيرهم والبراءة منهم - هو حقيقة الدين، والوسيلة العظمىٰ إلىٰ ربِّ العالمين، ولا طيب لحياة المسلم وعيشه إلا بجهاد هؤلاء ومراغمتهم وتكفيرهم، والتقرب إلىٰ الله بذلك، واحتسابه لديه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]».

* * *

(١) عيون الرسائل (٢/ ٥٠٩، ٥١٠).

٢٢- ضعف البصيرة في التوحيد وما يضاده

يُولد الإنسان في هذه الأزمان في ديار الإسلام، وقد لا يكون بصيرًا بالجاهلية وشرك المعاصرين، ويظن أن الشرك فقط الدعوة لليهودية والنصرانية، وقد يكون جاهلًا بحقيقة التوحيد، أو ضعيف البصيرة فيه، يبلغ علمه من الإسلام ما يسميه الناس في هذا الزمان: «ثقافة إسلامية»، فلا يعرف أن اتخاذ الوسائط في دعاء الله شرك، ولا يعرف أن صرف أي عبادة لغير الله شرك كالنحر والنذر وغيره، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قد علمت ورب الكعبة متىٰ تهلك العرب، إذا ولِّي أمرهم من لم يصحب الرسول ﷺ ولم يعالج أمر الجاهلية»[١].

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ شارحًا عبارة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: «وهذا لأن من لا يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمّه، وقع فيه وأقرّه، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فينتقض بذلك عرىٰ الإسلام، ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنة والسنة بدعة».

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٢٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) عيون الرسائل (٢/ ٧٢٧).

ولذلك تجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قام بتأسيس التوحيد والدعوة إليه بخطين متوازيين، ببيان عقيدة التوحيد في كل مصنفاته خصوصًا كتاب التوحيد، وقام كذلك بكشف شبهات المشركين في مصنف خاص بذلك كشف الشبهات، وقام ببيان مسائل الجاهلية في مصنف خاص بذلك مبينًا ثمان وعشرين ومائة مسألة من مسائل الجاهلية.

وأكثر جدال المبطلين في هذا الزمان الذي كان من أسباب استرواح الناس للشرك وبقائهم واستمرارهم وصبرهم عليه - هو اعتقادهم أن الإنسان لا يكون مشركًا إذا توجّه لغير الله ودعاه وسأله ما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأنه ما أنكر الإسلام جملة، ولا كذَّب الرسول ﷺ والقرآن، ولا اتبع ملة اليهود والنصارىٰ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبطلًا هذه الشبهة**[١]: «اعلم أن تصوُّر هذه المسألة تصوُّرًا حسنًا يكفي في إبطالها من غير دليل خاص؛ لوجهين:

الأول: أن مقتضىٰ قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير؛ لأن الإنسان إن انتقل عن الملّة إلىٰ غيرها وكذَّب الرسول والقرآن، فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود، فإذا كان من انتسب إلىٰ الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلي، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة أو العمىٰ أو العرج، فإن كان صاحبها يدَّعي الإسلام فهو

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢١٤، ٢١٥).

مسلم وإن ادّعىٰ ملّةً غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم - كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلدهم: ما تقول فيمن عصىٰ الرسول ﷺ، ولم ينْقد له في ترْك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدَّعي أنه مسلم مُتَّبع؟ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلىٰ القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل، وغربة العلم، وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها علىٰ بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق، فلا تحقرها وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية، لعل الله أن يمنَّ عليك بالإيمان الثابت، ويجعلك أيضًا من الأئمة الذين يهدون بأمره، فمن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينًا - ما جرىٰ من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلىٰ الإسلام، كما ذُكر أنه ﷺ بعث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومعه الراية إلىٰ رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله، ومثل همّه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة. ومثل قتال الصدّيق وأصحابه لمانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين، ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا؛ لما فهموا من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣]، حل الخمر لبعض الخواص، ومثل إجماع الصحابة في زمن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ تكفير أهل المسجد

الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتّبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم، ومثل تحريق عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أصحابه لما غلوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة علىٰ كفر المختار بن أبي عبيد، ومن اتّبعه، مع أنه يدّعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم علىٰ قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين، وهلم جرًّا من وقائع لا تعد ولا تحصىٰ.

ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وغيره: كيف تقاتل بني حنيفة، وهم يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون ويزكون؟

وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا، وهلم جرًّا، إلىٰ زمن بني عبيد القدّاح الذين ملكوا المغرب، ومصر، والشام، وغيرها، مع تظاهرهم بالإسلام، وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا، لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم، ولم يتوقفوا فيه، وهم في زمن ابن الجوزي والموفق.

وصنّف ابن الجوزي كتابًا لما أُخذت مصر منهم سماه: «النصر علىٰ مصر»، ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحدًا أنكر شيئًا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملّة، أو لأجل قول: لا إله إلا الله، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعناه من هؤلاء المدّعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك، ولكن من فعله أو حسّنه أو كان مع أهله، أو ذمّ التوحيد، أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر، لأنه يقول: لا إله إلا الله، أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة، ويستدلون بأن النبي ﷺ

سماها الإسلام، هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد عن أهل العلم، أو أحد منهم يستدلون به علىٰ قولهم الفاحش الأحمق، فليذكروه، ولكنّ الأمر كما قال اليمني - العلامة محمد ابن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قصيدته:

أقاويل لا تعزىٰ إلىٰ عالم فلا   تساوي فلسًا إن رجعت إلىٰ النقد»

* * *



٢٣- سكنى بلاد الشرك

النشأة لها تأثير عظيم في عقيدة الإنسان وأخلاقه؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(١).

فهذا الحديث دال علىٰ عظيم تأثير النشأة، وأنها من دواعي تغيير عقيدة الإنسان من الإيمان إلىٰ الكفر، ومن الإسلام إلىٰ اليهودية والنصرانية والمجوسية، فمن أجل هذا لا بد للمسلم من صيانة نفسه عن أسباب تغيير فطرته وعقيدته، وأن يحرص علىٰ لزوم ديار الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فأما لو تُرك وحاله - يعني: القلب - التي فُطر عليها فارغًا من كل ذكر، خاليًا عن كل فكر، فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه، ويرىٰ الحقَّ الذي لا ريب فيه، فيؤمن بربه وينيب إليه، فإن كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يُمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء لا يحس فيها من جدع ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]».

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (ص ٢٢٢ - رقم ١٣٨٥)، ورواه مسلم، كتاب القدر، معنىٰ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**» (ص ١١٥٧ - رقم ٦٧٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٩/ ٣١٣، ٣١٤).

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن أثر خلطة الكافرين في إفساد عقيدة المؤمنين من تشبّه بهم في باب: [ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!][١]، حيث ذكر ما أخبرت به أم سلمة من بناء نصارىٰ الحبشة المساجد علىٰ القبور، قال الإمام[٢]: «في الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئك شرار الخلق عند الله**».

وقال النبي ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين**». قالوا: يا رسول الله، ولم؟ قال: «**لا تراءىٰ ناراهما**»[٣].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الحديث[٤]: «معناه أن الله فرّق بين داري الإسلام والكفر، فلا يجوز لمسلم أن يساكن الكفار في بلادهم، حتىٰ إذا أوقدوا نارًا كان منهم بحيث لا يراها».

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «ومعناه لا يتفق رأياهما، فعبّر عن الرأي

---

(١) الباب التاسع عشر، كتاب التوحيد، ص(٣٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٣٧).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود (ص ٣٨١ - رقم ٢٦٤٥)، والترمذي، كتاب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (ص ٣٨٨ - رقم ١٦٠٤).

(٤) معالم السنن (٣/ ٤٣٧).

(٥) الحاوي (١٤/ ١٠٤).

بالنار؛ لأن الإنسان يستضيء بالرأي كما يستضيء بالنار».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الذي يظهر من معنىٰ الحديث: أن النار هي شعار القوم عند النزول وعلامتهم، وهي تدعو إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألم بها جاور أهلها وسالمهم.

فنار المشركين تدعو إلىٰ الشيطان وإلىٰ نار الآخرة، فإنها إنما تُوقد في معصية الله، ونار المؤمنين تدعو إلىٰ الله وإلىٰ طاعته وإعزاز دينه، فكيف تتفق الناران، وهذا شأنهما؟!

وهذا من أفصح الكلام وأجزله، المشتمل علىٰ المعنىٰ الكثير الجليل بأوجز عبارة».

والنبي ﷺ بيّن ما في اعتزال الجماعة من التعرض للفتنة وإفساد الدين، فإن النبي ﷺ قال: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[٢]. فمن أعظم أسباب الفتنة في الدين، مفارقة ديار المسلمين إلىٰ ديار الكافرين، يتعرض المسلم فيها لأنواع من الفتن والشرور، فلا يجوز للمسلم أن يعرّض نفسه للفتنة، وفطرته للتغير، وعقيدته للفساد، فإن من اعتاد سكنىٰ ديار الكفر، يضعف في قلبه إنكار المنكر؛ لأنه لا يستطيع إلىٰ ذلك سبيلًا في بلاد الكفر، فإذا رجع إلىٰ ديار الإسلام، لا يتمعّر وجهه للمنكرات والمعاصي، والله أعلم بحقيقة ما في قلبه من كراهية الكفر والفسوق والعصيان، قال الحافظ ابن

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٤٣٦).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٤٤٥)، والنسائي، كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة (ص١١٧ – رقم ٨٤٨).

رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «واعلم أن القدر الواجب من كراهة الكفر والفسوق والعصيان هو أن ينفر من ذلك ويتباعد منه جهده، ويعزم علىٰ أن لا يلابس شيئًا منه جهده لعلمه بسخط الله له وغضبه علىٰ أهله».

فالمسلم إذا سكن بلاد الكفر، فلا تزال ترد علىٰ قلبه وبصره شركيات الكافرين، وتتتابع مع مرور الأيام والسنين فتضعف مادة التوحيد في قلبه، وتُمرضه، فإذا انضاف إلىٰ ذلك ضعف البراءة من المشركين والكافرين - صار في منزلة يأنس بهم، وهذا هو الشر المستطير المفسد لحقيقة التوحيد والدين، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وتدبّر تفسير كلمة التوحيد في قول سيد الحنفاء خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن من وحّد الله تعالىٰ وعبد الله تعالىٰ لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ

(١) فتح الباري (١/ ٥٨).
(٢) ثلاث مسائل، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٥١).

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، الرشد دين محمد ﷺ، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالىٰ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له».

وقد نصح الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمسلمين في ضرورة الهجرة من بلاد الكفر، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، والهجرة فريضة علىٰ هذه الأمة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، وهي باقية إلىٰ أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبب

---

(١) معنىٰ الطاغوت ورءوس أنواعه، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٥٣).

(٢) الأصول الثلاثة، مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ١٣٩، ١٤٠).

نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل علىٰ الهجرة من السنة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها».

فالمؤمن إذا ذاق حلاوة الإيمان فإنه يفر من ديار الكفر، ولا يأنس بسكناها، ولا يألف دارًا يكفر بها بالله ورسوله، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن علامة محبة الله ورسوله: محبة ما يحبه الله ورسوله، وكراهة ما يكرهه الله ورسوله - كما سبق - فإذا رسخ الإيمان في القلب وتحقق به، ووجد حلاوته وطعمه أحبَّه وأحبَّ ثباته ودوامه والزيادة منه وكره مفارقته، وكانت كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهة الإلقاء في النار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]».

* * *

(١) فتح الباري (١/ ٥٦).



٢٤- ضعف حب الله

ضعف القلب من حب الله من أسبابه ضعف العلم بالله، وقوة العلم بالله توجب حقيقة التأله لله بفعل محابه واجتناب مساخطه، وأعظم مساخطه الشرك، من أجل هذا ختم الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب التوحيد بما يدل علىٰ وجوب التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ في كل صغير وكبير، فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]][1]، فالعبد يحب الله لأنه خالقه وباريه وفاطره وهاديه، ولأنه أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أي: عمَّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة، التي نعلم بها والتي تخفىٰ علينا، نعم الدنيا ونعم الدين، حصول المنافع ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم بمحبَّة المنعم

---

(١) الباب السادس والستون، كتاب التوحيد، ص (١١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٧٦٣).

والخضوع له، وصرفها في الاستعانة علىٰ طاعته، وأن لا يُستعان بشيء منها علىٰ معصيته».

والله يُحبه الموحدون لكمال نعوته وصفاته الجميلة العظيمة الحميدة، ولا سرور للقلوب ولا فرح لها إلا بانجذابها لباريها، وتزيد هذه المحبة بزيادة معرفة الله وطاعته، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨].

وقلوب الموحدين تفرح بتجريد التوحيد لله، وقلوب المشركين تنقبض من توحيد الله وتبتهج بالشرك؛ وذلك لخلوها من محبة الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولا شيء أحب إلىٰ القلوب السليمة من الله، وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي اتخذه الله خليلًا، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، فليس مجرد العلم موجبًا لحب المعلوم، إن لم يكن في النفس قوة أخرىٰ تلائم المعلوم، وهذه القوة موجودة في النفس.

وكل من القوتين تقوَّىٰ بالأخرىٰ، فالعلم يقوي العمل، والعمل يقوي العلم، فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه، وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له، وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له، ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب، كما أن البغض يوجب الإعراض عن ذكر المبغض،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٣٧، ٥٣٨).

فمن عادىٰ الله ورسوله وحادّ الله ورسوله - كان ذلك مقتضيًا لإعراضه عن ذكر الله ورسوله بالخير، وعن ذكر ما يوجب المحبة، فيضعف علمه به حتىٰ قد ينساه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، وقد يحصل مع ذلك تصديق وعلم مع بغض ومعاداة، لكن تصديق ضعيف، وعلم ضعيف، ولكن لولا البغض والمعاداة لأوجب ذلك من محبة الله ورسوله ما يصير به مؤمنًا».

وتكلّم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن غلاة الصوفية الذين وقعوا في الشرك، وبيّن أن سبب ذلك خلو قلوبهم من محبة الله المحبة الشرعية، فقال[1]: «وسبب ذلك: خلوّ القلب مما خُلق له من عبادة الله تعالىٰ، التي تجمع محبته، وتعظيمه، والخضوع، والذلّ له، والوقوف مع أمره ونهيه ومحابّه ومساخطه، فإذا كان في القلب، وجد حلاوة الإيمان وذَوْق طعمه - فأغناه ذلك عن محبة الأنداد وتألُّهها، وإذا خلا القلب من ذلك، احتاج إلىٰ أن يستبدل به ما يهواه، ويتخذه إلهه، وهذا من تبديل الدِّين، وتغيير فطرة الله التي فطر عليها عباده.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، أي: نفس خلق الله لا تبديل له، فلا يخلق الخلق إلا علىٰ الفطرة، كما أن خلقه للأعضاء علىٰ السلامة من الشّقّ والقطع، ولا تبديل لنفس هذا الخلق، ولكن يقع التغيير في المخلوق بعد خلقه، كما قال

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٧٦، ٨٧٧).

النبي ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهوّدانه، وينصّرانه، ويمجّسانه، كما تُنْتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جَدْعاء؟! حتىٰ تكونوا أنتم تجدعونها!**».

فالقلوب مفطورة علىٰ حُبِّ إلهها وفاطرها وتألُّهه، فصرف ذلك التألُّه والمحبة إلىٰ غيره تغيير للفطرة.

ولمّا تغيرت فطرُ الناس، بعث الله الرسل بصلاحها، وردِّها إلىٰ حالتها التي خُلقت عليها، فمن استجاب لهم، رجع إلىٰ أصل الفطرة، ومن لم يستجب لهم، استمرَّ علىٰ تغيير الفطرة وفسادها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «بل حب الله هو الكمال المطلوب من معرفته، وهو من تمام عبادته، فإن العبادة متضمنة لكمال المحبة مع كمال الذل، وهذا حقيقة دين إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إمام الحنفاء، الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، والأمة: هو الذي يؤتم به، كما أن القدوة هو الذي يُقتدىٰ به، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وإبراهيم الخليل هو الذي عادىٰ هؤلاء كالنمرود وغيره».

وقال[2]: «وهذا يتعلق بمسألة محبة الله، أي أنه محبوب في نفسه، وهو محب لنفسه ولعباده المؤمنين، وهي أصل هذا الباب، وهي أصل ملة إبراهيم

---

(١) الصفدية (٢/ ٢٣٤).

(٢)الصفدية (٢/ ٢٦٥).

التي بعث الله بها موسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين، بل هي أصل دين الإسلام الذي بعث الله رسله وأنزل به كتبه».

* * *

٢٥- قرب العهد بالشرك

يتفاوت الناس في تأثير هذا الباعث بحسب قوة توحيد المؤمن الحديث عهد بكفر وشرك، فالمؤمن القوي عظيم التوحيد يدفع كل مؤثر يضاد التوحيد لا سيما مع قوة العلم، فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**». قال للنبي ﷺ: «أنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي». فقال النبي ﷺ: «**لا يا عمر، حتىٰ أكون أحبَّ إليك من نفسك**». فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله أنت أحبُّ إليَّ من نفسي. قال: «**الآن يا عمر**»[(١)].

فقوة إيمان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبدل معها تقديم حب نفسه إلىٰ تقديم حب الرسول ﷺ في لحظة، فقوة التوحيد والعلم والصدق تدفع كل ما يضاده وما ينافي أصله أو كماله الواجب.

ومع نقص العلم وحداثة العهد بالشرك يقع معه شيء من النقص والزلل في جناب التوحيد، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أبان عن ذلك في باب [من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما][(٢)]، فساق حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنين، ونحن حدثاء عهد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (ص١١٤٦ – رقم ٦٦٣٢).

(٢) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩).

بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم**». رواه الترمذي وصححه[١].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ قول أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ونحن حدثاء عهد بكفر»: «فهم يعتذرون لجهلهم بكونهم حدثاء عهد بكفر، وأما غيرهم ممن سبق إسلامه، فلا يجهل ذلك»[٢].

وانظر إلىٰ فقه عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وشدة بصيرته بأسباب الشرك، وقوة تحقيقه للتوحيد، وكمال نصيحته لأمة المسلمين، فإنه لما طاف بالكعبة، وقبّل الحجر، قال: أما إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قبّلتك. فإنه لم يتحدّث بهذا تحدّث من يهذي مع نفسه، وإنما تحدّث بهذا تحدّث من ينصح لأمة محمد ﷺ، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنما قال ذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأن النَّاس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يظن الجُهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يُعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته، كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان».

(١) كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٢) القول المفيد، ص (١٣٤).

(٣) فتح الباري (٣/ ٤٦٢، ٤٦٣).

٢٦- الاستحسان الباطل

لا ريب أن الاستحسان الباطل من أسباب الشرك، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وصنف كفروا بالله فابتدعوا ما لم يأذن به الله، ونصبوا بأيديهم حجارة وخشبًا وصُورًا استحسنوها، ونبزوا أسماءً افتعلوها، ودعوها آلهة عبدوها، فإذا استحسنوا غير ما عبدوا منها ألقوه ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه، فأولئك العرب.

وسلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا، وفي عبادة ما استحسنوا من حوت، ودابة، ونجم، ونار، وغيره».

وأول شرك وقع في الأرض كان سببه الاستحسان الباطل، فإن قوم نوح استحسنوا أن ينصبوا أصنامًا علىٰ صور رجال صالحين من قومهم ليتذكروا ما كانوا عليه من الاجتهاد في الطاعة، فلما خلفهم مَنْ بعدهم وسوس لهم الشيطان: أن من كان قبلكم يعبدونها، فعبدوها.

وقد نبّه علىٰ هذا السبب الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين][٢]، وساق حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ

---

(١) الرسالة، ص(١٠).

(٢) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «**وكان أول ما كاد به عُبّاد الأصنام**: من جهة العكوف علىٰ القبور، وتصاوير أهلها، ليتذكروهم بها، كما قصّ الله سبحانه قصّتهم في كتابه، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]».

وفي السير أن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سكن مكة، ووُلد بها أولاده، فكثروا، حتىٰ ملئوا مكة، ونفوا من كان بها من العماليق - ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضًا، فتفسّحوا في البلاد والتماس المعاش، فكان الذي حملهم علىٰ عبادة الأوثان والحجارة - أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن، إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم، وصبابة بمكة، فحيثما حلّوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالبيت؛ حُبًّا للبيت، وصبابةً به، وهم علىٰ ذلك يعظِّمون البيت ومكة، ويحجُّون ويعتمرون، علىٰ إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، **ثم عبدوا ما استحسنوا**، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلىٰ ما كانت عليهم الأمم قبلهم، واستخرجوا ما كان

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٤٣).

يعبد قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيهم - علىٰ ذلك - بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل، يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة والمزدلفة، وإهداء البدن(١).

واستحسان مشركي قريش التأله لغير الله ليس له ضابط ومعيار يلتزمونه؛ وذلك لأنهم اتبعوا أهواءهم بغير هدًىٰ من الله، وتجارت بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكلَب بصاحبه، فكلما استحسنوا إلهًا عبدوه، فإذا استحسنوا غيره صار إلههم الجديد، فشركهم غاية في القبح والجهل.

قال أبو رجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه، نُلقي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجرًا، جمعنا حَثْيةً من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثم طفنا به.

وقال أبو رجاء أيضًا: كنا نعمد إلىٰ الرّمل، فنجمعه، ونحلب عليه، فنعبده، وكنا نعمدُ إلىٰ الحجر الأبيض، فنعبده زمانًا ثم نلقيه.

وقال أبو عثمان النّهديّ: كنا في الجاهلية نعبدُ حجرًا، فسمعنا مناديًا ينادي: يا أهل الرحال، إن ربكم قد هلك، فالتمسوا ربًّا. قال: فخرجنا علىٰ كلّ صعب وذلول، فبينما نحن كذلك نطلبه، إذا نحن بمنادٍ ينادي: إنّا قد وجدنا ربّكم، أو شِبْهه. فإذا حجر، فنحرنا عليه الجزور.

وقال عمرو بن عبسة: كنت امرأً ممن عبد الحجارة، فينزل الحيّ ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم، فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقدره، ويجعل أحسنها إلهًا

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٤٨).

يعبده، ثم لعله يجدُ ما هو أحسنُ منه قبل أن يرتحل، فيتركه، ويأخذ غيره[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ولما فتح رسول الله ﷺ مكة، وجد حول البيت ثلاث مئة وستين صنمًا، فجعل بسِيَة قوسه في وجوهها وعيونها، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وهي تتساقط علىٰ رءوسها، ثم أمر بها، فأخرجت من المسجد وحُرّقت».

ومن الأدلة علىٰ أن الاستحسان الباطل من أسباب الشرك - حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسه بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»، رواه الترمذي وصححه[(٣)].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «**ففيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه إلىٰ الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته**، ويقرّبه من سخطه، ولا يعرف هذا علىٰ الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان، من كثير من العلماء والعُبَّاد مع أرباب القبور، من الغلوِّ فيها، وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم علىٰ شيء، وهو الذنب الذي لا يغفره الله».

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٥٥، ٩٥٦).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٥٦).

(٣) الباب الثامن، كتاب التوحيد، ص (١٩، ٢٠).

(٤) فتح المجيد، ص (١٢١).

٢٧- الرؤى الشيطانية

الرؤىٰ ثلاث: رؤيا من الله، وحديث نفس، ورؤيا من الشيطان. ورؤىٰ الشيطان تصادم وتضاد الشريعة، فتأمر بالشرك وتدل عليه، والمؤمن لا يمكن أن يعدل عن المحكم من القرآن والسنة من وجوب توحيد الله، لرؤىٰ شيطانية، ووساوس الشيطان كيف تصرفت هي من رنة الشيطان، سواء كانت برؤًىٰ يلقيها علىٰ روح النائم أو بالخواطر والهواجس التي يوسوس بها في صدور الناس، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الناس]، وقد حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رنة الشيطان في [باب بيان شيء من أنواع السحر][1]، وساق حديث قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال «**إن العيافة والطَّرْق، والطيرة من الجبت**». قال عوف: **العيافة**: زجر الطير. **والطَّرْق**: الخط يخط بالأرض. **والجبت**: قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد[2].

وقد ذكر بعض أهل السير أن رنة الشيطان ورئي الجن هي التي دلّت

---

(١) الباب الرابع والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٧).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٨).

مشركي قريش علىٰ مواقع أصنام قوم نوح.

قال الكلبي: وكان عمرو بن لُحَيٍّ كاهنًا، وله رئيٌّ من الجن، فقال له: عجِّل المسير والظَّعَنَ من تِهامة، بالسّعد والسلامة، ائت جُدّة، تجد فيها أصنامًا معبَّدة، فأوْردْها تهامة ولا تَهَبْ، ثم ادعُ العرب إلىٰ عبادتها تُجَبْ. فأتىٰ نهر جُدّة فاستثارها، ثم حملها حتىٰ ورد تهامة، وحضر الحج، فدعا العرب إلىٰ عبادتها قاطبةً، فأجابه عوفُ بن عُذرَةَ بن زيد اللَّات، فدفع إليه وَدًّا، فحمله، فكان بوادي القُرىٰ بدومة الجندل، وسمىٰ ابنه عبد ودّ، فهو أول من سُمّي به، وجعل عوفٌ ابنه عامرًا سادنًا له، فلم يزل بنوه يَسْدُنونه، حتىٰ جاء الله بالإسلام[1].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب تُعبد: أما وَدّ، فكانت لكَلْبٍ بدومة الجَنْدَل، وأما سُواع، فكانت لهذيل، وأما يغوث، فكان لمراد، ثم لبني غُطيف، بالجرف عند سبأ، وأما يعوق، فكانت لهمدان، وأما نسْر، فكانت لِحِميرَ - لآل ذي الكلاع[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٤٥).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٤٧).

٢٨- اتّباع المتشابه

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [من جحد شيئًا من الأسماء والصفات][١]، أن اتباع المتشابه هلكة، وساق أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات؛ استنكارًا لذلك! فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقَّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه[٢].

فالله عَزَّوَجَلَّ له حكمة بالغة فيما يختبر به إيمان عباده، ويميز به بين الخبيث والطيّب، لذلك جعل في كتابه المتشابه، وهو قليل ولله الحمد، وأمر برد هذا المتشابه إلىٰ المحكم من القرآن؛ ليتحقق الإيمان، ولا يزيغ الخلق، وليظهر الله ما هو كامن في نفوس من يستحق الضلالة بمعاندة أمر الله، والهلكة في المتشابه، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ووجود النصوص التي

(١) الباب التاسع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص(٧٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٧٣، ٧٤).

(٣) الأنوار الكاشفة، ص (٢٢٣).

يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفوًا، وإنما هو أمر مقصود شرعًا ليبلو الله تعالىٰ ما في النفوس، ويمتحن ما في الصدور، وييسّر للعلماء أبوابًا من الجهاد العلمي يرفعهم الله به درجات».

والمتشابه لا يتهاون فيه الإنسان، فهو من موجبات الضلال، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾، ولأجل هذا حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الهلكة بالمتشابه، ففي باب [من جحد شيئًا من الأسماء والصفات][1]، ذكر أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: «ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقّة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه»[2].

والنصارىٰ وقعوا في الشرك لما رأوا أن عيسىٰ وُلد من غير أب، وخلق عيسىٰ ليس بأعجب من خلق آدم، وكلهم عبيد لله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «النصارىٰ لم يؤتوا من جهة ما أقروا به من الإيمان بأنبياء بني إسرائيل والمسيح، وإنما أتوا من جهة كفرهم بمحمد ﷺ، وأما ما وقعوا فيه من التثليث والاتحاد الذي كفروا فيه بالتوحيد والرسالة - فهو من جهة عدم اتباعهم لنصوص التوراة والإنجيل المحكمة، التي تأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وتبين عبودية المسيح وأنه عبدٌ لله، كما

---

(١) الباب التاسع والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٧٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٧٣، ٧٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٠٨- ١٠٩).

أخبر الله عنه بقوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

تركوا اتباع هذه النصوص إيمانًا وعملًا، وعندهم رغبة في العبادة والتأله ابتدعوا الرهبانية، وغلوا في المسيح هوًى من عند أنفسهم، **وتمسكوا بمتشابه من الكلمات لظن ظنوه فيها، وهوًى اتبعوه خرج بهم عن الحق**، فهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، ولهذا كان سيماهم الضلال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

والضال ضد المهتدي، وهو العادل عن طريق الحق بلا علم، وعدم العلم المأمور به والهدىٰ بالمأمور ترك واجب، فأصل كفرهم ترك الواجب، وحينئذ تفرقوا في التثليث والاتحاد، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء، وصاروا ملكية، ويعقوبية، ونسطورية، وغيرهم، وهذا المعنىٰ قد بيّنه القرآن، مع أن هذا يصلح أن يكون دليلًا مستقلًّا، لما فيه من بيان أن ترك الواجب سبب لفعل المحرم، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾، فهذا نص في أنهم تركوا بعض ما أمروا به، فكان تركه سببًا لوقوع العداوة والبغضاء المحرمين، وكان هذا دليلًا علىٰ أن ترك الواجب يكون سببًا لفعل المحرم، كالعداوة والبغضاء، والسبب أقوىٰ من المسبب».

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فهذه الآية في سورة الأعراف المشتملة علىٰ أصول الدين، والاعتصام بالكتاب، وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، كالشرك وتحريم الطيبات، أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم، كإبليس، ومخالفي الرسل من قوم نوح إلىٰ قوم فرعون، والذين بدّلوا الكتاب من أهل الكتاب، فاشتملت السورة علىٰ ذم من أتىٰ بدين باطل ككفار العرب، ومن خالف الدين الحق كله كالكفار بالأنبياء، أو بعضه ككفار أهل الكتاب.

وقد جمع سبحانه في هذه السورة وفي الأنعام وفي غيرهما ذنوب المشركين في نوعين: أحدهما: أمر بما لم يأمر الله به كالشرك، ونهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيّبات.

فالأول: شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

والثاني: تحريم لما لم يحرمه الله.

وكذلك في الحديث الصحيح حديث عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، عن الله تعالىٰ: «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، فحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»، ولهذا كان ابتداع العبادات الباطلة من الشرك ونحوه: هو الغالب علىٰ النصارىٰ ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة، والمتصوفة، وابتداع التحريمات

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٨٦، ٨٧).

الباطلة هو الغالب علىٰ اليهود ومن ضاهاهم من منحرفة المتفقهة، بل أصول دين اليهود فيه آصار وأغلال من التحريمات، ولهذا قال لهم المسيح: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، **وأصل دين النصارىٰ فيه تأله بألفاظ متشابهة**، وأفعال مجملة، **فالذين في قلوبهم زيغ اتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**، قرّرته في غير هذا الموضع بأن توحيد الله الذي هو إخلاص الدين له، والعدل الذي نفعله نحن هو جماع الدين يرجع إلىٰ ذلك، فإن إخلاص الدين لله أصل العدل، كما أن الشرك بالله ظلم عظيم».

ومن اتباع المتشابه الذي ركبه الضالون المضلون مطالبتهم باستبقاء الأصنام والتفتوا فيه عن محكم القرآن والسنة - دعواهم أن النبي ﷺ مرّ بمدائن صالح ولم يكسر الأصنام، وهذا من اتباع الهوىٰ، فإن مدائن صالح بلدة أنزل الله بها العذاب لشركها، وهذا كافٍ في رد الشبهة، وأن عملهم غير مرضي عُذبوا من أجله، والنبي ﷺ كذلك نهىٰ عن دخولها، كما قال ﷺ: «**لا تدخلوا علىٰ هؤلاء القوم المعذبين، إني أخشىٰ أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم**»، وفي الصحيحين في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ لمّا مرّ بمنازلهم قنع رأسه وأسرع راحلته، ونهىٰ عن دخول منازلهم.

وإذا كان نبيهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ترك هذه المدائن بعد نزول العذاب بها، وأمرنا الله أن نسرع إذا مررنا بها، فكيف لنا أن ندخلها لنكسر حجارتها؟! قال تعالىٰ عن صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾**﴾ [الأعراف: ٧٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إخبار عن صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه خاطب قومه بعد هلاكهم، وقد أخذ في الذهاب عن محلتهم إلىٰ غيرها».

ومن يثر هذه الشبهات فهو في الحقيقة مضاد لدعوة الرسل جميعًا، فهل أرسل الله نوحًا بعد أن كان الناس علىٰ الفطرة إلا لاتخاذ الناس أصنامًا لهم، مع أنهم أولًا لم يكونوا يعبدونها، ثم جاء من بعدهم فعبدوها، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾، فقال الله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾.

وكذلك ما يقع من بقاء بعض الأصنام في بعض النواحي لا يجوز أن يستدل به أحد علىٰ جواز استبقاء الأصنام؛ لأن الكتاب والسنة حاكمان علىٰ أعمال الناس، لا العكس، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ، فإن الإنسان قد لا يحيط بحوادث كل الأزمنة إلىٰ يومنا الحاضر، إما لنقص علمه وإما لفوات تدوين بعض الحوادث في كتب التاريخ، وصنم أبي الهول في مصر ذكر المقريزي أنه في سنة إحدىٰ عشرة وسبعمائة نزل أسير يُعرف ببلاط في نفر من الحجاريين والقطاعين وكسروا الصنم، وذكر أنه في زمنه أيضًا شخص يُعرف بالشيخ محمد صائم الدهر في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة سار إلىٰ الأهرام، وشوّه وجه أبي الهول وشعثه[(٢)].

والواجب علىٰ الولاة والرعية العمل بالمحكم من أمر الله ورسوله، قال علي ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي الهياج الأسدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**ألَّا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته**»[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٣١٩). (٢) المواعظ والاعتبار (١/ ٢٣٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ص (٣٨٩- رقم ٢٢٤٣).



٢٩- حميّة الجاهلية

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أسباب الشرك الأكبر حمية الجاهلية، ففي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]](١)، ساق ما في الصحيح عن ابن المسيِّب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمةً أحاج لك بها عند الله**». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾(٢).

فالكبر وحمية الجاهلية جعلت أبا طالب يختار الشرك والكفر علىٰ الإسلام والتوحيد، وإلا فأبو طالب يعرف أن ما بُعث به نبينا ﷺ حق، وأن الإسلام حق، فإنه قال في قصيدته اللامية المشهورة:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

(١) الباب السابع عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٤).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٤، ٣٥).

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحًا بذاك مبينا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأوَّلين والآخرين، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصي الله أولًا، فإن إبليس استكبر وحسد آدم، وكذلك ابن آدم الذي قتل أخاه، حسد أخاه، ولهذا كان الكبر ينافي الإسلام، كما أن الشرك ينافي الإسلام، فإن الإسلام هو الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر، كحال فرعون وملئه، ولذلك قال لهم موسىٰ: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٩]، وقال تعالىٰ عن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، ومن أسلم وجهه لله حنيفًا فهو المسلم الذي علىٰ ملة إبراهيم الذي قال له ربه: ﴿أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾.

وهذا الإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم، كما وصف الله به في كتابه نوحًا وإبراهيم وموسىٰ ويوسف وسليمان وغيرهم من النبيين، مثل قول موسىٰ لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ

(١) جامع الرسائل (١/ ٢٣٣-٢٣٦)، جمع د: محمد رشاد سالم.

مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وليس الغيّ مختصًّا بشهوات البطون والفروج فقط، بل هو في شهوات البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والعُلوّ وغير ذلك.

فهو اتّباع الهوىٰ وإن لم يعتقد أنه هوًىٰ، بخلاف الضالّ، فإنه يحسب أنه يحسن صنعًا، ولهذا كان إبليس أوّل الغاوين، كما قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

وقد قال تعالىٰ: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥]، وإنما في الحديث ما يخاف علىٰ هذه الأمة من الغيّ، وهو شهوات الغيّ في البطون والفروج، فأما الغيّ الذي هو الاستكبار عن اتّباع الحق، فذاك أصل الكفر، فصاحبه ليس من هذه الأمة، كإبليس وفرعون وغيرهما.

وأما غيّ شهوات البطون والفروج، فذاك يكون لأهل الإيمان ثم يتوبون، كما قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

وفي السنن والمسند من حديث ليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن**

(١) طه: (١٢١، ١٢٢).

إبليس قال لربه عَزَّوَجَلَّ: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال له ربه عَزَّوَجَلَّ: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»».

* * *

٣٠- التكسب بالباطل

أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد عن أسباب الشرك، ونبّه إلىٰ أن من أعظمها التكسب بالباطل، فقال: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥]][1]، وبيّن من الأدلة القرآنية، والسنة النبوية أن المشركين والضالين والزائغين ما قدّموا طاعة الشيطان علىٰ طاعة الرحمن إلا لغرض دنيوي، فساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وساق معه حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2].

فالموحدون أشد حبًّا لله، فيؤثرون محبة الله ومرضاته علىٰ محبة المال والجاه، وهم يبذلون المال في الدعوة والجهاد لإقامة شرع الله وتحقيق محابه، فانظر إلىٰ عظم حب النبي ﷺ لأبي بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، مع أنه حب شرعي، والنبي ﷺ مع هذا يقول: «**لو كنت متخذًا خليلًا، لاتَّخذت أبا بكر خليلًا،**

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٩، ٦٠).

ولكن الله اتخذني خليلًا»[١].

فالمحبة في الله مع أنها لأهل الإيمان فإنها موجبة لتحقيق التوحيد؛ لأنها «في الله»، أما المحبة التي توقع في معصية أو شرك فليست «في الله»؛ لذلك ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر الباب أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا»، رواه ابن جرير، فإذا كان الأمر كذلك في زمان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فكيف بزماننا هذا؟!

وحضّ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تذكر عاقبة هذا الحب غير الشرعي خصوصًا الشركي، وما يئول إليه في الآخرة من براءة المتحابين بعضهم من بعض، فساق تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال: المودّة[٢].

قال العلامة عبد الرحمن القاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وهكذا حال كل من اتَّخذ من دون الله وليًّا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أبطل ذلك العمل، وقطع تلك الأسباب، ولم يبق إلا السبب الواصل بين العبد وربه، وهو تجريد عبادته وحده من الحب والبغض والعطاء والمنع والموالاة والمعاداة، وتجريد متابعة الرسول ﷺ، وهذا السبب الذي لا ينقطع بصاحبه، وهذا الأثر رواه عبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه».

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٠-٦١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص (٢٤٣).

وهذا السبب واضح في أنه من أسباب الشرك إن لم يكن أقواها، فحظوظ النفوس من حب الجاه والمال أثرها عظيم في إفساد التوحيد، قال النبي ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد للدين من حب المال والشرف**»[١]. وهذا الذي سماه النبي ﷺ بالشح المطاع، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢]، فيقع الإنسان في الشرك والكفر بسبب الحرص على الجاه والمال، وإن شئت أن تعرف حقيقة هذا المؤثر في الشرك، فانظر إلى سبب كفر أبي جهل، قال المسور بن مخرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قلت لأبي جهل - وكان خاله -: أي خال، هل كنتم تتهمون محمدًا بالكذب قبل أن يقول مقالته التي قالها؟ قال أبو جهل - لعنه الله تعالى -: يا بن أخي، والله لقد كان محمد فينا - وهو شاب - يُدعى الأمين، ما جرَّبنا عليه كذبًا قط، فلما خطّه الشيب لم يكن ليكذب على الله. قال: يا خال، فلم لا تتبعونه؟ قال: يا بن أخي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشّرف: فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الرّكب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي. فمتى تُدرك هذه؟[٣].

وما الذي أجلس الكاهن والعرّاف ليدعي معرفة الغيب إلا الحلوان الذي يُعطاه، وما الذي جعل الصوفية يقيمون الأضرحة ويبنون عليها القباب إلا

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٥٦)، والترمذي، كتاب الزهد، باب: حديث: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم**» (ص ٥٤١ - رقم ٢٣٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم (ص ٦١٠ - رقم ٤٣٤١)، والترمذي، كتاب التفسير (ص ٦٨٨ - رقم ٣٠٥٨)، والحاكم (٤/ ٣٢٢)، وصححه ووافقه الحافظ الذهبي.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٣).

أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤]، فالقبوريون غاشون للناس، رضوا منهم بالشرك ليأكلوا أموالهم بالباطل، فجَمعوا بين أكل أموال الناس بالباطل، وإركاسهم في الشرك الذي يوجب خلودهم في النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقام سدنة القبور بأنواع من التمويهات ليجتذبوا بها المغفلين، قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون علىٰ ذلك القبر، يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهوّنون عليهم الأمر، يصنعون أمورًا من أنفسهم وينسبونها إلىٰ الميّت علىٰ وجه لا يفطن لها من كان من المغفلين، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة علىٰ أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يُحسّن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يروىٰ عنهم من الأكاذيب فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد، وينذرون علىٰ ذلك الميّت بكرائم أموالهم، ويحبسون علىٰ قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلىٰ قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميت خيرًا عظيمًا، وأجرًا بليغًا، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه

---

(١) شرح الصدور في تحريم رفع القبور، ص (١٠، ١١)، مطبوع ضمن مجموع الرسائل السلفية.

من بني آدم علىٰ ذلك القبر، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهوَّلوا علىٰ الناس بتلك التهاويل، وكذبوا بتلك الأكاذيب لينالوا جانبًا من الحطام من أموال الطغام الأعتام، وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف علىٰ القبور، وبلغت مبلغًا عظيمًا، حتىٰ بلغت غلات ما يوقف علىٰ المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرىٰ المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة، أغنىٰ الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا نذر في معصية الله**». وهي أيضًا من النذر الذي لا يبتغىٰ به وجه الله، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها في الغالب إلىٰ ما يفضي به الاعتقاد في الأموات من تزلزل قدم الدين، إذ لا يسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبَّة ذلك القبر، وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به إلىٰ الإسلام سالمًا، نعوذ بالله من الخذلان».

وهذا السبب - التكسب بالباطل - هو الذي من أجله كفر أحبار اليهود، فإنهم كانوا يعرفون أن محمدًا رسول الله حقًّا وصدقًا، ولكنهم خشوا إن آمنوا بما بُعث به ذهبت مأكلتهم التي كانوا يقتاتون بها من قومهم، قال تعالىٰ في شأنهم: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ذلك أن علماءهم وأحبارهم كانت لهم مأكلة علىٰ أغنيائهم وجهّالهم، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن آمنوا بمحمد ﷺ، فغيّروا نعته وكتموا اسمه، فهذا معنىٰ بيع الآيات بالثمن القليل».

(١) تفسير القرآن (١/ ٧٢).

٣١- الخلط بين الأحوال الشيطانية وكرامات الأولياء

عباد القبور اتخذوا المقبورين وسائط بينهم وبين الله في أدعيتهم، وهذا شرك الاستغاثة الذي ابتلي به عامة الناس إلىٰ يومنا هذا بدعوىٰ أن الأولياء لهم جاه عند الله، وأن الله يكرمهم بكرامات يستجاب معها أدعية من يستغيث بهم ويتخذهم وسائط، وقد أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب في باب [الشفاعة][1] عن تأثير هذا الاعتقاد في شرك كثير من الناس، وبيّن أنها شفاعة شركية، وأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥][2].

فالملائكة المقربون، والنبيون عليهم السلام، والصالحون لهم جاههم عند الله، لكنهم لا يشفعون بدون إذن الله، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، وجاه الأنبياء عند الله عظيم، فنبينا ﷺ سيد ولد آدم، وموسىٰ كان عند الله وجيهًا، وقال الله في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ولكنّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل جاههم سببًا لإجابة الدعاء، والملائكة والنبيون

(١) الباب السادس عشر، كتاب التوحيد، ص (٣١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣١).

والصالحون هم أنفسهم يسألونه ويدعونه؛ لأنه هو الذي يجيب الدعاء بالأسباب التي شرعها، ولم يجعل لأحد كرامة يتوسط به في إجابة أدعية البشر، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧][(١)].

وعباد القبور لما انصرفوا عن الله افتتنهم الله جزاءً وفاقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وابتلاهم بإجابة بعض أدعيتهم أحيانًا عند القبور، فظنوا أنها كرامات أوليائهم، وأنه أجيب لهم بهم، لا عند قبورهم، ولا تستغرب مثل هذه الأوهام لسخافة عقول هؤلاء المشركين الذين نسوا أن الله وحده هو النافع الضار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من غرور هؤلاء وأشباههم: اعتقادهم أن استجابة مثل هذا الدعاء كرامة من الله تعالىٰ لعباده، وليس في الحقيقة كرامة، وإنما تشبه الكرامة من جهة أنها دعوة نافذة، وسلطان قاهر، وإنما الكرامة في الحقيقة: ما نفعت في الآخرة، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة، وإنما هذا بمنزلة ما ينعم به الكفار والفساق من الرياسات والأموال في الدنيا، فإنها إنما تصير نعمة حقيقية إذا لم تضر صاحبها في الآخرة».

فالحاصل أن الذي أوقع عبّاد القبور في الشرك بالموتىٰ - توهمهم أن للموتىٰ كرامات عند الله تكشف بها الكربات وتقضىٰ بها الحاجات، قال

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣١٢-٣١٦)، باختصار.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم - فهذا من المنكرات، فمن اعتقد أنَّ لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرًا - فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو علىٰ شفا حفرة من السعير.

وأمَّا كونهم مستدلين علىٰ أن ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أن يكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظنُّ أهل الأوثان، كذا أخبر الرحمن: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، فإنَّ ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبيٍّ ووليٍّ وغيره علىٰ وجه الإمداد منه - إشراك مع الله؛ إذ لا قادر علىٰ الدفع غيره، ولا خير إلا خيره».

لقد بلغ كذب وضلال المشركين في الأولياء بدعوىٰ كراماتهم مبلغًا جعلهم أندادًا لله، فصاروا يقولون إنهم يعلمون الغيب، وإنهم يطلعون علىٰ اللوح المحفوظ، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وأنكر النبي ﷺ علىٰ النساء اللاتي غنين في العرس وقلن:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فهؤلاء كذّبوا الله ورسوله، ونقضوا أساس الدين بدعوىٰ الكرامة.

---

(١) فتح المجيد، ص (١٥٣).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ومن هذا الضَّرب: من يدّعي أنه يصل مع الله إلىٰ حال تسقط فيها عنه التكاليف، أو يدَّعي أن الأولياء يُدعون أو يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرُّون ويدبِّرون الأمور علىٰ سبيل الكرامة، أو أنه يطلع علىٰ اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم».

❊ ❊ ❊

---

(١) فتح المجيد، ص (٢٤٣، ٢٤٤).

٣٢- الرغبة في معرفة الغيب

أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في الكهان][1]، عن أسباب إتيان بعض الناس للكهان والعرَّافين، وأن منهم من يأتهم للاستدلال على المسروق، ومكان الضالة، وهكذا[2].

ومعلوم أن العرّافين والكهان يستعينون بالشياطين للاستدلال عن المسروق والضال، والشياطين لا تعينهم إلا بالشرك بالله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]، قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾، بطاعته، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾، أي: بالله ﴿مُشْرِكُونَ﴾، هذا قول مجاهد».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «الباء سببية، أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالىٰ».

وهذا واضح، فإن الشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء والشرك والمنكر، وكل سوء، قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم

(١) الباب الخامس والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥١).

(٣) رموز الكنوز (٤/ ٩٠، ٩١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ص (٧٧٠).

مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٧-١١٩].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والدعاء هنا بمعنىٰ العبادة، يعني: وما يعبدون إلا الشيطان، والعبادة هنا بمعنىٰ الطاعة، أي: يطيعون الشيطان، كما قال تعالىٰ: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، فالشيطان يأمرهم بالشرك فيشركون، فيكون شركهم بالشيطان شرك طاعة، وشركهم بالأصنام شرك عبادة».

* * *

(١) تفسير سورة النساء (٢/ ٢٣٥).



٣٣- المضارة بالغير

من أسباب الشرك المضارة بالغير، فالبعض لا يبادر إلىٰ الاعتداء بنفسه مباشرة علىٰ من يضاره، حتىٰ لا يتحدّث الناس أن فلانًا هو المعتدي، أو خشية الوقوع في القصاص من السلطان، فيضار بالناس بالسحر، والسحرة لا يتم سحرهم ولا يحصل مرادهم ولا تنقاد لهم الشياطين إلا بالشرك بالله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

وقد بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [ما جاء في السحر][١] أن السحر من أسباب الشرك، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وفسّر معنىٰ الجبت والطاغوت، فقال[٢]: «قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «فإنه لا يجوز الاستعانة بالجن ولا غيرهم علىٰ ما هو ظلم، ولا يجوز ظلم الجن ولا الإنس».

واليهود مشهورون بالظلم، وأذية المسلمين الموحّدين بالسحر، ولذلك سحروا النبي ﷺ بالشاة المسمومة.

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٦).

(٣) تحريم أقسام المعزّمين، ص (٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قالوا: ولهذا يوجد السحر في اليهود كثيرًا، وقصة لبيد بن أعصم الساحر معروفة، مع أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد حرّم الله السحر علىٰ لسانه وأوجب عقوبة أهله، كما بعث الله بذلك محمدًا ﷺ، وموسىٰ هو خصم السحرة، وإن كان أتباعهم يزعمون أن موسىٰ كان ساحرًا، فهذه الفرية أعظم من الفرية علىٰ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

❊ ❊ ❊

(١) تحريم أقسام المعزّمين، ص (١٤).

٣٤- قياس المخلوق على الخالق

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][1]، أن من أسباب الشرك قياس الخالق بالمخلوق، وهو الذي جعل الضالين يتخذون من دون الله أندادًا، فساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥][2]، وعقد الإمام بابًا خاصًّا لبيان أن الشرك مبدؤه من تشبيه الخالق بالمخلوق، باب [قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]][3].

فأصل الشرك من قياس المخلوق بالخالق وتشبيهه به، فالمشركون جعلوا لله أندادًا وشبهوه بخلقه، وما عظموا رب العالمين ولا قدروه حق قدره، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «وإنما كان التمثيل والتشبيه في الأمم، حيث شبَّهوا أوثانهم ومعبودهم به في الإلهية، **وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأوثان**».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «والقرآن مملوء من إبطال أن يكون في المخلوقات

---

(١) الباب الخامس، كتاب التوحيد، ص (١٤).
(2) كتاب التوحيد، ص (١٤).
(٣) الباب الحادي والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٧٦).
(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٦٦).
(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٦٦-٩٦٩).

ما يشبه الرب - تعالىٰ - أو يماثله، فهذا هو الذي قُصد بالقرآن، إبطالًا لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله تعالىٰ غيره.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلًا للخالق، فالندُّ: الشِّبْه، يقال: فلان نِدُّ فلان، ونديده. أي: مثله وشبهه، ومنه قول حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بندٍّ فشرُّكما لخيركما الفداء

وقال جرير:

أأنتم تجعلون إليَّ ندًّا وما تيْمٌ لذي حسب نديدُ

قال ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا تجعلوا لله أكفاءً من الرجال، تطيعونهم في معصية الله.

وقال ابن زيد: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه.

وقال الزجَّاج: أي: لا تجعلوا لله أمثالًا.

فالذي أنكره الله سبحانه عليهم تشبيه المخلوق به، حتىٰ جعلوه نِدًّا لله تعالىٰ، يعبدونه كما يعبدون الله.

وكذلك قوله في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فأنكر هذا التشبيه عليهم، وهو أصل عبادة الأصنام.

ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي: يعدلون به غيره، فيجعلون له من خلقه عدلًا وشبهًا.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يريد: عدلوا بي مِنْ خَلْقي: الحجارة والأصنام، بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي.

وقال الزجّاج: أعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه خالق ما ذكر في هذه الآية، وأن خالقها لا شيء مثله، وأعلم أن الكفار يجعلون له عديلًا.

والعدل: التسوية، يقال: عدل الشيء بالشيء: إذا سوّاه، ومعنىٰ يعدلون به: يشركون به غيره.

قال مجاهد: قال الأحمر: يقال: عدلَ الكافر بربِّه - عدلًا، وعدولًا: إذا سوّىٰ به غيره فعبده.

وقال الكسائي: عدلت الشيء بالشيء - أعدله عدولًا: إذا ساويته به.

ومثله قوله تعالىٰ عن هؤلاء المشبِّهين أنهم يقولون في النار لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، فاعترفوا أنهم كانوا في أعظم الضلال وأبينه، إذ جعلوا لله شبيهًا وعدلًا من خلقه، سوّوهم به في العبادة والتعظيم.

وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: شبهًا ومثلًا، وهو منْ يساميه.

وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابهًا للخالق، ومماثلًا له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقل سبحانه: هل تعلمه سميًّا، أو مشبَّهًا لغيره، فإن هذا لم يقله أحد، بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهًا له، مساميًا، وندًّا، وعدْلًا، فأنكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل.

وكذلك قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٣، ٧٤]، فنهاهم أن يضربوا له مثلًا من خلقه، ولم ينههم أن يضربوه هو مثلًا لخلقه، فإن هذا لم يقله أحد، ولم يكونوا يفعلونه، فإن الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر من كل شيء في فطر الناس كلهم، ولكن المشبهون المشركون يغلون فيمن يعظمونه، فيشبهونه بالخالق، والله تعالىٰ أجلّ في صدور جميع الخلق من أن يجعلوا غيره أصلًا، ثم يشبهونه سبحانه بغيره.

فإن الذي يشبِّهه بغيره: إن قصد تعظيمه، لم يكن في هذا تعظيم؛ لأنه مثّل أعظم العظماء بما دونه، بل بما ليس بينه وبينه نسبة في العظمة والجلالة، وعاقل لا يفعل ذلك».

ومن القياس الذي أوقع القبوريين في الشرك الشفاعة الشركية، فبعض الجاهلين والضالين يرىٰ أن الصالحين يكون لهم حق علىٰ الله لعبادتهم له، فيتخذونهم وسائط شركية بينهم وبين الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن النفوس الجاهلية تتخيل أن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢١٤، ٢١٥).

الإنسان بعبادته وعلمه يصير له علىٰ الله حق من جنس ما يصير للمخلوق علىٰ المخلوق، كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة، ويدفعون عنهم مضرة، ويبقىٰ أحدهم يتقاضىٰ العوض والمجازاة علىٰ ذلك، ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه: ألم أفعل كذا؟ يمن عليه بما يفعله معه، وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه.

وتخيل مثل هذا في حق الله تعالىٰ من جهل الإنسان وظلمه، ولهذا بيّن سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه، وأن الله غني عن الخلق كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، وقال تعالىٰ في قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٧، ٨]».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبطلًا هذا القياس**(١): «وبين الخالق تعالىٰ والمخلوق من الفروق ما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ بصيرة:

(منها): أن الرب تعالىٰ غني بنفسه عما سواه، ويمتنع أن يكون مفتقرًا إلىٰ غيره بوجه من الوجوه، والملوك وسادة العبيد محتاجون إلىٰ غيرهم حاجة ضرورية.

و**(منها)**: أن الرب تعالىٰ وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويرضىٰ ويفرح

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢١٦ - ٢١٧)، باختصار.

بتوبة التائبين، فهو الذي يخلق ذلك وييسره، فلم يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته، وهذا ظاهر علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة الذين يقرون بأن الله هو المنعم علىٰ عباده بالإيمان، بخلاف القدرية، والمخلوق قد يحصل له ما يحبه بفعل غيره.

و(**منها**): أن نعمه علىٰ عباده أعظم من أن تحصىٰ، فلو قُدر أن العبادة جزاء النعمة لم تقم العبادة بشكر قليل منها، فكيف والعبادة من نعمته أيضًا؟

و(**منها**): أن العباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلىٰ عفوه ومغفرته، فلن يدخل أحد الجنة بعمله، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلىٰ مغفرة الله لها، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾».

وقال تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فتأمل كيف ذكر هذا النفي تقريرًا للتوحيد، وإبطالًا لما عليه أهل الشرك: من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتىٰ عبدوهم معه، فحرَّفها المحرّفون، وجعلوها تُرْسًا لهم في نفي صفات كماله، وحقائق أسمائه وأفعاله.

وهذا التشبيه الذي أبطله الله سبحانه - نفيًا ونهيًا -: هو أصل شرك

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٩٧١، ٩٧٢).

العالم، وعبادة الأصنام، ولهذا نهىٰ النبي ﷺ أن يسجد أحد لمخلوق مثله، أو يحلف بمخلوق، أو يُصَلِّي إلىٰ قبر، أو يتخذ عليه مسجدًا، أو يعلّق عليه قنديلًا، أو يقول القائل: ما شاء الله وشاء فلان. ونحو ذلك، حذرًا من هذا التشبيه الذي هو أصل الشرك.

أما إثبات صفات الكمال: فهو أصل التوحيد.

فتبيّن أن المشبهة هم الذين يُشَبِّهُون المخلوق بالخالق في العبادة، والتعظيم، والخضوع، والحلف به، والنذر له، والسجود له، والعكوف عند قبره، وحلق الرأس له، والاستغاثة به، والتشريك بينه وبين الله، في قولهم: ليس لي إلا الله وأنت. و: أنا متكلٌ علىٰ الله وعليك. و: هذا من الله ومنك. و: أنا في حسب الله وحسبك. و: ما شاء الله وشئت. و: هذا لله ولك، وأمثال ذلك.

فهؤلاء هم المشبِّهة حقًّا، لا أهل التوحيد، المثبتون لله ما أثبت لنفسه، والنافون عنه ما نفاه عن نفسه، الذين لا يجعلون له ندًّا من خلقه، ولا عدْلًا، ولا كُفؤا، ولا سميًّا، وليس لهم من دونه ولي ولا شفيع.

فمن تدبَّر هذا الفصل حقَّ التدبُّر: تبيّن له كيف وقعت الفتنة في الأرض بعبادة الأصنام، وتبيّن له سر القرآن في الإنكار علىٰ هؤلاء المشبهة الممثلة، ولا سيّما إذا جمعوا - إلىٰ هذا التشبيه - تعطيل الصفات والأفعال، كما هو الغالب عليهم، فيجمعون بين تعطيل الربّ - سبحانه - عن صفات كماله، وتشبيه خلقه به!».

ومن أسباب الشرك في أصحاب القبور قياسهم الأولياء علىٰ الأنبياء، فقالوا: إن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يُسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتىٰ أرد** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[1]، وأن النبي ﷺ رأىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائمًا في قبره يُصلي[2]، فمن أجل هذا يتوجهون إليهم ويسألونهم عند قبورهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

فنقول: إن رد السلام من النبي ﷺ إعادة للروح لا نتجاوز ذلك ولا نثبت له حياة من لم يفارق الدنيا، فإعادة الروح لا تستلزم حياة مزيلة لاسم الموت، قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا معنىٰ الحديث[3]: «يقتضي رد الروح بعد السلام، ولا يقتضي استمرارها في الجسد.

وليعلم أن رد الروح إلىٰ البدن وعودها إلىٰ الجسد بعد الموت - لا يقتضي استمرارها فيه، **ولا يستلزم حياة أخرىٰ قبل يوم النشور نظير الحياة المعهودة، بل إعادة الروح إلىٰ الجسد في البرزخ إعادة برزخية، لا تزيل عن الميت اسم الموت.**

وقد ثبت في حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه في شأن الميت وحاله - أن روحه تعاد إلىٰ جسده، مع العلم بأنها غير مستمرة فيه، وأن هذه الإعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم

---

(١) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب: زيارة القبور (ص ٢٩٥-٢٠٤١)، قال شيخ الإسلام في الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٢٩): «قيل: هو علىٰ شرط مسلم»، وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص (١١٤): «إسناد جيد».

(٢) رواه النسائي، كتاب قيام الليل، باب ذكر صلاة نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (ص٢٣٥ -رقم ١٦٣٢).

(٣) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (٢٢٢، ٢٢٣).

الموت، بل هي أنواع حياة برزخية، والحياة جنس تحتها أنواع، وكذلك الموت، فإثبات بعض الحياة، لا يزيل اسم الموت كالحياة البرزخية، وإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم، قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**».

فرد الروح علىٰ النبي ﷺ لرد السلام دليل خاص في هذا الأمر لا فتجاوزه إلىٰ إثبات حياة عامة، فحينئذ لا فرق بين الحي والميت، والله يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «فهذه النصوص التي ذكرناها تدل علىٰ أنه يسمع سلام القريب، ويبلَّغ سلام البعيد وصلاته، لا أنه يسمع ذلك المصلي والمسلِّم، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة، **فإنه لا يسمع دعاء الغائب واستغاثته بطريق الأولىٰ والأحرىٰ**، والنص إنما يدل علىٰ أن الملائكة تبلّغه الصلاة والسلام، ولم يدل علىٰ أنه يبلّغه غير ذلك».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «أصل تعظيم القبور مأخوذ من عُبَّاد الأصنام، فإنهم قالوا: الميت المعظّم الذي لروحه قرب من الله تعالىٰ ومزية - لا تزال تأتيه الألطاف من الله وتفيض علىٰ روحه الخيرات، فإذا علّق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور علىٰ روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه علىٰ الجسم المقابل له،

(١) تلخيص الاستغاثة (١/ ١٥٣، ١٥٤).

(٢) إغاثة اللهفان بواسطة الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص (١١٣، ١١٤)، للصنعاني، وانظر مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٦٧، ١٦٨).

قالوا: فحق الزيارة أن يتوجّه الزائر بروحه وبقلبه إلىٰ الميّت، ويعكف بهمته عليه، ويوجّه قصده كلَّه وإقباله عليه، بحيث لا يبقىٰ فيه التفات إلىٰ غيره، وكلَّما كان جَمْعُ الهمة والقلب عليه كان أعظم لانتفاعه به، **وذكر هذه الزيارة علىٰ هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرَّح بها عُبَّاد الكواكب في عبادتها، قالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور، وبهذا السر عُبدت الكواكب، واتُّخذت لها الهياكل، وصُنعت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المتخذة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعُبَّاد القبور اتخاذها أعيادًا، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها، وهذا هو الذي قصد ﷺ إبطاله بالكلية،** وسدَّ الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه من قصده، وكان رسول الله ﷺ في شقٍّ، وهؤلاء في شقّ، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور هي الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله، قالوا: فإن العبد إذا تعلّقت روحه بروح الوجيه المقرَّب عند الله وتوجه بهمّته إليه، وعكف قلبه عليه صار بينهم وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به فما حصل لذلك من السلطان من الإفضال والإنعام فإنه ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه.

فهذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم، وأباح أموالهم ودماءهم، وسبي ذراريهم، وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلىٰ آخره مملوء من الرد علىٰ أهله وإبطال مذهبهم».

فالبشر الأموات انقطع عملهم بموتهم، فكيف نطلب منهم أعمالًا يستحيل أن يأتوا بها؟! قال النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». رواه مسلم(١).

والنبي ﷺ حال حياته قال للخلق جميعًا: ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾، فبعد موته لا يملك ذلك من باب أولىٰ.

والعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلب الدليل علىٰ القبوريين، فقال: «حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يُسلم عليَّ إلَّا رد الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلامَ**». **ولا ريب أنَّ هذا دال علىٰ أنه ﷺ تفارقه روحه**»(٢).

ومن أنواع الأقيسة الباطلة التي أوقعت في الشرك - قياس الأولىٰ الفاسد، ودعوىٰ أن زيارة قبر آحاد الناس إكرام وتعظيم للميت، فالرسول ﷺ أولىٰ بهذا التعظيم والإكرام، قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «فغلطوا وخالفوا السنة وإجماع الأمة سلفها وخلفها، فقولهم نظير قول من يقول: إذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها إلىٰ قبر المزور. فإن ذلك أبلغ في الدعاء له، وإن كان مقصوده دعاءه كما يقصده أهل البدع، فهو أبلغ في دعائه، فالرسول ﷺ أولىٰ أن نصل إلىٰ قبره إذا زرناه، وقد ثبت بالتواتر وإجماع الأمة أن الرسول ﷺ لا يشرع الوصول إلىٰ قبره للدعاء له، ولا لدعائه، ولا لغير ذلك، بل غيره يصلىٰ علىٰ قبره

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ص ٧١٦ - رقم ٤٢٢٣).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء، ص (٧٨، ٧٩).

(٣) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (١٢٦، ١٢٧).

عند أكثر السلف، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة، والصلاة علىٰ القبر كالصلاة علىٰ الجنازة تشرع مع القرب والمشاهدة، وهو بالإجماع لا يُصلىٰ علىٰ قبره سواء كان للصلاة حد محدود، أو كان يصلىٰ علىٰ القبر مطلقًا، ولم يعرف أن أحدًا من الصحابة الغائبين لما قدم صلىٰ علىٰ قبره ﷺ، وزيارة القبور المشروعة هي مشروعة مع الوصول إلىٰ القبر بمشاهدته، وهذه الزيارة غير مشروعة في حقه بالنص والإجماع، ولا هي أيضًا ممكنة.

فتبين غلط هؤلاء الذي قاسوه علىٰ عموم المؤمنين، وهذا من باب القياس الفاسد، ومن قاس قياس الأولىٰ ولم يعلم ما اختص به كل واحد من المقيس والمقيس به - كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة علىٰ المذكىٰ، ويقولون للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١]».



٣٥- سوء الظن بالله وتحسين الظن بما لا ينفع ولا يضر

بلغ الشرك من أهله مبلغًا قبيحًا ينفر منه كل عاقل سوي الفطرة، فإن المشركين انصرفوا عن سؤال الله إلىٰ سؤال حجر أصم لا ينفع ولا يضر، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، لو جاءت ريح عاصف لأفنته.

قال القبوريون - وبئس ما قالوا -: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه».

فهؤلاء حسنوا ظنهم بحجارة، وأساءوا الظن بالله القائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والقائل في الحديث القدسي: «**من يدعوني فأستجيب له**». والالتفات إلىٰ الحجارة تالله هو الشرك الأكبر.

من أجل هذا بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشرك يقع بسبب سوء الظن بالله، وعقد لهذا باب [قول الله تعالىٰ: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]][1]، فالجاهل من المشركين يقول: أنا مذنب، فلا أدعو الله مباشرة، وإنما أستشفع بجاه الصالحين، وأجعلهم وسطاء في دعائي الله، هكذا استزلهم الشيطان.

والعاقل يعرف أن الله واسع المغفرة، وأنه يغفر الذنوب جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ

---

(١) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦).

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، فتب أيها المشرك أولًا من التوجه لغير الله، واعبد الله وحده لا شريك له، واعلم أن التقرب لله بالشرك، وجعله الوسيلة في سؤال الله سخط الله لا رضاه، فاجعل أسباب إجابة دعائك لله التوحيد والأعمال الصالحة.

قال العلامة أبو العباس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٤٥ هـ)**[١]: «اعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلىٰ شيئين:

أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء.

والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره».

وقال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبكتًا سوء ظن القبوريين بالله**[٢]: «واعلم أن الذي ظن أن الرب لا يسمع له ولا يجيب له إلا بواسطة تطلعه علىٰ ذلك، أو تسأل ذلك منه - فقد ظن بالله ظن السوء، فإنه إن ظن أنه لا يعلم ولا يسمع إلا بإعلام غيره له، وإسماعه ذلك، فهذا نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفىٰ بذلك ذنبًا.

وإن ظن أنه يسمع ويرىٰ، ولكن يحتاج إلىٰ من يلينه ويعطفه عليهم - فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه، وسعة جوده.

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به.

ولهذا يتوعدهم في كتابه علىٰ إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال تعالىٰ:

---

(١) تجريد التوحيد المفيد، ص (٣٦).

(٢) تجريد التوحيد المفيد، ص (٣٣-٣٥).

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالىٰ عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٦، ٨٧]، أي فما ظنكم برب العالمين أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع علىٰ ضروريات عباده لمن يكون بابًا للحوائج ونحو ذلك؟ وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلىٰ الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين، فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب علىٰ نفسه الرحمة، فما تصنع الوسائط عنده؟!

فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالىٰ، فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده، بل ذلك ممتنع في العقول والفطر».

وعبّاد القبور الذين اتخذوا الموتىٰ آلهة يسألونهم ما لا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات، وقد أحسنوا ظنهم بميت وأساءوا ظنونهم بغيره من موتىٰ الصالحين، وقبل هذا كله أساءوا ظنهم برب العالمين، فلم ينزلوا حاجاتهم به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنك تجد كثيرًا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره، كل منهم قد اتخذ وثنًا أحسن به الظن، وأساء الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده، ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتهم جميعًا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكمٌ، وترجيح بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعًا جمع بين الأضداد».

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٨).

فالقبوريون بلغ سوء ظنهم بالله وسفه عقولهم في الانصراف إلىٰ من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا مبلغًا يدل علىٰ حقيقة ضلالهم وانغماسهم في الشرك، وانصرافهم عن ربهم وخالقهم ورازقهم، فقد كذبوا علىٰ النبي ﷺ ونسبوا إليه أنه قال، وحاشاه أن يقول: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور». قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهذا الحديث كذب مفترًىٰ علىٰ النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة»، وقال أيضًا[2]: «فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء».

❊ ❊ ❊

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٥٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٦).



٣٦- مزج الحق بالباطل

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أسباب الشرك مزج الحق بالباطل، فإنه في باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين](١)، حيث ساق حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن أنصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت»(٢)، ثم قال في المسألة الخامسة من مسائله مبينًا سبب الشرك(٣): «أن سبب ذلك كله مزج الحقّ بالباطل».

فهؤلاء المشركون مزجوا رغبتهم بزيادة التقرب لله بصناعة التماثيل علىٰ صفة صور الصالحين ليتذكروا عبادتهم لله، ثم خلف بعدهم خلوف عبدوا الأصنام.

والآن أقام المشركون القباب علىٰ قبور الصالحين بدعوىٰ إكرامهم وتوقيرهم، ثم صاروا يطوفون بهذه القبور، وهذا شرك، وصاروا يتخذونهم وسائط في دعائهم الله كشرك كفار قريش: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

(١) الباب الثامن عشر، كتاب التوحيد، ص (٣٥).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٣) القول السديد، ص (٦٧).

زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، ومنهم من يسأل الموتىٰ أنفسهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، تعالىٰ الله عن أفعال المشركين.

وهذا السبب لا شك أنه من أسباب رواج الباطل، فالباطل المحض لا شك أن الفطر السوية تنفر منه، أما الباطل المشوب بشيء من الحق، فإنه يروج علىٰ كثير من الناس، لا سيما إن استحوذ علىٰ نظرهم هذا الحق وغاب الباطل الملتبس به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**[(١)]: «الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل؛ لما فيه من الشبهة، فإن الباطل المحض الذي يظهر بطلانه لكل أحد، لا يكون قولًا ومذهبًا لطائفة تذبُّ عنه، وإنما يكون باطلًا مشوبًا بحق، كما قال تعالىٰ: ﴿ **لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧١]».

ولذلك ترىٰ هؤلاء المبطلين يُظهرون هذا الحقَّ ويكتمون الباطل المتلبس به، إما جهلًا وإما هوًىٰ - والعياذ بالله -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**[(٢)]: «الطرائق المبتدعة كلها يجتمع فيها الحق والباطل».

فالحق المشوب بالباطل لا يحسن المبتدعة تمييز بعضه من بعض، فيكون مذهبهم تأسس بهذا الباطل الذي راج عليهم للحق اليسير المشوب به، قال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) الاستقامة (٢/ ١٧٨).

الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يبعد في مجاري العادات أن يبتدع أحد بدعة، من غير شبهة دليل يقدح له، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨ هـ)**[٢]: «ولا ينفق الباطل في الوجود إلا بشوب من الحق، كما أن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم، يضلون خلقًا كثيرًا عن الحق الذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلىٰ الباطل الكثير الذي هم عليه».

علىٰ كل حال الباطل المشوب بالحق إنما يروج علىٰ الجهال، أو من فسد قصده لسلوكه طريق غير هاد باتباع المتشابه، أو بالمعاندة والإصرار علىٰ الباطل لشوب الحق اليسير الملتبس به، وإلا فالتمييز بين أنوار الحق وظلام الباطل، ممكن جدًّا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنه ما من حق وباطل إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، ولو في أصل الوجود، أو في أصل الإخبار، أو في مجرد المعلومية، بأن يكون هذا معلومًا مذكورًا، وهذا معلومًا مذكورًا، ولكل واحد منهما خصائص يتميّز بها عن الآخر، فأحظىٰ الناس بالحق وأسعدهم به الذي يقع علىٰ الخصائص المميزة الفارقة، ويلغي القدر المشترك فيحكم بالقدر الفارق علىٰ القدر المشترك ويفصله به.

---

(١) الاعتصام (٢/ ١٣٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٩٠).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢١٦، ١٢١٧).

وأبعدهم عن الحق والهدىٰ من عكس هذا السير، وسلك ضد هذه الطريق، فألغىٰ الخصائص الفارقة، وأخذ القدر المشترك وحكم به علىٰ القدر الفارق، وأضل منه من أخذ خصائص كل من النوعين فأعطاها للنوع الآخر، فهذان طريقا أهل الضلالة اللتان يرجع إليهما جميع شعب ضلالهم وباطلهم».

والآن لننظر أين الحق اليسير المشوب بباطل الشرك الذي أراد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التنبيه عليه، فإن تبويبه تنبيه علىٰ ذلك حيث قال: [باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين]، فالحق اليسير هو توقير الصالحين، والغلو فيهم هو الباطل الذي أوقعهم في الشرك، فمهما بلغ الأولياء من درجة الصلاح فلا يجوز أن يُصرف لهم شيء من حق الله الخالص، والتمييز بين حق الخالق وحق المخلوق واضح، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي تألهه القلوب وتنزل به حاجاتها، والمخلوق الصالح حقه الحب في الله، والدعاء له، والاستغفار له، أما أن نسأله ما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم، وللمؤمنين بعضهم علىٰ بعض حقوق مشتركة، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت ردف النبي ﷺ، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله علىٰ عباده؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **حقه عليهم، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، يا**

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٦٤).

معاذ، أتدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حقهم عليه أن لا يعذبهم**»».

وأهل الشرك والبدع في غلوهم في الصالحين وصرف حق الله الخالص للمخلوقين من الأولياء - قلبوا الحقائق ولبّسوا علىٰ العامة، وشنّعوا علىٰ أهل السنة وزعموا أنهم انتقصوا الأولياء؛ لأنهم منعوا الاستغاثة بهم، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلىٰ التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذنبهم إلا أن قالوا: إنهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وأنهم لا يشفعون لعابديهم أبدًا، بل قد حرَّم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له سبحانه، والولاية له، فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع».

فأهل السنة هم الذين وقّروا الأنبياء والأولياء والصالحين، والذين انتقصوهم هم الذين أنزلوهم منزلة رب الأرباب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[2] : «فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا وأوثانًا فيه غض من أصحابها، بل هو من باب إكرامهم».

وقال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٧هـ)[3] : «ولا تحسب

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٨، ١٢٩).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٩).
(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (١٤٤، ١٤٥).

أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم: أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد وأعيادًا، وعن إيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها، ونحو ذلك - غض من قدر أصحابها، ولا تنقُّص لهم كما يحسبه الضُلّال، بل ذلك من إكرامهم ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليُّهم ومحبُّهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلىٰ هديهم ومناهجهم.

وهؤلاء المشركون من أعصىٰ الناس لله ولرسوله، وأغضبهم له، وأبعدهم من هديه، كالنصارىٰ مع المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والروافض مع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فأهل الحق أولىٰ بأهل الحق من أهل الباطل، ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة: ٧١].

والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين علىٰ القبور معرضين عن طريقة من فيها وسنته، مشتغلين بقبره عما دعا إليه وأمر به من إخلاص الدين والعبادة لله وحده.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم: إنما هو باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها عيدًا، فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟».

والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ساق قوله تعالىٰ:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣]، وساق أثر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا

أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عبدت». رواه البخاري[١].

ثم قال الإمام في المسألة الخامسة من مسائل هذا الباب[٢]:

«أن سبب ذلك - قبول البدع - كله مزج الحقِّ بالباطل».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبيّن أن مزج الحق بالباطل حصل بأمرين:

الأول: محبة الصالحين، ولهذا صوروا تماثيلهم محبةً لهم، ورغبة في مشاهدة أشباحهم.

الثاني: أنَّ أهل العلم والدين أرادوا بذلك خيرًا، وهو أن ينشطوا علىٰ العبادة، ولكن من بعدهم أرادوا غير الخير الذي أراده أولئك.

ويؤخذ منه: أنَّ من أراد تقوية دينه ببدعة، فإن ضررها أكثر من نفعها.

مثال ذلك: أولئك الذين يغلون في الرسول ﷺ ويجعلون له الموالد هم يريدون بذلك خيرًا، لكن أرادوا خيرًا بهذه البدعة فصار ضررها أكثر من نفعها؛ لأنها تعطي الإنسان نشاطًا غير مشروع في وقت معيَّن، ثم يعقبه فتور غير مشروع في بقية العام، ولهذا تجد هؤلاء الذين يغالون في هذه البدع

(١) كتاب التوحيد، ص (٣٥، ٣٦).

(٢) القول السديد، ص (٦٧).

(٣) القول المفيد، ص (٢٤٢).

فاترين في الأمور المشروعة الواضحة ليسوا كنشاط غيرهم، وهذا مما يدل علىٰ تأثير البدع في القلوب[١]، وأنها مهما زيَّنها أصحابها، فلا تزيد الإنسان إلا ضلالًا؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة**».

فمن حقّق التوحيد وأعطىٰ كل ذي حق حقه فهو الذي وقّر الجميع، فمن أعطىٰ الله حقه وهو أن يعبده ولا يشرك به شيئًا، وأعطىٰ الأنبياء حقهم من حبهم وتوقيرهم وشهود منتهم علىٰ الخلق في هدايتهم الخلق هداية إرشاد إلىٰ صراط الله المستقيم الموجب لسعادتهم في الدارين، ومن أعطىٰ حق الخالق لمخلوق ولو كان نبيًّا بأن صرف له شيئًا من أنواع العبادة كالنحر والنذر، أو طاف بقبره، أو استغاث به - فهذا انتقص الجميع، انتقص الله؛ لأنه أعطىٰ المخلوق حق الله الخالص، وانتقص الأنبياء لأنهم لا يرضون بذلك، ولأنهم دلّوا الناس إلىٰ توحيد الله لا الإشراك به.

ولذلك نجد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبّه علىٰ هذا تنبيهًا صريحًا ليعطي كل ذي حق حقه، فإنه في [باب أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون][٢]، ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر**

---

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشرائع أغذية القلوب، فمتىٰ اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذىٰ بالطعام الخبيث». اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٠٤)، وقال: «فمن تدبّر هذا، علم يقينًا ما في حشو البدع من السموم المضعفة للإيمان، ولهذا قيل: إن البدع مشتقة من الكفر». اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١١٦).

(٢) كتاب التوحيد، الباب الرابع عشر، ص (٢٦).

قريش - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[١].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فإذا صرَّح وهو سيد المرسلين لأقاربه المؤمنين وغيرهم، خصوصًا سيِّدة نساء العالمين وعمِّه وعمَّته، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر إلىٰ ما وقع في قلوب كثير من الناس من الاعتقاد فيه وفي غيره من الأنبياء والصالحين، أنهم ينفعون ويضرُّون ويغنون من عذاب الله، حتىٰ يقول صاحب «البردة»:

فـإنَّ مـن جُـودك الـدنيا وضرَّتهـا ... ومن علومك علم اللـوح والقلـم

- تبيَّن له التوحيد، وعرف غربة الدين، فأين هذا من قول صاحب «البردة»، والبُرعي وأضرابهما من المادحين له ﷺ بما هو يتبرأ منه ليلًا ونهارًا، ويُبيّن اختصاصه بالخالق - تعالىٰ وتقدَّس - كما قال تعالىٰ: ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨**﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿**فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣**﴾ [يونس: ٣٢، ٣٣]، تالله لقد تاهت عقول تركت كلام ربها، وكلام

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٢٧، ٢٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٤٧ - ٥٤٩).

نبيّها لوساوس صدورها، وما ألقاه الشيطان في نفوسها.

ومن العجب أن اللعين كادهم مكيدةً أدرك بها مأموله، فأظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه، ومحبة الصالحين وتعظيمهم، ولعمر الله: إن تبرئتهم من هذا التعظيم والمحبَّة، هو التعظيم لهم والمحبة، وهو الواجب المتعيَّن.

وأظهر - الشيطان - لهم التوحيد والإخلاص في صورة بغض النبي ﷺ وبغض الصالحين، والتنقص بهم، وما شعروا أنهم تنقَّصوا الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبخسوه حقَّه، وتنقصوا النبي ﷺ والصالحين بذلك.

أما تنقصهم - للخالق تعالىٰ -؛ فلأنَّهم جعلوا المخلوق العاجز مثل الرب القادر في القدرة علىٰ النفع والضر.

وأما بخسهم حقَّه - تعالىٰ -؛ فلأن العبادة بجميع أنواعها حقٌّ لله تعالىٰ، فإذا جعلوا شيئًا منها لغيره، فقد بخسوه حقه.

وأما تنقصهم للنبي ﷺ والصالحين؛ فلأنهم ظنّوا أنهم راضون منهم بذلك، أو أمروهم به، وحاشا لله أن يرضوا بذلك، أو يأمروا به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]».

* * *

٣٧- عدم الاهتداء بالصحابة وآل البيت المتقدمين

سادات الصحابة وآل البيت الأخيار المتقدمون كعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هم بطانة النبي ﷺ، وتلاميذه وعنه أخذوا العقيدة، فالأخذ عنهم سلامة، ومخالفتهم بدعة وندامة، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥]، ولذلك حرص الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تضمين كتاب التوحيد بآثار الصحابة وآل البيت المتقدمين خصوصًا فيما عمّت به البلوىٰ كالاستغاثة بالقبور والغلو فيها. ففي باب: [ما جاء في حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يُوصل إلىٰ الشرك](١)، ساق هدي آل البيت في ترك الغلو في قبر سيد آل البيت صلوات الله وسلامه عليه، فقال(٢): «وعن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم**. رواه في المختارة»».

---

(١) الباب الحادي والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٤٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، الذي لهم مع رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلىٰ ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا أضبط، والعيد إذا جعل اسمًا للمكان، فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتيابه للعبادة عنده، أو لغير العبادة، كما أن المسجد الحرام ومنًىٰ ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيدًا مثابةً للناس يجتمعون فيها، وينتابونها للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها، فلما جاء الإسلام محا الله ذلك كله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فلم يكن علىٰ عهد الصحابة، والتابعين، بل وتابعي التابعين، كمالك وأبي حنيفة وغيرهما في ديار الإسلام - قبر يُتخذ مسجدًا، ولا يُصلىٰ إليه، ولا كان في عهدهم في بلاد الإسلام قبر ولا مشهد يسافر إليه، وإنما حدثت المشاهد علىٰ القبور بعد القرون الثلاثة، فلم يكن يصلىٰ عندها لله، ولا يقصد الدعاء عندها، فضلًا عن أن يكون يقصد أن يدعىٰ صاحبها أو يسأل، ويقال: إنا نستشفع به. كما يفعله النصارىٰ، بل لما فتح المسلمون العراق وجدوا قبر دانيال، وعنده مصحف، قال أبو العالية: أنا قرأته، وفيه أخباركم، وكان أهل المكان يستسقون به، فكتب فيه أبو موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يقول: احفر

---

(١) الصارم المنكي، ص (٣٠٩).

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ص (٤٥، ٤٦).

بالنهار ثلاثة عشر قبرًا، وادفنه بالليل في واحد منها؛ لئلا يفتتن به الناس.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يسافرون إلىٰ المساجد الثلاثة لأجل الصلاة فيها، وللدعاء ونحو ذلك، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**»، أخرجاه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا».

والعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ ساق أثر قزعة، قال: أتيت ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصىٰ، فدع عنك الطور ولا تأته؛ ثم قال معلقًا[1] : «فابن عمر، وبصرة بن أبي بصرة، جعلا الطور مما نُهي عن شد الرِّحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه: فيه النهي عن شدِّها إلىٰ غير الثلاثة، مما يُقصد به القربة.

فعُلم أن المستثنىٰ منه عامٌّ في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًّا بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدِّها إلىٰ الطور مستدلين بهذا الحديث، والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البُقعة، فإن الله سمَّاه الوادي المقدَّس والبقعة المباركة، وكلَّم كليمه موسىٰ هناك».

فالمعلوم المتيقن أن الصحابة قاموا بما أمرهم به النبي ﷺ من تحقيق التوحيد وإنكار الشرك، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه

---

(١) فتح المجيد، ص (٢٣٤).

رسول الله ﷺ: ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته[(١)]، وروىٰ مسلم أيضًا من حديث ثمامة بن شفي قال: كنا عند فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتُوفي صاحب لنا، فأمر فضالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقبره، فسُوِّي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعًا وعشرين سنة، حتىٰ توفاه الله تعالىٰ، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن بشر علىٰ وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن، أو ضعيف، أو منقطع: أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعَوْا عندها، وتمسحوا بها، فضلًا أن يُصلّوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم؟! فليوقفونا علىٰ أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك.

بلىٰ، يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك[(٤)]، وكلما تأخر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر، حتىٰ لقد وُجد في ذلك عدَّة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحابه - حرف واحد من ذلك».

* * *

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ص (٣٨٩- رقم ٢٢٤٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ص (٣٨٩- رقم ٢٢٤٣).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٤) **ليس فيه إلا خبر موضوع مختلق**: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور».

٣٨- تعريض القلب للشبهات

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾][1]، أن إيمان الموحدين راسخ ثابت؛ لأنهم متحققون بإيمانهم عن يقين لا ريب فيه، لذلك ساق قول النبي ﷺ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار**». رواه البخاري ومسلم[2].

فالمؤمن الذي نوّر الله قلبه بنور الوحي، وأشرق ببرهان التوحيد، وانشرح صدره بذكر الله وحده لا شريك له - فإنه يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «شرط تعالىٰ في الإيمان عدم الريب، أي: الشك؛ لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٥٤).

أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك بوجه من الوجوه».

فاحذر عبد الله أن يستزلك القبوريون ويقولوا لك: قد أجيبت دعواتنا لما استغثنا بالقبور. فترتاب بحقيقة لا إله إلا الله، وتذهل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وإياك أن يستزلك أتباع الكُهّان فتصدّقهم بما يدّعونه من علم الغيب، فتكذب قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وما يذكرونه من صدق الكاهن مرة فقابله بما كذب به ألف مرة.

وهذه الشبهات إذا تأملتها وجدتها لا شيء، وإذا تأملت براهين وحدانية الله وجدت الأدلة بأنواعها كلها تدل علىٰ ذلك دلالة واضحة عظيمة، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٣، ١٤].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يذكر تعالىٰ نعمه العظيمة علىٰ عباده بتبيين الحق من الباطل، بما يُري عباده من آياته النفسية والآفاقية والقرآنية الدالَّة علىٰ كل مطلوب مقصود، الموضِّحة للهدىٰ من الضلال، بحيث لا يبقىٰ عند الناظر فيها والمتأمِّل لها أدنىٰ شكٍّ في معرفة الحقائق، وهذا من أكبر نعمه علىٰ عباده حيث لم يبق الحق مشتبهًا ولا الصواب ملتبسًا، بل نوَّع الدلالات ووضَّح الآيات، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيَّ عن بيِّنة، وكلما كانت المسائل أجلَّ وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٦٨).

فانظر إلىٰ التوحيد، لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقليَّة والنقليَّة وتنوَّعت، وضرب الله لها الأمثال، وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبَّه علىٰ جملتها من أدلتها، فقال: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وفي الحقيقة إذا تأملت شبهات القبوريين والغلاة في النبيين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وجدتها لا شيء، أخبار مكذوبة كقولهم: «من حسّن ظنه بحجر نفعه». وكدعواهم أن النبي ﷺ يعلم الغيب لمجرد أن البوصيري قال في قصيدته الشركية «البردة»: «ومن علومه علم اللوح والقلم»، والنبي ﷺ لما سمع بعض النساء يغنين: «وفينا نبي يعلم ما في غد»، أنكره عليهم، وهؤلاء يكذّبون الرسول ﷺ والقرآن، ويدّعون أن النبي ﷺ يعلم ما كان، وما يكون، وما لو كان كيف يكون؛ لأن من علمه علم اللوح والقلم.

فلا تعرّض توحيدك لمن يبغّضه إليك، واجعل قلبك مستودعًا لأدلة القرآن والسنة بفهم السلف، فالصحابة أعظم الخلق توحيدًا، كما قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني**»[(١)]، واحم سمعك وبصرك عن الشبهات ابتداءً، قال معمر بن راشد: كنت عند ابن طاوس، وعنده ابن له، إذ أتاه رجل يقال له: صالح، يتكلم في القدر، فتكلم بشيء فتنبّه، فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: أدخل أصبعك في أذنيك واشدد، فلا تسمع من قوله شيئًا،

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد علىٰ شهادة جور (ص ٤٢٩ - رقم ٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة (ص ١١١١ - رقم ٦٤٧٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فإن القلب ضعيف[١].

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء: أما أنا فعلىٰ بيّنة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلىٰ شاك مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨][٢].

فالحمية من الشبهات واجب، وهو من أسباب حفظ الدين، وأما الرد علىٰ الباطل والمبطلين ودفع شبهاتهم فهذا ليس لكل أحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قد يستضر من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها».

ومن كان راسخًا في العلم لا يلتفت لتلك المشككات، بل يتأملها في ضوء الكتاب والسنة بفهم السلف فيزداد تمسكًا بالحق، وبصيرة بضلال أهل الباطل، ومعرفة بتهافت شبهاتهم، قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «والعالم الراسخ هو الذي إذا حصل له العلم الشّافي بقضيّة لزمها، ولم يُبال بما قد يشكك فيها، بل إمّا أن يُعرض عن تلك المشكّكات، وإما أن يتأملها في ضوء ما ثبت».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «والقلب يتوارده جيشان من الباطل: جيش

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ١٢٥).

(٢) الديباج المذهب (١/ ١١٥).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٢٨٣).

(٤) الأنوار الكاشفة، ص (٣٤).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

شهوات الغي، وجيش شبهات الباطل، فأيما قلب صغا إليها وركن إليها تشرّبها وامتلأ بها، فينضح لسانه وجوارحه بموجبها، فإن أُشرب شبهات الباطل تفجرت علىٰ لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات، فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه، وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه.

وقال لي شيخ الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد:** لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًّا للشبهات، أو كما قال.

فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك».

وقد حذّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإصغاء للأئمة المضلين في باب [ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان][١] وساق قول النبي ﷺ «**إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة** المضلين»[٢]، وما ذاك إلا لأنهم يفسدون توحيد المسلمين، ويزلزلون عقائدهم بما يلقونه عليهم من الشبهات.

❊ ❊ ❊

(١) الباب الثاني والعشرون، كتاب التوحيد، ص (٤٢).

(٢) كتاب التوحيد، ص(٤٥).

٣٩- الخوف وضعف القلب من التوكل على الله

الخوف ضرره علىٰ المخلوق عظيم، والخوف سببه ضعف التوحيد في القلب، وضعف تعظيم الله.

وقد ضمّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان أن الخوف من أسباب الشرك في أبواب عدة من كتاب التوحيد، ودلّ علىٰ ذلك بتبويبه: [باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]][1]، فالمؤمن الذي يعرف عظمة الله وقوته، ويعلم أن الملائكة تصعق إذا تكلم رب العالمين، ويعلم أن الخلق كلهم مقهورون مربوبون لله وحده لا شريك له، وأن مقادير الخلق جميعًا بيد الله - فإنه لا يقع في الشرك فرقًا من خوف الشيطان، بل يفر إلىٰ الله ويعتصم بالله وحده لا شريك له، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وساق الإمام في الباب نفسه قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فهذا واضح في أن الخوف من أسباب الشرك[2].

(١) الباب الحادي والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦١).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٦٢).

وقد استدلّ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **علىٰ أن الخوف من أسباب الشرك أيضًا في باب**: [من الشرك الاستعاذة بغير الله][١]، وساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦][٢]، فقد كانت عادة العرب في الجاهلية أنهم إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجانّ أن يصيبهم بشيء يسوءهم، وذلك أن الرَّجل من العرب كان إذا أمسىٰ بواد قفر، وخاف علىٰ نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. يريد كبير الجن!

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، قال: زادوا الكفار طغيانًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم رهقًا، أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ يبقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذًا[٣].

ومن أوضح الأدلة علىٰ أن الخوف من أسباب الشرك - حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا، وليس ذلك إلا للمؤمن**»[٤].

---

(١) الباب الثاني عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٢٣، ٢٤).

(٣) فتح المجيد، ص (١٤٥، ١٤٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب: المؤمن أمره كله خير (ص ١٢٩٥ - رقم ٧٥٠٠).

فتأمل قول النبي ﷺ: «**أمر المؤمن**»، وقوله: «**وليس ذلك إلا للمؤمن**»، فهذه خصال المؤمنين، أما الكافرون فهم بشر بكل حال، ومع عدم الاستعانة بالله والإيمان به تكون قلوبهم ضعيفة أسيرة لكلّ مخوف.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ولهذا تجد المؤمن أحسن حالًا من الكافر، حتىٰ في أمور الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، الحياة الطيبة هذه مفقودة بالنسبة للكفار، حياتهم كحياة البهائم، إذا شبع روث، وإذا لم يشبع، جلس يصرخ! هكذا هؤلاء الكفار؛ إن شبعوا بطروا، وإلا جلسوا يصرخون! ولا يستفيدون من دنياهم، لكن المؤمن إن أصابته ضراء صبر واحتسب الأجر علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإن أصابته سراء شكر، فهو في خير في هذا وفي هذا، وقلبه منشرح مطمئن ماشٍ مع القضاء والقدر، لا جزع عند البلاء، ولا بطر عند النعماء، بل هو متوازن مستقيم معتدل».

والخوف الذي يحمل علىٰ الشرك قد يكون خوف فوات مال أو جاه، ولا ينحصر بخوف الأذىٰ ممن يشرك به أو يضطره إليه، وقد نبّه الإمام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك في [باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا][(٢)]، وساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن**

---

(١) شرح الواسطية، ص (١٦٢).

(٢) الباب السادس والثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٦٨).

أعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش». رواه مسلم(١).

فهذا شأن من يخاف غير الله، فإنه ينتقض عليه مقصوده كما قال النبي ﷺ: «**إذا شيك**» أي: أصابته شوكة، «**فلا انتقش**»، يعني لم يقدر علىٰ إخراجها، وسماه النبي ﷺ: «**عبد الدينار، وعبد الدرهم**». ففتّش قلبك هل فيه رق للمال والجاه؟ فالمال يجب أن يكون في يدك تبذله في المعروف، ولا يكون في قلبك رق له، تفرح إن أعطيت وتسخط إن مُنعت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فإذا تعلّق قلبه بها، صار مستعبدًا لها، وربَّما صار مستعبدًا معتمدًا علىٰ غير الله فيها، فلا يبقىٰ معه حقيقة العبودية لله، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل علىٰ غير الله، وهذا من أحقِّ الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبدُ الدينار، تعس عبد الدِّرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»، وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط.

وإنما عبدَ الله من يُرضيه ما يُرضي الله، ويسخطه ما يُسخط الله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويُعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان».

ومما استدل به الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن الخوف من

---

(١) كتاب التوحيد، ص (٦٨، ٦٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٧٣، ١٠٧٤).

أسباب الشرك - حديث الذباب، فإن أولئك السدنة للصنم لا يتركون أحدًا يجاوز صنمهم حتىٰ يُقرّب ذبابًا، ذكره الإمام في باب [ما جاء في الذبح لغير الله][(١)].

ومما يدل علىٰ أن الخوف من أسباب الشرك - قول النبي ﷺ: «**شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع**»[(٢)]، والجبن الخالع هو الجبن الشديد، كأنه يخلع فؤاد صاحبه من شدة خوفه[(٣)].

وهذا لا يقع إلا ممن ضعفت استعانته بالله، وتحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أقسام الناس بالنسبة لاستعانتهم وعبوديتهم لله، فقال[(٤)]: «إن الناس في عبادته واستعانته علىٰ أربعة أقسام:

فالمؤمنون المتقون هم له وبه، يعبدونه ويستعينونه.

وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر، فتجد عند أحدهم تحريًا للطاعة والورع، ولزوم السنة، لكن ليس لهم توكل واستعانة وصبر، بل فيهم عجز وجزع.

وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر، من غير استقامة علىٰ الأمر ولا متابعة للسنة، فقد يمكَّن أحدهم، ويكون له نوع من الحال باطنًا وظاهرًا، ويعطىٰ من المكاشفات والتأثيرات ما لم يعطه الصنف الأول، ولكن لا عاقبة له، فإنه ليس من المتقين، والعاقبة للتقوىٰ، فالأولون لهم دين ضعيف، ولكنه

(١) الباب التاسع، كتاب التوحيد، ص (٢٠، ٢١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الجرأة والجبن (ص ٣٦٤ - رقم ٢٥١١).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٥٠٦).

(٤) الرسالة التدمرية، ص (٢٣٤، ٢٣٥).

مستمر باق إن لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز، وهؤلاء لأحدهم حال وقوة، ولكن لا يبقىٰ له إلا ما وافق فيه الأمر، واتّبع فيه السنة.

وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه، فهو لا يشهد أن عمله لله، ولا أنه بالله».

وإن أردت أن تعرف حقيقة تأثير الجزع وإفساده لإيمان العبد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فانظر إلىٰ حال كثير من الناس إلا من شاء الله في اعتراضهم علىٰ القدر، والناس في ذلك يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا، وقد نبّه علىٰ هذا الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [باب قول الله تعالىٰ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤]][(١)]، حيث نقل كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ولو فتشت من فتّشت لرأيت عنده تعنّتًا علىٰ القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتّش نفسك: هل أنت سالم؟!».

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «فصار عند الرخاء لا يشكر، يعجب بنفسه، ويقول: هذا حق لي. وعند الشدة لا يصبر، بل يعترض علىٰ ربه، ويقول: ﴿رَبِّىٓ

---

(١) الباب الثامن والخمسون، كتاب التوحيد، ص (٩٦).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٩٨).

(٣) تفسير جزء عمّ، ص (١٩٧).

أَهَنَنِ﴾، وهذا حال الإنسان باعتباره إنسانًا، أما المؤمن فليس كذلك، المؤمن إذا أكرمه الله ونعّمه شكر ربه علىٰ ذلك، ورأىٰ أن هذا فضل من الله عَزَّوَجَلَّ وإحسان، وليس من باب الإكرام الذي يقدّم لصاحبه علىٰ أنه مستحق، وإذا ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ وقدر عليه رزقه صبر واحتسب، وقال: هذا بذنبي، والرب عَزَّوَجَلَّ لم يهني، ولم يظلمني. فيكون صابرًا عند البلاء، شاكرًا عند الرخاء».



٤٠ - تأله القلب للدنيا

بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد أن تأله القلب للدنيا من أسباب الشرك، ففي باب [قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]][1]، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]؛ ليبيّن أن حب الدنيا قد يوقع في الخروج عن طاعة الله، وهذا أنواع منها ما هو في الخروج عن طاعة الله في التوحيد أو في حقوقه.

وبيّن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب نفسه أن إيمان العبد لا يتحقق إلا بأن يكون الله وحده محبوبه، ولا يزاحمه في حبه شيء، حيث ساق حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**». متفق عليه[2].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر من جملة أسباب كفر الكافرين هو ما غمر قلوبهم

(١) الباب الثلاثون، كتاب التوحيد، ص (٥٩).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٥٩، ٦٠).

من حب الدنيا، فقال سبحانه: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يخبر تعالىٰ أنَّ قلوب المكذِّبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظُّلم والغفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلىٰ هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل إلىٰ قلوبهم منه شيء، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]، فلما كانت قلوبهم في غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال من الأعمال الكفريَّة والمعاندة للشَّرع ما هو موجبٌ لعقابهم».

فهؤلاء المشركون لما كانت قلوبهم مغمورة بحب الدنيا خاوية من حب الله، معرضة عن الله مقبلة علىٰ حظوظها من الدنيا، أعرض الله عنهم، فأوردهم جهلُهم وما انغمسوا فيه من حب قضاء حاجاتِهم - بأي وجه كان - مواردَ الشرك والكفر والضلال، وهكذا كل من أعرض عن الله أعرض الله عنه.

أما المؤمنون الموحدون المتألهون لله وحده لا شريك له، فإنما يقومون بما خلقوا له وهو توحيد الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويعلمون أن تقوىٰ الله التي أساسها التوحيد مجلبة لكل خير: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فمن أضاع المقصد

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص (٦٤٦).

الأعظم وهو توحيد الله، وأعرض عن الله ممحضًا عمره في تحقيق رغباته الدنيوية فقط - فقد خسر خسرانًا مبينًا.

والناس في هذا الزمان فُتنوا باللهو العظيم الذي أُنفقت فيه المليارات، لصدّ الناس عن ذكر الله وطاعته، فضيّع كثير من الخلق أمر الله وشرعه، وباتت حياة كثير منهم مجرد اللهو، يزعمون بذلك إسعاد أنفسهم، وهؤلاء لا شك أن لهم حظًّا من قوله تعالىٰ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1] : «المقصود من العباد أن يُخلصوا لله الدين بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبذلوا مقدورَهم في مرضاته ومحابِّه، وذلك متضمِّن لإقبال القلب علىٰ الله وتوجُّهه إليه وكون سعي العبد نافعًا، وجدًّا لا هزلًا، وإخلاصًا لوجه الله لا رياء وسمعة، هذا هو الدين الحقيقي الذي يقال له: دين. فأما من زعم أنه علىٰ الحقِّ، وأنه صاحب دين وتقوىٰ، وقد اتَّخذ دينه لعبًا ولهوًا، بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل علىٰ كل ما يضره، ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه؛ لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله، فهو لعب، فهذا أمر الله تعالىٰ أن يُترك ويحذر ولا يغترَّ، وتنظر حاله، ويحذر من أفعاله، ولا يغتر بتعويقه عما يقرب إلىٰ الله».

---

(١) تيسير الكريم، ص (٢٧٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فإذا تدبّر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس، وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين: لا بد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها، وهو إلهها.

ولا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها، سواء كان ذلك هو الله أو غيره، وإذًا فقد يكون عامًّا، وهو الكفر، كمن عبد غير الله مطلقًا، وسأل غير الله مطلقًا، مثل: عبّاد الشمس والقمر وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات، ويفزعون إليهم في النوائب.

وقد يكون خاصًّا في المسلمين، مثل: من غلب عليه حب المال، أو حب شخص، أو حب الرياسة، حتىٰ صار عبد ذلك، كما قال ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن مُنع سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**».

وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله، بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم، أو خادمه من الأعوان والأجناد ونحوهم، أو أصدقاؤه أو أمواله، هي التي تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة الفلانية، فهو معتمد عليها ومستعين بها، والمستعان هو مدعو ومسئول.

وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة، فمن اعتمد عليه القلب في رزقه ونصره ونفعه وضره، خضع له وذل، وانقاد وأحبه من هذه الجهة وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه الحال حتىٰ يحبه لذاته، وينسىٰ مقصوده منه، كما

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٥، ٣٦).

يصيب كثيرًا ممن يحب المال أو يحب من يحصل له به العز والسلطان.

وأما من أحبه القلب وأراده وقصده، فقد لا يستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته علىٰ تحصيل مطلوبه، كاستشعار المحب قدرة المحبوب علىٰ وصله، فإذا استشعر قدرته علىٰ تحصيل مطلوبه استعانه، وإلا فلا، فالأقسام ثلاثة فقد يكون محبوبًا غير مستعان، وقد يكون مستعانًا غير محبوب، وقد يجتمع فيه الأمران.

فإذا علم أن العبد لا بد له في كل وقت وحال من منتهىٰ يطلبه هو إلهه، ومنتهىٰ يطلب منه هو مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته - تبيّن أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، كلام جامع محيط أولًا وآخرًا، لا يخرج عنه شيء، فصارت الأقسام الأربعة:

إما أن يعبد غير الله ويستعينه - وإن كان مسلمًا -، فالشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل.

وإما أن يعبده ويستعين غيره، مثل كثير من أهل الدين، يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لا شريك له، وتخضع قلوبهم لمن يستشعرون نصرهم، ورزقهم، وهدايتهم، من جهته: من الملوك، والأغنياء، والمشايخ. وإما أن يستعينه وإن عبد غيره، مثل كثير من ذوي الأحوال، وذوي القدرة وذوي السلطان الباطن أو الظاهر، وأهل الكشف والتأثير، الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجئون إليه، لكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله، وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث الله بها رسوله.

والقسم الرابع: الذين لا يعبدون إلا إياه، ولا يستعينون إلا به، وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد أيضًا، لكنه تارة يكون بحسب العبادة والاستعانة، وتارة يكون بحسب المستعان، فهنا هو بحسب المعبود والمستعان، لبيان أنه لا بد لكل عبد من معبود مستعان، وفيما بعد بحسب عبادة الله واستعانته، فإن الناس فيها علىٰ أربعة أقسام».

والإنسان لو عقل لعلم أن الله هو كافيه ورازقه وناصره وقائم عليه، وأنه لا غنًىٰ له عن الله طرفة عين، وهذا موجب لتوحيد الله لا الشرك به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والعبد هو فقير دائمًا إلىٰ الله من كل وجه من جهة أنه معبوده وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يصْلُح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب أيضًا، لا بد له من الذنوب، فهو دائمًا فقير مذنب، فيحتاج دائمًا إلىٰ الغفور الرحيم: الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه فيُنعم عليه ويُحسن إليه، فهو دائمًا بين إنعام الرب وذنوب نفسه، كما قال أبو إسماعيل الأنصاري: إنه يسير بين مطالعة المنَّة ومطالعة عيب النفس والعمل.

وكما قال ذلك العارف الحسن البصري: إني أصبح بين نعمة وذنب، فأريد أن أحدث للنعمة شكرًا، وللذنب استغفارًا.

وفي سيد الاستغفار: «**أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**». وفي الحديث الإلهي: «**فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا**

---

(١) جامع الرسائل (١/ ١١٦-١١٨)، جمع د: محمد رشاد سالم.

نفسه»، وكان يقول في خطبته: «**الحمد لله نستعينه ونستغفره**»، وفي القنوت: «**اللهم إنا نستعينك، ونستهديك، ونستغفرك**»، إلىٰ آخره وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يحمد الله ثم يستغفره، فيقول: «**ربنا ولك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد -: لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد، اللهم نقني من خطاياي كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس**».

والاستغفار مقرون بالحمد كما قرن بالتوحيد، وكما قُرن الحمد بالتوحيد، وقد جُمعت الثلاثة في مثل كفارة المجلس: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**»».

❊ ❊ ❊

٤١- عدم توقير الله

الكفر والشرك يقعان بسبب عدم توقير الله، وهذا ما خاطب به نوح قومه، وقال لهم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أي: عظمة، قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، والضحاك رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ».

وقال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال الزجاج: قيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وقيل: لا ترجون عاقبة الإيمان وتوحدون».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ومن وقاره أن لا يعدل به شيئًا من خلقه، لا في اللفظ بحيث يقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت. ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة؛ فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد قوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥][٤]: «تدل علىٰ أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ص(١٤٢١).

(٢) رموز الكنوز (٨/ ٢٩٥).

(٣) بدائع التفسير (٥/ ٣٥).

(٤) الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير (٣/ ٣٤١ - ٣٤٢).

الاستهزاء بالله كفر، وبالرسول كفر، ومن جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة، فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطًا، فعُلم أن الاستهزاء بالرسول كفر، وإلا لم يكن لذكره فائدة، وكذلك الآيات.

و«أيضًا» فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم، والضالون مستخفُّون بتوحيد الله تعالىٰ، يعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أُمِروا بالتوحيد ونُهوا عن الشرك استخفُّوا به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١]، فاستهزءوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يسبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلىٰ التوحيد؛ لما في أنفسهم من عظيم الشرك. وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأىٰ من يدعو إلىٰ التوحيد استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمن أحب مخلوقًا مثل ما يحب الله فهو مشرك، ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله، فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانًا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا، لا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبًا.

وكثير من طوائف متعددة ترىٰ أحدهم يرىٰ أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السحر، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلىٰ التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم

للشرك؟!

وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم؛ مضاهاةً لمشركي العرب، الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فيفضلون ما يجعل لغير الله علىٰ ما يجعل الله، ويقولون: الله غني وآلهتنا فقيرة».

وبعض الناس لا خلاق له، يهزل ويسخر بكل شيء ليضحك الناس، وليفرّج مضايق عطن قلبه المنطوي علىٰ سيئ الأخلاق.

ومن الناس من يستهزئ بأهل التوحيد بسبب شركه، وهذا الذي فعله مشركو قريش مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ حيث قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فبكّتهم الله عَزَّوَجَلَّ وأجابهم بأن صبر الموحدين علىٰ عقيدتهم والدعوة إليها والثبات عليها - باعثه التوكل علىٰ الله، ولأنها دعوة حق، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤٩].

وقد عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **باب:** [من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول][١]، وذكر مقولة المنافقين في الصحابة في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء»[٢]، فأكذبهم الله وكفّرهم، وأنزل فيهم قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

(١) الباب السابع والأربعون، كتاب التوحيد، ص (٨٣).

(٢) كتاب التوحيد، ص (٨٣).

وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم: إنا تكلَّمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب. وبيَّن أنَّ الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدرًا بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام».

وشعب هذا الكفر والنفاق ما زالت موجودة في هذا الزمان، ونال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سب واستهزاء المنافقين منه أوفر الحظ والنصيب، وهذه سنة الله في النبيين عليهم السلام وورثتهم من العلماء، يناهم من الأذىٰ والسب والاستهزاء من أعدائهم ما هو معلوم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، والموحّد محتسب صابر ثابت لا تستفزه تهويشات وإرجافات المبطلين، وهو يعلم أن العاقبة للتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]، والموحّد ينتظر نصر الله وفتحه ويعلم أن الاستهزاء سينقلب علىٰ المبطلين، قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، وقال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾

---

(١) فتح المجيد، ص (٤١٦).

فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا حال من كان يضاده من الاستهزاء بالدين**[١]: «إن أهل حريملاء ومن وراءهم يُصرِّحون بمسبة الدين، وأن الحق ما عليه أكثر الناس، يستدلون بالكثرة علىٰ حسن ما هم فيه من الدين، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها، فإذا قالوا: التوحيد حق والشرك باطل. وأيضًا لم يُحدثوا في بلدهم أوثانًا، جادل الملحد عنهم، وقال: إنهم يُقرُّون أن هذا شرك، وأن التوحيد هو الحق. ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله، وبغي العوج له، ومدح الشرك، وذبِّهم دونه بالمال واليد واللسان، فالله المستعان».

ولا تظن - أيها المسلم - أن اتخاذ آيات الله هزوًا هو مجرد سب الله ورسوله والقرآن، فمن اتخاذ آيات الله هزوًا أن لا ينقاد المسلم لما فيها من تقرير التوحيد الخالص لله، وأن لا يخشع ولا يرق المسلم عند تلاوة آيات الله، ثم يبكي ويخشع إذا تُليت عليه قصائد الشرك، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه، بكىٰ عنده وخضع، ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب - ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمع، وقيام الليل، وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلَّا

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، مجموع مؤلفات الإمام (٦/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) عيون الرسائل (٢/ ٧٠٣).

من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ ومثل هذا إذا سمع الأبيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء، ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزءوا بها، فيجعل لهم أعظم نصيب من قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاغية، كأنهم صُمٌّ عميٌ، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكنت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتىٰ لا يشرب العطشان منهم ماءً.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم، فأذن المؤذن، قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه. ومنهم من يقول: كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلىٰ الصلاة صرنا إلىٰ الباب.

وقد سألني بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال، فقلت: صدق، كان في حضرة الشيطان، فصار علىٰ باب الله، فإنَّ البدع والضلال، فيها من حضور الشيطان، ما قد فُصِّل في غير هذا الموضع».

* * *

٤٢ - تضييع ميثاق الله ورسله

الميثاق الذي أخذه الله علىٰ خلقه جميعًا هو توحيده سبحانه، والإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في افتتاحيته لكتاب التوحيد بدأ بتذكير الخلق بعهد الله وميثاقه عليهم بتوحيد الله، فساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وكذلك ساق حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال له: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[1]. والخلق بين حافظ لعهد لله وميثاقه ومضيّع. قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «هذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، فحذَّرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه. وأمرتكم أن تعبدوني بامتثال أوامري

(١) كتاب التوحيد،ص (٣-٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص (٨٢٢).

وترك زواجري.

﴿هَٰذَا﴾، أي: عبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان ﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾: فعلوم الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلىٰ هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيَّتي، فواليتم عدوكم».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**كُلَّما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوَّضوا عن ذلك، بما أحدثوه من البدع والشرك**».

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾ [الفرقان: ١٧-١٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يقول الله تعالىٰ مخبرًا عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال مجاهد: هو عيسىٰ، والعزير، والملائكة، ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية، أي: فيقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمعبودين: أأنتم دعوتم هؤلاء إلىٰ عبادتكم من دوني، أم هم

---

(١) فتح المجيد، ص (٤٧٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ص (٩٧٦، ٩٧٧).

عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ الآية، ولهذا قال تعالىٰ مخبرًا عما يجيب به المعبودون يوم القيامة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، قرأ الأكثرون بفتح النون من قوله: ﴿نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلىٰ ذلك، بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] الآية، وقرأ آخرون: (ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخذ من دونك من أولياء)، أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا فإنا عبيد لك فقراء إليك. وهي قريبة المعنىٰ من الأولىٰ».

* * *



٤٣- زخرفة الشرك

الشرك لا يمكن أن يقوم عليه دليل؛ فلذلك عمد المشركون إلىٰ تمويهات وتدليسات وتضليلات ليروجوا للشرك علىٰ الجهال، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن زخرفة المشركين لشركهم(١): «وأخرج أرباب البدع جميعهم بدعَهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع، وأخرج المشركون شركهم في قالب التعظيم لله، وأنه أجلّ من أن يُتقرب إليه بغير وسائط وشفعاء، وآلهة تقرِّبهم إليه.

فكل صاحب باطل لا يتمكّن من ترويج باطله إلّا بإخراجه في قالب حق».

وقد نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ وجوب كشف تمويهات المشركين، فإنه في باب [من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره](٢)، ساق قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال في مسائله(٣): «الثالثة عشرة: تسمية الدعوة عبادة للمدعو».

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٢).

(٢) الباب الثالث عشر، كتاب التوحيد، ص (٢٤).

(٣) القول السديد، ص (٥٢).

فتبويب الإمام وسياقه للآية وتنبيهه في المسائل - قصد منه نصح الأمة وتحذيرها من تضليل دعاة الشرك للناس بتسميتهم الشرك بغير اسمه «تبرك، توسل»، وحقيقته الشرك ودعاء غير الله.

وهذا من البصيرة في الدعوة إلىٰ الله كشف شبهات الباطل وزخارف الشرك، وقد نبّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك في باب [الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله][(١)]، حيث ساق قول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال في مسائله[(٢)]: «كشف العالم الشبهة عن المتعلم».

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إذا ثبت أنه شرك، فلا فرق في ذلك بين اعتقاده في الملائكة، والنبيين، ولا بين اعتقاده في الأصنام والأوثان؛ إذ لا يجوز الإشراك بين الله تعالىٰ وبين مخلوق فيما يختص بالخالق سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وهذا بعينه هو الذي يعتقده من دعا الأنبياء والصالحين، ولهذا يسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشفاء ذوي الأمراض والعاهات، فثبت أن ذلك شرك».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ

---

(١) الباب الرابع، كتاب التوحيد، ص (١١).

(٢) كتاب التوحيد ص (٣١)، ط: دار السلام.

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٤) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين (٦/ ٢٠٧، ٢٠٨).

زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾، أي: يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتىٰ يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلًا، والباطل حقًّا، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾، أي: ولتميل إلىٰ ذلك الكلام المزخرف، ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة يحملهم علىٰ ذلك ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾، بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولًا، فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة - فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همّتهم مصروفة إلىٰ معرفة الحقائق، فينظرون إلىٰ المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقًّا قبلوها، وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظًا غير وافية، وإن كانت باطلًا ردوها علىٰ من قالها، كائنًا من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة ما هو أرق من الحرير».

والله عَزَّوَجَلَّ في كتابه أبطل كذب ما عُبد من دونه من أنواع المعبودات، وقال في نعتها: ﴿أَسْمَآءٍ﴾، أي: لا حقيقة لها في وصف الألوهية، قال تعالىٰ:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[١].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لما ذكر تعالىٰ ما جاء به محمد ﷺ من الهدىٰ ودين الحق والأمر بعبادة الله وتوحيده - ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة من المعنىٰ سمَّاها المشركون هم وآباؤهم الجهَّال الضلَّال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضُّلَّال، فالآلهة التي بهذه الحال لا تستحق مثقال ذرَّة من العبادة، وهذه الأنداد التي سمَّوها بهذه الأسماء زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متَّصفة بها، فسمَّوا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعُزَّىٰ من العزيز، ومناة من المنَّان؛ إلحادًا في أسماء الله، وتجرِّيًا علىٰ الشرك به!

وهذه أسماء متجرِّدة من المعاني، فكل من له أدنىٰ مُسكة من عقل يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها».

وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **محاجًّا المشركين الذين كانوا معه في السجن:** ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٣].

---

(١) النجم: (١٩-٢٣).
(2) تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٧٥).
(٣) يوسف: (٣٩، ٤٠).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾، الذي له صفات الكمال، ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾، في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء من ذلك؟

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾، الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها، ولهذا قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾، أي: كسوتموها أسماء، وسميتموها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾، بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم ينزل الله بها سلطانًا، لم يكن طريقة ولا وسيلة ولا دليل لها؛ لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهىٰ، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام، وهو الذي أمركم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، أي: المستقيم الموصل إلىٰ كل خير، وما سواه من الأديان فإنها غير مستقيمة، بل معوجّة توصل إلىٰ كل شر.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حقائق الأشياء، وإلا فإن **الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها**، ولكن لعدم العلم

---

(١) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين (٦/ ٥٣٢، ٥٣٣).

من أكثر الناس بذلك حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا علىٰ شركهما، فقامت عليهما بذلك الحجة».

ودعاة الشرك موّهوا علىٰ العامة وحسنوا الشرك لهم بتسميته تبركًا بالصالحين، أو توسلًا بهم، قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الاعتبار بالحقائق والمعنىٰ لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم، وإنما نتبرك بهم. لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلًا أو تبركًا، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين، والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم - كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك؛ لأن العبرة بالحقائق، لا بالأسماء، كما تقدم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلىٰ حنين لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم علىٰ سدرة، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة.**»، فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط. فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل؛ لأن العبرة بالمعنىٰ والحقائق لا بالألفاظ».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (٣/ ١٣٩).

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وأول من سمىٰ ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين - إبليس - لعنه الله -؛ فإنه قال لأبي البشر آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾، فسمّىٰ الشجرة التي نهىٰ الله تعالىٰ آدم عن قربانها: «شجرة الخلد»؛ جذبًا لطبعه إليها، وهزًّا لنشاطه إلىٰ قربانها، وتدليسًا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلمًا وعدوانًا، أدبًا، فيقولون: أدب القتل، أدب السرقة، أدب التهمة. بتحريف اسم الظلم إلىٰ اسم الأدب، كما يحرّفونه في بعض المقبوضات إلىٰ اسم النُّفاعة، وفي بعضها إلىٰ اسم السياقة، وفي بعضها: أدب المكاييل والموازين. وكلُّ ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شمَّ رائحة الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس، حيث سمىٰ الشجرة المنهي عنها: «شجرة الخلد».

وكذلك تسمية القبر مشهدًا، ومن يعتقدون فيه وليًّا، لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: علىٰ الله وعليك. ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد، ونحوها».

* * *

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٢٣-٢٥).



الخاتمة

بعد هذا العرض لمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التوحيد»، يتبين للمنصف جودة وإتقان هذا الكتاب في حسن ترتيبه، وتأسيس العقيدة فيه علىٰ أدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ووضوح عبارته، وخلوه من تكلف المتكلمين وابتداع الضالين.

وظهر لنا قوة الإمام في الاستدلال في أبواب الكتاب وذكاؤه في استنباطاته، وكذلك بلوغه الغاية في حماية جناب التوحيد، وتحذيره من وسائل الشرك، ونصحه للمسلمين من الأمن من الشرك، وبيانه لبقاء بعض شعبه في هذه الأمة، وتحذيره من مسارقة الشرك إلىٰ هذه الأمة بالتشبه بالأمم الكافرة.

ومِنْ نُصْحِ الإمام في كتاب «التوحيد» بيانه لحقيقة التوحيد بيانًا واضحًا، وتحذيره من الشرك كله، كبيره وصغيره، دقيقه وجليله، وبيانه أنواع وصور الشرك؛ حتىٰ لا يقع المسلم في شيء منه، ومن كان متلبسًا بشيء من ذلك فليجتنبه، وليجرِّد التوحيد خالصًا لله وحده لا شريك له.

كما أنه قارن بين شرك السابقين والمعاصرين، وحذّر من الشرك ونفّر منه غاية التنفير، وحضَّ علىٰ الثبات علىٰ التوحيد، وبيّن مراتب الناس في التوحيد؛ ليتسابق المؤمنون إلىٰ بلوغ أعلاها.

دفع المصنف أنواع شبه الأئمة المضلين، الذين يزينون للناس الشرك؛ لأنهم يتأكَّلُون به، وبيّن قدر العلم؛ لأنه هو الذي يحفظ للناس توحيدهم، وينصر به المحقون شرع الله، وبه يرحمون الخلق فيأخذون بأيديهم إلىٰ أسباب دخول الجنة بصيانة عقائدهم عن شوائب الشرك.

في الحقيقة محتوىٰ الكتاب ينادي علىٰ جودته ونفاسته، وهذا الكتاب لا يملُّ العلماء وطلبة العلم شرحه وتدريسه مرات عديدة - وهذا من بركة الكتاب، والسبب في ذلك - والعلم عند الله - أن متنه في أبوابه كلها لا يتجاوز الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

أسأل الله أن ييسِّر لهذا الكتاب من يخدمه أيضًا في بيان منهجه، ويبرز ما فيه من جمال؛ لأن طلبة العلم يتفاوتون في استقراء الكتاب وسائر كتب الإمام وفي علومهم وقدرتهم علىٰ البيان بما في الكتاب من جمال ومميّزات.

والعناية بالعقيدة ومتونها تدريسًا وشرحًا وتصنيفًا هو من أجلِّ ما ينبغي أن تنصرف إليه الهمم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

* * *

دليل الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفصل الخامس: الصناعة الحديثية في كتاب التوحيد

الفصل السادس: كشف الشبهات في كتاب التوحيد

الفصل التاسع: تنبيهات الإمام على أسباب وقوع الشرك

❊ ❊ ❊